



.c. John Marie Control

تَفْسيرُ سُورَةِ الفُرقانِ





سورةُ الغُرقان

أسماءُ السُّورة:

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الفرقان)(١).

 ⁽١) مُستُيّت سورة الله قان؛ الآن في فاتحتها ذِكْرَ الله قان؛ في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اللَّهْ قَانَ عَدْهِ. ﴾.
 يُنظر: ((بصائر ذوي النمييز)) للفيروزابادي (١/ ٣٤٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢١٣/٨٨).
 (٢) أسارة، أي: أوائه وأقائله. يُنظر: ((النهابية)) لابن الأثير (٢/ ٤٠٠).

⁽٣) فَلَبِّئُهُ: أي: جَمَعتُ ثيابَه عند نَحْرِه ثمَّ جَرَرْتُه. يُنظر: ((مرعاة المفاتيح)) للمباركفوري (٧/ ٢٩٦).

⁽٤) سُبعةِ أحرُفِ: اخلِف في المراو بالأحرفِ السبعةِ على أقوالٍ كثيرةٍ، مِن أقوبِها: أنَّ المرادَ سبعةُ أوجُه مِن الاختلافِ لا يخرُجُ عنها، أو: سبّعُ لُغاتٍ مِن لُغاتِ العَرْبِ، أو: سبعةُ أوجهٍ مِن المعاني المتَّفقةِ بالفاظ مختلفةٍ. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٢٦٩١)، ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (٢٦/١)، ((الإنقان في علوم القرآن)) للسيوطي (١٦٣/)، ((مفاتيح التفسير)) للخطب (٢١/٥).





فاقرؤوا ما تيسَّرَ منه))(١).

فَضائلُ السُّورة وخَصائصُها:

في سورةِ (الفرقان) سجدةُ تلاوةِ، في قولِه تعالى: ﴿ وَلِهَا فِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْزِيَ قَالُوْلَوْمَا الرَّحْنَ ٱلْسَجِّدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ ثَفُولَ ﴾ " [الفرقان: ٢٠].

بَيانُ المَكِّيِّ والمَدَنيِّ:

سورةُ الفُرقانِ مكَّيَّةٌ (٣)، وحُكيَ الإجماعُ على ذلك (١٠).

مَقاصدُ السُّورة:

مِن أبرزِ المَقاصِدِ التي تَضمَّنتْها سورةُ الفُرقانِ:

التَّنوية بالقُرآنِ، وإثباتُ أنَّه مُنَزَّلٌ مِن عندِ اللهِ تعالى، والتَّنوية بالرَّسولِ
 المنزَّلِ عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وبيانُ دلائِل صِدقِه، والتَّنوية بالذين اتَبَعوه(٤٠).

(١) أخرجه البخاري (٤٩٩٢) واللفظ له، ومسلم (٨١٨).

(٣) نقل الإجماع على ذلك: ابنُ حزم، وابنُ قدامة، وابنُ حجر. يُنظر: ((مراتب الإجماع)) لابن
 حزم (ص: ٣١)، ((الكافي)) لابن قدامة (١/ ٢٧٢)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١/ ٥٥).

(٣) وقيل: تَكُنَّةٌ أَلا ثلاث آياتِ سنها نزلت بالمدينة وهي: ﴿وَالْقِينَ لَا يَنْضُوك ... ﴾ [الفرقان: ١٨] إلى قُولِه: ﴿وَلَكَانَاتُهُ عَشَوْلِكَوْسِماً ﴾ [الفرقان: ٧٠]. وقيل: مَذَنِثٌةٌ، وفيها دَمُنتِثَّه، وفيها آياتُ مَنْجُنَّةٌ. يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (١٧/ ٣٩٤)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمحكّى (٨/ ١٧٥)، ((نفسير المعاوردي)) (١٤/ ٣٠٤)، ((نفسير القرطي)) (١٣/)، ((نفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٤٢٩).

(٤) مثّن نقل الإجماعُ على ذلك: الفيروزابادي، والبِقَاعي. يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ٣٤٠)، ((مصاعد النظر)) للبقاعي (٢/ ٣١٦).

وعزا القرطبيُّ القولَ بأنَّها مكيَّةٌ إلى الجُمهورِ. يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/١).

(٥) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٦/ ١٦).

قال ابنُ عاشور: (أُقيمَت هذه السُّورةُ على ثلاثِ دَعاثِمَ:

الأُولى: إنباتُ أنَّ القُر آنَ مُنَزَّلٌ مِن عندِ اللهِ، والتَّنويةُ بالرَّسولِ المُنزَّلِ عليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، =





٢- تثبيتُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وتَسليتُه، والتَّسْريةُ عنه (١٠).

مُوضوعاتُ السُّورةِ:

مِن أبرزِ المَوضوعاتِ التي تناولَتُها سورةُ الفُرقانِ:

١- تمجيدُ اللهِ تعالى والثّناءُ عليه، ووَصفُه بصِفاتِ الإلهيّةِ والوَحدانيّةِ فيها،
 واتّخاذُ المُشرِكينَ مع ذلك آلهة مِن دُونِه تعالى مخلوقة مَوصوفة بالعَجز.

حِكايةُ بَعضِ أقوالِ المُشرِكينَ وشُبُهاتِهم حولَ القُرآنِ وحولَ الرَّسولِ
 صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، مع الرَّوِّ عليهم، ودَخض شُبُهاتِهم.

٣- المُقارِنةُ بِيْنَ مَصيرِ المُشرِكينَ وما أعَدَّه اللهُ لهم، وبينَ ما أعَدَّه اللهُ تعالى للمؤمِنينَ.

٤- ذِكرُ جانِب مِن قَصَص بَعض الأنبياءِ مع أقوامِهم.

٥ - تَسليةُ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عمَّا أصابه مِنَ المُشرِكينَ مِن تَطاوُلٍ
 عليه، وتَكذيب له.

= ودلائِل صِدقِه، ورفِعةِ شَانِه عن أن تكونَ له خُطْوطُ النَّذيا، وأنَّه على طريقةِ غَيرِه مِنَ الرُّسُلِ، ومِن ذلك تَلقَّى قَومِه دَعوتَه بِالتَّكذيب.

الدُّعامةُ الثَّابةُ: إثباتُ البَّب والجَرَاه، والإندارُ بالجزاءِ في الأَخرِة، والبَّبيرُ بالوَّابِ فيها للشَّالِحينُ، وإنذارُ المُشرِكِينَ بسُوءِ حَظُهم يومَنكِ، وتكونُ لهم النَّدامةُ على تكذيبهم الرَّسولُ، وعلى إشرائهم وأثباع انتُؤكِّرُهم.

الدُّعامةُ النَّالِثُ: الاستِدَلالُ على وَحدائيَّةِ اللهِ، وتفَرُّرِه بالخَلْقِ، وتَنزيهُه عن أن يكونَ له وَلَدُّ أو شَريكٌ، وإبطالُ إلهيَّةِ الأصنام، وإبطالُ ما زَعَموه مِن بُثَّرَةِ الملابكةِ لله تعالى.

وافتُتِحَت في آياتِ كُلِّ دِعامةٍ مِن هذه الثَّلاثِ بجُملةِ: ﴿ مَّلَكُ ٱلَّذِى ﴾ إلخ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣١٤).

⁽١) يُنظر: ((التفسير الوسيط)) لطنطاوي (١٠/ ١٦٧).





٦- الحديثُ عن بَعضِ مَظاهِرٍ قُدرةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ.

٧- عَرضُ صِفاتِ عِبادِ الرَّحمنِ، وأخلاقِهم، وعبادتِهم لرَبَّهم، ودُعائِهم له،
 ونضَرُّعِهم إليه.







الآيات (٢-١)

﴿ تَمَانُكُ الَّذِي ثَنَّ القَّرْفَانَ فَلَ صَدِيدِ لِيَكُنُ لِلْعَلَيْرِى نَذِيلُ ۞ اللَّبِي أَنَّهُ مُثَافُ السَّمَانِ وَالْأَرْضِ وَلَرْ يَنَّخِذَ وَلَـمَا وَلَمْ يَكُنُ أَنَّهُ شَرِيقًا فِي النَّلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ وَمَنْ تَشَكَّمُ تَقْدِيلُ ۞ وَاَشَّذَكُوا مِن دُوبِهِ ، لَلِهَا لَا يَشْلُقُونَ صَنَا وَشَمْ يُظْلَقُونَ وَلَا يَسْلِكُونَ كِأَنْشُو بِهِمْ مَثَرًا وَلَا نَشَمَا وَلَا يَسْلِكُونَ مَوْدًا وَلَا حَمَوْةً وَلَا تَشْوَلُ ۞ ﴾.

غَرِيبُ الكُلمات:

﴿ تَبَالَكَ ﴾: أي: تعاظَمَ، وتعالَى، وتقدَّس، وكثَّر خَيرُه، وعمَّ إحسانُه، مِن البَرَكةِ: وهي الزّيادةُ والنّماءُ، والكثرةُ والانساعُ، وأصلُ (برك): ثباتُ الشَّيءِ".

﴿اللَّهْوَانَ﴾: أي: كلامَ اللهِ تعالى؛ لِفَرقِه بينَ الحقُّ والباطِلِ، وأصلُه: يدُلَّ على الفَصل بين شيئين'''.

﴿ نَذِيرًا ﴾: أي: مُنذِرًا مخوِّفًا، وأصلُه: يدُلُّ على التَّخويفِ ٣٠.

﴿ فَقَدَّرُهُ ﴾: أي: سَوَّاه وهَيَّاه، وأصلُ (قدر): يدُلُّ على مَبلَغِ الشَّيءِ وكُنهِه ونهايته'').

(۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (س: ۳۱۰)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (۱۷/۲)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ۱۱۲)، ((جلاء الأفهام)) لابن القيم (ص: ۳۰۸)، ((النيبان)) لابن الهائم (ص: ۲۰).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١/ ٩٥)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٣/٤٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٢٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٣٢٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٣٤)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤١٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٩٧٩)، ((التيبان)) لابن الهاتم (ص: ٣٤٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٩٦/١٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦٢/٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٢).





﴿ نُتُورًا ﴾: أي: حياةً بعْدَ المَوتِ. وأصْلُه: يدُلُّ على فَتحِ شَيءٍ وتَشَعُّبِهِ (١).

المعنى الإجماليُّ:

يقولُ الله تعالى مفتتِحًا السورةَ بالثناءِ على نفْسِه: تعاظَمَ الله، وكَمَلَت أوصافُه، وكثُرتْ خَيراتُه، ودامتْ بَرَكاتُه، فهو الذي نزَّل القرآنَ المفرَّقَ بين الخَيِّ والباطِلِ آياتٍ بعُدَ آياتٍ، وسورةً بعدَ سورةٍ على عَبدِه مُحمَّد؛ ليكونَ مُنذِرًا لجَميعِ الإنسِ والجِنِّ، وهو الذي له وحْدَه مُلكُ السَّمواتِ والأرضِ، ولم يتَّخِذْ يَشْسِه ولذًا، ولم يكُن له شَريكٌ في سُلطانِه، وأوجَدَ كلَّ شيءٍ، وجعَله مُحكمًا بحِكمتِه وتقديرِه، وهيَّاه لِما يسلُحُ له.

ثمَّ يُبِيِّنُ انحرافَ المشركينَ فيقول: واتَّخذ المشرِكون مِن دونِ اللهِ آلهَةُ لا تستطيعُ أن تخلُقَ شيئًا، وهذه الآلهةُ المزعومةُ مَخلوقةٌ لا تستطيعُ أن تدفَعَ عن نَفْيهها ضَرًّا، ولا أن تجلِبَ لِنَفيهها نَفعًا، ولا تستطيعُ أن تُميتَ أحدًا، ولا أن تُعييّه، ولا أن تبعَثْ بعدَ مَوتِه!

تُفسيرُ الآيات:

﴿ ثَمَازَكَ ٱلَّذِى نَزَّلُ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَدِيهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۞ ﴾.

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾.

أي: تعاظَمَ الله، وتَمَلَت أوصافُه، وكثُرتْ خَيراتُه، ودامتْ وثبتت بَرَكاتُه، فهو الذي نزّل القرآنَ المفرّقَ ببيانِه بيْن الحَقّ والباطِلِ، آياتٍ بعُدُ آياتٍ، وسورةً بعدَ سورةِ على عَبدِه مُحمَّدِ⁽¹⁾.

⁽۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٠)، ((تفسير ابن جرير)) (٣٩٧/١٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣٠/ ٤٣٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٣٩٤)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ١٩٩)، ((تفسير القرطبي)) =





كما قال تعالى: ﴿ لَهُمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِينَ أَنْزَلُ عَلَى عَبْدِهِ ٱلْكِئْبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِرِمًا ﴾ [الكهف: ١].

﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيزًا ﴾.

أي: لِيَكُونَ محمَّدٌ مُنذِرًا لَجَميعِ الإنسِ والحِنِّ، يحَذَّرُهم عذابَ اللهِ إن لم يُخلصوا له العبادة (١٠).

= (۱/ ۲۰)، ۲)، ((مجموع الفتاوی)) لابن تیمیة (۲۷ / ۲۷۷)، ((تفسیر ابن کثیر)) (۲/ ۹۲). ((تفسیر السعدی)) (ص: ۷۷۷)، ((تفسیر ابن عاشور)) (۲۱۲/۱۸)، ((أضواء البیان)) للشفیطی (۲/ ۲).

وقال ابن عنيمين: (هذا ين جداق التركة التي هي بن صفة الله سبحانه وتعالى: أنّه نزّل الفرقانَ على عبدِه محمّد صلّى اللهُ عليه وسلّم). ((نفسير ابن عنيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١١). ((نا يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (٧/ ٢٩٤)» ((نفسير الفرطي)) (١/ ٢) ((نفسير ابن عاشور))

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷٪ ٣٩٤)، ((تفسير القرطمي)) (۲/۱۳)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۱۷/۱۸).

مِثَن اختار أنَّ الفَّسِيرَ فِي قولِه: ﴿ لِيَكُونَ ﴾ عائدٌ على النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: مقاتلُ بنُ سليمان، وابنُ جرير، وسكِّيّ، والرازيُّ والقرطيُّ، وابنُ جُزيِّ، والشركانيُّ، وابنُ عثيمين. يُنظر: ((نفسير مقاتل بن سليمان)) (۲۲ ه۲۲)، ((نفسير ابن جرير)) (۲۲ ،۲۲۹)، ((نفسير ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكِّي (۸/ ۱۷۳ه)، ((نفسير الرازي)) (۲۲ ۲۶)، ((نفسير القرطي)) (۲/ ۲۷)، ((نفسير ابن جزي)) (۲/ ۷۷)، ((نفسير الشوكاني)) (۱/ ۲۷)، ((نفسير الموكاني)) (۱/ ۲۷)، ((نفسير الموكاني)) (ع. ۲۲)، ((نفسير الموكاني)) (ع. ۲۸)، ((نفسير الموكاني)) (ع. ۲۲)، ((نفسير الموكاني)) (ع. ۲۸)، ((نفسير الموكاني)) (ع. ۲۸)، ((نفسير الموكاني)) (ع. ۲۸)، ((نفسير الموكاني)) (ع. ۲۸)، ((نفسير الموكاني)





كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَيِيكًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وعن جابِر بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((كان النبُّ يُبعَثُ إلى قَوِمِه خاصَّةً، ويُعِثُ إلى النَّاسِ عامَّةً))(").

﴿ اَلَّذِى لَهُ مُنْكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَلَرْ يَنَّخِذْ وَلَـمُا وَلَمْ يَكُنْ لَلَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلُّ مَنْهِ فَقَدَّرُهُ تَقَايِرًا ۞ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا تَقَدَّم ذِكْرُ مُنَزَّلِ الفُرقانِ سُبحانه، وذِكْرُ الفُرقانِ والمَنزَّلِ عليه على طويقِ الإجمالِ؛ أنبَعَ ذلك تفصيلَ على الترتيبِ، فبدأ بوَصفِ المَنزَّلِ سُبحانه بما هو أذَلُّ دَلِل على إرادةِ التَّعمِم في الرِّسالةِ لكُلِّ مَن يريدُ، فقال'''؛

﴿ ٱلَّذِى لَهُ، مُلْكُ ٱلسَّمَنُوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

أي: وهو اللهُ الذي له وحُدَه سُلطانُ السَّمواتِ والأرضِ، يصَرَّفُ شُؤُونَهما ويدبِّرُهما وجميعَ ما فيهماً "٢.

⁼ ونسَبَ ابنُ الجوزيُّ هذا القولَ للجمهورِ. يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣١١).

ومِمَّن قال بهذا القولِ مِن السَّلفِ: قَتَادَةُ، وابنُ زيدٍ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٩٤/١٧)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٨/ ٢٦٦٠).

وممَّن قال: إنَّ الضميرَ يعودُ على القرآنِ، أي: لِيَكونَ القرآنُ نذيرًا: السمرقنديُّ. يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (٥٢/ ٢٥).

قال ابن عطية: (قَولُه: ﴿ لِلْمُنْلَمِينَ ﴾ عامٌّ في كلِّ إنسيِّ وحِنِّيِّ عاصَرَه أو جاء بعُدَه). ((تفسير ابن عطية)) (١٩٩/٤).

⁽١) رواه البخاري (٣٣٥) واللفظ له، ومسلم (٥٢١).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٣٥).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٣٩٥، ٣٩٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٠، ٢٠١)، =





كما قال تعالى: ﴿ ذَالِكُمُ أَنَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلشَّلَاثُ وَالَّذِي تَنْعُوك مِن دُونِهِ، مَا يَنْلِكُوك مِن فِطْهِير ﴾ [فاطر: ١٣].

﴿ وَلَوْ يَنَّخِذُ وَلَـدُا ﴾.

أي: ولم يتَّخِذْ لِنَفْسِه وَلدًا؛ لا عيسى، ولا عُزَيرًا، ولا الملائكة، ولا غيرَهم مِن خَلِقه (١).

كما قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكِلِّدُ وَلَمْ يُولَدُّ ﴾ [الإخلاص: ٣].

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ ﴾.

أي: ولم يكُنْ لله شريكٌ في مُلكِه وسُلطانِه كما يزعُمُ المُشركون(٢٠).

كما قال تعالى: ﴿ قُلِ اَدَعُوا اَلَيْنِ رَعَتُمُ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَسْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةِ فِ السَّمَوْتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَمُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٧٧

﴿ وَخَلَقَ كُلُّ مَنْ مِ فَقَدُّدُهُۥ لَقَدِيرًا ﴾.

أي: وأوجَد اللهُ كلَّ شيءٍ مِن المخلوقاتِ الكبيرةِ والصَّغيرةِ، فأنقَنَه وهيَّأه لِما يَصلُحُ له، وجعَلَه مُحُكَمًا، لا تفاوُتَ فيه ولا خَللَ، على ما أراد سُبحانَه بحكمته").

^{= ((}تفسير السعدي)) (ص: ٥٧٧).

 ⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٩٦/١٧)، ((تفسير القرطبي)) (٢/١٣)، ((تفسير السعدي))
 (ص: ٥٧٧).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٣٩٦/١٧)، ((تفسير القرطبي)) (٢/١٣).

 ⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) ((۱۹۹۷)، ((تفسير القرطبي)) (۱۳/۱۳)، ((تفسير السعدي))
 (ص: ۷۷٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/ ۳۱۸ ، ۳۱۹).





كما قال تعالى: ﴿ وَلِكُمُ أَلَّهُ رَبُّكُمُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَّ كَلِقُ كُلِ مَنْ وَقَاعَبُدُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقال سُبحانه: ﴿ الَّذِي ٓ أَعْطَىٰ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمُّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ صُنْعَ أَللَّهِ ٱلَّذِيَّ أَنْقُنَ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٨٨].

وقال عزَّ وجلِّ: ﴿ ٱلَّذِي ٓ أَحْسَنَ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧].

وقال جلَّ جلاله: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ نَكُونَ * وَٱلَّذِي فَلَرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

﴿وَلَقَدُوْا مِن مُومِهِ ءَالِهَةَ لَا يَعْلَقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْشِيهِمْ صَرَّا وَلَا تَشْعَا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتَا وَلا حَيْزَةَ وَلا نَشُولِ ۞﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا بيَّن كَمَالَه وعظَمتَه وكَثرةَ إحسانِه، وكان ذلك مُقتَصَيًّا لأن يكونَ وخُدَه المحبوبَ المألوة المعظَّمَ، المُفرَدَ بالإخلاصِ وحُدَه لا شريكَ له؛ ناسَبَ أن يذكُرُ بُطلانَ عبادةِ ما سِواه، فقال^(۱):

﴿ وَأَتَّفَ ذُواْ مِن دُونِهِ وَالِهَةَ لَّا يَعْلَقُونَ ﴾.

أي: واتَّخذ المُشرِكون من دونِ اللهِ معبوداتٍ مِن الأصنامِ وغَيرِها لا تَستطيعُ أنْ تخلُقُ شيئًا، وهذه الآلهةُ مخلوقةٌ، بل منها ما هو مَصنوعٌ ومنحوثٌ بأيدي المُشركين⁽¹⁷!

⁼ قال ابن عطية: (تقديرُ الأشياءِ: هو حَدُّها بالأمكنةِ والأزمانِ والمقاديرِ، والمصلحةِ والإتقانِ). ((تفسير ابن عطية)) (٤/٩٩).

⁽١) يُنظر: ((نفسير السعدي)) (ص: ٥٧٧). ويُنظر أيضًا: ((نفسير الوازي)) (٢٤/ ٣٦١)، ((نفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٣٦).

 ⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۳۹۷)، ((تفسير القرطبي)) (۳/۱۳)، ((تفسير السعدي))
 (ص: ۷۷٥).





كما قال تعالى: ﴿ يَتَأَلَّهُمَا النَّاسُ ضُرِي مَثَلُّ فَأَسْتَيْعُواْ لَمَّ إِنَّ ٱلَّذِيكَ نَدَّعُوك مِن دُونِ اللَّهِ لَنَ يَعْلُقُواْ ذُكِابًا وَلَوْ أَجْسَتَعُواْ لَمَّ ﴾ [الحج: ٧٣].

وقال سُبحانَه: ﴿ قَالَ أَتَعَبُدُونَ مَا نَنْجِتُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:

﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾.

أي: ولا تَستطيعُ المعبوداتُ مِن دونِ اللهِ أن تدفَعَ عن نفْسِها ضَرَّا، ولا أن تجلُّ لنَفسِها نفعًا (١٠).

= قال ابنُّ عطية: (قَولُه: ﴿ وَمُعْيَظُونُهُ فِي يحتَولُ أَنْ يَرِيدُ: يخَلُقُهِم اللهُ بالاختراع والإيجادِ، ويحتَولُ أَنْ يَرِيدُ: يخلُقُهم البِشَرُ بالنَّحِتِ والنَّجارِةِ، وهذا التَّاوِيلُ أَشَدُّ إِيدادُ لَخَسَاسَةِ الأَصْنَامِ). ((نَصْسِرِ ابنَ عطيةً)) (£ (1914 - 7).

ممَّن اختار المعنى الثانيّ: مقاتلُ بن سليمان، ويحيى بن سلام، وابن أبي زمنين، والزمخشري، والبيضاوي، والعليمي، يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (۲۲،۲۳)، ((تفسير يحيى بن سلام)) (۸/۸ ٤)، ((تفسير ابن أبي زمنين) (۲/۳۵۲)، ((تفسير الزمخشري)) (۲/۳۲۲)، ((تفسير البيضاوي)) (۱۷/۵)، ((تفسير العليمي)) (۱/۵).

وممَّن جمَع بينَ المعنيين السَّابقين: السعديُّ. يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٧٧).

قال البقاعي: (﴿ وَهُمْ يُطْلَقُونَ ﴾ أي: بما يُشاهَدُ فيهم مِنَ التغَيِّرِ والطَّواعِيَةِ لِمَشيئتِه سُبحانَه، ومِن ذلك أنَّ عَبَدَتَهم افتَعَلوهم بالنَّحتِ والتَّصوير). ((نظم الدرر)) (١٣/ ٣٣٧).

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۲۹۷/۱۷)، ((تفسير القرطبي)) (۳/۱۳)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۱۱/٦).

ومتَّن ذهب إلى هذا المعنى المذكور: إبنَّ جرير، والقرطي، والشقيطي. يُنظر: المصادِرُ السابِقةُ. قال ابنُّ عشين: (قَولُه: ﴿ وَلَا يَسَلِكُونَ لِأَشْسِهمَ صَرُّولَا تَفَعَلُ ﴾... ﴿ وَقَلَ يَسَلِكُونَ لِأَشْسِهمَ صَرُّ إِنَّهِ: لو أوادوا أن يَضُرُّوا أنْضُتهم ما صَرُّوها، ولو أوادوا أن يذَفَعوا عنها صَرَرًا ما دفعوا عنها: ... قركُ: ﴿ وَلَا تَفَكّا ﴾ يعنى: لا يَملكونُ أن يجرُّوا لأنضُهم عَمَّا، ولا يملكونُ أيضًا أن يدفعوه عن أشَّهم... وإهالهُ الآيةِ على الشُعومُ أولى، يعنى: لا يستطيعونَ شَيَّا لأنضُهم، ابن وإذا كانوا لا يَستطيعونَ ذلك لأنصُّهم، فين بابٍ أَولَى لا يُستطيعونَ لعالمِديهما). ((نفسير ابن عثيين سورة الفرقان) (ص: ٢٨ ١٩)، ٢٩).





﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتُنَا وَلَا حَيَوْةً وَلَا نُشُورًا ﴾.

أي: ولا تَستطيعُ المعبوداتُ مِن دونِ اللهِ إمانةَ حَيٍّ، ولا إحياءَ مَيِّتٍ، ولا بُعْثَه بعدَ مَوتِه'\

الغُوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿ تَرَاتُكَ اللَّهِى ثَلَ الشّرَانَ ﴾ أنَّ هذا الربَّ المُنْعِم المتفضَّلَ التُدُّوسَ: هو الذي أنزلَ هذا الفرقانَ، فإذا أردتَ أن تَرقَى في درجاتِ الكمالِ، وتظفرَ بأنواعِ الإنعامِ، وتُزَكِّي نفسَك الزَّكاءَ التامَّ؛ فعليك بهُدى هذا الفرقانِ، فهو بساطُ القُدُس، ويعراجُ الكمالِ، ومائدةُ الإكرام ''.

٢- قال الله تعالى: ﴿ قَرْتَكُولُهُ اللَّهِى نَزُلُ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَكْمِيكِ نَذِيرًا ﴾ لَمّا سمّى الله كتابه الله وقائم الله كتابه الله وقائم الله وذاك. فهو المحكّم العدل، والقول الفصل بين كلَّ متنازعين يدَّعي كلِّ منهما أنَّه على الحقَّ فيما هو عليه مِن عَقد أو قولٍ أو عمَلٍ، فما تقابَلَ حقِّ وباطلٌ، وما تعالجت حُجَّةٌ وشُبهة إلَّا وفي هذا الكتابِ الحكيم ما يَعْرُقُ ما بينهما. وإنما يتفاوتُ النَّاسُ في إدراكِ ذلك منه على حسّبِ ما عندَهم مِن قوة عِلم، وصِدق بنصرة، وحُسنِ إخلاص، فعلينا -إذَّن- أن يكون أوَّلُ فزَعنا في الفرقَ والفصلِ إليه، وأن يكون أوَّلُ فزَعنا في الفرقَ والفصلِ بالشُّيَّة والعمليَّة على استجلاءِ ذلك مِن نصوصِه ومَراميه، مستعينينَ بالشُّنَة العوليَّة والعمليَّة على استجلاءِ ذلك مِن نصوصِه ومَراميه، وكنا مع ماحكمَ عليه؛ فالله سمَّاه الفوقانَ إنَّعالمَ أنَّه فارقٌ بنفْسِه، ما حكمَ عليه؛ فالله سمَّاه الفوقانَ إنَّعالمَ أنَّه فارقٌ بنفْسِه،

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) ((۱/ ۳۷۹)، ((تفسير القرطبي)) (۳/۱۳)، ((تفسير ابن كثير)) (۱/ ۹۳)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲/ ۳۲۱).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٥٤).





ولِنَعملَ بالفَرقِ به، ولا يَكمُلُ إيمانُنا بأنَّه الفرقانُ إلَّا بالعلم والعمَلِ(١٠).

٣- قال الله تعالى: ﴿ ثَمَالَكُ اللَّهِى نَلْ الْفَرْقَانَ عَلْ صَدِيهِ لِيَكُونَ لِلْمَعْلَمِينَ نَدِياً ﴾ نستفيدُ مِن النَّاحية المسلكيّة التربويّة: أن تتأكّد وتزدادَ محبَّننا لرّسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم؛ حيث كان عبدًا لله، قائمًا بإبلاغ الرّسالة، وإنذارِ الخَلقِ ".

٤- نستفيدُ مِن قَولِه تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اللَّهِى نَلْ اللَّهْوَانَ عَلَى عَنْدِهِ. ﴾ أنَّ الإنسانَ إذا أراد أنْ تسبينَ له الأمورُ، فليرجِعْ إلى القُرآنِ؛ لأنَّ اللهَ سشّاه فُر قانًا "، فكما أنَّه فُر قانًا بذاتِه يَقرُقُ، فإنَّ مَن كان مِن أهلِه ولازَمَه وعَمِلَ به، أُوتِيَ هذه الصَّفة، وصار له تَفريقٌ بين الحَقِّ والباطلِ؛ لِقولِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ يَتَأَيُّمُ اللَّيْبَ } اللَّيْبَ ءَامَنُونًا إِن تَنْقُوا اللهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ يَتَأَيُّمُ اللَّيْبَ عَامَنُونًا إِنْ نَلْكَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ يَتَأَيُّمُ اللَّيْبَ عَامَنُونًا إِنْ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ يَتَأَيُّمُ اللَّيْبَ كَامَنُونًا إِنْ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ يَتَلَيْبُوا اللَّهِ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَيْبُهِ اللَّهِ عَلَيْبَ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْبًا لللَّهِ عَلَيْبًا اللَّهِ عَلَيْبًا اللَّهِ عَلَى المَنْ الْحَقِيلِ اللَّهِ عَلَيْبًا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْبُولُ اللَّهِ عَلَيْبًا اللَّهِ عَلَيْبُوا اللَّهِ عَلَيْبًا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْبُولُ اللَّهِ عَلَى إِلَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْبًا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْبُولُ اللَّهِ عَلَيْبُولُونَا اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى الْحَقِلَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى الْحَقّ اللّهِ عَلَيْلًا اللّهِ عَلَى الْحَقْلَ اللّهِ عَلَى النّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَيْلًا اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى الْحَلَّى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ عَلَا اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

٥- قال الله تعالى: ﴿ تَهَادَكُ اللَّهِى ثَنَّلَ الْفَرْقَانَ فَلَ صَدِيهِ لِيَكُونَ لِلْمَعَلَمِينَ نَبْيِرًا ﴾ لَمَّا جَمَلَ تعالى غاية تنزيلِ اللهُ قانِ أَنْ يكونَ عبْدُه نذيرًا، اقتضى ذلك أنَّ يذارته تكونُ بالقُرآنِ؛ لتقومَ الحُجّةُ، وتبَمَّ الحِكمةُ، وتحصُّلَ الفائدةُ، وتشمَلَ النعمةُ، توقدصُّرَ الفائدةُ، وتشمَلَ النعمةُ، وقدصُّرَ بهذا في صَدْدِكَ حَرَجٌ يَتَهُ النَّهَدُونَ وقدصُّرَ بهذا في صَدْدِكَ حَرَجٌ يَتَهُ النَّهَدُونَ إِلَى هَذَا الْقُرْمَانُ لِأَنْذِنَكُم بِهِهُ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ٩٦]؛ فعلينا -إذَن - أن نعلمَ أنَّ القرآنَ هو كتابُ النَّذارةِ والهداية، فنستخرجَ أصولَها وفنونها مِن آياتِه، وهذا حظَّ العِلم؛ وأن يكونَ اهتداؤنا في أنفُسِنا وهدئينا لغيرنا به، وهذا حظَّ العمَل، وهذا كذا الإيمانِ (٥٠).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٥٤).

⁽٢) يُنظر: ((مجموع فتاوي ورسائل العثيمين)) (٨/ ٣٠٧).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ١٢).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٥٥).







الغوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١ - قال الله تعالى: ﴿ نَهَارَكَ اللَّذِى ثَلَ الْفَرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ. لِيَكُونَ لِلْمُعْلَمِينَ نَذِيرًا ﴾
 ﴿ نَهَارَكَ ﴾ فِعلٌ مختصٌ بالله تعالى لم يُستعمَلُ في غَيرِه (١٠) فلا يقالُ لغيرِ الله:
 (تَبارَك)(١٠).

٢ - قَولُهُ تعالى: ﴿ ثَمَارَكَ اللَّذِى نَزُلْ الْفَرْقَانَ عَنَ عَنْدِهِ. لِيَكُونَ لِلْمَنْلِيمِينَ نَفِيرًا ﴾ لمّنا قال تعالى أو لاً: ﴿ ثَهَارَكَ ﴾ ومعناه كثرةُ الخير والبَرْكَةِ، ثمَّ ذكرَ عَقِبَه أمرَ الفرآنِ؛ دلَّ ذلك على أنَّ القُرآنَ مَنشأُ الخيراتِ، وأعمُّ البَرْكاتِ ﴿ وَالشَّا فِاسنادُ، ﴿ ثَبَارَكَ ﴾ إلى قولِه: ﴿ أَلَفِى نَزُلَ ٱللْهُوَانَ ﴾، بدُلُ على أنَّ إنزالَه الفُرقانَ على عبدِه مِن أعظمِ البَرْكاتِ والخَيراتِ والخَيراتِ والنَّعَم التي أنعَمَ بها على خلقه (¹¹).

٣- قَولُهُ تعالى: ﴿ مَهَارَكَ اللَّهِى نَزْلَ اللَّهْ فَانْ عَلْ عَدِهِ لِيكُونَ لِلْعَلَوِي نَدِيلًا ﴾ تكلَّم الله سُبحانَه وتعالى في هذه الشُّورة في التَّوجيدِ والنبوَّة وأحوالِ القيامةِ، ثم خَتَمها بذكرِ صفاتِ العبادِ المُخلِصينَ الموقِنينَ، ولمَّا كان إثباتُ التوحيدِ يجبُ أَنْ يكونَ مُقَدَّمًا على الكُلُّ؟ لا جَرَم افتتمَ اللهُ هذه الشُّورة بذلك (٥٠).

 3 - اللهُ سُبحانَه قد أقام الحُجَّةَ على خَلقِه بكتابِه ورُسُلِه، فقال: ﴿ ثَيْرَانَهُ اللَّذِينَ نَلُ ٱلْمُرْقَانَ فَنَ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْمُعْلَمِينَ نَدِيرًا ﴾، وقال: ﴿ وَأُوسَى إِنَّ هَذَا اللَّرِيْنَ بِهِ. وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، فكلُ مَن بلَغَه هذا القرآنُ فقد أُنذِرَ به، وقامت عليه

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ١٩٩).

⁽٢) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/٥).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الرازى)) (٢٤/ ٢٤).

⁽٤) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/٥).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢٨).





حُجَّةُ اللهِ به(١).

هـ قال تعالى: ﴿ تَلَوْكَ اللَّهِ كَانَّ الْمُرْقَانَ فَلْ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْمُدَلِّينِ نَذِيرًا ﴾ فافتتح هذه السُّورة بأنَّه تعالى مُنتَّرَة في صفايته عن النَّقائص، كثيرُ الخيرِ، ومن خيرِه أنَّه نَزَل الفُرقانَ على رسولِه مُنذِرًا لهم؛ فكانَ في ذلك إطماعٌ في خَيرِه، وتحذيرٌ مِن عِفايه (").

٣- قَولُهُ تعالى: ﴿ ثَمَارَكَ اللَّهِى ثَنَّ الْفُرْقَانَ فَلْ عَيْدِهِ لِيَكُونَ لِلْمَلْهِيمَ نَفِيرًا ﴾ كالتَّنبيه على أنَّه لا النفات إلى المنافع العاجلة؛ وذلك لأنَّه سُبحانَه لَمَّا وَصَفَ نَفْسَه بأنه الله الذي يُعطي الخيراتِ الكثيرةَ لم يَذْكُرُ إِلَّا منافعَ الدِّينِ، ولم يَذْكُرِ البَّنَّةُ شيئًا مِن منافع الدُّينِ. ولم يَذْكُرِ البَّنَةُ شيئًا مِن منافع الدُّينِ.

٧- قال الله تعالى: ﴿ نَهَا لَنَهُ عَنْلَ ٱلْهُوَّانَ ظُن عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَوْدِيَ نَبِيرًا ﴾،
 في إينارِ اسمِ ﴿ ٱلْهُرْقَانَ ﴾ باللَّذِي هنا إيماءٌ إلى أنَّ ما سيْذُكُرُ مِن الدَّلائلِ على الوحدانيَّة وإنزالِ القرآلِ دلائلُ قَيْمَةٌ ثُمَرَّقُ بِيْنَ الحقَّ والباطلُ (١٠).

٨- قوله تعالى: ﴿ تَبَالَكُ اللَّذِي نَزَلُ اللَّهْرَانَ عَنْ عَبْدِهِ. لِيَكُونَ لِلْعَكَلِمِكَ نَذِيرًا ﴾ فيه أن القرآن كلامُ الله؛ لأنَّ الله إذا أضاف إنزالَ شيء إليه، ولم يكُنْ عينًا قائمًا بذاتِه ولا صفة في عينٍ قائمة بذاتِها؛ الزم أن يكونَ صفةً مِن صفاتِ الله، فتعيَّن أن يكونَ كلامًا لله تعالى ٥٠٠.

⁽١) يُنظر: ((الصواعق المرسلة)) لابن القيم (٢/ ٧٣٥).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (۸/ ۷۹).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٢٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣١٧).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١٨،١٢).





٩ - قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اللّهِ عَنْلَ الْفَوْفَانَ عَلَى عَبْدِهِ. ﴾، قولُه تعالى: ﴿ عَلَى عَبْدِهِ. ﴾ هذه صفةُ مَدح وثناء؛ لأنَّ اللهَ أضاف نَيته إلى عُبُوديَّهِ ((). وقد وَصَف الله تعالى أكرَمَ خُلْقِه عليه، وأعلاهم عند منزلة بالمُبوديَّة في أشرَف مقاماته؛ فَنَكَره بالمُبوديَّة في مقامِ إنزالِ الكتابِ عليه، فقال تبارك تعالى: ﴿ تَبَانَكَ اللّهِ مَنْلُ اللّهُوَّانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنشُمْ فِي رَبِّهِ مِتَا زَلْكَ عَلَى عَبْدِهَا ﴾ [المُجوديَّة في مقامِ التحدة: ٢٣]، وذكر بالمُبوديَّة في مقامِ التحديق إلى عَلَى عَبْدِهِ الكيهف: ١]، وذكر بالمُبوديَّة في مقامِ التحوق إليه، فقال: ﴿ وَإِن كُنشُمْ فِي رَبِّهِ مِتَا زَلْكَ عَلَى عَبْدِهِ اللّهَ عَبْدُنَا ﴾ [الكهف: ١]، وذكر مائم عَبْديَا عَلَى عَبْدِيَا في مقامِ الدَّعوة إليه، فقال: ﴿ وَأَنْهُمْ عَبْدُ اللّهِ عَبْدَا لَهُ عَلَى اللّهُ ودَيَّة في مقامِ الإسراء، فقال: ﴿ وَأَنْهُمْ عَبْدُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ وذَكُوه بالمُبوديَّة في مقامِ الإسراء، فقال: ﴿ وَأَنْهُمْ عَبْدُ اللّهُ اللّهُ عِنْدُهُ وَلَاكُمْ اللّهُ ودَيَّة في مقامِ الإسراء، ١٤].

١٠ - في قولِه تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اللَّهِى نَزَلُ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ. لِيَكُونَ لِلْمُعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴾
 إشارة إلى كثرة المستحقين للنَّذارة ").

١١ - في قوله تعالى: ﴿ بَمَارَكَ اللَّهِى نَزَلَ الْمُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ. لِيَكُونَ لِلسَكَلِيمِ نَدْيرًا ﴾ إثباتُ الحكمة في أفعالِ اللهِ تعالى؛ لقوله: ﴿ لِيَكُونَ ﴾؛ لأنَّ «اللامّ» في قوله: ﴿ لِيَكُونَ ﴾؛ لأنَّ «اللهمّ» المجمعة؛ إذِ العلَّة ﴿ لِيكُونَ ﴾ للتّعليلِ دلَّ هذا على أنَّها نفيدُ الجحمة؛ إذِ العلَّة هي الباعثة على الشّيء؛ أو معي غايةُ الشّيء؛ لأنَّ العلة إمَّا غائبَةٌ أو باعثة، وكلِّ منها يكُلُّ على الحِكمة ('').

١٢ - في قَولِه تعالى: ﴿ نَزُلُ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ دَلالةٌ على أنَّ اللهَ في السَّماءِ، ووجهُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ٩٢).

⁽٢) يُنظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/ ١٢٢، ١٢٣).

⁽٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٣٢).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ١٨).





الدَّلالةِ: أنَّ النُّزولَ يكونُ مِن عُلُوَّ؛ وإذا كان اللهُ نَزَّلَ الفُرقانَ، فإنَّ هذا يدُلُّ على عُلُوَّ اللهِ تبارك وتعالى''.

١٣ - في قوله تعالى: ﴿ زَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ أنَّ القُرْآنَ كلَّه واضِحٌ صَريحٌ ليس فيه إشكالٌ؛ لأنَّه لا يمكنُ أن يكونَ فُرقانًا إلَّا على هذا الوجه، وأمَّا قولُه تعالى: ﴿ اللَّهُ زَلَ أَخْسَنَ ٱلْمَدِيثِ كِنْنَا مُتَثَنِهًا ﴾ [الزمر: ٣٣] فالمرادُ بالتَّشائِهِ فيه ليس اشتباه المعنى، بل هو الموافقةُ والمُشاكلةُ في الكَمالِ والحُسن".

١٤ - قولُه تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ فَيْرًا ﴾ يدُلُّ على عموم رساليه صلَّى الله عليه وسلَّم للاسود والأحمر، والجنَّ والإنسِ؛ لدخولِ الجمع في قولِه تعالى: ﴿ لِلْمَلَمِينَ فَيْلًا ﴾ "، فهو يتناولُ جمع المكلَّفِينَ مِن الجِنَّ والإنس ".

ويَبطُلُ بهذا قولُ مَن قال: إنَّه كان رسولًا إلى بعضِ الناسِ دونَ بعضٍ (°)، فمَن قال: إنَّه رسولٌ إلى العَرَب فقط، فإنَّه كافرٌ به (°).

١٥ - قال الله تعالى: ﴿ يَرَانُهُ اللَّذِي نَلْ اللَّمْ إِنَّ عَلْى صَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْمَلَمِينَ نَيْرًا ﴾،
 دلَّتِ الآيةُ على أنَّه رَسولٌ للخُلْقِ إلى يَوم القياه؟ فوجَبَ أنْ يكونَ خاتَمَ الأنبياء

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين-سورة الفرقان)) (ص: ۱۸).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/٣).

⁽٤) أمّا المدرّكةُ فقد حكى الرازيُّ الإجماعُ على اتَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لم يكُن رَسولًا إلى الملاتكوة وقد قدّح في هذا الإجماع المِتَّاعيُّ في ((نظم الدور)) (٧/ ٧) و(١٣/ ٣٣٢). ويُنظر تفصيلُ المسألة، والخلافُ فيها في رسالة: ((تزيين الأرائكِ في إرسالِ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الملاتكِ) للسيوطيُّ.

⁽٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٢٩).

⁽٦) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ١٨).





والرُّسُل(١).

17- في قولِه تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلْمَنْلَمِينَ نَفِياً ﴾ فضْلُ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، حيثُ كُلِّفًا الرِّسالة إلى جميع الخَلقِ؛ لأنَّ هذا دَليلٌ على فضْلِه، وأنّه أهلٌ لهذه المهِمَّةِ العظيمةِ؛ فلو أَرسلتَ إنسانًا لِيُصلحَ بين شخصينِ فهذا دليلٌ على فضْلِه، لكنْ لو أرسلتَ إنسانًا لِيُصلِحَ بين طائفتينِ أو أمَّتَينِ فهذه زيادةُ فضلٍ؛ ولذلك لا يُرسَلُ لهذه المههَّةِ الأخيرةِ إلَّا مَن هو جديرٌ بها، فكونُ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أُرسِلَ لجميعِ الخَلقِ دَليلٌ على فَضلِه؛ حيث حُمَّل الرَّسالةَ إلى جَمعِ الخَلقِ دَليلٌ على فَضلِه؛ حيث حُمَّل الرَّسالةَ إلى جَمعِ الخَلقِ دَليلٌ على فَضلِه؛ حيث حُمَّل الرَّسالةَ إلى جَمعِ الخَلقِ دَليلٌ على فَضلِه؛ حيث حُمَّل الرَّسالةَ إلى

٧١ - قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اللَّهِى نَزَلَ اللَّهِ عَالَى عَلَى عَبْدِهِ. لِيَكُونَ لِلْمَعْلَمِينَ فَيْرِاً ﴾ اللّه مثلك الشّكوت وَالأرّض ﴾ و فذكر الله سُبحانه و تعالى إنزال الله وافن، وهو تشطيع، ثمّ أعقبه بقوله: ﴿ اللَّهِى لَهُ مُلْكُ السّكوت وَالأَرْضِ ﴾ إشارة إلى أنّه يحبُ العملُ بما جاء في هذا الفوقان؛ لأنّه جاء مِن مالكِ السَّمواتِ والأرضِ، والمالِكُ له حَقَّ التصرَّفِ في معلوكِه، بأنْ يُشَرَّعُ له ما شاء، ويُنظَم له ما شاء، ويُنظَم له ما شاء، ويُنظَم له ما شاء، وهذه هي الفائدةُ مِن قولِه: ﴿ اللَّهِى لَهُ مُلْكُ السَّكوتِ ﴾ بغد قوله: ﴿ اللَّهِى نَزَلُ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ فأتى بالتَّشريع أولًا، أو بدُستورِ التَّشريع كما يقولون، ثمَّ أي بغد ذلك بمُعومِ المُلكِ؛ لأنْه عَلَى المعلوكِينَ الله والمالِكَ العام للسَّمواتِ والأرض، لَزِمَ أن يكونَ ما شَرَعه حتمًا على المعلوكِينَ اللهَ المعام للسَّمواتِ.

١٨ - قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَلَرْ يَنَّخِذُ وَلَـكَا وَلَمْ يَكُن لَهُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ١٩).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٠).





شَمِيلُكُ فِي ٱلمُمْلِكِ وَخَلَقَ كُلُ مَنْ وَفَقَدُ مُنْقَدِيرًا ﴾ أننى جلَّ وعلا على نفْسِه في هذه الآيةِ الكريمةِ بخَمسةِ أُمورٍ، هي أُولَّةٌ فاطِعةٌ على عَظَمتِه واستحقاقِه وحُدَه لإخلاصِ العبادةِ له:

الأوَّلُ منها: أنَّه هو الذي له مُلكُ السَّمواتِ والأرضِ.

والثاني: أنَّه لم يتَّخِذْ ولَدًا- سُبحانَه وتعالى عن ذلك عُلُوًّا كَبيرًا.

والثالث: أنَّه لا شريكَ له في مُلكِه.

والرابعُ: أنَّه هو خالِقُ كُلِّ شَيءٍ.

والخامسُ: أنَّه قَدَّر كُلَّ شَيءٍ خَلَقه تقديرًا(١).

٩ - في قَولِه تعالى: ﴿ اللَّذِى لَذُهُ مُلْكُ ٱلسَّمَــُونِ وَالْأَرْضِ وَلَرْ يَشَخِذُ وَلَــُمَا وَلَمْ يَكُنُ
 لَشُ شَرِيكٌ في الْمُلْكِ ﴾ إيماءٌ إلى أنَّ الاشتراكُ في الولكِ ينافي حقيقةَ المِلكِ التامَةَ
 الني لا يَلِينُ به غيرُها(١٠).

٢٠ - قَولُهُ تعالى: ﴿ وَلَرَيْنَا فِذَ وَكَمُا ﴾ فيه ردِّعلى مُشْر كي قُريشٍ، وعلى النَّصارى واليهودِ النَّاسِينَ للهِ الولَدَ(٣).

٢١ - في قولِه تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ مَعْيَرٍ ﴾ دَلالةٌ على أنه سُبحانه خالقٌ لأعمالِ
 العباد، وهذا من وجهين:

الأول: أنَّ قولَه: ﴿ وَخَلَقَ كُلِّ هَتِهِ لِمِينَاوَلُ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ؛ فيتناولُ أَفْعَالَ العبادِ.

 ⁽١) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/٦).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/۱۸).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨٠ /٨).





والثاني: أنَّه تعالى بغدَ أنْ نفَى الشريكَ ذَكَر ذلك، والتقديرُ أنَّه سُبحانَه لَمَّا نفَى الشريكَ كَأنَّ قاتلًا قال: هاهنا أقوامٌ يَعترفون بتَفي الشُّركاءِ والانداد، ومع ذلك يقولون: إنَّهم يَخلقون أفعالَ أنفيهم؛ فذَكَرَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ لتكونَ مُعينةً فى الرَّدِّ عليهم''.

٢٢ - قولُه تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلُ مَعْ مِ فَقَدُ مَدْ فَقِيرًا ﴾ إنْ كان الخلْقُ بمعنى التَقادير، فكيف جاء ﴿ فَقَدُورُ مَهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ مَعْ فَقَدُورُ المعنى: وقلَّرَ كلَّ شَيءٍ يُقلِّرُه تقديرًا، وكيف جمعَ منهما؟

المجوابُ: أنَّ الخَلْقَ مِن اللهِ هو الإيجادُ؛ فصَحَّ الجمْعُ بِنِنه وبِيْن التَّقديرِ، والمعنى أنَّه أحدَثَ كلَّ شَيءٍ إحداثًا مُراعَى فيه التَّقديرُ والتَّسويةُ، فقلَّرَه وهيَّأَهُ لِمَا يَصلُحُ له. أو سمَّى إحداثَ اللهِ خلَّقاً؛ لأنَّه لا يُحدِثُ شيئًا -لحِكْمتِه- إلَّا على وَجُو التَّقديرِ مِن غيرِ نفاوُتِ، فإذا قِيل: خلقَ اللهُ كذا، فهو بمَنزلةِ قولِك: أحدَثَ وأوجَدَ، مِن غيرِ نظرِ إلى وَجو الاشتقاقِ، فكاتَّه قِيل: وأوجَدَ كلَّ شيءٍ، فقدَّرهُ في إيجادِه لم يُوجِدُه مُتفاوِتًا. وقبل: فجمَلُ له خايةً ومُشتَى، ومعناهُ: فقدَّره للبقاءِ إلى أمدِ معلوم، ولو سُلَّمَ أنَّه التَّقديرُه فساغ الجمْعُ بننهما لاختلافِهما لفظًا".

٣٣ - قَولُهُ تعالى: ﴿ لَا يَعْلَقُونَ شَيْنًا ﴾ يُستذلُّ به على أنَّ فِعلَ العَبدِ مَخلوقٌ لله تعالى؛ لأنَّه تعالى عابَ هؤلاء الكفَّارَ مِن حيثُ عَبْدوا ما لا يَخلقُ شَيْنًا، وذلك يدُلُّ على أنَّ مَن خَلقَ يَستحقُّ أن يُعبَنَى فلو كان العبدُ خالِقًا لكان مَعبودًا إلهًا (٣٠).

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٣٠).

⁽۲) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۲۱۳/۲۳)، ((نفسير اليضاوي)) (۱۱۷/٤)، ((نفسير أبي حيان)) (۸/ ۸۰ ، ۸۱)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٣).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٢/ ٦٤٧).





٢٤ قال الله تعالى: ﴿ رَأَقَتْ نُواْ مِن دُونِيدِ مَالِهَةً لَا يَعْلَقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلَقُونَ ﴾
 لَمَّا اعتَقَد المُشْرِكون فيها أَنَّها تَضُرُّ وتنفَعُ ، عبَّر عنها كما يعبِّلُ عمَّا يعفِلُ (١٠).

٥ - في قوله تعالى: ﴿ وَآغَدُ أُواْ مِن دُويْرِهِ وَالِهَةَ لَا يَخْلُقُونَ شَيْنًا وَمُمْ عَلْقُونَ ﴾
 أنّه ينبغي للإنسانِ أنْ يَسوقَ للخصم ما يُقِرُّ به لُرُومًا؛ حتى تقومَ الحُجَّةُ عليه، فهؤلاء الذين جَعَلوها آلهةً لا يمكِنُ أنْ يَدَّعوا أَنْها تخلُقُ، ولا يمكِنُ أنْ يَدَّعوا أَنَّها غِيرُ مخلوقة ".

٣٦ - في قَولِه تعالى: ﴿ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْشِيهِمْ صَرَّا وَلاَ نَفَعًا ﴾ حُجَّةٌ على مَن يُرُدُّ مَشيئة العباد إلى أنفُسِهم؟ إذْ لو كانتِ المشيئة إليهم لكانوا مالكِينَ لضَرَّهم ونَفْههم، وقد نفاهما الله تعالى عنهم، كما نفَى عنهم الموت والحياة والتُشورَ (٣٠).

77 - قولُ الله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتَا وَلَا حَيْزَةَ وَلَا نَشُورًا ﴾ هذه الآيةُ تدُلُ
 على البَعثِ؛ لآنَه تعالى ذَكَرَ النَّشورَ، ومعناه أنَّ المعبودَ يجبُ أنْ يكونَ قادرًا
 على إيصالِ النَّوابِ إلى المُطيعينَ، والعقابَ إلى المُصاقِ، فمن لا يكونُ كذلك

⁽١) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٣).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ۳۱).

⁽٣) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٠٣).

قال ابرُّ تبيئة: (إِنَّ القَبْدَ لَهُ مَشِيئةً، وهي تابعةً لِنشيةِ الله، كما ذَكَرَ اللهُ ذلك في عِنَّةٍ مَواضِعَ مِن كتابٍ: ﴿ نَسَرَتَتَهُ نَكَوْرُهُ وَمَا يَنْكُونُهُ إِلَّا لَوْ يَنَاهُ اللهُ ﴾ [المدنر: ٥٥-٥]، ﴿ فَمَنَ نَتَاةً أَنْفُهُ أَلَهُ اللهِ الإنسان: ٣٦]، ﴿ لِلْسَانَةَ بِنَكُمْ رَبُّهِ، سَهِيلًا ﴾ [العزمل: ١٩]، ﴿ وَمَا تَنَاقُونَ إِلَّا أَن يَتَلَةً أَنْهُ ﴾ [الإنسان: ٣٦]، ﴿ لِلْسَانَة أَنْ يَسْتَهُمْ * وَمَا نَتَاتُونَ إِلَّا أَنْ يَنَلَة أَنْهُ رَبُّ النَّمْيِينَ ﴾ [التكوير: ٢٥ - ٢٩]). ((مجموع الفتاوي)) (٨/ ٣٧٤).

وقال أيضًا: (له مَشيئةٌ لكُلُ ما يَفعَلُه باختيارِه مِن خَيرٍ وشَرَّ، وكُلُّ ذلك إنَّما يكونُ بمَشيئةِ اللهِ وقُدرَة؛ فلا بُدَّ مِن الإيمانِ بهذا وهذا). ((مجموع الفتاري)) (٢٤٠/٨).





وَجَبَ أَلَّا يَصلُحَ للإلهيَّةِ (١).

٨٥ - قَولُهُ تعالى: ﴿ وَلَقَفَدُوا مِن دُونِهِ كَالِهَةَ لَا يَخْلُمُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَمُونَ وَلَا
 يَشْلِكُونَ لِأَقْشِهِمْ صَرَّا وَلَا يَفْمًا وَلَا يَشْلِكُونَ مَوْنًا وَلَا حَيْزَةً وَلَا فَشُورًا ﴾ زيَّف الله
 تعالى فيه مذهبَ عَبْدةِ الأوثانِ، وبيَّنَ نُفصانَها مِن وجوهِ:

أحدُها: أنَّها ليستْ خالقةً للأشياءِ؛ والإلهُ يجبُ أنْ يكونَ قادرًا على الخلْقِ والإيجادِ.

وثانيها: أنَّها مخلوقةٌ؛ والمخلوقُ محتاجٌ؛ والإلهُ يجبُ أنْ يكونَ غنيًّا.

وثالثها: أنَّها لا تَمِلكُ لأنفُرِها ضرًّا ولا نفعًا؛ ومَن كان كذلك فهو لا يملكُ لغيره أيضًا نفعًا؛ ومَن كان كذلك فلا فائدة في عبادتِه.

ورابعُها: أنّها لا تملكُ موتًا ولاحياةً ولا نُشورًا، أي: لا تَقدِرُ على الإحياء والإماتة في زمانِ التكليفِ، وثانيًا في زمانِ المجازاة، ومَن كان كذلك كيف يسمَّى إلهًا؟! وكيف يَحْسُنُ عبادتُه مع أنَّ حقَّ مَن يحقُّ له العبادةُ أنْ يُنْعِمَ بهذه النَّعَم المخصوصةِ (٢٠؟!

بلاغةُ الآيات:

١- قُولُه تعالى: ﴿ ثَمْالَةُ اللَّهِ عَنْ أَلْهُ قَانَ غَلْ عَبْدِهِ لِيكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيلًا ﴾ افتتاحُ بديمٌ ؛ لِنُدرةِ أمثالِه في كلام بُلغاءِ العرّبِ؛ لأنَّ غالبَ فواتحِهم أنْ تكونَ بالأسماءِ مُجرَّدةَ أو مُقترِنةَ بحرف غيرِ مُنفصلٍ، أو بأفعالِ المُضارَعةِ ونحوِها، أو بحروفِ التَّاكيدِ أو الاستفهامِ أو التَّنيدِه، مثلُ (إنَّ) و(قد) والهمزة و(هَلْ). وبهذه النُّدرةِ يكونُ في طالعِ هذه السُّورةِ بَراعةُ المَطلّع؛ لأنَّ النُّدةَ مِن العِزَّةِ، والعِزَّة مِن

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٣٢).

⁽۲) يُنظر: ((المصدر السابق)) (۲۶/ ۲۳۱).





مَحاسنِ الألفاظِ، وضِدُّها الابتذالُ(١).

- وقولُه: ﴿ ثَمَالَكُ اللَّذِى نَلْ الْفُرْقَانَ ... ﴾ على القولِ بأنّه إخبارٌ عن عَظَمةِ اللهِ،
وتوقُّرِ كمالاته؛ فيكونُ المقصودُ به التَّعليمَ والإيقاظَ، ويجوزُ مع ذلك أنْ
يكونَ كِنايةً عن إنشاء ثناءٍ على اللهِ تعالى؛ أنشاً اللهُ به ثناءً على نفْسه كقوله:
﴿ شُبْحَكَنَ اللَّذِى أَمْرَىٰ بِمَبْدِهِ. ﴾ [الإسراء: ١]، على طريقةِ الكلامِ العربيُّ
في إنشاءِ التَّعجُّبِ مِن صِفاتِ المُتكلِّم في مَقامِ الفخرِ والعظَمةِ، أو إظهارِ
غرائبَ صدَرَتْ ".

- كلمة ﴿ تَبَرَكَ ﴾ لا تُستعملُ إلّا للهِ بلَغظِ الماضي، وقد ذُكِرَت في هذه الشّورة في ثلاثةِ مواضِعَ؛ تَعظيمًا للهِ تعالى، وخُصَّتْ مَواضُعها بذِكْرِها؛ لِعظم ما بغدّها:

الأوَّلُ: ذِكْرُ الفُرقانِ، وهو القُرآنُ، المُشتولُ على معاني جميعِ كُتبِ اللهِ. والثَّاني: ذِكْرُ النَّيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومُخاطَبةُ اللهِ له فيه.

والنَّاكُ: ذِكُرُ البُروحِ، والشَّمسِ والقمَرِ، واللَّيلِ والنَّهارِ، ولو لاها -بغدَ اللهِ-لَمَا وُجِدَ في الأرض حيوانُّ ولا نَباتٌ".

- قَولُهُ: ﴿ يَهَلُونُ اللَّهِ كُنَّ ٱلْفُرْقَانَ عَنْ عَبْدِهِ ﴾ فيه إبرازُ تَنزيلِ الفُرقانِ في مَعْرضِ الصَّلةِ الَّتِي حَقَّها أَنْ تكونَ مَعلومةَ النَّبوتِ للمَوصولِ عندَ السَّامِ مم إنكارِ الكَفْرةِ له؛ لإجرائِه مُجْرى المَعلومِ المُسلَّمِ؛ تَنبِها على كَمالٍ قُوَّةٍ ذَلائِلِه،

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣١٥، ٣١٦).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٨/ ٣١٦).

⁽٣) يُنظر: ((أسرار التكوار في القرآن)) للكوماني (ص: ١٨٨)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٢، ٤٠٢).







وكونِه بحيثُ لا يَكادُيَجْهِلُه أحدٌ ''. والموصولُ ﴿الَّذِى نَلَ ﴾ يُومِئُ إلى عِلَّةِ ما قبْلَه؛ فهو كِنايةٌ عن تَعظيم شأنِ الفُرقانِ وبَرَكِيّه على النَّاسِ مِن ﴿لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴾، فتلك مِنَّةٌ عظيمةٌ تُوجِبُ التَّناءَ على اللهِ. وهو أيضًا كِنايةٌ عن تَعظيم شأنِ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ'''.

- وقولُه: ﴿ الْفُرْقَانَ ﴾ أي: المُفرَّقَ -على أحدِ القولينِ في التفسيرِ -، وجاء في أثناء الشُّورةِ بغد آياتِ: ﴿ وَقَالَ اللَّيْنَ كَفُرُواْ لَوَلا نُزِلَ مَلَيهِ الْفُرْدَانُ مُحْلَةً وَمِيدَةً ﴾ [الفرقان: ٣٢]، قال اللهُ تعالى: ﴿ كَذَلِكَ ﴾، أي: أنزَلناهُ مُفرَّقًا، كذلك ﴿ لِيَنْكِينَ هِهِ، فُوَادَكَ ﴾؛ فيكونُ وصْفُه بالفُرقانِ في أوّلِ السُّورةِ - واللهُ أعلمُ- كالمُقلَّمةِ والتَّوطئةِ لِمَا يأتى بعدُ (١)

- ووَصْفُ النَّبِيَّ بـ ﴿ عَمْدِهِ. ﴾ تقريبٌ له، وتَمهيدٌ لإبطالِ طليَهم منه في قولِه: ﴿ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ على اللَّهُ عليه وسلَّمَ أيضًا بذلك العُنوانِ؛ لتَشريفِه، والإيذانِ بكونِه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في أقصى مَراتبِ المُبوديَّةِ، والتَّنبيهِ على أنَّ الرَّسولَ لا يكونُ إلَّا عَبْدًا للمُرسِل؛ ردًّا على التَّصارى (أ).

- قَولُه: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ فيه تَقديمُ الجارِّ والمجرورِ على عامِلِه؛

⁽۱) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (۶/ ۱۷) ، ((حاشية الطبي على الكشاف)) (۱۱ / ۱٦٩) ، ((تفسير أي حيان)) (۸/ ۷۹) ، ((تفسير أي السعود)) (7 · ۲۰).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣١٦).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري - حاشية ابن المنير)) (٣/ ٢٦٢).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣١٧).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٠).





لمُراعاةِ الفواصل(١).

وفي قوله: ﴿ [يَكُونَ لِلْمَالَمِينَ نَفِياً ﴾ مُناسبةٌ حسنةٌ احيث اقتصَر في وضف الرَّسولِ هنا على النَّدير دونَ البشير، كما في قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلَنَكَ إِلَا كَانَّةُ وَلَى الرَّسولِ هنا على النَّدير دونَ البشير، كما في قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلَنَكَ إِلَا كَانَّةُ اللَّمِ اللَّمِ اللَّمِ اللَّمِ اللَّمِ المُشركينَ اإذ كنَّبوا بالقُرآنِ وبالرَّسولِ عليه الصَّلاءُ والسَّلامُ؛ فكان مُقْضَيًا لذِحْرِ النَّذارةِ وونَ البِشارةِ، وفي ذلك اكتِفاءٌ؛ لأنَّ البشارة تَخطُرُ ببالِ السَّامِ عند ذِحْرِ النَّذارةِ وسَيحِيءُ: ﴿ وَمَا أَرْسَلَنَكَ إِلَّا مُبْتِمْر وَقَيْر كَا فِي هذه السُّورةِ [الآية: ٢٥] ٣٠؛ ففي اختصاصِ النَّذيرِ دونَ البشيرِ سُلُوكُ طريقِ بَراعةِ الاستهلالِ، والإيذانُ ففي اختصاصِ النَّذيرِ دونَ البشيرِ سُلُوكُ طريقِ بَراعةِ الاستهلالِ، والإيذانُ بأنَّ هذه السُّورةَ مُشتيلةٌ على ذِحْرِ المُعانِدينَ المُتَّخذِينَ للهِ ولدًا وشريكًا، الطَّارةِ المِنْظِ ﴿ يَالَكُ الومِ الاَحْرِ ٣٠٠ وقيل: اقتصرَ على النَّذارةِ؛ للإشارةِ المنظِ ﴿ يَالُكُ لَكُ اللهِ اللَّالِيةِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ المُنْارةِ اللهُ المُنْارةِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُنارِقُ اللهُ اللهُ

- قَولُهُ: ﴿ اللَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَتِ وَالْلَاتِينِ ... ﴾ على القولِ بأنَّ مَحَلَّه الرَّفَعُ على أنَّه خبرٌ لمُبتدا مَحذوف؛ فالجُملةُ مُستَافَعَةٌ مُقرَّرَةٌ لِمَا قَبْلَها (وعلى أنَّ قولَه: ﴿ اللَّذِى لَهُ مُثْلُكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ بدَلٌ مِن قولِه: ﴿ اللَّذِى نَلَ اللَّمْقَانَ ﴾ [الفرقان: ١]؛ فإعادةُ اسم الموصولِ لاختلافِ الغرَضِ مِن الصَّلتين؛ لأنَّ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣١٧).

⁽٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١٨/١١).

⁽٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٣١).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠١).





الصَّلةَ الأُولى في غرَضِ الامِتنانِ بَنَزيلِ القُرآنِ للهُدى، والصَّلةَ النَّانيةَ في غرَض اتِّصافِ اللهِ تعالى بالرَّحدانيَّةِ^(١).

- وقولُه: ﴿ لَمَهُ مُلْكُ السَّكَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ توطنةٌ وتَمهيدٌ لقولِه: ﴿ وَلَرْ يَنْجِذُ وَلَـكَا وَلَمْ يَكُنُ لَهُ شَرِيكٌ فِي الشَّلُكِ ﴾، وأردَنَه بقولِه: ﴿ وَعَلَقَ كُلُ مَّكَارِ ﴾؛ لأنَّ كَوْنَهُ بَدَيعُ الشَّمُواتِ والأرضِ، ومُفطِرَهما، ومالِكَهما، مُنافٍ لاتَّخاذِ الولَدِ والشَّرِيكِ ''.

- وقد أُجْرِيَت على اسم اللهِ تعالى هذه الصَّفاتُ الأربعُ -﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَنوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ﴿ وَلَرْ يَنَّخِذْ وَلَـدًا ﴾ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ ﴾ ﴿ وَخَلَقَ كُلِّ مَنْ و فَقَدَّهُ لَقَدِيرًا ﴾ - بطريق تَعريفِ الموصوليَّةِ؛ لأنَّ بعضَ الصَّلاتِ مَعروفٌ عندَ المُخاطَبينَ اتَّصافُ اللهِ به، وهما الصَّفتانِ الأُولي والرَّابعةُ؛ وإذ قد كانَتَا مَعلومتين كانت الصِّلتانِ الأُخْرَيانِ المذُّكورتانِ معهما في خُكْم المعروفِ؛ لأنَّهما أُجْرِيَتا على مَن عُرِفَ بالصَّلتين الأُولي والرَّابعةِ؛ فإنَّ المُشركين ما كانوا يَمتَرُون في أنَّ اللهَ هو مالِكُ السَّمواتِ والأرض، ولا في أنَّ اللهَ هو خالِقُ كلِّ شيءٍ، كما في قولِه: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَنَوَتِ ٱلسَّنْمِعِ وَرَبُّ ٱلْعَكْرِشِ ٱلْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ الآياتِ [٨٦، ٨٦] مِن سُورةِ (المؤمنون)، ولكنَّهم يُثبتون للهِ ولدًا وشريكًا في المُلْكِ. ومِن بَديع النَّظم أَنْ جُعِلَ الوَصفانِ المُختلَفُ فيهما معهم مُتوسِّطَينِ بيْنَ الوصفينِ اللَّذينِ لا مِريةَ فيهما؛ حتَّى يكونَ الوَصفانِ المُسلَّمين كالدَّليل أوَّلًا، والنَّتيجةِ آخِرًا؛ فإنَّ الَّذي له مُلْكُ السَّمواتِ والأرض لا يَلِيقُ به أنْ يَتَّخِذَ ولدًّا، ولا أنْ يَتَّخِذَ

⁽٦) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/١٨).

⁽٧) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١٨/١١).





شَريكًا؛ لأنَّ مُلْكَه العظيمَ يَقْتضي غِناهُ المُطْلَقَ، فَيَقْتضي أنْ يكونَ اتَّخاذُه ولذًا وشريكًا عبَيُّا؛ إذ لا غايةً له، وإذا كانت أفعالُ المُقلاءِ تُصانُ عن العبَث؛ فكيف بأفعالِ أحكم المُحكماء تعالى وتقدَّسَ (٤٠٠)!

- ونظَمَ قولَه: ﴿ وَلَرُ يَنَّفِذُ وَلَكَ ﴾ في سِلْكِ الصَّلَةِ ﴿ ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾؛ للإيذانِ بأنَّ مَضمونَه مِن الوُضوحِ والظَّهورِ بحيثُ لا يَكاهُ يَجْهَله جاهِلٌ، لا سبَّما بعدَ تقريرِ ما قبلَه "'.

- قَولُه: ﴿ وَلَمْ يَكُنُ لَلُهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ ﴾ تأكيدٌ لقولِه: ﴿ لَلَهُ مُلْكُ السَّمَدُوتِ وَٱلْأَنْضِ ﴾، وردِّ على مَن جعَل لله شريكًا ٣٠. وقوسيطُ نفْيِ اتَّخاذِ الولدِ بيَنْهَمها؛ للتَّنبيهِ على استقلالِه وأصالَتِه، والاحترازِ عن نَوهُم كونِه تَيَّمَةُ للأوَّلِ ٣٠.

- قُولُه: ﴿ وَخَلَقَ كُلُ مَنْهُو مَقَدَدُهُ تَقَلِيرًا ﴾ الجُملةُ جاريةٌ مَجْرى التَّعليلِ لِمَا فَبْلُها مِن الجُملِ المُسَلّمَةِ فإنَّ خَلْقَه تعالى لجَميعِ الأشياءِ على ذلك النّمطِ البديعِ -كما يَقْتضي استقلاله تعالى باتّصافِه بصِفاتِ الألوهيَّةِ- يَقْتضي انتظامَ كلَّ ما سِواهُ كائنًا ما كان تحت مَلكوتِه القاهرِ، بحيثُ لا يَبِذُ عنها شَيْءٌ مِن ذلك قطْعًا، وما كان كذلك كيف يُتُوهَمُهُ كُونُهُ ولذًا له مُبحانه أو شَريكًا في مُلْكِونَه؟!

- وفرَّعَ على (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) قولَه: ﴿ فَقَدَّدُهُ نَقْدِيرًا ﴾؛ لأنَّه دليلٌ على إثقانِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣١٨).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠١).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨٠ /٨).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠١).

⁽٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).





الخلْقِ إِتقانًا يدُلُّ على أنَّ الخالقَ مُتَّصِفٌ بصِفاتِ الكَمالِ(١).

- وقولُه: ﴿ فَقَدَدُمُ نَقَلِيرًا ﴾ فيه تأكيدُ الفِغلِ ﴿ فَقَدَرُمُ ﴾ بالمفعولِ المُطلَقِ ﴿ فَقَايِرًا ﴾؛ للذَّلالةِ على أنَّه تقديرٌ كاملٌ في نوع التَّغاديرِ ").

- وما جاء مِن أوَّلِ السُّورةِ إلى هنا بَراعةُ استهلالٍ بأغراضِها، وهو يَتنزَّلُ مَنزلة خُطبةِ الكِتابِ أو الرَّسالةِ^٣).

٣ - قَولُه تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُوبِهِ: ﴿ اللَّهَةَ لَا يَخْلَقُونَ شَيْئًا وَثُمْ بَخْلَقُونَ وَلا
 يَمْلِكُونَ لِأَنْفُوجِهِ مَثَرًا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيْوَةً وَلا نُشُورًا ﴾

- قُولُه: ﴿ وَآَغَدُوْا مِن دُونِهِ عَالِهَةً ﴾ استطرادٌ لانتهازِ الفُرصةِ لوصفِ ضَلالِ أَهْلِ الشَّرِكِ، وسَفالةِ تَفكيرِهم؛ فهو عطفٌ على جُملةِ: ﴿ اللَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّكوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الفرقان: ٢] وما تلاها ممّا هو استِدلالٌ على انفرادِه تعالى بالإلهيَّةِ، وأُرْوفَت بقولِه: ﴿ وَحَلَقَ كُلُّ مُّقَتِ ﴾ [الفرقان: ٢] الشَّاملِ لِكُونِ ما اتَّخَذوه مِن الآلهةِ مَخلوقاتِ؛ فكان ما تقدَّمَ مُهيَّنًا للتَّحجيبِ مِن اتُخاذِ المُسْرِكِين آلهةً دونَ ذلك الإلهِ المَنعوتِ بصِفاتِ الكَمالِ والجلالِ؛ فالخبرُ غيرُ مَقصودِ به الإفادةُ، بلُ هو للتَّعجُّبِ مِن حالهم: كيف قابَلوا نِعمة إنزالِ المُوقانِ بالجَحدِ والطُّغيانِ، وكيف أَشْركوا بالَّذي تلك صِفاتُه آلهة أُخرى، صِفاتُهم على الشَّدُ مِن صِفاتِ مَن أَشْركوهم به؟! وإلَّا فإنَّ اتَخاذَ المُشْرِكِين آلهةً أمرٌ معلومٌ لهم وللمُومِنينَ؛ فلا يُقصَدُ إفادتُهم لمُحكُم الخبرِ".

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/۱۸).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٨/ ٣١٩).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

الجزء ١٨ الحزب٣٦





- قَولُهُ: ﴿ رَأَتَّفَدُواْ ﴾ فِيه إضمارٌ في مَوضع الإظهارِ، والإضمارُ مِن غَيرِ جَرَيانِ ذِكْرِهم؛ للنَّقةِ بدَلالةِ ما قَبْلَه مِن نَفي الشَّرِيكِ عليهم'').

- وذكَرَ في هذه الآيةِ مِن أقوالِهم المُقابِلةِ للجُمَلِ الموصوفِ بها اللهُ تعالى؛ اهتمامًا بإبطالِ كُفْرِهم المُتعلِّق بصِفاتِ اللهِ؛ لأنَّ ذلك أصْلُ الكُفر ومادَّتُه (١)؛ فجُملةُ: ﴿ لَا يَعْلُقُونَ شَيْنًا ﴾ مُقابلةٌ جُملةً ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الفرقان: ٢]. وجُملةُ: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ مُقابلةٌ جُملةَ: ﴿وَلَرْ يَنَّخِذْ وَلَـدًا ﴾ [الفرقان: ٢]؛ لأنَّ ولَدَ الخالق يجِبُ أنْ يكونَ مُتولِّدًا منه، فلا يكونُ مَخلوقًا. وجُملةُ: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ مُقابلةٌ جُملةَ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَدُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ ﴾ [الفرقان: ٢]؛ لأنَّ الشَّرِكةَ في المُلْكِ تَقْتضي الشَّرِكةَ في التَّصرُّفِ. وجُملةُ: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتَا وَلَا حَيَوْةُ وَلَا نُشُورًا ﴾ مُقابِلةٌ جُملةَ: ﴿ وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدَّدُهُ لَقَدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]؛ لأنَّ أعظَمَ مَظاهِر تَقدير الخلْقِ هو مَظهَرُ الحياةِ والموتِ، وذلك مِن المُشاهَداتِ. وأمَّا قولُه: ﴿ وَلَا نُتُورًا ﴾ فهو تَكميلٌ لِقَرْع المُشركينَ نُفاةِ البَعثِ؛ لأنَّ نفْيَ أنْ يكونَ الآلهةُ يَمْلِكون نُشورًا يَقْتضي إثباتَ حَقيقةِ النُّشورِ في نفْسِ الأمْرِ؛ إذ الأكثَرُ في كلام العرَبِ أنَّ نَفْيَ الشَّيءِ يَقْتضى تحقُّقَ ماهيَّتِه (٣).

- قَولُهُ: ﴿وَاَتَّضَدُّواْ مِن دُونِهِ: مَالِهَةَ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلَقُونَ ﴾ فيه وَضفُ الآلهةِ بانتفاءِ إنشائِهم شيئًا مِن الأشياءِ؛ إشارةً إلى انتفاءِ القُدرةِ بالكُلِّيَّةِ، ثمَّ بانَّهم مَخلوقونَ للهِ ذاتًا، أو مَصْنوعون بالنَّحتِ والتَّصويرِ على شكُل

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣١٩، ٣٢٠).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/ ۳۲۱).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٨/ ٣١٩، ٣٢٠).





مَخصوص، وهذا أبلَغُ في الخَساسةِ(١).

- وفي قولِه: ﴿ وَأَتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ۚ ءَالِهَةَ لَّا يَخْلُقُونَ ۖ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ مُناسبةٌ حَسنةٌ؛ حيثُ قاله هنا بالضَّمير : ﴿ مِن دُونِهِ ؟ ﴾، وقالَه في سُورةِ (مُريمَ) و(يسَ) بلَفْظِ ﴿ اللَّهِ ﴾؛ فقال: ﴿ وَأَغَّذُواْ مِن دُوبِ اللَّهِ عَالِهَةً لِيَكُونُواْ لَمُمْ عِزًّا ﴾ [مريم: ٨١]، وقال: ﴿ وَأَتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّقَلُّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [يس: ٧٤]؛ مُوافَقةً لِمَا قبْلَه في المواضع الثَّلاثةِ؛ فآيةُ (الفُرقانِ) تَقَدَّمَ قبْلَها اسمُه سُبحانَه مَكْنِيًّا عنه جلَّ وعلا في قولِه: ﴿ مَّارَكَ ٱلَّذِي نَزُّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ. لِيكُونَ لِلْعَنكِيبِ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ، مُلْكُ ٱلسَّمَـٰ وَتِي وَٱلْأَرْضِ وَلَرْ يَنَّخِذْ وَلَـدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلِّ هَيْءٍ فَقَدَّهُ نَقْدِيرًا ﴾؛ فوَرَدَ اسمُه سُبحانه مَكْنِيًّا عنه ثمانِيَ مرَّاتٍ: أوَّلُها الموصولُ، وهو الَّذي مِن قولِه: ﴿ تَبَازَكَ ٱلَّذِي ﴾، وفاعلُ ﴿ نَزَّلَ ﴾ المُضْمَرُ، والضَّميرُ في ﴿ عَبْدِهِ ﴾، والموصولُ الثَّاني، والضَّميرُ المجرورُ باللَّام، والضَّميرُ الفاعلُ في ﴿وَلَرْ يَنَّخِذْ وَلَـكَا﴾، والضَّميرُ في ﴿ لَهُ ﴾ المجرورُ، والضَّميرُ الفاعلُ في ﴿ وَخَلَقَ ﴾؛ فلمَّا تكرَّرَ اسمُه مَكْنيًّا عنه ثمانِيَ مرَّاتٍ جَرى بعْدَ ذلك في قولِه: ﴿ وَأَتَّفَذُواْ مِن دُونِهِ اللَّهِ مُضْمَرًا على حُكْم ما تقدَّمَ، فما في هذه السُّورةِ وافَق ما قبْلُه، أمَّا في السُّورتين فلو جاءَ (مِن دويه) لخالَف ما قبلَه؛ لأنَّ ما قبْلَه في السُّورتين بلفظِ الجَمع؛ تعظيمًا، فصرَّح؛ فجاء كلِّ مِن الآيتين على ما يجِبُ ويُناسِبُ(٣).

- والتَّنصيصُ على قولِه: ﴿ وَلَا يَسْلِكُونَ مُوتَالُولَا حَيْوَةُ وَلَائْتُولِ ﴾ البّيانِ عجْزِهم عمَّاهو أهْوَنُ مِن هذه الأمورِ مِن دفع الضَّرَّ وجلْبِ النَّعَ؟ للتَّصريح بعَجْزِهم

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٨١).

⁽٢) يُنظر: ((ملاك التأويل)) لأبي جعفر الغرناطي (٧/ ١٣٤٤)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٣٠٤)، ((بصائر ذري التمييز)) للفيروزابادي (٢/ ٣٤٢).





عن كلَّ واحدٍ ممَّا ذُكِرَ على التَّفصيلِ، والتَّنبيهِ على أنَّ الإلهَ يَجِبُ أنْ يكونَ قادرًا على جميعِ ذلك. وفيه إيذانٌ بغاية جَهْلِهم وسَخافةٍ تُعْولِهم، كأنَّهم غيرُ عارفينَ بانتفاءِ ما نُهْمَيَ عن آلهتِهم مِن الأمورِ المذكورةِ، مُفْتَقِرون إلى التُصريح بذلك''.

- والتَّنكيرُ في قولِه: ﴿مُوْتُا وَلَا حَيَوْةً ﴾ في سِياقِ النَّفي للعُموم(١٠).

وقيه مُناسبةٌ حَسَنةٌ حِيثُ جاء قولُه تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْشُيهِمْ مَنْ وَلَا يَمْلُوكُونَ لِأَنْشُيهِمْ مَنْ وَلَا يَمْلُوكُونَ النَّمْ على النَّعَ هنا، وعكس ذلك في مُورة (الرَّعِد): ﴿ قُلْ الْفَلْمَاتُهُ مِن رَفِيهِ أَلْلِيمَ النَّعَ هنا، وعكس ذلك في مُورة (الرَّعِد): ﴿ قُلْ الْفَلْمَاتُونَ مَنِهُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُونَ كَمْ يَغْلُمُونَ كَاللَّهُ وَلَلَهُ وَلَلَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُونَ كَاللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ اللَّلُولُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١ / ١١٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٢).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٢٢).

⁽٣) يُنظر: ((درة التنزيل وغرة التأويل)) للإسكافي (١/ ٩٥٧).

⁽٤) يُنظر: ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٣). (۵) مُنظر: ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٣).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٢).





بالأحوالِ؛ فكانَّه قيل: لا يَمْلِكون التَّصَرُّفَ بحالٍ مِن الأحوالِ. وهذا نظيرُ أَنْ يُقالَ: شَرْقًا وغرْبًا، وليلا ونَهارًا. وبذلك يَندفغُ ما يُشكِلُ في بادئ الرَّأْيِ مِن وَجْهِ نَفْيٍ فُدرِيَهم على إضرارِ أَنفُسِهم بأنَّه لا تَتعلَّقُ إرادةُ أحدِ بضَرَّ نفْسِه، وبذلك أيضًا لا يُتطلَّبُ وجْهٌ لتقديم الضَّرَ على النَّعع؛ لأنَّ المقامَ يَقْتضي النَّسويةَ في تقديم أحدِ الأمْرينِ؛ فالمُتكلِّمُ مُخيِّرٌ في ذلك، والمُخالَفةُ بيْن الايَاتِ في تقديم أحدِ الأمرينِ مُجَرَّدُ تَغَنُّنِ".



⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٢٠).





الآيات (٦-٤)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوّ إِنِهُ هَدَا ٓ إِنَّا إِنَّكُ الْقَرْيَهُ وَأَعَاتُهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَا خَرُورِتٌ فَقَدْ جَالَّهِ طَلْمَا وَرُوْدًا ۞ وَقَالُوٓ السّطِيرُ الْأَوْلِيرِ الْحَسَنَةِ عَلَى اللَّهِ مُثَلًى عَلَيْهِ بُصَرَةً وَأَصِيلًا ۞ قُلْ أَذِيَلُهُ اللَّذِي يَعْلَمُ النِّرَةِ فِي الشّمَوْنِ وَالْأَرْضِ أَلِثُهُ كَانَ عَفْوُلُ رَبِّينًا ۞ ﴾.

غَرِيبُ الكَلمات:

﴿ إِفْكُ ﴾: أي: كَذِبٌ، وقيل: هو أسوأُ الكذبِ؛ لأنَّه قلْبٌ للكلامِ عن الحقِّ إلى الباطل، وأصلُه: يذُلُّ على قلب الشَّيءِ وصَرفِه عن جِهتِه ''.

﴿ لَقَرَّنِكُ ﴾: أي: اختلَقه، والافتِراءُ: الاختِلاقُ، ويُقالُ: افترَى فلانٌ على فلانٍ: إذا قذَفه بما ليسَ فيه، وأصلُه: ما عظُم مِن الكَذِب''.

﴿ رَثُولَا ﴾: الزُّورُ: الباطِلُ مِن قَولِ أو فِعلٍ، وقد غَلَب على الكَذِبِ، وقيل للكَذِبِ: زورٌ؛ لكونِه مائِلًا عن طريقةِ الحَقِّ، وأصلُ (زور): يدُلُّ على المَيلِ والنُدولِ".

﴿ لَسَطِيرٌ ﴾: الأساطيرُ: الأباطيلُ والتُّرُهاتُ، جمعُ أُسطورةٍ، وهي: ما سُطِرَ مِن أخبارِ الأوَّلِينَ وكَذِيهِم، وأصلُ (سطر): يدُلُّ على اصطفافِ الشَّيءِ (١٠).

- (۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ۳۰)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (ص: ۱۱۸)، ((المفردات)) للراغب (ص: ۷۹)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ۱۹۳)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۲/ ۱۵).
- (٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ٣١، ٢٨٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٠٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٣٤)، ((الكيابات)) للكفوى (ص: ١٥٤).
- (٣) يُنظر: ((الغربين)) للهروي (٣/ ٨٣٧)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٨٧)، ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (٢/ ٢٤٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٥٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٩/ ٧٨).
- (٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ٣٧)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٧)، =





﴿ آَكْ تَنْهُ لَهُ اَي: أَي: اختَلَقها واستنسخَها، وأصلُ (كتب): يدُلُّ على جَمعِ شَيءً إلى شَيءً إلى

﴿ ثُمُّلُنَ ﴾: أي: تُلقَى وتُقرَّأُهُ مِن قَولِهم: أمليتُ عليك الكِتابَ وأملَلْتُ، وهو إلقاءُ الكلام لِمن يكتُبُ الفاظّه أو يَرويها أو يحفَظُها ١٠٠.

﴿ بُكَرَهُ ﴾: أي: أوَّلَ النَّهارِ، وأصلُ (بكر): يدُلُّ على أوَّلِ الشَّيءِ وبَديه "". ﴿ وَلَصِيلًا ﴾: أي: آخِرَ النَّهارِ، وما بين المَصرِ إلى اللَّيلِ "".

المعنى الإجمالية:

يَذكرُ الله تعالى بعضَ الشُّبهاتِ التي أثارها المشركونَ حوْلَ القرآنِ، فيقولُ: وقال الكافِرونَ: ما هذا القرآنُ إلَّا كَذِبٌ اختلقَه محمَّدٌ مِن عِندِه، وأعانه على اختِلاقِه قَومٌ مِن غيرِ قَومِه! فقد أتى هؤلاء الكُفَّارُ الكاذِبون بظُّلم وكَذِب.

ثمَّ يَذكرُ تعالى شُبُهةٌ أُخرَى مِن شُبُهاتِهم الفاسدةِ، وهي أنَّهم قالوا: ما هذا القُرآنُ إِلَّا أكاذيبُ الأوَّلينَ استنسَخها منهم محمَّدٌ، فهي تُقرأُ عليه أوَّلَ النَّهارِ وآخِرُه!

= ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٧٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٠٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٩٤).

(۱) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٥٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٠١)، ((نفسير ابن كثير)) (٢/ ٩٤).

(۲) أينظر: ((تفسير ابن جرير)) ((۱/۱۹۶)، ((المفردات)) للراغب (ص: ۷۷۷)، ((تفسير القرطبي)) ((۱/۱۳۶)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱/۱ (۲۳).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٢٨٧)، ((المفر دات)) للراغب (ص: ١٤٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٩/ ١٥٠).

(٤) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٨)، ((تفسير القرطبي)) (١٩٩/ ١٥٠)، ((النبيان)) لابن الهاتم (ص: ٢١٥).





نمَّ يَأْمُوُ الله تعالى نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم بالردِّ عليهم، فيقولُ: قُلْ -يا محمَّدُ- لهؤلاء الكُفَّارِ: الذي أنزَلَ القُرآنَ هو اللهُ الذي يعلَمُ غَيبَ السَّمواتِ والأرضِ، وسِرَّ مَن فيهما، إنَّه غفورٌ رَحيمٌ.

تَغسيرُ الآيات:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَشَرُوا إِنْ هَـٰنَدًا إِلَّا إِنْكُ الْفَرْيَةُ وَآغَانَهُ عَلِيَّهِ فَيْمٌ مَاخَـُرُورَكَ فَقَدْ جَآتُو طْلَمُا رُوْمَا ۞﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ سُبحانَه وتعالى ما يعودُ إلى التَّوحِيدِ؛ انتقَلَ إلى ما يعودُ إلى الرَّسالةِ؛ وذلك لأنَّ الشَّهادةَ: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ٬٬

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَنذَاۤ إِلَّاۤ إِفْكُ ٱفْتَرَيْتُ ﴾.

أي: وقال الكافِرونَ: ما هذا القرآنُ إِلَّا كَذِبٌ اختلَقَه محمَّدٌ، وليس هو مِن عند الله'').

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْكَفِرُونَ هَاذَا سَاحِرٌ كُذَّابُ ﴾ [ص: ٤].

﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَاخَرُونَ ﴾.

أي: وأعان محمَّدًا على اختِلاقِ هذا القُرآنِ أُناسٌ ذَوو قُدرةِ وكفايةِ مِن غَيرِ وُمِه٣٠.

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٣٤).

 ⁽۲) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) ((۲/۷۷)» ((نفسير القرطمي)) (۱۳/۱۳)» ((نفسير ابن كثير))
 ((وتاب ۱۳/۱)» ((نفسير السعدي)) (ص: ۷۸۵)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (۱۳/۱).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (/٢٧ ب٩٧)، ((تفسير ابن كثير)) (/٣٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣/ ٢٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (//٣٢٣).





كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنْكُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُمُلِّمُهُ بَشَرُّ لِكَاتُ ٱلَّذِى يُلْمِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمَى ۖ وَهَنَا لِبَانَّ عَرَبِكٌ شَبِعَتُ ﴾ [النحل: ١٠٣].

﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾.

أي: فقد أتى الكُفَّارُ بظُلمٍ وكَذِبٍ ومَيْلٍ عن الحَقِّ، حينَ وصَفوا القُرآنَ بغيرٍ صِفتِه، ورَمُوُّ النبيَّ بالكَذِبِ على اللهِ (١٠.

﴿ وَقَالْوَالْسَطِيرُ ٱلْأَوْلِينَ اَكْتَبَهَا فَهِى ثَمْلُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَلَصِيلًا ۞﴾. ﴿ وَقَالْوَالْسَطِيرُ ٱلْأَوْلِينَ اكْتَبَهَا ﴾.

أي: وقال الكُفَّارُ: هذا القُرآنُ عِبارةٌ عن أكاذيبِ الأُمَمِ الأَوَّلِينَ وقَصَصِهم المسطَّرة في كُتُبهم، استنسَخها منهم محمَّدٌ".

(۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۱/ ۹۹۸)، ((نفسير ابن كثير)) (۱/ ۹۳، ۹۶)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۷۵۸)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱/ ۳۴۶)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (1/ ۱۶)، ((نفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ۳۰-۱۶).

قال ابن كثير: (وهذا الكلام - استخانه وكذيه ويقيته منهم- كلَّ أحد يعلَم بُطالاته؛ فإنَّه فد عُلِم بالتواتي وبالفَّرودة أنَّ محمدًا رسول الله لم يكن بعاني شيئًا مِن الكتابة، لا في أوَّل عُمْرِه ولا في آخِره و فذ نشأ بين اظهُرِهم مِن أوَّل توليه إلى أنْ بعث الله نحوا مِن أربين سنة وهم يَهرفون مَدَخَلُة ومَعْرَجَه وصِلَة وَرَّهُ والمَاتُى وزائعت مِن الكَلْبِ والنُّجور وسائي الأخلاق الرفياق، حتى أنَّهم لم يكونوايستُّون في صِتْره إلى أنْ بُعِث إلَّا الأمين؛ لما يَعلمون مِن صِدقه ويرَّه، فلمَّا أكرَّت الله بما أكرَّته به نصورا له المداوة، ورثوه بهذا الأقوال التي يعلمُ كُلُّ عاقلٍ برامته منها، وحاوا ماذا يَقْلِفونَه بعد فعارة مِن المِكهم يقولون سيرٌ ، ونارة يقولون: شاعرٌ، وتارة يقولون: معامرٌ، وتارة يقولون: سيري (را 18).

(۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ۲۰)، ((تفسير ابن کثير)) (۲/ ۹۶)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (۱۳۰/ ۲۳۰)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۷۸)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/ ۳۲۵)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۲/ ۱۰).

قال السمين الحلِّي: (﴿ أَكَنَّتُهَا ﴾: الافتِعالُ هنا يجوز أَنْ يكونَ بمعنى أَمَر بكِتابِتِها، =





كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا ثَنَّلَ عَلَيْهِمْ ءَاكِنْتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ فَشَالُهُ لَقُلْنَا مِثَلَ هَذَا ۚ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَطِهُ ٱلْأَزْلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١].

﴿ فَهِيَ تُمْلُلُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾.

أي: فهذه الأساطيرُ التي اكتتَبها محمَّدٌ تُقرأُ عليه في أوَّلِ النَّهارِ وآخِرَه؛ خَفَظَها(١).

﴿ قُلْ أَنزَلُهُ ٱلَّذِي يَمْلُمُ ٱلبِّرَّ فِ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيًّا ۞ ﴾.

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱليِّرَّ فِٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- لهؤلاء التَّهَّارِ: الذي أنزَل القُرآنَ المشتَعِلَ على الأسوارِ - كالإخبارِ بالأمورِ الماضيةِ والمُستَقبَلةِ- هو اللهُ الذي يعلَمُ غَيبَ السَّمواتِ والأرض، وسِرَّ مَن فيهما، ولا يخفَى عليه شَيُّ⁽¹⁾.

كما قال تعالى: ﴿ لَّكِنِ أَلَّهُ يُشْهَدُ بِمَا أَنِّلَ إِلَّيْكُ ّ أَنزَلُهُ ، بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء: ١٦٦].

⁼ كافتَصَد واحتَجَم، إذا أَمَّر بذلك. ويجوزُ أَنْ يكونَ بمعنى كَتَبَها، وهو مِنْ جعلةِ افترائِهم عليه؛ لأنَّه عليه السَّلامُ كان أثبًّا لا يَترأُ ولا يَكتُبُ، ويكونَ كقولِهم: اسْتَكَبُّه واصْطَبُّه، أي: سَكَب وصَبَّه. والافِيمالُ مُشْهِرٌ بالكَلُّفِ. ويجوز أَنْ يكونَ مِنْ كَتَبَ بمعنى جَمَعَ، مِن الكَتْبِ: وهو الجَمْعُ، لا بِنَ الكتابةِ بالقلّم). ((الدر المصون)) (٨/ ٥٥٤).

 ⁽١) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) ((۱/ ۱۰ ٤)، ((نفسير القرطمي)) (۱۳/ ٤)، ((نفسير ابن كثير))
 ((زفسير ابن عاشور)) (۱/ ۳۵).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ٤٠١)، ((تفسير القرطبي)) (۱۳/ ٤)، ((تفسير ابن كثير)) (۱/ ۹۶).

قال ابنُ جزي: (ويعني بالشُرَّ: ما أَسَرَّه الكَّفَّارُ مِن أقوالِهم، أو يكونُ ذلك على وَجو النَّصُّل والبراءةِ مِثَّا نَسَبه الكُفَّارُ إليه مِنَ الافتراءِ، أي: أنَّ اللهَ يَعلَّم بِيرِّي، فهو العالِمُ بأثَّي ما افتَرَيثُ عليه، بل هو أترَّلَه عَلَيْ). ((تفسير ابن جزي)) (٧/ ٢٨).





وقال سُبحانَه: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقُولِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلدِّمَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧].

﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبلَها:

لَمَّا كان مِن المعلوم أنَّ العالِمَ بكُلِّ شَيءِ قادِرٌ على كلَّ شَيءٍ، وكانت العادةُ جاريةٌ بأنَّ مَن عَلِم استخفافَ غَيرِه به وكان قادِرًا عليه، عاجَلَه بالأخذِ- أُجيبَ مَن كانَّه قال: فما له لا يُهلِكُ المكذَّبين له؟ بقولِه -مرَغَّبًا لهم في التوبةِ، مشيرًا إلى قُدرتِه بالسَّترِ والإنعامِ، ومبيًّنا لفائدةِ إنزالِه إليهم هذا الذُكرَ مِن الرُّجوعِ عمَّا تمادت عليه أزمانُهم مِن الكُفرِ وأنواع المعاصي-":

﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

أي: إنَّ اللهَ لم يَزَلْ يستُرُ ذُنوبَ عبادِه، ويتجاوَزُ عن مؤاخَذتِهم بها ويرحَمُهم، ومِن رحمتِه بهم أنَّه لم يُعاجِلُهم بالعُقوبة، ويَقبَلُ منهم التَّوبةُ ".

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٤٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ٩٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٧٨).

قال ابن جرير: (يقولُ: إنَّه لم يَزَلُ يصفَعُ عن خَلقِه ويرحَمُهم، فِعَضَّلُ عليهم بِعَفوِه، يقول: فلانًا ذلك بن عاديّه في خَلقِه يمهِلُكم أيُّها القاتلونَ ما قلتُم بِن الإفكِ، والفاعلونَ ما فملتُم بن الكُمْرِ). ((نضير ابن جري) (١/٧/ ٤٠١).

وقال ابنُ كثير: (دعاءٌ لهم إلى التَّوبةِ والإنابةِ، وإخبارٌ بأنَّ رحمتَه واسعةٌ، وأنَّ حِلمَه عَظيمٌ، وأنَّ مَن تاب إليه تاب عليه). ((تفسير ابن كثير)) ((٤٤ / ١٩).

وقال البقاعي: (﴿ إِنَّهُ كَانَهُ اللَّهُ وَابْتُهَا ﴿ فَتَوْلُونَهُ أَيْ: بليغَ السَّتِرِ لِمَا يريهُ مِن ذنوبِ عباده؛ بالاً يعانيَهم عليها، ولا يواجِنُدَم بها. ﴿ وَتَنِها ﴾ يهم في الإنعامِ عليهم بفدَ عَلقِهم برزقهم، وتركيبِ المُقولِ فيهم، ونفسبِ الأوقَّة لهم، وإرسالِ الرسل، وإنزالِ الكُتُبِ فيهم، ولابمهالهم في تكذيبهم، أي: فليس لإمهالهم ووغظهم بما نزّله إليهم سبّلٍ للَّر رحمتُه وغفراتُه وعِلمُه بأنَّ كتابُه صَلاحً لأحوالهم في الدارين). ((نظم الدرر)) (٢٤ / ٣٤٢).





كما قال تعالى: ﴿ قُلُ لِلَّذِينَ كَفَرُوّا إِن يَنتَهُواْ يُغُفّرُ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقال سُبحانَه: ﴿ قُلْ يَكِيبَادِيَ الَّذِينَ أَمْرَقُواْ عَلَىَّ الْفُسِيهِمَ لَا تَشَـَّطُواْ مِن زَحْمَةِ اللَّهُ إِلَّ اللَّهَ يَغْفِرُ اللَّهُونِ جَبِيعًا إِنَّهُ هُو ٱلْعَقُورُ الرَّجِمُ ﴾ [الزمز: ٥٣].

الغَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- قَولُه تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلُهُ النَّدِي يَعْلَمُ النِّرَ فِى الشّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: انزَله من أحاط عِلْمُه بما في اللّم في! مِن الغَيبِ والشَّهادةِ، والجَهرِ والسَّم، وذِكْرُ عِلمِه تعالى العامَّ يَنْبَهُهم ويَحُضُّهم على تنتُبُرِ القُرآنِ، وأنَّهم لو تنبَروا لرَأوا فيه مِن عِلْمِه وأحكامِه ما يلدُّلُ دَلالةً قاطِعةً على أنَّه لا يكونُ إلَّا مِن عالمِه الشَّهادةِ(١).

Y - مع إنكارِهم للتَّوحِيد والرِّسالةِ؛ مِن لُطفِ اللهِ بهم أنَّه لم يَدَعُهم وظُلْمَهم، بل دعاهم إلى التَّويةِ والإنابةِ إليه، ووَعَدَهم بالمَغفِرةِ والرَّحمةِ إنْ هم تابوا ورَجموا، فقال: ﴿ إِنَّهُ صَابُوا ورَجموا، فقال: ﴿ إِنَّهُ صَابُوا وَ وَمَعْلَى المَغفِرةُ وَلَمُ المَغفِرةُ وَلَاهلِ الجَرائِمِ والنَّنوبِ إِذَا فَعَلوا أَسبابَ المَغفِرة، وهي الرَّجوعُ عن مَعاصبه، والتَّربةُ منها. ﴿ رَحِيثُ هَبِم؛ حيثُ لم يُعاجِلُهم بالمُقوبةِ وقد فَعَلوا مُقتضاها، وحيثُ قبل تَويتَهم بعد المعاصي، وحيثُ مَحا ما سَلَف مِن سَيِّناتِهم، وحيثُ قبل حَسناتِهم، وحيثُ أعاد الرَّاجِعَ إليه بعد شُرودِه، والمُقبِلَ عليه بَعدَ إعراضِه - إلى حالةِ المُطيعينَ المُنتِينَ اليه "نه وفي هذا إيماءٌ إلى أنَّ هذه الذُّنوبَ مع بُلوغِها الغابة في العِظمِ مَغفورةٌ إن تابوا، وأنَّ رَحمتَه واصِلةٌ إليهم بَعْدُهما فلا يَأْسوا منها بما فَرَط منهم "".

⁽١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٧٨).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير المراغي)) (١٥٢/١٥١).





الغُوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١ - قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرْوَا إِنْ هَـٰنَا إِلَّا إِنْكُ اَفْتَرَتُ وَأَعَاتُهُ عَلَيْهِ فَوْمُ
 مَاخَـرُونَ ۖ فَقَدْجَالُو ظُلْمَا وَرُولَ ﴾ هذا القولُ منهم فيه عِدَّةُ عَظائمَ:

منها: رَمِيُهم الرَّسولَ -الذي هو أَبَرُّ النَّاسِ وأصدَقُهم- بالكَذِبِ، والجُرأَةُ المَظيمةُ.

ومنها: إخبارُهم عن هذا القُرآنِ -الذي هو أصدَقُ الكَلامِ وأعظَمُه وأجَلُه-بأنَّه كَذِبُّ وافتِراءٌ.

ومنها: أنَّ فِي ضِمنِ ذلك أنَّهم قادِرون أن يأتوا بعِثلِه، وأن يضاهيّ المخلوقُ النَّاقِصُ مِن كُلِّ وجو الخالِقَ الكامِلَ مِن كُلَّ وجو، بصفةٍ مِن صِفاتِه، وهي الكلامُ. ومنها: أنَّ الرَّسولَ قد مُؤلِمت حالتُه، وهم أشدُّ النَّاسِ عِلمًا بها؛ أنَّه لا يكتُبُ ولا يجتَمِعُ بَمَن يكتُبُ له، وقد زعموا ذلك().

٢- قولُه تعالى: ﴿ قُلْ أَنْزَلُهُ اللّهِي يَمْلَمُ البّرِّقِ السَّمَنَوْتِ وَٱلأَرْضِ ﴾ لأنَّ فيه مِن الأسرارِ التي لا يعلَمُها إلَّا اللهُ ما يدُلُّ على أنَّ الله أنزله، فذِكرُه ذلك يُستدَلُّ به تارةً على أنَّ الله أنزله، فذِكرُه ذلك يُستدلُّ والأرضِ والدُّنيا والأولينَ والآجرينَ، وسِرَّ الغيبِ، ما لا يَعلَمُه إلَّا اللهُ. فون هنا نستيلُ بعلمِنا بصدقِ أخبارِه أنَّه مِن الله، وإذا ثبت أنَّه أنزله بعلمِه تعالى استدلَلْنا بذلك على أنَّ خبرَرَه حَقَّ، وإذا كان خبرًا بعلمِ اللهِ فما فيه مِن الخبرِ يُستدلُّ به عن الأنبياءِ وأمهِهم، وتارةً عن يوم القيامةِ وما فيها، والخبَرُ الذي يُستدلُّ به لا بدً أن نعلمَ صِحَّتَه مِن غيرٍ جِهتِه، وذلك كإخباره بالمستقبَلاتِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير السعدى)) (ص: ٥٧٨).





فوقعت كما أخبَرَ، وكإخباره بالأُمُم الماضية بما يوافِقُ ما عندُ أهلِ الكتابِ مِن غيرِ تعلُّم منهم، وإخباره بأمور هي سِرٌّ عندُ أصحابِها، كما قال: ﴿ وَإِذْ أَمَرُّ النَّيُّ إِلَى بَشِينَ أَوْرَجِد عَدِينًا ﴾ [التحريم: ٣] إلى قوله: ﴿ فِتَأَنِي ٱلفَيلِمُ ٱلْخَيِدُ ﴾ [التحريم: ٣]؛ فقولُه: ﴿ فُلَ أَنْزَلُهُ الْذِي يَعَلَمُ النِّرَقِ الشَّمَوَةِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ استِدلالٌ بأخباره (١٠٠

٣- قولُه تعالى: ﴿ قُلْ آنَزَلَهُ اللّهِى يَسْلُمُ الْيَرْقِ فَالشَّمَوْتِ وَالْأَرْضُ إِنَّهُ كَانَهُ عَلَمُ المُعَلّمُ بِمَن فِهِ وَدَّ عَلَى ما زَعَمه المشركونَ بِن اجتماعِ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم بمَن يكتبُ له، ووجهُ إقامةِ الحُجَّةِ عليهم أنَّ الذي أنزله هو المحيطُ عِلمُه بحُلُّ شَيء، فيستحيلُ ويمتَنِمُ أن يقولَ مخلوقٌ ويتقولَ عليه هذا القرآن، ويقولَ: هو مِن عندِ الله. وما هو مِن عندِه، ويستَجلَّ دِماءَ مَن خالفَه وأموالَهم، ويزعُمُ أنَّ الله قال له ذلك. والله يعلَم كُلَّ شَيء، ومع ذلك فهر يؤيلُه وينصُره على أعدائِه، الله قال له ذلك. والله يعلَم كُلَّ شيء، ومع ذلك فهر يؤيلُه وينصُره على أعدائِه، ويمكنُ أحدًا أن ينكِرَ هذا القُرآنَ إلَّا بعَدَ إنكارِ عِلمَ الله، وهذا لا تقولُ به طائِفةٌ مِن بني آدمَ سِوى الفلاسفةِ الدهريَّة. وأيضًا فإنَّ يَكِم على ما يمكنُ أحدًا أن ينكِرَ هلوه الموريَّة. وأيضًا فإنَّ يعن عليه ما على تدبُّر القرآنِ، وأنَّهم لو تدبُّروا لرأوا فيه من عليه وأحكايه ما يدُلُّ ذَلالةً قاطِعةً على أنَّه لا يكونُ إلَّا مِن عالمِ الغَيبِ

بلاغةُ الآيات:

١- قَولُه تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّذِينَ كَفَرْتًا إِنْ هَنَا إِلَّا إِنْكُ الْقَرَعُهُ وَأَعَاتُهُ عَلَيْهِ قَرْمُ مَاخَرُونَ فَقَدْ جَمَاهُ وَظُلْمًا وَرُوْدًا ﴾ هذا شُروعٌ في حِكايةِ أباطيلِهم المُتعلَّقةِ بالمُنزَّلِ والمُنزَّل عليه ممّا، وإبطالِها (٣٠).

⁽١) يُنظر: ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (١٤/ ١٩٨).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٧٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٢).





- والقصْرُ الشَّتبولُ عليه كلامُهم المُستفادُ مِن (إِنْ) النَّافِيةِ و(إَلَّا) فَصُرُ قَلْبِ^{٣٧}؛ رَعَموا به رَدَّدَعوَى انَّ القُرانَ مُنزَّلٌ مِن عندِ اللهِ، وإسنادُ هذا القولِ إلى جميع الكُفَّارِ؛ لأنَّه واقعٌ بيْن ظَهرانَيْهم، وكلَّهم يَتناقَلونَه، وهذه طريقةٌ مألوفةٌ في نِشبةِ أمْرٍ إلى القبيلةِ، كما يُقالُ: بنو أَسْدٍ قَتَلوا حُجْرًا٣٣. وقيل: الموصولُ إمَّا عبارةٌ عن غُلاتِهم في الكُفرِ والطُّغيانِ، والجمْعُ لمُشايَعةِ الباقينَ له في ذلك. وإمَّا عن كُلْهم، ووَضْعُ الموصولِ مَوضِعَ ضَميرِهم؛

وحُجْرٌ هو الكِنديُّ، والدُّ امرئ القيس. يُنظر: ((أمثال العرب)) للمفضل الضبي (ص: ١٢٧).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٢٢).

⁽٢) قصر القلب: هو أَنْ يَقلِبُ المتكلَّمُ فِيه حُكمَ السامع، كقولِك: ما شاعرٌ إِلَّا زَيِدٌ، لِمَن يعتقِدُ أَنَّ شاعرًا في قبيلةٍ معيَّنةٍ أو طرّفٍ معيَّنٍ، لكَنَّ يقول: ما زَيدٌ هناك بشاعرٍ. يُنظر: ((مفتاح العلوم)) للسكاكي (ص: ٨٦٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٢٢).





لِذَمُّهم بما في حيِّز الصَّلةِ، والإيذانِ بأنَّ ما تَفوَّهوا به كُفْرٌ عظيمٌ (١٠).

والقَصرُ المُستفادُ مِن قولِه: ﴿إِنْ هَنَا ٓ إِنَّا إِنَّا إِنَّكَ اَتْرَبَدُهُ وَأَعَاتُهُ عَلَيْهِ فَرَمُ
 مَخَرُونَ ﴾ مُسلَّطٌ على كِلْنا الجُملتين، أي: لا يَخْلو هذا القُرآنُ -على
 زَعْمِهم- مِن مجموعِ الامْرينِ؛ هما: أنْ يكونَ افْتَرى بغضَه مِن نفْسِه، وأعانه
 قومٌ على بَعْضِه (").

- وتَنكيرُ ﴿ ظُلْمًا وَزُورًا ﴾؛ للتَّفخيم (١٠).

٢- قَولُه تعالى: ﴿ وَقَالْوَا أَسْطِيرُ ٱلْأَوَّالِينَ اَكْتَبَهَا فَهِى ثَمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً
 وَأَسِيلًا ﴾

- قَولُه: ﴿ بُكْرَةً وَأَسِيلًا ﴾، أي: تُمْلي عليه طرفي النَّهارِ، وهذا مُستعمَلٌ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٢).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٢٣).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٣).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٢٠٢).







كِنايةً عن كثرةِ المُمارَسةِ لِتَلقِّي الأساطيرِ (١).

٣- قَولُه تعالى: ﴿ قُلْ أَنْزَلُهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلبِّرَّ فِي ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيًّا ﴾ هذا جَوابٌ عن قولِهم: ﴿إِنْ هَنْنَا إِلَّا إِنَّكُ ٱقْتَرَنَّهُ ﴾، وقولِهم: ﴿أَسَطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ على الأُسلوب الحَكيم(٢)، أي: قُلْ يا محمَّدُ: ليس هذا مِن افتِرائي، ولا هو مُمْلِّي علَيَّ، بلْ مُنزَّلٌ مِن عندِ مَن يَعلَمُ السَّرَّ في السَّمواتِ والأرض، وما في بواطنِكم مِن الدَّهاءِ والمَكْرِ؛ لأَنَّكم تَعلَمون عِلْمًا يَقينًا أنَّ هذا ليس مِن قَبيل الافتراءِ، ولا هو مِن الأساطير؛ لأنَّه أعجَزَكم عن آخِركم بفَصاحَتِه، وأنَّه تضمَّنَ أخبارًا عن المُغيَّباتِ، وأسرارًا لا يَعلَمُها إلَّا اللهُ عَزَّ وجَلَّ، لكنَّ غرَضَكم الصَّدُّ عن سَبيل اللهِ، ومُجرَّدُ العِنادِ؛ ويُؤيِّدُ ذلك قولُه تعالى: ﴿فَقَدْجَآءُو ظُلْمَا وَزُورًا ﴾ وإقحامُه بيْن كَلامِهم، فسُبحانَه ما أرحَمَه وما أجَلُّه؛ حيث أمهَلَكُم ولم يُعاجِلْكم بالاستئصالِ لهذه العظيمةِ! فإذَنْ في قولِه: ﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ معنى التَّعَجُّبِ(")، وقد ردَّ عليهم بوَصْفِه تعالى بالعِلْم؛ لأنَّ هذا القُرآنَ لم يكُنْ لِيَصدُرَ إِلَّا مِن عَلَّام بكلِّ المعلوماتِ؛ لِمَا احْتَوى عليه مِن إعجازِ التَّركيب الَّذي لا يُمكِنُ صُدورُه مِن أحدٍ ولوِ استعانَ بالعالَم كلُّهم، ولإشتمالِه على مصالِح العالَم وعلى أنواع العُلوم. واكْتَفَى بعِلْم السِّرِّ؛ لأنَّ ما سِواهُ أُولِي أَنْ يَتَعلَّقَ عِلْمُه به (٤٠).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٢٥).

⁽٢) الأسلوبُ المحكمُ، هو تلقي المخاطَبِ بغيرِ ما يترَقَّبُ بحملِ كلابه على غيرِ مراوه؛ تنبيهًا على أله مو الأولَى أَيضًا تلقي السائلِ بغيرِ ما يتطلَّبُ تنبيهًا على ما هو الأولَى بعدالِه وبالسؤالِ عنه، وهو مِن خلافُ مقتضَى الظاهرِ. يُنظر: ((مفتاح العلوم)) للسكامي (ص: ٣/٢)، ((البرهان في علوم القرآن)) للزركشي (٤/٢٤، ٣٤)، ((مفتاتِج النفسير)) للخطب ((١٣٢/).

⁽٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ١٧٧).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨٣/٨).





وأيضًا في قوله: ﴿ أَنْزَلُهُ اللّذِي يَمْلُمُ النّزَفِي السّدَوَيَ وَالْآذِينَ ﴾ وَصُفُه تعالى
 بإحاطة عِلْميه بجميع المعلومات الجَلِيَّة والخَفيَّة؛ للإيذان بانطواء ما أنزلَهُ
 على أسرارٍ مَطْويَّة عن عُقولِ البشر، مع ما فيه مِن التَّعريضِ بمُجازاتِهم
 بجناياتهم المَحْكيَّة الَّتي هي مِن جُملة مَعلوماتِه\(^\).

و في قوله: ﴿ فَلُ أَنْزُلُهُ الْذِي يَعْلَمُ الْيَرَ ﴾ عَبْرَ عن مُنزِلِ الفُرآنِ بطَريقِ المصولِ ﴿ النَّرِي يَعْلَمُ البَّرَ ﴾ ؛ لِمَا تَقْتَضيهِ الصَّلةُ مِن استشهادِ الرَّسولِ الله على ما في سِرَّو؛ لأنَّ الله يعلَمُ كلَّ سِرَّ في كلَّ مكانٍ؛ فجُملةُ الصَّلةُ مُستعمَلةٌ في لازمِ الفائدةِ، وهو كونُ المُتكلِّم -أي: الرَّسولِ- عالِمَا بذلك. وفي ذلك إيقاظٌ لهم بأنْ يَعْدَد وفي ذلك إيقاظٌ لهم بأنْ يَتِدَرُوا في هذا الذي زَعَمُوه إفْكا أو أساطيرَ الأوَّلينَ؛ ليَظهَرَ لهم اشتمالُه على الحقائقِ النَّاصعةِ التَّي لا يُجِيطُ بها إلَّا اللهُ الذي يَعلَمُ السِّرَ، فيُوقِنوا أنَّ المُوانَ لا يكونُ إلاَّ مِن اللهُ عليه وسلَّم اللهُ عليه وسلَّم مِن الاستعانةِ بمَن زَعَمُوهم يُعينونَهُ ٤٠٠.

- قَولُهُ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَثَوْرَاتَحِهُ ﴾ تَرغيبٌ لهم في الإقلاع عن هذه المُكابَرةِ، وفي اتّباع دِينِ الحقّ؛ لِيَغفِرَ اللَّهُ لهم ويرَ حَمَهم، وذلك تَعريضٌ بأنَّهم إِنْ لم يُعلِعوا ويَتوبوا حَقَّ عليهم الغضَبُ والنَّقمةُ. أو غفورًا رحيمًا في كونِه أمهَلَكم ولم يُعاجِلُكم على ما اسْتَوجَبُتُموه مِن العِقابِ بسبّبٍ مُكابِرَيّكم؛ فهو تَعليلُ ما هو المُشاهَدُ مِن تأخيرِ المُقوبةِ. أو لمَّا تقدَّمَ ما يدُلُّ على المُقابِ أعقبَهُ بما يدُلُّ على المُقابِ المَقَعِف بالغُفوانِ والرَّحمةِ العِقابِ أعقبَهُ بما يدُلُّ على المُقرةِ عليه؛ لأنَّ المُتَقِفَ بالغُفوانِ والرَّحمةِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٢٦).





قادرٌ على النُ يُعاقِبَ (١٠ فدلً قولُه: ﴿ غَفُورًا رَجِها ﴾ على القُدرة التَّامَّةِ الكاملةِ بالكِناية. وفي إينارِ هاتين الصَّفتين ﴿ عَفُورًا رَجِها ﴾: تعييرٌ لهم، ونعي على فِعْلِهم، يعني: إنَّكم فيما أنتم فيه بحيث يَتصدَّى لِعَدْالِكم مَن صِفْتُه الغُفرانُ والرَّحمةُ. وقيل: ذكرَ المغفرة والرَّحمة؛ لأَجْلِ أَنْ يَعرِفوا أَنَّ هذه الذُّنوبَ العظيمة المُتجاوِزة عن الحدِّ مَفقودةٌ إِنْ تابوا، وأنَّ رحمتَه واصلةٌ إليهم بعُدها، وألَّ يُناسوا مِن رَحمتِه بما فرَطَ منهم مع إصرارِهم عليه مِن المُعاداةِ والمُخاصَمةِ الشَّديدة (١٠).



⁽۱)يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٦٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٨٣ /٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٠٣/١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٦/ ٣٢٦).

⁽٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ١٧٦).





الآيات (١٠-٧)

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْحُكُ ٱلطَّعَـامَ وَيَمْثِينِ فِٱلْأَشَوَاقِ لَوْلَآ أُمْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكُ فَكُونَ مَعَهُ، نَذِيرًا ﴿ ۚ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزُ أَوْ نَكُونُ لَهُ، جَنَّـةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَى الْ الظَّلِلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُولًا (١) اَنظُرْ كَيْفَ ضَرَيُواْ الك ٱلْأَمْثَلَ فَضَلُّواْ فَسَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۞ تَبَارَكَ ٱلَّذِى إِن شَكَآة جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِن ذَلِكَ جَنَّنتِ تَجْرِي مِن تَعْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَيَجْعَلِ لَّكَ قُصُورًا ١٠٠٠ ﴾.

غَرِيبُ الكُلمات:

﴿ كَنَّ ﴾: أي: مالٌ عظيمٌ، وهو في الأصل: المالُ المَدْفونُ تحتَ الأرض، والكَنْزُ: جعْلُ المالِ بعضِه على بعضٍ، وحِفظُه، وأصلُ (كنز): يدُلُّ على تجَمُّع في الشَّيءِ (١).

﴿ جَنَّةً ﴾: أي: بُستانٌ، وكُلُّ بُستانٍ ذي شَجَر يستُرُ بأشجارِه الأرضَ يقالُ له: جنَّةٌ. وأصلُ (جنن): يدُلُّ على السَّتر(٢).

﴿ ٱلْأَمْثَالَ ﴾: أي: الأشباه، وأصلُ (مثل): يدُلُّ على مُناظرةِ الشَّيءِ للشِّيءِ". المعنى الإجماليُّ:

يَذكرُ الله تعالى شبهةً ثالثةً مِن شُبَهِ المشركينَ، فيقولُ تعالى: وقال كُفَّارُ قُرَيش:

- (١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٤١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٢٧)، ((النهاية)) لابن الأثير (٤/ ٢٠٣).
- (٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لا بن فارس (١/ ٤٢١)، ((البسيط)) للواحدي (١٦/ ٤١٢)، ((المفر دات)) للراغب (ص: ٢٠٤).
- (٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٠٤)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٢٩٦)، ((الوجيز)) للواحدي (ص ٦٣٧)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ١٣٢).





ما لمحمَّدٍ يأكُلُ الطَّعامَ ويمشي في الأسواقِ للتكتُّبِ -معَ أَنَّهَ رَسولٌ-؟! هلَّا أَنْزَلَ اللهُ إليه مَلَكًا مِن السَّماءِ يَشْهَدُ له بالصَّدقِ، ويُنذِرُ معه النَّاسَ إن كان صادِقًا، أَو يُلقَى إليه كَنزٌ مِن العالِ يُنفِقُ منه، ويُكفى به طلَبَ الرَّزقِ، أو يكونُ له بُستانٌ يأكُلُ مِن ثمارٍه! وقال هؤلاء المُشرِكون: ما تَشِّعون إلَّا رجلًا به سِحرٌ، وليس هو برَسول.

ثمَّ يقولُ تعالى مهوَّنًا مِن شأنِهم، ومسلَّيًا لرسولِه: انظرْ -يا محمَّدُ- كيف جعَل هؤلاء المُشرِكون لك الأوصافَ الكاذِبةَ الباطِلةَ، فضَلُّوا بذلك عن الصَّواب، فلا يَستطيعون إلى ذلك طَريقًا!

تعاظَمَ اللهُ، وكَمَلَت أوصافُه، وكثُرتْ خَيراتُه، ودامتْ بركاتُه؛ فهو الذي إن شاء جعّلَ لك -يا محمَّدُ - خيرًا ممَّا يقولُ الشُّرِكون؛ بساتينَ تجري مِن تحتِ أشجارِها الأنهارُ، ويجعَلْ لك بُيوتًا عظيمةً في اللَّنيا.

تُفسيرُ الآيات:

﴿ وَقَالُوا عَلَىٰ الرَّمُولِ يَأْكُلُ الظَّمَارُ وَيَغْيَى فِ الْأَمُوقِ لَوْلَا أَبْرِلَ إِلَّهِ مَلَكُ فَيْكُونَ مَعَهُ، مَنْذِيرًا ﴿ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

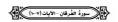
لَمَّا فَرَغ سُبحانَه مِن ذِكرِ ما طَعَنوا به على القُرآنِ؛ ذَكَر ما طَعَنوا به على رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال تعالى ("):

﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَنْذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْثِي فِ ٱلْأَسَّوَاقِ ﴾.

أي: وقال كُفَّارُ قُرَيشٍ: ما لمحمَّدٍ -الذي يزعُمُ أنَّه رَسولٌ مِن اللهِ- يأكُلُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٧٣).





الطَّعامَ كما نأكُلُ، ويمشي في الأسواقي للتكشُّبِ والتجارةِ كما نمشي (١٩٠٠). ﴿ لَوْلَةَ أَيْزِلَهِ لَمَكُ فَكُورُك مَعَمُ تَذِيرًا ﴾.

أي: هلًا أنزَلَ اللهُ إلى محمَّدٍ مَلكًا مِن الملائكةِ، يَشهَدُ له بالصَّدقِ، ويُعينُه على إنذارِ النَّاسِ وتبليغِ رسالتِه، إن كان صادِقًا في دعواه أنَّه رَسولٌ مِن عندِ الله"!

﴿ أَوْ بُلُفَىٰ إِلَيْهِ كَنْزُ أَنْ تَكُونُ أَنَّهُ جَنَّةً يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَكَالَ الظَّلِمُوكِ إِن نَشِّعُوكِ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُولًا ۞ ﴾.

﴿ أَوْ يُلْقَىٰۤ إِلَيْهِ كَنَّ ﴾.

أي: أو يُلقَى إلى محمَّدٍ كَنَّرٌ مِن العالِ يُنِفِقُ منه فَيْغنيه عن طَلَبِ المعاشِ ("). كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَلَكَ تَارِكُ بْعَضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَصَاّبِنَ بِهِ. صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوَلاَ أَنِولَ عَلَيْهِ كَنَّرٌ أَوْ جَمَاةً مَلكً إِلَّمَا أَنِثَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ [هود: ١٢].

وقال تعالى حكايةً لِقَولِ فِرعَونَ عن موسى عليه السَّلامُ: ﴿ فَلَوْلَآ ٱلْفِي عَلَيْهِ السِّرِيَّةُ مِن ذَهَبِ أَوْ جَلَةَ مَكُهُ ٱلْمَلَتِكِكَةُ مُقْتَرِينِكَ ﴾ [الزخرف: ٥٣].

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۲/ ۳۶)، ((الصواعق المرسلة)) لابن القيم (۳/ ۱۸۹۷)، ((تفسير ابن كثير)) (۲/ ۹۵)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۷۸)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۲۷/۱۸)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۲/ ۱۷).

قال العليمي: (وكُتِيت اللامُ في المصحفِ مفرّدةً مِن قولِه: ﴿ كَالِ هَٰذَا ﴾، واتّباعُه سُنّةً). ((تفسير العليمي)) (٨/٥).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۲/ ۴۰٪)، ((تفسير ابن كثير)) (۲/ ۹۰)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۷۷۸)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۱/ ۲۰، ۲۰).

⁽٣) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٠٣)، ((نفسير الزمخشري)) (٣) (٢٦٥)، ((الصواعق المرسلة)) لابن القيم (٣/ ٨٩٧)، ((نفسير السعدي)) (ص: ٥٧٨)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (٦/ ٢٠).





﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةً يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسيرِ:

١ - قِراءةُ ﴿ نَأْتُكُلُ ﴾ بالنونِ، أي: أو تكونُ له جَنَّةٌ يُطعِمُنا منها، فنتيقَّنُ أنَّ
 ثَمَرَها حقيقةٌ لا سِحرٌ (١٠).

٢- قراءةُ ﴿ يَأْكُلُ ﴾ بالياء، أي: يختَصُّ الرَّسولُ بالأكلِ مِن الجَنَّةِ، فَبَبِينُ
 فَضلُه على غيره في مأكله ").

﴿ أَوْ نَكُونُ لَهُ جَنَّةً يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾.

أي: أو يكونُ لمحمَّدٍ بُستانٌ يأكُلُ مِن ثمارِه، فيستغني بذلك عن طَلبِ الرِّزقِ(٣).

(١) قرأ بها حمزة، والكسائي، وخلف. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٣).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (٢١٣/٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٢٨/١٨).

قال البقاعي: (وعلى قراءة حمزة والكسائيّ بالنونِ يكونُ المعنى: أنَّا إذا أمكنًا منها، كان ذلك أجلَّ نا إلى اتِّباجه). ((نظم الدر)) (١٣/ ٣٤٥).

وقال ابنُ عاشورٍ: (قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلَفٌّ: (نأكلُّ منها) بنوذِ الجماعةِ. والمعنى: ليتيقَنوا أنَّ مُمرَها حقيقةٌ لا بسحرٌ). ((تفسير ابن عاشور)) (٣٢٨/١٨).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٣٣٣/٢).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (٢/٢١٣)، ((الحجة للقراء السبعة)) لأبي على الفارسي (٥/ ٣٣٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧/ ٣٠٤)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (٣/ ٣١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٧٨)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٢٠).

قال الزَّسخشري: (يَشُونُ أَنَّهُ كان يجوبُ أَن يكونَ اَلمَّكَا مستغيّا عن الأكلِ والتَمْيُّسِ، ثَمَّ نزَلوا عن افتراجهم أن يكونَ مَلَكَا إلى افتراحِ أن يكونَ إنسانًا معه مَلَكَ، حتى يَسانَدَا في الإنفارِ والتَّخويفِ، ثُمَّ نزَلوا أَيضًا فقالوا: وإن لم يكُنْ مُزفودًا بملَكِ فَأَيْكُنْ مُرفودًا بكَتْرٍ يُلفق إليه من السَّماءِ يَستظهرُ به ولا يحتاجُ إلى تحصيل المعاش، ثُمَّ نزلوا فاقتموا بأن يكونَ رئجُلاً له =





كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَنْ نُوْمِرَكَ لَكَ حَقَّ نَفَجُرٌ لَا مِنَ ٱلْأَرْضِ بِنُبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن غِيلٍ وَعِنْسٍ فَنْفَجِرُ ٱلْأَنْهُمَرَ جِلْلَهَا لَفَجِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٠، ٩١].

﴿ وَقَالَ ٱلطَّالِمُونَ إِن تَنَّيِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُولًا ﴾.

أي: وقال المُشرِكون: ما تَتَِّعون (١٠ إِلَّا رَجُلًا مِن البَشَرِ به سِحرٌ، وليس رسولًا مِن عندِ اللهِ كما يزعُمُ، فهو رجلٌ مَخدوعٌ مَغلوبٌ على أمرِه، ومختَلُّ المَعْلِ بالسَّحر (١٠).

﴿ اَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَكَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا 🕚 ﴾.

أي: انظُرْ - يا محمَّدُ إلى هؤ لاء المُشرِكين كيف يجعَلونَ لك هذه الأوصاف، ويقولون فيك هذه الأقوالَ الباطلةَ المُتناقِضةَ، فأخطَووا بذلك الحَقَّ والصواب، فلا يَستطيعون إليه طَرِيقًا (؟)!

⁼ بستانٌ يأكُلُ منه ويرتَزقُ كما الدَّهاقينِ والمياسيرِ، أو يأكلون هُم مِن ذلك البُستانِ فينتَفِعون به في دنياهم ومعاشِهم). ((ففسير الزمخشري)) (٣/ ٢٦٥).

⁽۱) قبل: الخطابُ هنا للمؤمنينَ. ومثّن قال بذلك: ابنُ جرير، والسعرقنديُّ، وابن أبي زمنين، والواحدي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ٤٠٤)، ((تفسير السعرقندي)) (۲/ ٥٣٠)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (۳/ ۲۶)، ((الوسيط)) للواحدي (۳/ ۳۵۰).

قال ابنُ جرير: (وقال المشركون للمؤمنينَ بالله ورسولِه: ﴿إِن تَنَبِّعُونَ ﴾ أيها القومُ، باتُباعِكم محمَّدًا). ((تفسير ابن جرير)) (٧٠ { ٠٤).

وقيل: الخطابُ لِقَويهم المشركين، فقال ذلك بعضُهم لبعض. ويشَّن قال بذلك في الجملة: مُكِّنُّ، والبِقَاعيُّ. يُنظر: ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ١٧٩ه)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦٣/ ٢٤٣).

⁽۲)يُنظر: (نفسير ابن جرير) (۱/ ٤٠٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۷۵ه)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱/ ۲۲۹)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۲/ ۲۱)، ((تفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ۵۰).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٠٤)، ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (٢/ ٢٢٦)، ((تفسير =





﴿ بَارَكَ ٱلَّذِي إِن مَنَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِن ذَلِكَ جَنَّتِ تَجْرِي مِن غَيْمَهَ ٱلْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَكَ تُشُورًا ۞ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

ابتُدِثت السورةُ بتعظيم اللهِ وثنائِه على أنْ أنزَل الفُرقانَ على رسولِه، وأعقَبَ ذلك بما تلقَّى به المشرِكون هذه المزيَّةَ مِن الجُحودِ والإنكارِ النَّاشيء عن تمشيّكِهم بما اتَّخذوه مِن آلهةٍ مِن صِفاتِهم ما يُنافي الإلهيَّة، نَمَّ طعنوا في القُرآنِ والذي جاء به بما هو كُفرانٌ للنَّعدةِ ومَن جاء بها، فلمَّا أُريدَ الإعراضُ عن باطلِهم، والإقبالُ على خِطابِ الرَّسولِ بتَنبِيتِه وتثبيتِ المؤمنين؛ أُعِيدَ اللَّفظُ الذي ابتُدِثتُ به السورةُ على طريقةِ وصْلِ الكَلام، بقولِه تعالى (١٠):

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي ٓ إِن شَآ مَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِن ذَلِكَ جَنَّتٍ تَعْرِى مِن تَمْتِهَاٱلْأَنْهَارُ ﴾.

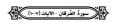
أي: تعاظَمَ الله وكَمَلَت أوصافه وكثُرتُ خيراته ودامتُ وثبَتتْ بَرَكاتُه؛ فهو الَّذي إن شاء جعَلَ لك -يا محمَّدُ- خيرًا مِمَّا اقتَرَحه المشركونَ؛ بساتينَ عديدةً في الدُّنيا(")

= ابن كثير)) (١/ ٩٥)، ((نفسير السعدي)) (ص: ٥٧٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٢٧/٦)، ((نفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٥٥، ٥٥).

قال البقاعي: (﴿ فَشَدَلْوَا ﴾ أي: عن جميع طرُق المَدلِ، وسائِرِ أنحاء البيانِ بسَبِ ذلك، فلم يجدوا قولًا يستيرُّون عليه، وأبعدوا جِدًّا ﴿ فَكَرَ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ في الحالِ ولا في العالِّ؛ بسببِ هذا الصَّلالِ ﴿ سَيِيكَ ﴾ أي: شلوكَ سَبِلِ مِن الشُّبِلِ العوصِلةِ إلى ما يستجنُّ أن يُقصَدَ، بل هم في مجاهلَ مُوجِدَة، وفيافتُ مُهلكِنَه، ((نظم الدر)) ((۲۲/۱۳).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣٠). (٢) وممَّن نصَّ على أنَّ المرادَ وُقومُ ذلك في الدُّنيا: الواحديُّ، وابنُ كثير، والبقاعي، والعليمي، =





تجري مِن تحتِ أشجارِها الأنهارُ('').

﴿ وَيَجْعَلَ لَّكَ قُصُورًا ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسيرِ:

١ - قراءة ﴿ وَيَجْعَلُ ﴾ بالرفع على الاستِثنافِ، وفيه معنى الحَتمِ، أي: وسيجعَلُ اللهُ لك -يا محمَّدُ- قُصورًا في الجَنَّةِ '').

٢- قراءة ﴿ رَجُعَلَ ﴾ بالجزم؛ عَطفًا على موضِع ﴿ جَعلَ ﴾ أي: إن يَشَرُ اللهُ
 يجعَلْ لك -يا محمَّدُ - جَناب، ويجعَلْ لك قُصورًا في الدُّنيا".

= والشوكاني، والسعدي، وابن عثيمين. يُنظر: ((السيط)) للواحدي (٢١٦/١٦)، ((نفسير ابن كثير)) (٩٥/١، ((نظم الدر)) للبقاعي (٣٤٨/١٣)، ((نفسير العليمي)) (٩/٩)، ((نفسير الشوكاني)) (٤/٤٧)، ((نفسير السعدي)) (ص: ٥٧٩)، ((نفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ٥٨).

ونسبه ابنُ عاشور للجمهور، ثمَّ قال: (وعلى هذا التأويلِ تكونُ «إن الشَّرطِيةُ واقعةَ موقعَ «لو» أي: الشَّرطِيةُ واقعةَ موقعَ «لو» أي: أنَّه لم يَشَأَ، ولو شاءه لفتملَه، ولكِنَّ الحكمة اقتضت عدَّمَ البَّسِطِ للرَّسولِ في هذه الشُّياء ولكنَّ المشركين لا يدركون المطالبَ العالمية، وقال ابنُ عطيةً: يحتيلُ أن يكونُ المرادُ بالجنتَّاتِ والقصورُ الجنَّة؛ فيكونَ وعدًا مِن الله لي المتعدولِ ليست التي في الشُّنياء أي: هي جناتُ المُثلِد وقصورُ الجنَّة؛ فيكونَ وعدًا مِن الله لرسوله). ((تفسير ابن عاشور)) (۲۸ - ۲۳، ۳۳، ويُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۲۸ - ۲۳). ومِثَنَّ المتعرقات إلى المعرقات إلى ۲۵ (۲۵ مير) المعرقات أنَّها في الأخرق: السمرقات إلى المعرقات إلى المعرقات إلى المتعرفات إلى المتعرفات إلى المتعرفات المناسبة المعرفات المتعرفات المتعر

(۱) يُنظر: ((نفسير يحيى بن سلام)) (۱/ ٤٧١)، ((نفسير ابن جرير)) (۱۷/ ٥٠٥ – ٤٠٠)، ((نفسير السمعاني)) (٤/ ٨)، ((نفسير الشوكاني)) (٤/ ٤٧)، ((نفسير السعدي)) (ص: ٩٧٥).

قال السمعائيّ: (بساتينّ تجري بن تحتِ أشجارِها الأنهازُ). ((تفسير السمعاني)) (۵/٤). وقال البقاعي: (هُوجَنَّتَ فِي فضلًا عن جَنَّةِ واحدةٍ هِ تَقْرَي مِن تَقْبِهَا ٱلْأَنْفِيزُمُ فِي ايَّ تَكُونُ عُونًا نابعةً، أيُّ موضع أُريدَ منه إجراءُ نهرِ جرى، فهي لا تزال رَيَّا تُغْنِي صاحِبَها عن كلُّ حاجةٍ، ولا تُحوجُه في استِثمارِها إلى سقي). ((ظلم الدرر)) (۲۲۷/۱۳).

(۲) قرأ بها ابنُ كثيره وابنُ عامره وأبو بكوٍ عن عاصم. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٣٣/٢). ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القرآن)) للزجاج (٩/٤)ه ((الكشف)) لمكي (٢/٤٤). (٣) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٣/٣٣).





﴿ وَيَجْعَلَ لَّكَ قُصُورًا ﴾.

أي: وإن شاء اللهُ جعَلَ لك -يا محمَّدُ- بيونًا مُشَيَّدةً عَظيمةً واسِعةً في الدُّنيا(١٠).

الغوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١ - في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْفِى فِ ٱلْأَسْرَاقِ ﴾ إباحة دخول الأسواق للعُلماء
 وأهل الدين والصَّلاح، خلافًا لِمَن كرِهَها لهم").

٢ - قال تعالى حِكايةً عن المُشْرِكِينَ: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَنذَا ٱلرَّمُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّلَمَارَ
 وَيَمْثِينَ فِي ٱلْأَمْوَاقِ ﴾، ومُرادُهم فاسِدٌ مِن وَجهَين:

أَحَدُهما: أنَّه لِيس يُوجِبُ اختِصاصُه بالمَنزِ لِهَ نَقْلَه عن مَوضِعِ الخِلْقة؛ لأمرَينِ: أَحَدُهما: أنَّ كُلَّ جِنسِ قد يَتَفاضَلُ أهلُه في المَنزِلةِ، ولا يَقتضي تميزَهم في الخِلْقةِ، كذلك حالُ مَن فُضًل في الرَّسالةِ. النَّاني: أنَّه لو نُقِلَ عن مَوضوعِ الخِلْقةِ بتَميزِه بالرَّسالةِ لصار مِن غَيرِ جِنسِهم، ولَمَا كان رسولًا منهم، وذلك مِمَّا تَنفِرُ منه النَّفوسُ.

وأمَّا الوَجهُ النَّاني: فهو أنَّ الرِّسالةَ لا تَقتَضي مَنْعَه مِنَ المَشْيِ في الأسواقِ؛ لأمرين:

أَحَدُهما: أنَّ هذا مِن أفعالِ الجَبابِرةِ، وقد صان اللهُ رَسولَه عن التَجَبُّرِ.

الثَّاني: لحاجتِه لدُّعاءِ أهلِ الأسواقِ إلى نبُوَّتِه، ومُشاهدةِ ما هم عليه مِن مُنكرٍ

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القرآن)) للزجاج (٩/٤٥)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٥٠٨).

⁽۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲/۷۰)، ((الوسيط)) للواحدي (۳ (۳۳)، ((نفسير ابن كثير)) (۲٫۵)، ((نظم الدور)) للبقاعي (۴۸/۸۳)، ((نفسير ابن عاشور)) (۳۲۱/۱۸). (۲) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التزيل) للسبوطي (ص. ۱۹۷).

الجزء ١٨ الحزب٣٦





يَمنَعُ منه، ومَعروفٍ يُقِرُّ عليه(١).

٣- قال تعالى حكاية عن المُشرِكينَ قَولَهم: ﴿ أَدْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنَرُ ، أَو تكونَ له جَنَّهُ ، لَهُ جَنَّةً ﴾ العَجَبُ لجَهلهم حين أرادوا أن يُلقى إليه كنزٌ ، أو تكونَ له جَنَّهُ ، ولو فَهِموا عَلِموا أنَّ كُلَ الكُنوزِ له، وجَميع الشُيا مِلكُه! أَوليس قد قَهَر أربابَ الكُنوزِ ، وحَكَم في جميع المُلوكِ؟! وكان مِن تمامٍ مُعجزتِه أنَّ الأموالَ لم تُفتَحْ عليه في زَمّنِه! لنَلاً يقولَ قائلٌ: قد جَرَت العادةُ بأنَّ إقامةَ الدُّولِ وقَهْرَ الأعداء عليه في زَمّنِه! لنَلاً يقتَت العادةُ بأنَّ إقامةَ الدُّولِ وقَهْرَ الأعداء بُحَرَت العادةُ بأنَّ إقامةَ الدُّولِ وقَهْرَ الأعداء فَيْرَق الأموالِ! فتقت المُعجِزةُ بالغَلَيةِ والقَهرِ مِن غَيرِ مالِ، ولا كُنرة أعوانِه، ثمَّ فَيْحَت الدُّنيا على أصحابِه، فقرَّ قوا ما جَمَعه العلوكُ بالشَّرَة، فأخرَجوه فيما خُلِقَ له ولم يُمسِكوه إمساكَ الكافرين؛ إيُّعلَموا النَّاسَ بإخراجٍ ذلك العالِ: أنَّ لنا دارًا سِوى هذه، ومَقَرًا غَيرَ هذا؟!!

٤ - في قوله تعالى: ﴿ اَنْظُرْ حَيْفَ مَرْيُواْ لَكَ الْأَمْنُانَ فَشَلُوا ﴾ دَليلٌ على النّسانَ إذا أوردَ الشُّبُهاتِ على نفْسِه أو على مَن أتَى بالحقَّ؛ فإنه يكونُ سببًا لضَلالِه، إذا أم يَقبَلِ الإنسانُ الحقَّ، ويدَعْ ما يَرِدُ على خاطرِه مِن الشُّبُهاتِ حوْلَ ذلك الحقَّ، فإنه يكونُ سببًا لضَلالِه؛ ولهذا قال: ﴿ فَشَلُواْ ﴾، الفاءُ عاطفةٌ، وتُفيدُ السَّمةَ ٣٠.

٥ - قال تعالى: ﴿ فَكَالَا يَسْتَطِيمُونَ سَبِيلًا ﴾ نَفيُ الاستِطاعةِ المذكورةِ هنا
 كَقُولِهِ تعالى: ﴿ مَا كَافِلَ بَسَطِيمُونَ السَّمْعُ وَمَا كَافُواْ يُشْهِرُونَ ﴾ [هود: ٢٠]، وقولِه
 تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ كَانَتْ أَعَيْنُهُمْ فِي غِطْلَهِ عَن ذِكْرِي وَكُولُواْ لَا يَسْتَطِيمُونَ مَنْمًا ﴾ [الكهف:

⁽١) يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (٤/ ١٣٣).

⁽٢) الفائِدَةُ لابِنِ مُتَبِرَةً، تَقَلَها عنه ابنُ الجوزي في ((المقتبس)). يُنظر: ((ذيل طبقات الحنابلة)) لابن رجب (١٤٦/٢).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٥٤).





المَّانَّ، وهذه الاستِطاعةُ نَقْبُها إنَّما هو بحَسَبِ مَشْيَةِ اللهِ مِن مُعاقَبَة الإنسانِ على ذَنْ مِن مُعاقَبَة الإنسانِ على ذَنْ مِن نُنوبهِ، وقد دَلَّتْ آياتٌ كثيرةٌ أَنَّ اللهَ جلَّ وعلا يُسَبِّ للإنسانِ الضَّلالة بِسَبَبِ الطَّاعاتِ؛ فالعَبدُ الضَّلالة بِسَبَبِ الطَّاعاتِ؛ فالعَبدُ إذا الهَّدى بسَبَ الطَّاعاتِ؛ فالعَبدُ ضَلالاً فَوقَ ضَلالِه، وظَلامِه، وجاءه الطَّبعُ والخَتمُ على قَلْبِه، والغِشاوةُ على عَيد؛ بسَبِ كُفره ويَغْيه وتمَرُّهِه على الله، ومِن هنالك يُعلَمُ أَنَّ والفِشاوةُ على عَيد؛ بسَبِ كُفره ويَغْيه وتمَرُّهِه على الله، ومِن هنالك يُعلَمُ أَنَّ الله يَجعُلُ الحَسناتِ وطاعة الله سَبِبًا لهُدى عَبْدِه، كما أَنَّ السَّيَّاتِ والمُبادرة إلى ما لا يُرضِه تكونُ سَبِّبًا للرَّينِ على القُلوبِ والطَّيع عليها، كما قال تعالى: ﴿ يَلْ اللهِ مَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِل

قال ابنُ تبدينًة: (الاستطاعة نوعانَ: مُتقَدَّمةٌ صالِحة للصَّنَيْنِ، ومُقارِنةٌ لا تكونُ إلاّ مع الفيل؛ فيه الأولى: ﴿ وَيَهْ عَلَى اَتَابِى حَجُّ النَّبِسَ مَن اسْتَعَلَغُ إِلَيْنَ سَهِ المُدْحِجَةُ للبِعلِ المحتَّقَةُ له، قال الله تعالى في الأولى: ﴿ وَيَهْ عَلَى اَتَابِى حَجُّ النَّبِسَ مَن اسْتَعَلغُ إِلَيْنَ سَهِ لَهُ إِلَّهُ الله عمران (٢٧)، ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكونُ إلا مع الفعل لما وَجب الحَجُّ إلاَّ على من حَجَّ ولَمَا عَصى احَدٌ بَرَلِكِ المَحْمَّةُ ولا كان الحَجُّ واجِبًا على أحدِ قبلَ الاحرام به، بل قبلَ فراغه إوقال تعالى: ﴿ وَالْقَالَالَةُ الله عَلَيْنَ اللهُ عَلَى الله عَلمُ الله وَلَمْ اللهُ وَلَهُ وَاللَّمَةُ وَجُوبُه بالاستطاعة، ولو أراد الاستطاعة المُقارِنة لَمَا المُتعَلِقُ مَن الكتابِ والشُّتَةِ وَجُوبُه بالاستطاعة، وعَدَّهُ بعَدَيها لم يُرَوْ به مُتعَدِّدُةٌ فِلْ ذَلِنَ كُلُ أَمْرٍ عُلْنَ فِي الكتابِ والشُّتَةِ وَجُوبُه بالاستطاعة، وعَدَّهُ بعَدَيها لم يُرَوْ به المقارِنةُ اولاً لمَنا كان اللهُ قد أوجَبُ الواجِابِ إلاَّ على مَن فعَلَها، وقد أسقَطِها عَلَى لم يَعْمَلها، فلا يأثمُ أحدٌ بتَرُكُ الوالوبِ المذكور. وأمَّا الاستطاعةُ المُقارِنةُ المُوجِبُّة فِيثُلُ قُولِهِ تعالى: ﴿ وَالْ يَكْلُوا يَسْتَطِيمُونَ السَّعَامُ المُعَلِقَةُ عَلَيْهِ فَيْقُولُ وَاللَّهُ الْعَلَيْقُ المُورِيةُ وَالْمُؤَلِقَةً وَعَلَيْهُ عَلَى المَالِقَةُ فَيْ المُقارِنةُ المُوجِيةُ وَقَالَا عَلَى المَعْلَقِ عَلَى المُعَلِقِ عَلَى المَعْلِقَ المَّائِقُ المَّوْلِقَ المُعْلِقَةُ المُوجِيةُ وَالْمَعَلِيةُ المُورِيةُ المُعْلِقَةُ المُورِيةُ المُورِيةُ المُورِيةُ المُورِيةُ المُعْلِقَةُ المُوجِيةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُورِيةُ المُورِيقِيةُ المُعْلِقَةُ الْعُلْقِيقُولُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَالَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةً المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةً المُعْلِقَةً المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةُ المُعْلِقَةً ا

⁽١) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٢٢) و (٢/ ١٧٥).

⁽٢) يُنظر: ((العذب النمير)) للشنقيطي (٤/ ٣٨).





بلاغةُ الآيات:

١- قولُه تعالى: ﴿ وَقَالْوَالمَالِ هَنَا الرَّسُولِيَ أَكُلُ الطَّعَادُ وَيَسْفِى فِ الشُّوالِةُ لَوَلَا الْمَثَوَالَةُ لَا الْمَثَالَةُ وَلَا اللَّهِ اللَّهِ مَلَكُ مَنَّكُومُ مَنَا النَّمَالُ مِن حِكايةِ مَطاعنِهم في القُرآنِ، وبيانِ إليها المَّالِهُ والشَّميرُ وبيانِ إلى اللَّهِ والفَّميرُ والفَّميرُ في ﴿ وَقَالُوا ﴾ عاندٌ إلى الَّذين كَفَروا؛ فمدلولُ الصَّفةِ مُراعَى كما تقدَّم (١).

- قولُه: ﴿ كَالَ هَذَا الرَّسُولِ ... ﴾ (ما) استِفهاميَّة بمعنى إنكارِ الرُقوعِ ونفْيه، وهذا الاستِفهامُ استِفهامُ المَجَبِّيُّ مُستعمَلٌ في لازيه، وهو بُطلانُ كَونِه رَسولًا؟ وهذا الاستِفهامُ المَجْبِيِّ مُستعمَلٌ في لازيه، وهو بُطلانُ كَونِه رَسولًا؟ بِناءً على النَّ التَعْجُبُ مِن اللَّمُونِ عَلَيْ المَّنْ الْمِنْ الْبِلهِ له؛ فَمَثَلُ الاستِفهامِ في هذِه الآمواقِ للَّذِي يَنَّعي الرَّسالةَ عِن اللهِ. وفي قولِهم: (هذا) تَصغيرٌ لشأَيْه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وسَمَّعُهم له لمَّ عليه وسلَّم، وسَمَّعَ للهُ عليه وسلَّم، الهُ عليه وسلَّم، الو الجَرُوا عليه وسفَ الرَّسالةِ عُله وسلَّم، الو الجَرُوا عليه وسفَ الرَّسالةِ مُجاراةً منهم لقولِه، وهم لا يُوينون به اللهُ الواكنُّه، بنوا عليه؛ لِيتأتِّي لهم التَّعَجُّبُ، والمُرادُ منه الإحالةُ والإيطالُ ".

⁼ الأخرى لا بدّ منها في التّكليف؛ فالأُولى: هي الشّرعيُّه التي هي مُناطُّ الأمرِ والنّهي، والقُوابِ والبقابِ، وعليها يَحَكَّمُ الفُقَهَا، وهي الغاليّة في عُرفِ النَّاسِ، والنَّانِةُ: هي الكوتَّةُ التي هي مَناطُّ الفَضاءِ والفَّدَرِ، وها يَتَمَقَّقُ رُجِرُدُ الفِسلِ؛ فالأُولى للكَلِماتِ الأَمْرِيَّاتِ الشَّرعيَّاتِ، والثَّانِةُ للكَلِماتِ الخَلْقِيَّاتِ الكَرِيَّاتِ. ((مجموع الفتاري)) (٨/ ٢٧٣).

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٣، ٢٠٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٢٦).

⁽٢) والقاعِدةُ: أَنَّه قد يَرُدُ الخِطابُ بِالشَّيءِ في القُر آنِ على اعتِفادِ الشُخاطَبِ دُونَ ما في نَضْنِ الأمرِ، وهو يَقَعُ في القُرآنِ على أنواعِ مُتعَدَّدِةٍ؛ منها: نوعٌ يَخرُجُ على اعتقادِ الشُخاطَبِ سواةٌ وافَقَ الواقِمَ أم لا، إلَّا أَنَّ السَكَلَمُ لا يُعتَقِدُهُ . يُنظر: ((تواعد النفسير)) للسبت (١/ ٢٨٥، ٢٨٥).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٦٥)، ((تفسير البيضاوي)) (١١٨/٤)، ((تفسير أبي =







- قولُه: ﴿ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَشْفِى فِ الْآَنْوَقِ ﴾ كَنْوًا بأكْلِ الطَّعامِ والمشْيِ في الأسواقي عن مُماثَلَةِ أحوالِه لأحوالِ النَّاسِ؛ تَذَرُّعًا منهم إلى إبطالِ كَونِه رسولاً؛ لِزَعْيهم أنَّ الرَّسولَ عن الله تكونُ أحوالُه غيرَ مُمائِلةِ لأحوالِ النَّاسِ، وخَضُّوا أَكُلَ الطَّعامِ والمشْيَ في الأسواقِ؛ لأنَّهما مِن الأحوالِ المُشاهَدةِ المُتكرِّرةِ (١٠٠. وفي قوله: ﴿ وَقَالْوا مَالِ مَنْنَا الرَّسُولِ يَأْكُولُ الطَّسَامَ ﴾ كِنايةٌ عن الحدَب؛ لأنَّه مُلازِمُ أكلَ الطَّعامِ. وفي ﴿ وَيَشِيْ فِ الْآمُولِي المَّنْوَاقِ ﴾ كِنايةٌ عن طلَبِ المعاش (١٠).

- و(لولا) في قولِهم: ﴿ لَوْلَا أَنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكُ ﴾ حَرفُ تَحضيضٍ مُستعمَلٌ في التَعجُب ".

- وفي قولِهم: ﴿ فَيَكُونُكَ مَعَدُهُ نَـــفِيرًا ﴾ خصُّوا مِن أحوالِ الرَّسولِ حالَ النَّذارةِ؛ لأنَّها هي الَّتِي أنبَتَتْ حِقْلَهُ هم عليه (٤).

٢ - قَولُهُ تعالى: ﴿ أَوْ يُلْقَنَ إِلَيْهِ كَنَا أَوْ تَكُونُ أَلَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَكَالَ
 الظَّلِيمُوت إِن نَشِّعُوت إِلَّا رَجُلا مَنْحُولًا ﴾

- عبَّر بالإلقاءِ -وهو الرميُ- عن الإعطاءِ مِن عندِ اللهِ(··).

- فَولُه: ﴿ وَقَسَالَ الطَّلِيلُونَ إِن تَتَّيِعُونِ } إِلَّارِجُلَا سَمُولًا ﴾ فِيه وَضْعُ الظَّاهِرِ ﴿ الطَّلِيلُونَ ﴾ مَوضِعَ المُضْعَرِ؛ لِيسجَّلَ عليهم بالظَّلْم، وتجاوُرِ الحدَّفِيما

⁼ حیان)) (۸/ ۸۶)، ((تفسیر أبي السعود)) (٦/ ۲۰۶)، ((تفسیر ابن عاشور)) (۲۲۷ /۱۸). (۱) يُنظر: ((تفسیر ابن عاشور)) (۱۸/ ۳۲۷).

 ⁽۲) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۳/ ۲۱۵)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٦/ ۲۷۲).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٢٧).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٨/ ٣٢٨).





قالوهُ؛ لكونِه إضلالًا خارجًا عن حدَّ الضَّلالِ، مع ما فيه مِن نِسبَيَه صَلَّى اللهُ اللهُ وسلَّم إلى المَسْحُوريَّة (''؛ ف ﴿ الطَّلالِهُ وَ نَه هذا القولِ اعتداءً على الأوَّل إلى عنوانِ الظَّلمِ وهمْ همْ؛ تَنبيهًا على أنَّ في هذا القولِ اعتداءً على الرَّسولِ، بنَنزِه بما هو بريءٌ منه، وهم يَعلمون أنَّه ليس كذلك؛ فظُلْمُهم له الرَّسُولِ، بنَنزِه بما هو بريءٌ منه، وهم يَعلمون أنَّه ليس كذلك؛ فظُلْمُهم له أشدُ طُلْم صَلَّم "لَ وأفاد الإظهارُ في مقامِ الإضمارِ هنا أيضًا: أنَّه هذا القولُ يعتبَرُ مِن الظلْم؛ فيكونُ الأمرُ شامِلًا، يعني: أنَّ كلَّ مَن قال فهو ظالِمٌ، وأفاد أيضًا تنبيهَ المخاطَبِ؛ لأنَّ اختلافَ الكَلمِ إله اختلافَ النَّسَقِ في الكلامِ يوجِبُ الانتباة (")

- وأسنَد القَولَ إلى جميع الظَّالِمين؛ لأنَّهم تلقَّفوه ولَهِجوا به (٤).

- وذكَرَ ﴿ رَجُلًا ﴾ في قولِهم: ﴿ رَجُلًا مَسْحُولًا ﴾ لتَمهيدِ استِحالةِ كونِه رسولًا؛ لأنّه رجُلٌ مِن النّاس(٥٠).

٣- قَولُه تعالى: ﴿ اَنْفُرْ كَيْفَ ضَرَوُا أَلَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَظِيمُونَ
 سَيبلاً ﴾

- قَولُهُ: ﴿ اَنْظُرْ كَيْمَ صَرَاقُوا لَلَكَ الْأَشْنَلَ... ﴾ إلى قولِه: ﴿ وَيَجْمَلُ لَكَ تَشُولًا ﴾ يجوزُ أنْ يكونَ اعتراضًا بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه؛ مُؤكّدًا لمعنى مَضمونِ الكلام، ومَسْلاةً لقلْبِه صلواتُ اللهِ عليه. ويجوزُ أنْ يكونَ

⁽١) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۳/ ۲۰۵)، ((نفسير البيضاوي)) (۱۸/ ۱)، ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ٨٤)، ((نفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٤)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٦/ ٧٧٢).

 ⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/ ۳۲۹).
 (۳) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ۵۰)

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٢٩).

⁽٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).





كالجوابِ عن قولِهم: ﴿ نَالَ مَذَا الرَّسُولِ ﴾ إلى آخِرِه، على سبيلِ التَّمويضِ التَّوبيخيَّ، ويكونَ قولُه: ﴿ يَلَ كَلَبُوا ﴾ إضْرابًا عن قولِه: ﴿ جَنَّنَتِ تَجْرِى مِن تَحْتَهَا الْأَنْهَلُرُ ﴾ (١٠.

- قَولُهُ: ﴿ مَصَّلُوا صَلَا يَسْتَطِيمُونَ سَبِيكَ ﴾ فُرَّعَ على هذا التَّعجُّبِ ﴿ كَيْفَ ضَرَوْاً ﴾ إخبارٌ عنهم بأنَّهم ضَلُّوا في تُلْفِقِ المطاعِنِ في رِسالةِ الرَّسولِ، فسَلَكُوا طَرائقَ لا تصِلُ بهم إلى دَليلِ مُفنِعِ على مُرادِهم، وهو هنا تعجُّبٌ مِن خطَلِهم، وإعراضٌ عن مُجاوِيَتِهم (").

٤ - قولُه تعالى: ﴿ يَسْارَكُ اللَّهِ عَهِمْ اللَّهِ عَمْلَ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ عَمَّلَهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال



 ⁽۱) يُنظر: ((حاشية الطبيع على الكشاف)) (۱۱/ ۱۸٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣٠).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)). (٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٥).

الجزء ١٨ الحزب٣٦





الآيات (١١-١١)

﴿ مَلَ كَذَيْواْ بِالسَّاعَةِ وَاَعَتَدَا لِين كَذَبُ وَاسْتَاهِ مَعِيرًا ﴿ اللَّهُمْ مِن تَكَانِ بَعِيدِ سَمُواْ لَمَا تَشَيُّطُا وَوَفِيرًا ﴿ وَإِنَّا الْقُواْمِنَهَا مَكَانَا مَنْ مِثَا أَمْثَوَا مُمَّذَا إِنَّ مَثَ لَا يَدْمُواْ الْمَوْمَ فَجُورًا وَحِمَّا وَادْعُواْ فَهُمُولًا كَيْنِيرًا ﴿ ۞ فَى الْوَلِيكَ خَبَرًا أَنْ جَنَّ أَمُنَا الْحَالِمِينَا الَّنِي وُعِدَ الْمُنْفُونُ كَانَتْ فَمُنْ جَزَاتُهُ وَمُعِيدًا ۞ فَمُنْ فِيهِا مَا يَشَكَاهُونَ خَلِيمِنْكَاك عَلْ رَبِكَ وَعِنَا مَسْتُولًا ۞ ﴾.

غُريبُ الكُلمات:

﴿ سَعِيدً ﴾: أي: نارًا مُتَّقِدةً، وأصلُ (سعر): يُدُلُّ على اشتِعالِ الشَّيءِ واتَّقادِه". ﴿ تَنْبُطُا ﴾: أي: غَضَاً شَديدًا، والغَيظُ: أشدُّ الغَضَبِ، وهو الحرارةُ التي يجِدُها الإنسانُ مِن فورانِ دَم قَلِيه".

﴿ وَزَفِيلَ ﴾: الزَّفِيرُ: إخراجُ النَّفَي بِقُوَّةٍ وشِدَّةٍ مِن الهَمَّ والكَربِ، وهو بمَنزلةِ ابتداء صَوتِ الحِمار بالنَّهِين، وأصلُ (زفر): يدُلُّ على صَوتٍ ("".

﴿ مُّقَرَّوْنَ ﴾: أي: مُونَقينَ في السَّلاسِلِ والأغلالِ، قد قُرِنَ بعضُهم إلى بعضٍ، أو قُرِنَت أيديهم وأرجلُهم إلى رِقابهم، يقالُ: قَرَنتُ الشَّيءَ بالشَّيءَ ! إذا شَدَدُته به

- (۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٠٩)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٥٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤١١)، ((التيبان)) لابن الهاتم (ص: ١٣٦)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥٢١).
- (۲) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ۱۵۱)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٤٠٠٤)، ((المغردات)) للراغب (ص: ٦١٩).
- (٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٥١)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٤٤)، ((الكليات)) ((التقسير البسيط)) للواحدي (١١/ ٥٥٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٨٠، ((الكليات)) للكفوى (صر: ٤٩٠).





ووصَلْتُه، وأصلُ (قرن): يدُلُّ على جمعِ شَيءِ إلى شَيءٍ '' ﴿ ثُبُولًا ﴾: أي: هَلاكًا، وأصلُ (ثبر) هنا: الهلاكُ''.

المعنى الإجماليُّ:

يُبيِّنُ الله تعالى موقفَ المشركينَ مِن البعثِ، وما أعدَّه لهم مِن جزاء، فيقولُ: قد كذَّب هؤلاء المُشرِكون بالبَعثِ يومَ القيامةِ، وقد هيَّنَا لهم نارًا شديدًا حُرُها، إذا راتُهم مِن مكانِ بعيدِ سَمِعوا صوتَ لهبيها وصوتَ زَفيرِها؛ مِن شِلَةٍ غَيظها منهم، وإذا طُرِحوا في مكانٍ ضَيِّقٍ مِن النَّارِ وقد قُرِنوا في الأغلالِ والسَّلاسِلِ، دَعَوا على أنْفُسِهم بالهلالِ لِيستريحوا من العَذابِ. فيقولُ حَزَنهُ النَّارِ لهم: لا تَطلُبوا هلاكًا واحِدًا، بل اطلُبوا هلاكًا كثيرًا؛ فلن ينفَعَكم الدُّعالُ أبدًا.

ثمَّ يِأْمُو الله تعالى نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ يُبِيَّنَ لهم ما أعدَّ الله سبحانه للمتَّقينَ، فبقولُ: قُلْ إا مُحمَّدُ لهؤلاء الكُفَّارِ: أذلك العذابُ خَيرٌ أم جَنَّةُ الخُلدِ التي وَعَد اللهُ بها المتَّقينَ، قد كانت ثوابًا لهم، ومَصيرًا يَصيرونَ إليها يومَ القيامةِ؟! ولهؤلاء المتَّقين ما يشاؤونَ في الجنَّةِ، لابثينَ فيها أبدًا، وكان هذا الوَعدُ وَعدًا واجِبًا.

تَغسيرُ الآياتِ:

﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِالسَّاعَةِ ۗ وَأَعَنَّدُنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿ ١ ﴾

⁽۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ٣٣٤)، ((نفسير ابن جرير)) (١٣٠ / ٧٤٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/٦٧)، ((السيط)) للواحدي (٥١٨ /١٥) و (٥١٨ /٢٥).

⁽۲) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قبية (ص: ۳۱۰)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ۷۱۱)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (۱/ ٤٠٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ۱۷۱)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ۲۰)، ((الكلبات)) للكفوى (صر: ۳۳۰)،





مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كانت تلك الأقوالُ التي قالوها معلومةَ الفسادِ؛ أخبَرَ تعالى أنَّها لم تصدُّرُ منهم لطَّلَبِ الحقَّ، ولا لاتِّباعِ البُّرِهانِ، وإنَّما صَدَرتُ منهم تَعَتَّنا وظُلمًا وتَكذبيًا بالحقِّ، فقالوا ما بقُلوبهم مِن ذلك؛ ولهذا قال''؛

﴿ مَلْ كُذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ﴾

أي: لا تظُنَّ أَنَهم كلَّبوا بما جثتَ به مِن الحَقِّ -يا محمَّدُ- لأَنَهم يعتَقِدونَ فيك كَذِبًا وافتراءُ للقُرآنِ، أو نُقصانًا؛ لأكلِك الطَّعامُ ومَشيِكَ في الأسواقِ، وإنَّما سبّبُ كُفرِهم وتكذيبِهم واقتراحِهم ما اقترَحوه هو عَدَمُ إيمانِهم بالبّعثِ يومَ القباهة'').

﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلتَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾

أي: وهيَّأَنَا وأرصَدُنالِمن أنكَرَ البَعثَ يومَ القيامةِ مِن هؤلاء المُشرِكين وغَيرِهم نارًا مُوقَدَةً شَديدةَ الحرارةِ، نعَذَّبُهم فيها في الآخرةِ").

كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنَتَّعُوكَ إِنْ نَادٍ جَهَنَّمَ دَعًا * هَٰدِهِ ٱلنَّالُّ ٱلَٰتِي كُشُمُ يِهَا ثُكَذِّبُونَ * أَشِيخُرُ هَٰذَآ أَمَّ أَشَرُ لَا بُشِيرُوكَ * آصَلُوهَا فَاصْبِرُواً أَوْ لاَ ضَيْرُوا سَوّاءً غَلِيَكُمْ إِنَّنَا جُنْرُونَ مَا كُشُنُهُ تَصْمُلُونَ ﴾ [الطور: ١٦، ١٦].

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانِ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَمَّا تَعَيُّظُا وَزَفِيرًا ١٠٠٠ ﴾

⁽١) يُنظر: ((تفسير السعدى)) (ص: ٥٧٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٠/ ٨٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢٦ / ٩٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢/ ٣٦/ ٢٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٩٥٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٢/ ٢٦).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٨٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٩٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣/ ٣٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٩٧٩)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (٢/ ٢٢).





أي: إذا رأتْ تلك النَّارُ أهلَها الكُفَّارَ يومَ القيامةِ مِن مكانٍ بَعيدٍ، سَمِعوا صَوتَ غَلَيانِها وتلهُّبِها؛ مِن شِلَّةٍ غَيظِها منهم، وسَمِعوا لها صوتَ زَفيرٍ؛ مِن غَضَبِها وحَقَها عليهم".

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا ٱلْقُواْفِيَا سَمِعُواْ لَمَا شَهِيقًا رَهِى تَقُورُ * تُكَادُ ثَمَيْرُ مِنَ ٱلْفَيْطِ ﴾ [الملك: ٧ ، ٨].

﴿ وَإِذَآ ٱلْقُواْمِنُهَا مَكَانَا صَيِقًا مُّفَرَّئِينَ دَعَواْ هُمَالِكَ ثُبُورًا ﴿ ﴿ ﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا وَصَفَ سُبحانَه مُلاقاتَها لهم؛ وَصَفَ إلقاءَهم فيها، فقال تعالى(٢):

﴿ وَإِنَّا ٱلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا صَيِّفًا ثُقَرَّةِنَ دَعَوًّا هُنَالِكَ ثُبُورًا ١٠٠٠

أي: وإذا طُرِح الكُفَّارُ في مكانٍ ضَيِّق في النَّارِ، وقد قُرِنوا في الأغلالِ والسَّلامِلِ" - رفعوا أصواتهم بطَلبِ الهلاكِ؛ ندَمًا على تَركِهم الإيمانَ، وانصرافِهم

(۱)يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲۷،٤٠٩،۲۷)، ((تفسير ابن كثير)) (۹۲،۲۹)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۷۷۹)، ((أضواء اليان)) للشنقيطي (۲/ ۲۶).

قال ابنُ جرير: (فإن قال قابلٌ: وكيف قبل: ﴿ يَمِينُواْ لِمَا تَشَهُلُا ﴾ [الفرقان: ١٣]، والتنظُّطُ لا يُستمُعُ؟ قبل: معنى ذلك: ستمبوا لها صوتَ التَشَيِّطُ؛ مِن النَّلُهُبِ والتَرَقُّفِ.). ((تفسير ابن جرير)/ ١٧/ ١/ ١٩/٤٠).

وقال الشنقيطيُّ: (وللمُلماء أقوالُ في معنى الزَّفيرِ والشَّهيِّقِ، وأقربُها: أَنْهما يمثَّلُهما ممَّا صوتُ الجمارِ في نهيقِه؛ فأوَّلُهُ زَفيرٌ، وآغِرُه الذي يرَدُّدُه في صَدرِه شَهينٌّ. والأظهُرُ أنَّ معنى قولِه تعالى: ﴿ يَمُولُمُ لَمَّاتَشُكُما ﴾ أي: سَمِعوا عَلَياتُها بن شِنَّةٍ غَيظِها، ولَمَّا كان سَبُّ الغَلَيانِ التنظُّفُ أَطلَقَه عليه، وذلك أسلوبٌ عربيٌّ معروفٌ). ((أضواه البيان)) (٢٤/١).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٥٤).

(٣) قبل: الموادُ قُرِنَت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلالِ. ومِمَّن قال ذلك: ابنُ جرير، والبغوي،
 والزمخشري، والبيضاوي، والشوكاني، والقاسمي، وابنُ عثيمين. يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) =





عن طاعةِ الرَّحمن، وتمنَّيا للمَوتِ لِيَستريحوا مِن العذابِ(١).

قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱللَّهُ مِينَ يَوْمِينَ قَوْمَينَ فَيُوَيِّينَ فِي ٱلْأَضْفَادِ ﴾ [إبراهيم: ٤٩]. ﴿ لَا نَدَعُوا ٱللِّينَ مُنْهُولَ وَجِنَا وَأَعُوا ثُنُونَ كَيْرِكُ ۞ ﴾

أي: يقولُ خَزَنةُ النَّارِ للكُفَّارِ: لا تَطلُبُوا هلاكًا واحِدًا في النَّارِ، بل اطلُبوا كثيرًا مِن ذلك، فعَذابُكم مستَمِّ ومتجَدِّه، ولن ينفَعكم الدُّعاءُ ابدًا".

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَرْنَةِ جَهَنَّهُ ادْعُواْ رَبَّكُمُ يُحْفَقْ عَنَا يَوْمًا مِنَ الْعَدَابِ * قَالُواْ أَوْلَمَ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ مِ الْبَيِّنَتِ قَالُواْ بَيْنَ قَالُوا فَكَذَعُواْ وَمَا دُعَتُواْ الْكَسَامِينَ إِلَّا فِي صَلَالِهِ ﴿ [غافر: 89، 80].

^{= (}۱۰/ ۱۵). ((تفسير البغوي)) (۱۳/ ۳۵۵). ((تفسير الزمخشري)) (۲۷۷). ((تفسير البيضاوي)) (۱۱۹/٤). ((تفسير الشوكاني)) (۱/ ۷۵). ((تفسير القاسمي)) (۱/ ٤٢١). ((تفسير امز عليميز- سورة الفرقان)) (ص: ۲۱).

وقيل: مُقَرَّنًا بعضُهم إلى يَعضِ في الأصفاو والسلاملي، كحال الأسرى والمساجين: أن يُقرَنَ عدد منهم في وثاقي واحد، أو يُقرنوا مع الشياطين. ومثن قال بذلك في الجملة: مقاتلً بن سليمان، والسمرقندي، وابن أيي زمنين، وابن عطية، وابن عاشور، والشنقيطي. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ١٣٥)، ((تفسير ابن أيي زمنين)) (٣/ (٣٥)، ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٣٠٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٨/ ٢٣٤)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٨/ ٣٢).

ومِمَّن جمَع بين المعنيَينِ السابقَينِ: مكِّنِّ، والسمعاني. يُنظر: ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ١٥٨٥)، ((تفسير السمعاني)) (١٠/٤).

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ۱۰) ۱۱)، ((تفسير ابن كثير)) (۹۷/۲۸، ۹۹)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (۱۲/ ۲۰۵۶)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۷۹۹)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱۸/ ۳۳۶)، ((أضواء البيان)) للشتقيطي (۲٫۲۲/۲۷).

 ⁽۲) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (۳۲۸/۳)، ((تفسير ابن جرير)) (۱۲/ ٤١٢)، ((تفسير السموي)) (ط. ٤١٢)، ((تفسير السموقندي)) (ط. ٤٧٥).





﴿ فَالْقَالِكَ خَيْرًا أَمْ جَنَّـَةُ ٱلْخُلِدِ الَّتِي وُعِدَ ٱلْمُنْقُونَ كَانَتَمَلَّمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿ ﴾. مُعاسَبُهُ الدِّيْةِ لِما قَبِلَها:

لَمَّا وصَفَ الله تعالى حالَ العِقابِ المعَدِّ للمُكَذِّبين بالسَّاعةِ؛ أتبَعَه بما يؤكِّدُ الحَسرةَ والنَّدامةَ ''.

وأيضًا لَمَّا بَيَّنَ سُبحانَه جزاءَ الظَّالمين؛ ناسَبَ أن يَذكرَ جزاءَ المتَّقين، فقال الى(٢٠:

﴿ قُلْ أَذَالِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُنَّقُونَ ﴾.

أي: قُلْ -يا مُحمَّدُ- للكُفَّارِ: أذلك العذابُ المستَمِرُّ في النَّارِ خَيرٌ، أم جَنَّهُ الخُللِ الدَّائمُ نعيمُها، التي وعَد اللهُ بها الذين يتَّقونَ سَخَطَه وعذابَه؛ باميِّنالِ ما يأمُرُهم، واجتِناب ما يَنهاهم ؟؟؟!

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَالْبَقَّ أَلْلَا تَعْقِلُونَ * أَفَمَن وَعَدْتُهُ وَعَدًا حَسَنَا فَهُو لَقِيدِكُن مَّنَعَنهُ مَنَعَ الْحَيْوةِ الدُّنِيَا ثُمَّ هُو يَوْمَ الْقِينَمَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ ﴾ [القصص: 3.7.

﴿ كَانَتْ لَمُتُمْ جَنَآةً وَمَصِيرًا ﴾.

أي: كانت الجنَّةُ ثَوابًا للمتَّقينَ على تَقواهم وأعمالِهم الصَّالحةِ، ومَرجِعًا يَصيرون إليها في الآخرةِ⁽¹⁾.

ينظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٣٩).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۷۹).

 ⁽٣) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) ((۱۳/۱۷))، ((نفسير ابن کثير)) ((۹۸/۱)، ((نفسير السعدي))
 (ص: ۹۷۹)، ((نفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ۹۷۲).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤١٣)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٣٦)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٧٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٧٩).





﴿ لَمُّمْ فِيهَا مَا يَشَأَةُ وَنَ خَلِيقِ أَكَاتَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًا مَسْتُولًا (١) .

﴿ لَمُّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآاً وُونَ خَلِدِينَ ﴾.

أي: للمتَّقينَ في الجَنَّةِ ما يَشاؤون ممَّا تَشتهيه أنفُسُهم، لابثينَ فيها أبدًا بلا زَوالِ عنها، ولا انقِطاع لنَعييها"⁽⁾.

﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْتُولًا ﴾.

أي: كان دُخولُ المتَّقينَ الجنَّةَ وَعدًا واجِبًا لا بدَّ أن يقَعَ في الآخرةِ؛ جزاءً لهم على طاعتِهم ربَّهم، وسؤالِهم ذلك في الدُّنيا^س.

كما قال تعالى حاكبًا عنهم قَولَهم: ﴿ رَبُّنَا وَمَالِينَا مَا وَعَدَثْنَا عَلَى رَسُولِكَ وَلا غَيْزِنَا يَوْمَ الْفِينَدَةُ وَلَكَ لا تَخْلِفُ الْبِيمَادَ * فَاسْتَكَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِي لَا أَضِيعُ حَمَلَ عَسِلِ يَسْكُمْ مِن ذَكْمٍ أَوْ أَنْنَى مُعَشَّكُمْ مِنْ بَعَضِ ۚ فَالَذِينَ هَاجُرُوا وَأَخْرِجُوا مِن دِينرِهِمْ وَأُودُوا في سيبلي وَتَنتَلُوا وَتُتِلُوا لاَ كُوْرَنَ عَنْهُمْ سَيَعَاتِهِمْ وَلاَدْ عِلْنَهُمْ جَنَّدَتٍ بَشَرِي مِن تَحْيَمُ الأَنْهَدُرُ فَوَابُونَ عِنْدِاللَّهُ وَلَقْدُ عَنْهُمُ مَسْرُعَاتِهِمْ وَلاَدْ عِلْنَهُمْ جَنَّدتٍ بَشَرِي مِن تَحْيَمُ الأَنْهَدُرُ فَوَابُونَ عِنْدِاللَّهُ وَاللَّهُ عَنْهُمُ مَنْهَ مُشْدُلُ النَّوْلِ ﴾ [آل عمران: 198، 199].

الغُوائدُ العلميَّةُ واللَّطائفُ:

١ - احتُجَّ بقولِه تعالى: ﴿ وَأَعْتَدُنَا لِمَن كَنَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ على أنَّ النارَ
 - التي هي دارُ العِقابِ- مَخلوقةٌ؛ لأنَّ ﴿ وَأَعْتَدَا ﴾ إخبارٌ عن فعل وقعَ في الماضي؛

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣/١٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٩٨/١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٧٩).

 ⁽٢) أيطر: ((تفسير ابن جرير)) (١٣/١٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٩٨/١)، ((تفسير السعدي))
 (ص: ٢٧٩)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (٢/ ٣٣).

قال ابنُ القيم: (هِ كَانِتَ عَقَ رَبِكَ وَعَدًا تَشَكُوكَ هِي يَسالُه إِيَّاء صادُه المومنون، ويَسالُه إيَّاء ملائكتُه لهم؛ فالجثَّة تَسالُ رَبُّها أهلَها، وأهلُها يسالُونَه أيَّاها، والملائكةُ تسالُها لهم، والرسُّلُ يسالُونَه إيَّاها لهم ولاثَيَّاعِهم). ((حادي الأرواح)) (ص: ٩٠).





فدلَّتِ الآيةُ على أنَّ دارَ العِقابِ مَخلوقةٌ (١).

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَأَعَتَدُنَا لِينَ صَدَّتَ بِالتَاعَةِ سَمِيرًا * إِذَا رَأَتُهُم مِن ثَكَايَنِ بَعِيدِ بَعِمُواْ لَمَا تَتَنَظّنا وَرَفِيرًا ﴾ التّحقيقُ أنَّ النَّارَ تُبصِرُ الكُفّارَ يَومَ القيامة، كما صرّح الله بد في الله بد الله بد في عرف هذا : ﴿ وَإِنَّ مَعْوَلَ مَعْتَ عَلَى النَّارَ تَبصُرُ الكُفّارَ يَومَ القيامة، كما صرّح الله بد في قوله تعالى: ﴿ وَهَمْ تَقُولُ لِجَمْتَمَ هَا الله بد في قوله تعالى: ﴿ وَهَمْ تَقُولُ لِجَمْتَمَ هَا الله بَعْ في النَّارَ تتكلّم، كما صرّح الله بد في قوله تعالى: ﴿ وَهَمْ تَقُولُ لِجَمْتَمَ هَا إِنَّا الله بَعْ في النَّالَة على ذلك كثيرة ؛ كحديثٍ مُحاجَّةِ النَّارِ مع الجنَّةِ (")، وكحديثِ اشتكائها الدَّالَة على الجنَّة (")، وكحديثِ اشتكائها مَصرّح في هذه الآية النَّها تولُّ، وإنَّ لها تغيَظًا على الكُفَّارِ، وأنَّها تقولُ، ﴿ وَمَلَ مِن مَيْلٍ المجالِم مِن أَنَّ النَّارَ لا تُبصِرُ ولا تتكلَّمُ ولا تعتاظُ، وأنَّ ذلك كُلَّه مِن قبيلِ المجالِي أو لا مُعَوَّلَ عليه؛ لمخالفتِه نُصوصَ أو أنَّ الذي يفكُلُ ذلك خَرَنُهَا: كُلُه باطِلٌ، ولا مُعَوَّلَ عليه؛ لمخالفتِه نُصوصَ الوّحي السَّحيحة بلا مُستَنِد، والحَقُ هو ما ذكَرَنا (").

٣- قُولُ الله تعالى: ﴿إِنَا رَأَتُهُم مِن تَكَانِ بَعِيدِ سِمِعُواْ لَمَا تَشَيُّعاً وَيَفِيرُا ﴾ جُعِلَ إِزجاؤُهم إلى النَّارِ مِن مكانٍ بعيدِ زِيادةً في التَّكاية بهم؛ لأنَّ بُعدَ المكانِ يَقتضي زِيادةً المَسْقَةِ إلى النَّارِ مِن المكانِ يَقتضي طُولَ الرَّعبِ ممَّا سِعِعا (٥٠).

٤ - قال تعالى: ﴿ مَكَانًا ضَيِّقًا ﴾، وكذلك في (الأنعام) في قولِه تعالى: ﴿ يَجْمَلُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٣٧).

⁽٢) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٣) أخرجه البخاري (٥٣٧)، ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٤) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٢٥).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣٣).





صَدَرَهُ صَنَيِقًا حَرَيَهُا ﴾ [الأنعام: 170]، وقال في (هود) ﴿وَصَآإِنَّ بِهِ. صَدُرُكَ ﴾ [هود: 17]، فما وجهُ التعبير في سورة (هود) بقوله: (ضائق) على وزنِ (فاعلٍ،) وفي (الفرقان) و(الأنعام) بقوله: ﴿صَنَيْقًا ﴾ على وزنِ (فَيْمِل)، مع أنَّه في المواضعِ الثلائةِ هو الوصفُ مِن ضاق يَضينُ، فهو ضبَّقٌ؟

والجوابُ عن هذا: أنّ قولَه تعالى في سورة (هود): ﴿ فَلَمَلْكَ عَارِكُ بَعْضَ مَا لَهُ لِحِدَّ لِهُ فِيشُ الصدر، بُوكَ إِلَيْكَ وَتَنَاقَى اللهِ مَدْرُكَ ﴾ [هود: ١٦] أُريدُ به أنّه يحدثُ له ضِيقُ الصدر، ويتجدَّدُ له بسببِ عنادِهم وتعتهم في قولهم: ﴿ لَوْلَا أَنْزِلُ عَلَيْهِ كَنَّرُ أَوْ جَمَاءً مَمَهُ مَلُكُ ﴾ [هود: ١٢]، ولمَّا كان كذلك، قيل فيه: (ضائق) بصيغة اسم الفاعل؛ لأنّه تُصِد بها الحدوثُ والنجدُّدُ. أمَّا قولُه: ﴿ شَيَهًا ﴾ في (الفرقان) و(الأنعام) فلمُ يُردُ به حدوثٌ؛ ولذلك بقي على أصلِه، فقد تقرَّر في فنَّ الصرفِ أنَّ جميمَ أوزانِ الصفة المشبَّهة باسم الفاعلِ إنْ قُصِد بها الحدوثُ والتجدُّدُ جاءت على وزنِ (فاعل) مطلقًا، وإن لم يُعْصَدُ به الحدوثُ والتجدُّدُ بقي على أصلِه (().

٥- في قولِه تعالى: ﴿ حَنَّهُ ٱلخُلْهِ اللَّهِي وُعِدَ ٱلشَّقُوتُ كَانَتْ هُمُّمَ جَزَلَهُ وَمَصِيلًا ﴾
 سؤالٌ؛ وهو أنَّ الجنةَ ستصيرُ للمتقين جزاءً ومصيرًا؛ لكنها بغدُ ما صارتُ كذلك، فلم قال تعالى: ﴿ كَانَتْ ﴾؟!

أجيبَ مِن أُوجُهِ:

الأول: أنّها أحيانًا تذلَّ على مجرَّدِ الحدثِ، لا على الزمنِ؛ لأنَّ الفعلَ كما هو معروفٌ يدُلُّ على زمنٍ ومعنَّى، فـ (كان) دائمًا تأتي للدَّلالةِ على مجرَّدِ المعنى فقط، يعني التي وُعِد المتقون وهي لهم جزاهٌ ومصيرٌ".

⁽١) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٢٨).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٧٣).





الثاني: أنَّ ما وعدَه اللهُ تعالى فهو في تحقُّقِه كالواقع، كأنَّه قد كان.

الثالثُ: أنَّه كان مكتوبًا في اللوحِ المحفوظِ قبَلَ أنْ يَخْلُقَهم اللهُ تعالى بأزمنةٍ متطاولةٍ أنَّ الجنةَ جزاؤُهم ومصيرُهم (١٠.

٦- قال تعالى: ﴿ أَمْمْ فِيهَا مَانِشَاتُهُوك ﴾ هذه الآيةُ الكريمةُ تَدُلُّ على أنَّ أهلَ الجنةِ بِجِدونَ كلَّ ما يُشاؤُونه مِن أنواع النعيم ("، وهي كالتَّبيهِ على أنَّ حصولَ المراداتِ بأشرِها لا يكونُ إلَّا في الجنَّةِ، قامًّا في غَيرِها فلا يحصُلُ ذلك، بل لا بَثَّة في الدُّنيا مِن أن تكونَ راحاتُها مَشوبةً بالجِراحاتِ").

٧ - قَولُهُ تعالى: ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَقَدًا ﴾ يدُلُّ على أنَّ الجنة جُعِلَتْ لهم بحُكمِ
 الوَعدِ والنَفَضُّل، لا بحُكم الاستِحقاق⁽¹⁾.

بلاغةُ الآيات:

١ - قَولُه تعالى: ﴿ بَلْ كَنَّبُواْ بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾

- قَولُهُ: ﴿ يَلْكُذَبُوْ إِلَا لَمُاعَةِ ﴾ إضرابٌ عن تَوبيخهم بحِكاية جِناياتِهم السَّابقةِ، وانتِقالٌ منه إلى تَوبيخهم بحِكاية جِناياتِهم الأُخرى؛ للتَّخلُّصِ إلى بَيانِ ما لهم في الآخرةِ بسَبِها مِن فُنونِ العذابِ (َ . وقيل: يَجوزُ أَنْ يكونُ إضرابَ انتقالِ مِن ذِكْرِ ضَلالِهم في صِفَةِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى ذِكْرِ ضَلالِهم في إنكارِ البَعثِ، على تأويلِ أَنَّ قولَه: ﴿ إِن صَلَّمَ لَلهُ عَلَيْهُ وَسَلَّمَ إِلَى خَرُرٍ

⁽۱) يُنظر: (نفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۷/ (نفسير البيضاوي)) (۱۹/۶)، (نفع الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٤)، (نفسير أبي السعود)) (۲/ ۲۰۷)، (نفسير الشربيني)) (۲/ ۲۰۲).

 ⁽۲) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٣١).
 (٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٨٨).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٢/ ٦٥٢).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨٧ /٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٥).





دَالِكَ ﴾ [الفرقان: ١٠] بمعنى: أنّه لم يَشأُه ولو شاءَه لَفعلَه. ويجوزُ أنْ يكونَ إِسْرابَ إيطالٍ لِمَا تَضمَّتُه قولُه: ﴿ إِن شَكَةَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِن دَالِكَ ﴾، على تأويلِ أنّه وغدٌ بإيتائِه ذلك في الآخرة (١٠).

- قَولُهُ: ﴿ يَرْكَذَّبُواْ بِالسَّاعَةِ ﴾ فيه قَصْرُ تَكنيبِهم على السَّاعةِ؛ لأنَّهم كذَّبوا بالبعثِ، فَهُم بما وراءَهُ أخرى تَكنيبًا (١٠).

- وجُملةُ: ﴿ وَأَعَنَدُنَا لِمَن كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ مُعترِضةٌ بالوَعيدِ لهم، وهو -لعُمومِه- يَشْمَلُ المُشرِكين المُتحدَّثَ عنهم؛ فهو تذييلٌ. ومِن غرَضِه مُقابَلةُ ما أعدَّ اللهُ للمُؤمِنينَ في العاقبةِ بما أعدَّهُ للمُشرِكين ".

- قُولُهُ: ﴿ وَأَعْتَدَا لَهِ مَنْ اللّهِ اللّهِ الْقَلْمَ اللّهِ وَضُعُ (الشّاعة) مَوضِعَ ضَميرِها حيثُ لم يقُلْ: (لِمَن كذَّبِهم بها)؛ للمُبالَغةِ في الشّشنيح (1). وهذا الاعتدادُ وإن كان ليس بسبّ تكفيهم بها خاصَّة، بل يُشارِكُه في السبيَّةِ له ارتكابُهم الأباطيلَ في أمرِ التَّوحيدِ وأمرِ النَّبُوّة؛ إلَّا أنَّه لَمَّا كانت السَّاعةُ نَفسُها هي العِلَّة القريبةَ لدخولِهم السعير؛ أشيرَ بما ذُكِرَ إلى سببيَّةِ التَّكذيبِ بها لدُخولِها، لعرب يتعرَّضُ للإشارة إلى سبيَّة شيء آخَرَ، وقبل: إنَّ مَن كذَّب بالساعةِ صاد كالاسم لأولئك المشرِكين، والمكذّبين برَسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم، والمكذّبين بالسَّاعةِ، أي: الجامعين للأوصافِ الثلاثةِ؛ لأنَّ التكذيبَ بها أخصُّ صِفاتِهم القبيحةِ، وأكثرُ دَورانًا على الستِهم (1).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣١، ٣٣٢).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٨/ ٣٣٢).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٥). (٥) يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (٩/ ٤٣٠).

بر و پ





٢- قَولُه تعالى: ﴿ إِذَا زَأَتُهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَمَا تَغَيُّظُا وَزَفِيرًا ﴾

- قَولُه: ﴿إِذَا رَأَتَهُم ...﴾ فيه نِسبةُ الرُّؤية إليها لا إليهم؛ للإيذانِ بأنَّ التَّمَيُّظَ والزَّفِرَ منها لِهَيجانِ غضَبها عليهم عند رُؤيتِها إيَّاهم('').

- وفي التَّعبير بـ (مِن) في قوله: ﴿ مِن مُكَانِ بَعِيدٍ ﴾: إشعارٌ بأنَّ بُعدَ ما بينَها وبينَهم مِن المسافة -حين راتُهم- خارجٌ عن حُدودِ البُعدِ المُعتادِ في المسافاتِ المعهودة، وفيه مَزيدُ تَهويل لأمَّرِها".

٣- قُولُه تعالى: ﴿ وَإِنَّا ٱلْقُواْمِنْهَا مَكَانًا صَيْقَا مُقَدَّرَيْنَ دَعَوْا هُمَالِك ثُبُولًا ﴾ هذا وصف لوصولهم إلى جَهنَّم مِن مكان بعيد، ووضعهم فيها؛ صِبغَ نظمُه في صُورةِ تُوصيفِ صَجيحِ أَهْلِ النَّارِ مِن قولِه: ﴿ دَعَوَا هُمَالِك ثُبُولًا ﴾، وأَدْمَتَم في خلالٍ ذلك وصف داخلِ جَهنَّم، ووصف وضع المُشركين فيها بقوله: ﴿ مَكَانًا صَبِيعًا ﴾، وقوله: ﴿ مُكَانًا مَسَيِعًا ﴾، وقوله: ﴿ فَمَقَانَهِ عَلَى أَسلوبِ الكلام ؟".

- قَولُه: ﴿ أَلْقُواْ ﴾ الإلقاءُ: الرَّمْيُ، وهو كِنايةٌ عن الإهانة (٤).

- قَولُه: ﴿ مَنْيَقًا ﴾ صِفَةٌ لـ ﴿ مَكَانًا ﴾ مُفِيدةٌ لزِيادة شِدَّةٍ؛ فإنَّ الكَرْبَ مع الضَّيقِ، كما أنَّ الرَّوحَ مع السَّعةِ، وهو السَّرُّ في وضفِ الجنَّةِ بأنَّ عرْضَها السَّمواتُ والأرضُ (٤٠ فقولُه: ﴿ مَنْيَقًا ﴾ على القراءةِ بَسَديد الباء، والقراءةِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٦).

⁽٢) بُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽۳) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/ ۳۳۳، ۳۳۴).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٨/ ٣٣٤).

⁽٥)يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٦٧)، ((تفسير البيضاوي)) (١١٩/٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٦).





بسُكونِها ﴿ صَّيِقًا ﴾ (() كلاهما للمُبالَغةِ في الوصْفِ، مثْلُ مَيْتٍ ومَيَّتٍ؛ لأنَّ (الضَّيِّقُ) بالتَّشديدِ صِيقَةُ تمكُّنِ الوصْفِ مِن الموصوفِ، و(الضِّيقَ) بالشُّكونِ وصْفٌ بالمصدر (().

- قَولُه: ﴿مُقَرَّيْنَ ﴾ المُقرَّنُ: المقرونُ؛ صِيغَتْ له مادَّةُ التَّفعيلِ للإشارةِ إلى شِدَّةِ القرْنِ^٣.

- قَولُه: ﴿ وَعَلَمْ هَنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ النَّداءُ كِنايةٌ عن النَّمنِّي، أي: تمنَّوُا الهلاكَ؛ للاستراحةِ مِن فظيع العذابِ⁽¹⁾.

٤ - قَولُه تعالى: ﴿ لَا نَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُوزًا وَحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُوزًا كَثِيرًا ﴾

- قَولُهُ: ﴿ لاَ نَدْعُوا ٱلْيَوْمُ تُمُرِكُا وَيَعِنَا ﴾ على تقدير (قول) مَحذوف؛ فهو منصوبٌ على أنّه حالٌ مِن فاعل ﴿ وَعَوا ﴾، أي: دَعَوهُ مُقُولًا لهم ذلك حقيقة بأن يُخاطِبُهم الملائكة به؛ لتنبيههم على خُلودِ عَنابِهم، وأنّهم لا يُجابونَ إلى ما يَدْعُونه، ولا يَنالون ما يَتمنَّونَه مِن الهلاكِ المُنجَّي. أو يكونُ مَشِلًا وتَصويرًا لحالِهم بحالِ مَن يُقالُ له ذلك مِن غيرٍ أنْ يكونَ هناك يكونُ مَشاكُ ولا يَخطبُ، أي: دَعَوهُ حالَ كونِهم أحقًا عَبْنُ يُقالَ لهم ذلك. وإمَّا مُستأنفٌ وقعَ جَوابًا عن سُؤالٍ يَنسجبُ عليه الكلامُ؛ كأنّه قيلَ: فماذا يكونُ عنذ دُعائِهم المذكور؟ فقيل: يُقالُ لهم ذلك؛ إقناطًا ممّا علَّقوا به أطماعهم مِن الهلاكِ، وتَنبيهًا على أنَّ عَذابًا هما ألك بالمناحاء الهلاكِ بالمَّرةِ

 ⁽١) قرأها ابن كثير بإسكان الياء مخفَّفة، والباقونَ بكسرِها مشددةً. يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (٢/ ٢٦٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣٤).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).





أبَدِيٌّ لا خَلاصَ لهم منه(١).

- قَولُه: ﴿ لَاَنْنَحُوا اَلَيْوَمُ ثُمُورًا وَحِمَا ﴾ فيه تقييدُ النَّهي والأمْرِ بـ (اليوم)؛ لمَزيد النَّهويل والتَّفظيع، والتّنبيو على أنّه ليس كسائرِ الآيَّام المعهودةِ (").

- وفي قوله: ﴿ ثُمُّونًا صَنِيْكَ ﴾ وُصِفَ النُّبورُ بالكثيرِ ؛ إمَّا لكثرةِ نِدانِه بالتَّكريرِ ، وهو كِنايةٌ عن عدَمٍ حُصولِ النُّبورِ ؛ لأنَّ انتَهاءَ النَّداءِ يكونُ بحُضورِ المُنادَى، أو هو يأسُّ يَقْتضي تَكريرَ النَّمنِّي أو النَّحشُّرِ ".

٥ - قولُه تعالى: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّهُ ٱلْخُلِهِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُنْقُوثُ كَانَتْ لَهُمُّ جَزَّةَ وَمَصِيرًا ﴾

- قولُه: ﴿ آَذِلِكَ عَنِّرٌ أَمْرَ جَنَّهُ ٱلنَّحُلَدِ ﴾ هذا الاستِفهامُ على سَبيلِ التَّوفيفِ والتَّربيخ ((). وقيل: الاستفهامُ والتَّفضيلُ والتَّرديدُ للتَّقريعِ، مع التَّهكُّم والتَّحسيرِ على ما فاتَهم (()؛ فإنَّه لمَّا ذكرَ حالَ العِقابِ المُعَدِّ لِمَن كَلَّبَ بالسَّاعةِ؛ أَتْبُعه بما يُؤكَّدُ حَسرتَه ونَدامتَه؛ تَقريعًا وتهكُّمًا (().

- وقيل: يَجوزُ أَنْ يُقصَدَ بقولِه: ﴿ أَقَالِكَ خَيْرًا أَرْ جَنَّهُ ٱلْخَلْدِ الَّتِي وَهُدَ ٱلْمُنْقُونَ ﴾: قُلُ لهم، أي: للمُشرِكين الَّذين يَسمَعون الوعيدَ والتَّهديدَ السَّابِقَ؛ فالجُمَلُ مُتَّصلةُ السَّياقِ، والاستِفهامُ حِبَنَذِ للتَّهكُم؟ إذ لا شُبهةَ في كونِ الجَنَّةِ الموصوفةِ خيرًا. ويجوزُ أَنْ يُقصَدَ: قُلُ للمُؤمنينَ؛ فالجُملةُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/٦). .

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٢٠٧).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣٤).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٨٨).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١١٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٧).

⁽٦) يُنظر: ((حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي)) (٦/ ٢٧٢).





مُعترضةٌ بين آياتِ الوَعيد؛ لمُناسَةِ إبداءِ البَونِ بينَ حالِ المُشركين وحالِ المُثورينين، والاستِفهامُ حيتَاذِ مُستعمَلٌ في التَلميحِ والتَلطَّفِ. والتَفضيلُ على المُحملِ الأقولِ في مَوقعِ الآيةِ مُستعمَلٌ للتَّهجُّم بالمُشرِكِينَ، وعلى المُحملِ النَّائِي مُستعمَلٌ للتَّهجُّم بالمُشرِكِينَ، وعلى المُحملِ النَّائِي مُستعملٌ للتَّهمِ عن خطابِ المُؤمِنين، وإظهارِ المِنَّة عليهم، ووَصُفُ الموعودينَ بأنَّهم مُتَّفونَ على المُحملِ الأوَّلِ جارِ على مُقْتضى الظَّاهمِ، وعلى المَحملِ النَّاني جارِ على خلافِ مُقتضى الظَّاهمِ؛ لأنَّ مُقتضى الظَّاهمِ النَّاني جارِ على خلافِ مُقتضى الظَّاهمِ؛ لأنَّ مُقتضى الظَّاهمِ اللَّه وَلِهُ المُدولِ إلى الإظهارِ ما يُقِيدُه ﴿ النَّهُ المُدَالِ اللَّه المُعالِمُ المُعاطِينَ ومَن يَجِيءُ بعَدَهم (١٠).

- وقولُه: ﴿ أَذَلِكَ ﴾ إشارةً إلى ما ذُكِرَ مِن السَّعيرِ باعتبارِ اتصافِها بما فُصَّلَ مِن الأحوالِ الهائلة، وما فيه مِن معنى البُعدِ، للإشعارِ بكريْها في الغاية القاصية مِن الهَولِ والفَظاعةِ ((). وقبل: المُشارُ إليه في قولِه: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ ... ﴾ العِقابُ والمكانُ الصَّبِّقُ، وتَسعيتُه بالخيرِ للتَّهِكُمِ والشَّخرية؛ لِيزيدَ في غَيظِهم، أو أنَّ ثوابَ العدُّو وتَنعُمه سَبَ لتَعْتَظِ العدُّو وتَحسُّره (").

- وإضافةُ الـ ﴿ جَنَّـةُ ﴾ إلى ﴿ ٱلْخُـلْدِ ﴾ للمدْحِ، أو للدَّلالةِ على خُلودِها، أو التَّمييز عن جَنَّاتِ الدُّنيا⁽¹⁾.

- قَولُه: ﴿ كَانَتْ أَنْمُ جَزَلَهُ وَمُصِيرًا ﴾، قد عُلِمَ مِن قولِه: ﴿ جَنَّهُ ٱلْحُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُنْقُونَ ﴾ كَوْنُ الجَنَّةِ جزاءَهم ومصيرَهم، وإنَّما كرَّرها؛ لأنَّها كالتَّذييل

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣٥).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٧).

⁽٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١٩ /١٨٩).

⁽٤)يُنظر: ((تفسير البيضاري)) (١٩/٤)، ((حاشية الطبيي على الكشاف)) (١٨٩/١١)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٠٧/٦).





لها؛ إرادةً لمَزيدِ مَدح المكانِ لتَبجُّح ساكنِيه، كما أنَّ قولَه: ﴿ يَعْمُ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٣١] تَذييلٌ لقولِه: ﴿ أُولَئِكَ لَمُمْ جَنَّتُ عَدْنِ تَجْرِى مِن تَحْنِيمُ ٱلْأَنْهَرُ يُحَلِّونَ ... ﴾ [الكهف: ٣١]، وأنَّ قولَه: ﴿ بِشْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩] تَذييلٌ لقولِه: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَانُواْ بِمَآءِ كَالْمُهُلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ ﴾ [الكهف: ٢٩]. ودَلالتُه على المدْح مِن جِهةِ تَنكيره، أي: جزاءً مُوفَّرًا لا يدخُلُ تحتَ الوصْفِ، وإردافُه بقولِه: ﴿ وَمَصِيرًا ﴾، أي: مَصيرًا لا يُقادَرُ قَدْرُه؛ فالجزاءُ هنا كالنَّوابِ في تلك الآيةِ، والمصيرُ كالمُرتفَقِ، واجتماعُهما كالتَّتميم لِمَا يتِمُّ به ما يُطلَبُ مِن المكانِ مِن التَّرقُّهِ والتَّنَّعُم؛ فقدَّمَ هنا قولَه تعالى: ﴿إِذَا رَأَتُهُم مِّن مَّكَانِ بَعِيدٍ ﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿ وَإِنَّا ٱلْفُواْ ﴾ الآية، على قولِه: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ... ﴾ الآية؛ لِيُؤذِنَ بِأَنَّ النَّعِيمَ لا يِتِمُّ إِلَّا بطِيبِ المكانِ وسَعتِه، ومُوافقَتِه للمُرادِ والشَّهوةِ، وإلَّا تَنغَّصَ؛ فلذلك ذكرَ المصيرَ مع الجزاءِ، وأنَّ العِقابَ يتضاعَفُ بضِيقِ الموضع وظُلْمِته، وجمْعِه لأسبابِ الاجتواءِ ١٠٠؛ ولذلك ذكَرَ ﴿ وَإِنَّا ٱلْقُواْ مِنْهَا ﴾، وذكر ﴿مَكَانَا ضَيِّقًا ﴾(١).

- قُولُه تعالى: ﴿ مُثَمْ فِيهَا مَايَشَا مُونِكَ أُونِكَ خَلِينَ كَانَ عَلَى رَبِكَ وَعَلَا مَسْتُولًا ﴾
 - قُولُه: ﴿ كَانَ عَنْ رَبِكَ وَعَلاً مَسْتُولًا ﴾ مَسوقٌ مَساقُ المُبالَغةِ في تَحقيقِ الوغدِ والكرّم؛ إذ لا مَعنى للوُجوبِ على اللهِ تعالى سِوى أنَّه تَفضَّلُ وتعهَّذ به (٢٠).

⁽١) الاجتواءُ: كَرَاههُ المُكانِ وعدَمُ مُوافَقِيه. يُنظر: ((العين)) للخليل (١/ ١٣٥)، ((تاج العروس)) للزَّبيدي (٢/٧/ ٣٨٤).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲۱۸/۳)، ((حاشية الطبيي على الكشاف)) (۱۸۸/۱۱، ۱۸۹۹، ((تفسير أبي حيان)) (۸/۹۹)، ((تفسير ابن عاشور)) (۸۱/ ۳۳۰).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣٦).





- وقولُه: ﴿ كَانَ عَلَى رَبِكَ وَعَلَا مَسْتُولًا ﴾ في التّعرُّضِ لفنوان الرُّبوييَّة مع الإضافة إلى صَلّى الله عليه وسلّم؛ مِن تشريفه، والإشعار باللّه صَلّى الله عليه وسلّم؛ مِن تشريفه، والإشعار باللّه صَلّى الله عليه وسلّم هو الفائر آيّر ذي أثير (") بمَغانم الوغد الكريم: ما لا يَخْفى "".



⁽١) آيْرَ ذي أَثْيرٍ، أي: أوَّلَ كلِّ شَيءٍ. يُنظر: ((الصحاح)) للجوهري (٢/ ٥٧٥).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٧).





الآيات (١٧-١٩)

﴿ وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونِ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَغُولُ مَأْتُدُ أَضَلَلُمْ عِمَادِى هَـُوْلَاهُ أَمْ هُمْ مَسَكُوا السّهِيلَ ۞ قَالُوا سُبْحَنْكَ مَا كَانَ بَلَنِي لَنَّ أَنْ نَنَظِهُ مِن دُولِك مِنْ أَوْلِيَاتُهُ وَلِئِكِنْ تَنَفَّنَهُمْ وَمَاسِكَةَ هُمْ حَقَّ نَسُوا اللَّهِصِّرَ وَكَاثُوا فَوَمَّا مُؤلا ۞ فَفَدْ كَذَهْرُكُم بِمَا نَفُولُونِ مَنَا نَسْتَظِيمُونِ مَنْ فَا وَلا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِنْكُمْ أَنُوفَهُ عَذَائِكُمْ مِنَا نَفُولُونِ فَمَا نَسْتَظِيمُونِ مَنْ فَا وَلا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِنْكُمْ أَنُوفُهُ عَلَى مَنْ مَا فَاللَّهِ مَنْكُمْ أَوْمَا نَفُولُونِ فَمَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللّهُولُولِ اللّهُ اللّ

غُريبُ الكُلمات:

﴿مُولَا ﴾: أي: هَلْكي، مِن: بارَيَبورُ: إذا هَلَك وبطَل، وأصلُ (بور) هنا: يدُلُّ على هَلاكِ الشَّيءِ، وما يُشْبِهُه مِن تَعَطُّلِه وخُلُوهُ(١٠.

﴿ صَرْفًا ﴾: أي: دَفعًا وحِيلةً، وأصلُ (صرف): يدُلُّ على رَجعِ الشَّيءِ (١٠).

المعنى الإجماليُّ:

يُبِيِّنُ الله تعالى حالَ المشركينَ وآلهتِهم الباطلةِ يومَ القيامةِ، فيقولُ: اذَكُرْ -إَيُّها الرسولُ- يومَ القيامةِ حين يَحشُّرُ اللهُ المُشرِكين وما عَبَدوه مِن دونِ اللهِ، فيقولُ اللهُ لهذه الآلهةِ المزعومةِ: أأنتم أضلَتُم عبادي هؤلاء، أمْ هم الذين ضَلُّوا عن الهُدى؟ فتقولُ: سبحانَك، ما يجقُّ لنا أن نعبُدَ غَيرَك ولا أن نُشرِكَ بك أحدًا في عبادتِك، ولكِنَّك -يا رَبَّنا- متَّعتَ هؤلاءِ المُشرِكين وآباءَهم بالنَّمَم، حتى

⁽۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ٣١١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣١٩)، ((مقايس اللغة)) لابن قارس (٣١٦/١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٥٣)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ٢٥).

⁽۲) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ۳۱۱)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ۳۰۰)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (۳(۳۶۲)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ۲۰).





تَرَكوا وَحْيَك المنزَّلَ، وفيه ما أمَرْتَهم به مِن توحيدِك وعبادتِك وحُدَك، وكانوا قومًا مُهلَكينَ.

فيقولُ اللهُ تعالى لهؤلاء الكافرين مُبكِّتًا ومُقرَّعًا لهم: قد كذَّبكم مَنْ عَبَدْتُموهم وردُّوا قولكم الباطِلَ، فقد وجَب عليكم العذابُ، فلا تعلِكون له ردًّا ولا دَفعًا، ولا يُصرًّا مِن جهة أنفُسِكم، أو مِن جِهةِ غَيرِكم. ومَن يكفُرُ باللهِ تعالى منكم نعذَّه عذانًا كماً.

تَفسيرُ الآيات:

﴿ وَيُومَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُدُ أَضَلَكُمْ عِسَادِى هَوُلَآهِ أَمْ هُمْ صَنَّوْ السَّهِيلَ ۞﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا تَوَعَّدُهم بالسَّميرِ وما يُلاقون مِن هَولِها؛ بَيَّنَ لهم حالَ ما قبَلَ ذلك، وهو حالُهم في الحَشرِ مع أصنامِهم''.

وأيضًا لَمَّا ذَكَرَ لهم حالَهم في السَّاعةِ معه سُبحانَه؛ أَتَبَعُه ذِكرَ حالِهم مع معبوداتِهم مِن دُريْه، فقال'':

﴿ وَيُوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

أي: واذكُرْ - أيُّها الرَّسولُ(٣٠ ـ يومَ القيامةِ حين يَحشُرُ اللهُ المُشرِ كين ومَعبوداتِهم

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/ ٣٣٧).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٢٥٩).

⁽٣) قال محمد رضيد رضا: (جمهورُ الْمفَّرِينَ يجعلونَ كلمةً بيرم، في أمثالِ هذه الآياتِ مفعولًا لفعلِ محذوفِ تقديرُه، وواذكُر، وهو خطابٌ للرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، أي: واذكُرُ لهم فيما تَثَلُوه عليهم يومَ يكونُ كَذَا وكَذَا؛ لأنَّ هذا معهودٌ ومعروفٌ عندهم). ((تفسير المنار)) (٨/ ٥٥)





التي عَبَدوها مِن دونِ اللهِ(١).

﴿ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَتَوُلاَءِ أَمْ هُمْ صَكُواْ ٱلسَّيِيلَ ﴾.

أي: فيقولُ اللهُ للمَعبوداتِ التي كان يعبُدُها المُشرِكون: أأنتم أضلَلْتُم عبادي

(۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۱۵)، ((نفسير ابن عطية)) (۲۰۳ /۶)، ((نفسير الفرطبي)) (۱/ ۱۱)، ((نفسير ابن کثير)) ((۹۹ /۱۶)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۱/ ۳۳، ۲۶).

قيل: العرادُ بِقَولِهِ: ﴿ وَمَا يَعْبَهُ وَيَكِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾: الأصنامُ. ومِثَن اختاره: السعرقنديُّ. يُنظر: ((تفسير السعرقندي)) (۲/ ٥٣٢).

وقيل: المرادُ بقولِه: ﴿ وَمَا يَعَبُدُونَ عَن دُونِ اللَّهِ ﴾: الملائكةُ. ومشَن اختاره: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والسمعانيُّ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٢٣ ٢٣)، ((تفسير السمعاني)) (١ /١٠).

وقيل: المراف: الملائكةُ والإنسُّ والجِنُّ، ومثَّلَ اختاره: ابنُّ جرير، ومثَّي، والخازن. يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤١٤)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ١٨٩ه)، ((نفسير الخازن)) (٣/ ١٣٠).

وقال الرازيُّ: (وأمَّا الأكثرونَ فرَّعَموا أنَّ المرادَهو الملائِكةُ، وعيسى، وعُزيرٌ -عليهم السَّلامُ). ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٤٢).

وممّن اختار المُعمومَ، وأنَّ العرادَ كُلُّ ما خُبِدَ مِن دونِ اللهِ: ابنُ عطية، والبيضاوي، والبقاعي، وابن عاشور. يُنظر:((نفسير ابن عطية)) (۱۶/ ۲۳)، ((نقسير البيضاوي)) (۲۲/ ۲۳)، ((نظم الدرر)) للبقاع. (۳/ /۳۳)، ((نفسير ابن عاشور)) (۲۳۷/۸۸).

قال ابنُ عطيَّة: (وقولُه: ﴿وَوَلَهُ مَنْهُ مُرُونَ ﴾ يَريدُ به كُلَّ شَيءٍ عُبِدَ مِن دون الله، فغَلَّب العبارةَ عمَّا لا يعقِلُ مِن الأوثانِ؛ لأنَّها كانت الأغلَب وقتَ المخاطَبةِ). ((تفسير ابن عطية)) (٢٠٣/٤).

وقال السنتيطي: (الأظهارُ عندي شُمولُ السمودينَ المذكورينَ للأصنامِ معَ الملائكةِ وعيسى ومُؤَيِّرِهِ الأَنْ ذلك تَلَنَّ عليه قريتنانِ قرآنينانِ؛ الأولى: أنَّ عَيْرَ عن السمودينَ المذكورينَ بـ اماه الني هي لغيرِ العاقلِ في قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَهْشَدُّوْمُ وَمَا لِسَمْدُونِ مِن مُونِوَ لَقَوْ ﴾ الآيةَ؛ فلفظةُ اماه تذلُّ على شمول غير العفلاءِ وأنَّه قلبَّ غيرَ العاقلِ، اكتريّ.

الغرينة الثانية: هي ذلالة آيات مِن كتابِ اللهِ على أنَّ المعبودينَ غافلونَ عن عبادةِ مَن عبَدَهُم، أي: لا يعلَمون بها؛ لكريهم غيرَ عُقلاءً.. وإطلاقُ اللَّفظِ المحتَّصُ باللَّمَلاءِ عليهم؛ نظرًا إلى أنَّ المشركينَ نَزَّلوهم منزلةَ المُقلاءِ). ((أصواء البيان)) (٣٦/٦، ٢٤). ويُنظر: ((نظم الدر)) للبقاعي (٢٣/ ٢٩).





هؤلاء عن طَريقِ الهُدى، ودعُوتُموهم إلى عبادتِكم مِن دوني حتى فَعَلوا ذلك، أُمُّ هم الذين ضَلُّوا عن طَريقِ الحَقِّ مِن تِلقاءِ أَنفُسِهم مِن غيرِ دَعوةِ وتَضليلِ منكم ٢٠٠؟

كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ أَلَّهُ يَكِيسَى أَبَنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَغَِذُونِي وَأَثَى إِلَهُ بَنِ مِن دُونِ أَلَّقِ قَالَ شُبْحَنْكَ مَا يَكُونُ لِتِ أَنْ أَقُولَ مَالْيَسَ لِي بِحَقٍ ... ﴾ [المائدة: ١١٦].

﴿ فَالْوَا سُمْحُنَكَ مَا كَانَ يَلْغِي لَنَا أَنْ نَتَخِذَ بِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاتَهُ وَلَكِن مَّنَعَتَهُمْ وَمَالِحَاتُهُمْ مَثَنَّ شُوْ اللّهِ كُـرَ وَكَافُوا قَوْلًا مِرُولًا ۞ ﴾.

القراءاتُ ذاتُ الأثر في التفسير:

في قوله تعالى: ﴿نَّتَّخِذَ ﴾ قراءتانِ:

١ - قراءةُ: ﴿ نَتَخَذَ ﴾ بضم التُونِ، وفتح الخاء، على البناء للمفعول؛ أيْ: ما
 كان يُنْبُغي لنا أنْ يَتَخِذَنا المشركونَ أولياءَ مِن دونكَ^{١١٠}.

٢ - قراءةُ: ﴿ تَتَخِذَ ﴾ بِفتح النُّونِ، وكسِر الخاءِ، والمعنى أنَّ هؤلاءِ المعبودينَ
 هم الَّذينَ تَبَرَّ عوا أَنْ يكونَ كانَ لهم وَلِيٌّ غيرُ اللَّهِ تعالَى ذِكُرهُ ٢٠٠.

﴿ قَالُواْ سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبَغِي لَنَّا أَن تَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآةً ﴾.

أي: قال المعبودون مِن دونِ اللهِ: ننزُّ هُك - يا الله - عن مُشارَكتِك في الألوهيَّة،

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٥/١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٩٩/٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٣٣٨/١٨).

 ⁽۲) قرأ بها أبو جعفر. يُنظر ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (۲/ ٣٣٣).
 ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير الرسعني)) (٥/ ٢٠٨)، ((تفسير الشوكاني)) (٥/ ٢٠٨).

 ⁽٣) قرأ بها الباقون. يُنظر ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (٣٣٣/٢).
 ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((نفسير ابن جرير)) (١٧/٧١٤).





فما يليقُ ولا يجقُّ لنا أن نَعبُدَ غَيرَك، ونواليَ سِواك، ولا نطلُبَ مِن النَّاسِ أن يكونوا عابدينَ لنا؛ فنحن ما دعوناهم إلى ذلك، بل هم فَعَلوه مِن تِلْقاءِ أنفُسِهم مِن غيرِ أَمْرِنا ولا رِضانا، ونحن بُرآءُ منهم ومِن عبادتِهم'').

كما قال تعالى: ﴿ وَقِوْمَ يَعْدُرُهُمْ جَبِعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَاتَتِكَةِ أَهَّوُلُآ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ * قَالْواْ شَبْحَنْكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلَ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنُّ أَكَمُهُمْ بِمِم تُؤْمِنُونَ ﴾ [سنا: ٤٤، ٤١].

﴿ وَلَكِن مَّتَعْتَهُمْ وَءَاكَآءَ هُمْ حَقَّى نَسُواْ ٱلذِّيكُر ﴾.

أي: ولكِنْ مَنْعَتَ -يا رَبَّنا- هؤلاء المُشرِكين وآبَاءَهم في الدُّنيا بالنَّعَم، فانشَغَلوا بالشَّهواتِ حتى تَرَكوا وَحْيَك المنزَّلَ، وفيه الأمُرُ بتوحيدِك وعبادتِك وخدَك لا شَريكَ لك''.

﴿ وَكَانُواْ قَوْمًا بُورًا ﴾.

أي: وكان المُشرِكون قومًا هَلْكي، قد غلَب عليهم الخِذلانُ والشَّقاءُ").

- (۱)يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/٤١٦،۱۷)، ((تفسير ابن كثير)) (٩٩/٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۰)، ((تفسير ابن عاشور)) (٣٣٨/١٨).
- (۲) يُنظر: (نفسير ابن جرير)) (۱۱٫۷۱٪ ((تفسير القرطمي)) (۱۱٫۲۳)، ((تفسير ابن كير)) (۱۹۹٫)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۰)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۲،۷۸)، ((أضواء البيان)) للشنفيطي (۲٫۲٪).
- (٣) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (١٦/ ١٦، ١٥ \$). ((نفسير الفرطبي)) (١٦/ ١١)، ((نفسير ابن كثير)) (١٠٠/)، ((نفسير ابن عاشور)) (٣٤ / ٣٤)، ((أضواء البيان)) للمشقيطي (٢/ ٣٤). قال ابن جرير: (وإنَّما أُريدُ بالبور في هذا الموضِع أنَّ أعمالَ هؤلاء الكُفَّارِ كانت باطلةً؛ لأنَّها لم تكُنُّ لك). ((ففسير ابن جرير) (٤/ ١٩/ ١٤).
- وقال البقاعي: (﴿ وَكَاتُواْ ﴾ في عِلمِك بما قضيتَ عليهم في الأزَل ﴿ فَرَمَّا بُرُرُ ﴾ مَلَحى). ((نظم الدر)) (٢١٣/١٣).





﴿ فَقَدْ كَتَـٰ ثُوكُمُ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيمُونَ صَرَفًا وَلَا نَصَرًا وَمَن يَطْلِم نِنكُمْ لَيْفَةُ عَذَابًاكِيكًا ۞﴾.

﴿ فَقَدْ كَذَّهُ رُكُم بِمَا نَقُولُونَ ﴾.

أي: فقد كذَّبَكم - أيُّها المُشرِكون- مَن عَبَدُتُموهم مِن دُونِ اللهِ، وأنكروا قُولَكم أَنَّهم أمَروكم بعبادتِهم، ورَضُوا فِعْلَكم، وأنَّهم شُفَعاءُ لكم عندَ رَبَّكم، وكذَّبوكم في زَعبِكم أنَّهم آلهةٌ "!

كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا رَوَّا الَّقِينِ لَشَرُكُواْ شُرِكَ اَهُوْ قَالُواْ رَبَّنَا هَوَٰكُوٓ شُرِكَ اَوَّا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُوِيَّةٌ فَالْقَوَا إِلَيْهِهُ ٱلْقَوْلَ إِلَّكُمْ لَكَنْدِبُونَ ﴾ [النحل: ٨٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَغَذُواْ مِن دُوبِ اللَّهِ مَالِهَ قَلِيَكُونُواْ لَهُمْ عِزَّا * كَلَّا سَيَكُهُرُونَ بِعِبَادَتِمِ مَيْكُونُونَ عَلَيْمِ ضِنَّا ﴾ [مريم: ٨١، ٨١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا كُثِيرَ النَّاسُ كَانُوا لَمَنْمَ أَعْدَاءَ وَكَانُواْ بِبِمَادَتِيمَ كَفِينِنَ ﴾ [الأحقاف: ٦].

﴿ فَمَا نَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التفسيرِ:

١ - قراءةُ ﴿ تَسْتَطِيعُونَ ﴾ بالتاءِ على الخِطابِ للمُشرِ كين، أي: فما تَستطيعونَ

⁽۱) يُنظر: ((نفسير ابن جوير)) (۱۹/۱۷)، ((تفسير القرطبي)) (۱۳/۱۳)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۰۰/۱).

قال ابن عطبة: (الأيةُ خِطابٌ بن الله تعالى بلا خِلافٍ). ((تفسير ابن عطبة)) ((٢٠٤/٤). وقال ابن عاشور: (الياءُ في قَولِه: ﴿فِيمَا تَقُولُونِ ﴾ يحرزُ أن تكو نَبمعنى ففيه ...، أي: كَثْبوكم تكذيبًا وابْقًا فيما تقولون، ويجوزُ أن تكونَ للشَّبِيَّةِ، أي: كَذَّبوكم بسَبَّدٍ ما تقولون). ((تفسير ابن عاشور)) (١/ ٤٢٣).





-يا عَبَدةَ الأوثانِ- صَرفًا لعذابِ اللهِ عنكم، ولا نُصرًا منه لأنفُسِكم (١٠).

٢ - قراءةً ﴿ يَسْتَطِيعُونَ ﴾ بالياءِ على الإخبارِ عن المعبودينَ مِن دونِ الله، أي:
 فما يستطيعُ الآلهةُ صَرفًا لعذابِ اللهِ عنكم - أيُها المشركون- ولا نَصرًا الكم(").

﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ مَرْفًا وَلَانَصَّرًا ﴾

أي: فما تَستطيعون -أيُّها المُشرِكونَ- صَرْفَ عذابِ اللهِ عنكم بفِداءِ أو غيرِه، ولا تستطيعونَ نَصَرَ أنفُسِكم؛ لِمُجزِكم٣٠.

﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاكًا كَبِيرًا ﴾

أي: ومَن يَظلِمُ نفْسَه منكم (١)

(١) قرأ بها حفصٌ عن عاصم. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٤).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (٢/ ٢١٥)، ((الحجة)) لأبي عليًّ الفارسي (٠/ ٣٤٠)، ((الكشف)) لمكِّى (٢/ ١٤٥).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٤).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (٢/ ٢١٥)، ((الحجة)) لأبي عليُّ الفارسي (٥/ ٣٤٠)، ((الكشف)) لمكني (٢/ ١٤٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٠٠)، ((البسيط)) للواحدي (١٦/ ٤٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٠٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٠).

قال الواحدي: (وتفسيرُ الصَّرفِ هاهنا: صرْفُ العذابِ، في قولِ ابنِ عبَّاسٍ ومقاتلٍ، وأكثرِ المفسُّرينَ، وأهل المعاني). ((البسيط)) (٤٤٠ / ١٩).

(٤) قال ابن عطية: (وقوله: ﴿ وَمَن يَطَلِم بِنَتُ مُنْفِقَهُ ﴾، قيل: هو خطابٌ للكفَّار، وقيل: للمؤمنينَ). ((نفسير ابن عطية)) (٢٤/٤).

ممَّن اختار أنَّ الخِطابَ للمؤمنينَ: ابنُ جرير. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٢٢).

ومثّن اختار أنَّ الخطابَ لعمومِ المكلّفينَ: اليضاويُّ، والسّفي، والقاسمي، وابن عاشور. يُنظر: ((تفسير اليضاوي)) (۱۲۱/۶) ((تفسير السّفي)) (۲/ ۳۱)، ((تفسير القاسمي)) (۲/۲۷)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۲/۸۸).





بالشِّركِ، نُعَذِّبُه في النَّار عذابًا كبيرًا(١٠).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْرَنَهُ ٱلنَّأَرُّ وَمَا الطَّلِيلِينِكِ مِنْ أَصَكِادٍ ﴾ [المائدة: ٧٧].

الغُوائِدُ التَّربويَّةُ:

في قولِه تعالى: ﴿ مَا كَانَ يَلْبَى لَنَا أَن تَتَّغِذَ مِن دُونِكِكَ مِنْ أَوْلِيَآةَ ﴾ أنَّه لا تجوزُ الوَلايةُ والمقداوةُ إِلَّا بإذنِ اللهِ؛ فكلُّ وَلابِهِ مَبَثِيَّةٍ على مَبِلِ النَّفْسِ ونَصيبِ الطَّبعِ، فذاك على خِلافِ الشَّرع''.

الغُوائدُ العلميَّةُ واللَّطائفُ:

١ - قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَايَعْ بَدُونِ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمُ

= قال الشوكاني: (﴿ وَمَن يَظْلِم مِنكُمْ نُوقَتُهُ مَلَابًكاكَيِيرًا ﴾ هذا وعيدٌ لكلَّ ظالمٍ، ويدخُلُ تحتّه الذي فيهم السياقُ دخولًا أوَّلِيًّا). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٧٩).

وقال السعدي: (وأمَّا المعانِدُ منهم الذي عرّف الحقَّ وصدّف عنه، فقال في حقّّه: ﴿ وَمَنْ يَطْلِمُ يُنكُمْ ﴾ بتركِ الحقّ ظُلمًا وعنادًا ﴿ ثُبُقَةً مَذَاكًا كَيْمِكُ ﴾ لا يُقادَرُ قَدرُه، ولا يُملُغُ أمرُه). ((نضير السعدي)) (صر: ٨٨٥).

(۱) يُنظر: ((تفسير أبن جرير)) (۲۲ (۲۲) ((تفسير ابن عطية)) (۱۶ (۲۰۶)، ((تفسير ابن کثير)) (۱۰ / ۱۰۰)، ((تفسير القرطبي)) (۱۲ / ۱۳)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۰)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۲ / ۲۵).

قال ابن عطية: (الظُّلُمُ هنا: الشَّرِكُ. قاله الحَسَنُ وابنُ جُرَيِجٍ. وقد يحتهلُ أن يعُمَّ غيرَه مِن المعاصي). ((تفسير ابن عطية)) (٢٠٤/٤).

وقال البقاعي: (وَلَمَّا كان التَّقديُّ: فَمَن يَمدِلُ منكم لسّماع هذا الرَّعظِ بَوَضَع العِبادَ فِي موضِيها، نُيَّته ثُوابًا جليلًا؛ عطف عليه ما المقامُ له، فقال: ﴿وَنَهنَ يَطُلِم رَسُحكُمٌ ﴾ بَرَضِمِها في غيرِ مَوضِيها، وباعتِقادِه في الرَّسُلِ ما لا يَنْجَى بِن أَنَّه لا يَنْجَى لِهم أَن يكونوا مِنْلَ النَّسِ في أكلٍ ولا طلبِ مَسِيَّةً ونحوِ ذلك؛ ﴿فَيُؤَمَّهُ ﴾ في الدُّنيا والآخرةِ، بِما لنا مِن المَظَمَةِ ﴿هُمَلَاكِمًا كَيْبِكُ ﴾. ((نظم الدرر)) (١٣/ ١٣٤٤)

(۲) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (۲٤/ ٤٤٤).





أَضْلَلُتُمْ عِبَالِهِ، هَتَوْلَاَهُ أَمْ هُمْ مَتَكُواْ السَّيِيلَ * قَالُواْ مُتَخَنَكَ مَا كَانَ يَلْغِي أَنَّا أَنْ تَنَخِذَ مِن دُولِكِ مِنْ أَوْلِيَاتَهَ ﴾. إن قيل: إن كانت الأصنامُ التي تُعبَّدُ تُحشَّرُ، فكيف تَنطِقُ وهي جمادٌ؟

فالجواب: يُنطِقُها الله تعالى يومَ القيامةِ كما يُنطِقُ الأيديَ والأرجُلَ''، فإسنادُ القَولِ إلى ما يُعبَدون مِن دونِ اللهِ يَقتضي أنَّ اللهَ يجعَلُ في الأصنامِ نُطقًا يَسمَهُ عَبَدَتُها، أمَّا غيرُ الأصنام مِمَّن عُبِد مِن العُقلاء، فالقَولُ فيهم ظاهِرٌ".

٢ – قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ مَكَايِّسَبُدُوتِ مِن دُونِ لَقَو ضَيَعُرُلُ ءَأَشُرُ أَشَرُ الشَيلِيلُ ﴿ قَالُواْ سُبْحَنَكُ مَا كَانَ بَلْيَى لَنَّا أَن تَشَجِلَا أَشَيلِيلُ ﴿ قَالُواْ سُبْحَنَكُ مَا كَانَ بَلْيَى لَنَّا أَن تَشَجِلَا مِن مَقامٍ الاعترافِ بِلَّهُم يَزَّهون الله عن أن يَدَّعُوا لأنفُيهم مشاركته في الإلهيَّةِ (٣).

٣- قُولُه تعالى: ﴿مَأْنَدُ أَضَلَاتُمْ عِسَانِى هَتُؤَلَاهِ ﴾ الإشارة إليهم؛ لتمييزِهم مِن بين بقيَّةِ العِبادِ، وهذا أصلٌ في أداءِ الشَّهادةِ على عَينِ المشهودِ عليه لدى القاضى(١).

\$ - قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ يَسَلِينِي لَنَا أَن تَشَيْدَ مِن دُولِكِ مِن أَلْلِهَاتَهُ ﴾ (لا ينبغي الله عليه وسلّم: لِلّذي هو في غاية الامتِناع في كلام الله تعالى، ورَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لِلَّذي هو في غاية الامتِناع شَرَعًا؛ كَقُولُهُ ﴾ [مريم: ٩٢]، وقولِه تعالى: ﴿ وَمَا يَلْبَنِي الرِّحْنِ أَن يَشَيْدَ وَلِدًا ﴾ [مريم: ٩٢]، وقولِه تعالى: ﴿ وَمَا يَلْبَنِي لَهُ ، ﴾ [يس: ٣٩]، وقولِه تعالى: ﴿ وَمَا يَلْبَنِي لَهُ ، ﴾ [يس: ٣٩]، وقولِه تعالى: ﴿ وَمَا نَذَلْتُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣٨).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).





بِهِ ٱلشَّيَنطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ ﴾(١) [الشعراء: ٢١١، ٢١١].

بلاغةُ الآيات:

١ - قَولُه تعالى: ﴿ وَنَقَ مَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَسْبُدُونِكَ مِن دُونِ اللهِ فَ يَقُولُ ءَأَنشُدُ الشَّرِيلَ إِنَّهُ الشَّيْلِ اللهِ المَّالَمُمْ عِسَادِى هَدُولُةٍ مَأْ مُعَمَّدُ السَّيِيلَ ﴾

- قُولُهُ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ نُصِبَ على أنَّه مَعُولٌ لِمُضمرٍ مُقدَّمٍ مَعَطوفٍ على قَدَّمُ وَانَ (١٥) اللهُ اللهُ اللهُ قَلْ السُّرُاوُ: قُلْ للمُشرِكِينِ. أو على قوله: ﴿ وَأَعْتَدَنَّ لِينَ حَكْبٌ بِالشَّاعَةِ سَوِيرًا ﴾ [الفرقان: ١١]، على جوازِ أنَّ المُرادَ: قُلْ للمُؤمِنينَ. والتَّقديرُ: واذكُرْ لهم بغدُ التَّعريعِ والتَّحسيرِ يومَ يَحشُرُهم اللهُ عَزَّ رجلً. أو على أنَّه ظرْفٌ لمُضمَرٍ مُؤخَّرٍ؛ قد حُلِدَ للتَّنبيهِ على كمالٍ هُولِه وقظاعةٍ ما فيه، والإيذانِ بقُصورِ البيارةِ عن بَيانِهِ (١٠)

- وتَعليقُ التَّذكيرِ باليومِ مع أنَّ المقصودَ تَذكيرُ ما وقَعَ فِيه مِن الحوادثِ الهائلةِ؛ للمُبالَغةِ في إيجابِ ذِكْرِها؛ لِأنَّ إيجابَ ذِكْرِ الرَّقتِ إيجابُ لذِكْرِ ما وقعَ فِيه، ولأنَّ الوقتَ مُشتمِلٌ عليها؛ فإذا استُحضِرَ كانت حاضرةَ بتَفاصيلِها كانَّها مُشاهَدةٌ عانًا (٣)

- واستعمالُ (مَا) في قولِه: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَيَايَعَبُدُونَ ﴾؛ إمَّا لأنَّ وضْعَه أَعُمُّ، ولذلك يُطلَقُ لكلِّ شبَح يُرى ولا يُعرَفُ، أو لاَنَّه أُويدَ به الوضفُ، كأنَّه قِيلَ: ومَعبودَهم. أو لتَغليبِ الأصناع؛ تَحقيرًا وتَنبيهَا على أنَّهم مِثْلُها في الشَّقوطِ عن رُتبةِ المَعبوديَّةِ. أو اعتبارًا لفَليةِ عَبَّادِها. أو

⁽١) يُنظر: ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص: ١٣٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١١٨/ ٣٣٦، ٣٣٧).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١ / ٢٠٨).





يخُصُّ الملائكة وعُزيرًا والمسيخ؛ بقرية السُّوالِ والجوابِ. أو الأصنامُ يُعطِّهُها اللهُ، أو تَتكلَّم بلسانِ الحالِ. وقولُه: ﴿ فَيَكُولُ ﴾، أي: للمعبودينَ، وهو على طَريقة تلوينِ الخِطابِ ''. وقيل: أنْ يكونَ عامًا لهم جميعًا يأباهُ جوابُ المعبودينَ، وهو قولُهم: ﴿ شُيْحَنَكَ مَا كَانَ يَلَيْهَ لَنَا ﴾؛ لأنّهم ملايكةٌ معصومونَ وأنبياءُ مقصومونَ؛ فلا يدخُلُ فيه الأصنامُ، لكنْ عُدِلَ إلى (ما) إجراءً للمعبودينَ مُجْرى غيرِ ذَوي المُقولِ؛ تَحقيرًا لشأنِهم؛ لغاية قُصورِهم عن معنى الرُّهوييَّة، وتَنبيهًا على المُجانَسةِ المُنافِيةِ للألوهيَّةِ ''.

- قولُه: ﴿ عَأَنْتُد أَضَلَلُمُ عِيَادِى هَوْلَاهَ أَمْ هُمْ صَتَلُواْ السّيِدَلَ ﴾ استِفهامُ تَقريعِ وتَبُكيتِ للعَبَدةِ. وحَذْفُ صِلةِ (ضَلَّ) مُبالغَةٌ فشُوالهُ تعالى وهو عالمٌ عالِمٌ بالمسوولِ عنه لِيُجيبوا بما أجابوا به، حتى يُبكَّت عَبَدتَهم بتكذيهِم يتكذيهِم النَّاهم، فيُبقَو اوينقطعوا، وتَزِيدَ حَسرتُهم، ويكونَ ذلك نوعًا ممّا يَلحَقُهم مِن غضبِ اللهِ وعَذابِه، ويَعتبطَ المُؤمنون ويَهْرَحوا بحالِهم ونجاتهم مِن فضيحةِ أولئك، وليكونَ حِكايةُ ذلك في القُرآنِ لُطفًا للمُكلَّفينَ. وجاء الاستفهامُ تُقدَّمًا فيه الاسمُ على الفعلِ، ولم يقُل: أضلَلُم عِيادي هؤلاء أَمْ ضلُوا السّبيلَ؛ بحذْفِ (أنتُم) و(هم)؛ لأنَّ الشُوالَ ليس عن الفعلِ ووُجودٍه؛ لأنَّه لولا وُجودُه لله بُدُّين فَولا يُدَين فلا بُدِّين وإلى المسوولُ عنه مُتولِّيه، فلا بُدِّين وإليه المِثلِلِية عنه الإستفهامُ حتَّى يُعلَم أنَه المسؤولُ عنه (اعدالَ عدالَ هو استِغهامٌ وإليه والمنتفهامٌ

⁽۱) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲۸/۳۲)، ((تفسير البيضاوي)) (۱۲۰/۶)، ((تفسير أبي السعود)) (۲۰۸/۱)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۳۷/۱۸).

⁽٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١٩١/١١).

 ⁽٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١٦٨/٣، (٢٦٩)، ((تفسير البيضاوي)) (١٢٠/٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٩٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٠٨/٦).





تقْريريِّ للاستِنطاقِ والاستِشهادِ. والمعنى: أأنتُمْ أَضْلَلْتُموهم أَمْ ضَلُّوا مِن تِلقاءِ أَنفُيهم دونَ تَضليلِ منكم؛ ففي الكلام حَذْفٌ دلَّ عليه المذكورُ^(١).

- وأخبَرَ بفِعلِ: ﴿ أَضَلَاتُمْ ﴾ عن ضَميرِ المُخاطَبِينَ المُنفصِلِ، وبفِعلِ
﴿ صَلَّوا ﴾ عن ضَميرِ الغائبينَ المُنفصِلِ؛ لِيُفيدَ تَقديمُ المُسنَدِ إليهما على
الخَرينِ الفِغلِيِّينِ تَقْويةَ الحُكْمِ المُقتَّرِ به؛ لإشعارِهم بأنَهم لا مَناصَ لهم
مِن الإقرارِ بأخدِ الأمْرَينِ، وأنَّ أحدَهم مُحقَّقُ الوُقوعِ لا مَحالةً ، فالمقصودُ
بالتَّقويةِ هو مُعادِلُ هَمَزةِ الاستِفهام، وهو ﴿ أَمْ هُمْ صَلُّوا السِّيدِلَ ﴾ ".
وإعادةُ فِعلِ ﴿ صَلَّوا السِّيدِلَ ﴾ في قوله: ﴿ أَمْ هُمْ صَلُّوا السِّيدِلَ ﴾ : ليَجْرِيَ على
ضَميرِهم مُسنَدٌ فِعليٍّ، فَيُفِيدَ التَّقويةَ في نِسةِ الضَّلالِ إليهم ".

- ووضفُ العِبادِ هنا بقولِه: ﴿ عِبَادِي هَنَوْلَآهُ ﴾ تَسجيلٌ على المُشرِكين بالعُبوديَّة، وتعريضٌ بكُفرانِهم حقَّها^{١١}٤.

٢ - قَولُهُ تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَيَسْلِنِي لَنَّا أَنْ تَشَخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاةَ وَلَذِكَنَ مَا كَانَيسْلِنِي لَنَّا أَنْ تَشَخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِياةَ وَلَذِكن مَنْقَالٍ فَمَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّالِمُلِمُ اللَّالِمُلْمُ اللَّالِلَمُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّالْمُلْمُ اللَّالِمُ ا

- قُولُه: ﴿ مُتَخَنَكَ ﴾ إمَّا على إرادةِ مُطلَقِ التَّعجُّبِ ممَّا قِبل لهم مِن قولِه: ﴿ مَأْنَتُدُ أَضَلَكُمْ عِبَسَادِى ﴾، أو نَطقوا بكلمةِ التَّسبيح كِنايةً عن البّراءةِ عن أنضُيهم ذلك القول، أو أرادوا مَوضوعَها اللَّهْويَّ مِن التَّنزيهِ والتَّقديس؛

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/ ۳۳۷).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٨/ ٣٣٨).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣٧).





قدَّسوا ساحة جَلالِ اللهِ عمَّا لا يَلِيقُ بحَضرتِه مِن النَّدِّ والضَّدُّ(١).

- ولَمَّا كان السَّوْالُ على التَّعريضِ التَّوييخيِّ - والمقصودُ تَبْكيتُهم، وإلْزامُ الحُجَّةِ عليهم، وتَفضيحُهم على رُوّوسِ الأشهادِ - أجابوا أوَّلا بما يدُلُ على تَبرُّيهم مِن نِسبةِ الإصلالِ إلى أنفُسِهم بأقصى ما يُمكِنُ مِن المُبالَغةِ؛ خِذلانًا لهم، وكان مِن حقَّ الظَّاهرِ: إنَّا ما أصللناهم، فأطنبوا بقولهم: ﴿ مُبْهَمَنكَ ﴾ إلى آخِره؛ تَعجَّبًا، أي: كيف يَصِحُّ منَّا أنْ نصِفَك بما لا يَلِيقُ بجلالِك، ونحن عالِمون بالتَّقديسِ، وكيف يَستقيمُ لنا أنْ تَحمِلَ غيرَنا أنْ يَتولُّونا دونك، ونحن العابدون؟! وثانيًا: بما يدُلُ على أنَّ الكَفرةَ هم صلُّوا السَّبيلَ، لكنْ بتَقديرِ اللهِ وإضلالِه، فأطنبوا في تعبيرهم بقولِه: ﴿ لَكِنْ مَتَعَهُمْ ﴾ إلى آخِره".

- قَولُه: ﴿ مَا كَانَ يَلْبَى لَنّا أَنْ تَتَخِذَ ﴾ كِنايةٌ عنِ انتِفاءِ طلَبِهم هذا الأتّخاذَ انتفاءُ شديدًا. والخبّرُ مُستعمَلٌ في لازمِ فائِدتِه، أي: نَعلَمُ أَنَّه لا يَبْبغي لنا؛ فكيف نُحاه لُه "؟!

- وتَنكِرُ ﴿ أَوْلِيَا لَهُ مِن حِيثُ إِنَّهِم أُولِياهُ مَخْصوصون، وهم الجِنُّ والأصنامُ. على القولِ بأنَّ القائلين الملائكةُ والأنبياءُ، فتعيَّن أنْ يكونَ الباقي الجِنَّ والأصنام؛ لأنَّ المعبودينَ مُنحصِرون في هؤلاء. ويجوزُ أنْ يكونَ المعبودونَ عامًا، والتَّقديرُ: ما يَنبَغِي لنا أن نُحسَبَ مِن بعضِ ما يقَعُ عليه اسمُ الولاية، فضُلاً مِن الكلَّ؛ فإنَّ الوليَّ قديكونُ مَعبودًا ومالِكًا ومَخدومًا. أو التَّقديرُ: نتَّجَذَ

⁽۱) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۰۷)، ((تفسير اليضاوي)) (۱۰ /۱۳)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) ((۱۹۷/۱۱)، ((تفسير أي حيان)) (۱۹ /۱۹)، ((تفسير أبي السعود)) (۲۰ /۲۰۸). (۲) يُنظر: ((حاشية الطبيع على الكشاف)) (۱ / ۱۹۴).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣٩).





مَعبودينَ مِن أولياءً، أي: مِن جِهةِ أولياءً؛ فحَذْفُ مَفعولِ الاتَّخاذِ مَمهودٌ ١٠٠٠. - و(مِن) في قوله: ﴿ مِنَ أَوْلِيَّاهُ ﴾ مَريدةٌ؛ لتأكيد عُمومِ النَّعي، أي: استِغراقِه؛ لأنَّه نَكِرةٌ في سِياقِ النَّفي. وقيل: للتَّبعيضِ، أي: لا نَتَّجذَ بعض أولياءً ١٠٠٠.

- والاستدراكُ الّذي أفادَهُ (لكنُ) في قولِه: ﴿ وَلَكِن تَتَعَتَهُ ﴾ ناشئ عن النَّبَّرِي مِن أَنْ يكونوا هم المُضِلَّينَ لهم، بتَعقِيهِ بَينانِ سَبِ ضلالِهم؛ لئلَّا يُتوهِّمَ أَنَّ تَبِرَةَ أَنفُيهم مِن إضلالِهم، بتَعقِيهِ بَينانِ سَبِ ضلالِهم؛ لئلَّا والمقصودُ بالاستِدراكِ ما بعد (حتَّى)، وهو: ﴿ شُواَ اللَّحَرَ ﴾، والمَّا ما فَنلَها؛ فقد أُدمِجَ بين حَرفِ الاستِدراكِ ومَدخولِه ما يُسجِّلُ عليهم فظاعة ضلالِهم؛ بأنَّهم قائلوا رَحمة الله ويعمته عليهم وعلى آبائِهم بالكُفران؛ فالخبرُ عن الله بأنَّه متَّمَّ الصَّالِين وآباهم مُستعملٌ في النَّناءِ على الله بسَعة الرَّحمة، وفي الإنكارِ على المُشرِكين مُقابَلةُ النَّمَةِ بالكُفرانِ؛ غَصَبًا عليهم. وجعَلَ فِيسانَهم الذَّكْرَ عليه للكِه بسَعة الرَّحمةِ، وجمَلَ في الأَنْ ذلك التَّمتيع أفضى إلى الكُفرانِ؛ المِسانَهم الكُفرانِ؛ على الكُفرانِ؛ 1 المُنْفرية الكُفرانِ؛ 1 المُنْفرية الكُفرانِ؛ عَلى الكُفرانِ؛ 1 المُنْفرية الكُفرانِ؛ 1 المُنْفريهم، قال تعالى: ﴿ وَتَعَلَونَ يُوفَكُمُ أَلْكُمْ أَكُمْ الْكُمْ الْكَوْبُونَ ﴾ [الواقعة: ١٨٤].

- قَولُه: ﴿ وَلَئِكِنَ تَتَمَعَتُهُ مُرَوَاتِكَاهُمُ مُثَنَى نَشْلِهُ الْلَاصَّتِى ﴾ التَّمَوُّضُ إلى تَمتيع آبائِهم هنا، معَ أنَّ نِسِيانَ الذَّكْرِ إنَّما حصَلَ مِن المُشْرِكين الَّذِين بلَغَنْهم النَّحَوةُ المُحمديَّةُ ونشُوا الذَّكْرُ: هو زيادةُ تَعظيمِ نِمعةِ التَّمتيعِ عليهم بالنَّها نِعمةٌ مُتأثِّلةٌ تَليدةٌ، مع الإشارةِ إلى أنَّ كُفرانَ النَّعمةِ قد انجَرَّ لهم مِن آبائِهم

⁽۱) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۷۰)، ((حاشية الطبيي على الكشاف)) (۱۹۹/۱۱)، ((تفسير أبي السعود)) (۲۰۸/۱).

⁽۲) يُظل: ((نفسير الزمخسري)) (۳/ ۲۷۰)، ((نفسير البيضاوي)) (٤/ ۱۲۰)، ((نفسير أبي حيان)) (م/ ۹۱)، ((نفسير أبي السعود)) (۱/ ۲۰۸)، ((نفسير ابن عاشور)) (۲۸ (۳۳۹).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٤٠).





الَّذين سَنُّوا لهم عِبادةَ الأصنامِ؛ ففيه تَعريضٌ بشَناعةِ الإشراكِ، ولو قبْلَ مَجيءِ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم(').

- وجُملةُ: ﴿ وَكُانُواْ قَوْمًا مُورًا ﴾ اعتِراضٌ تَذييليٌّ مُقرِّرٌ لمَضمونِ ما قبْلُه (١٠).

- وعلى القول بأنَّ ﴿ بُولَ ﴾ مَصدرٌ؛ فيكون وُصِفُوا به مُبالَغةٌ؛ ولذلك يَسْتوي فيه الواحدُ والجمْمُ (٣٠.

- واجتِلابُ فِعْلِ (كان)، وبِناءُ ﴿ وُهُوا ﴾ على ﴿ فَوَمَّا ﴾ دونَ أن يُقالَ: (حتَّى نسُواالذَّكْرَ وبارُوا)؛ للدَّلالةِ على تَمكُّنِ البَوارِ منهم بما تُقتضيهِ (كان) مِن تَمكُُنِ معنى الخبَرِ، وما يَقتضيهِ ﴿ فَوَمَّا ﴾ مِن كَونِ البَوارِ مِن مُقوَّماتٍ فَوميَّتِهم (٢٠.

٣- قُولُه تعالى: ﴿ فَقَدْ كَنْجُكُم بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيمُونَ صَرَفًا وَلَا نَشْتَطِيمُونَ صَرَفًا وَلَا نَشْرَا وَمَن يَظْلِم يَنكُمْ أَنُوقَهُ عَذَائِكا كَيْرًا ﴾ هذه الآيةُ كالخاتمة لِمَا يَشْرِي عليهم مِن الأحوال والنّكالِ مِن لَدُنْ قولِه تعالى: ﴿ إِذَا زَلْقَهُم مِن مُكَانِ بَعِيدٍ ﴾ (*) [الفرقان: ١٢].

- وقولُه: ﴿ فَقَدْتَذَقَلَمُكُمْ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَعَلِيمُونَ صَرَفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ في الكَلامِ حذْفُ فِعلِ القولِ بدُلُّ عليه المَقامُ، والتَّقديرُ: إِنْ قُلْتم: هؤلاء المَقْتُنا، فقد كَذَّبُوكم، على تقديرِ قولٍ مُرتَّبٍ علَى الجوابِ، أي: فقال اللهُ تعالى عندَذلك: فقد كَذَبُوكم. وفي حذْفِ فِعلِ القولِ في هذه الآية استحضارٌ لصُورةِ المَقام كأنَّه مُشاهَدٌ غيرُ مَحكيٍّ، وكأنَّ السَّامعَ آخِرَ الآيةِ قد سيعة

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٤٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٩).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٢٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٢٤١).

⁽٥) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٢٠٢/١١).





لهذه المُحاوَرةِ مُباشَرةَ دونَ حِكافِية فقرَعَ سمْعَه شَهادةُ الأصنامِ عليهم، ثمَّ قرَعَ سمْعَه توجُّهُ خِطابِ التَّكذيبِ إلى المشهودِ عليهم، وهو تقُنَّرُ بَديعٌ في الحِكافِية يَعتمِدُ على تَخييلِ المَحكيِّ واقِمَا؛ فجُملةٌ ﴿ فَقَدْ صَكَفَّكِمُ ... ﴾ مُستَأَنفةٌ ابتدائيَّةٌ، وهو الْتِفاتُ إلى العَبَدةِ بالاحتِجاحِ والإلزام، وإقبالٌ على خِطابِ الحاضِرينَ، وهو صَربٌ مِن الالتِفاتِ، مِثلُ قولِه تعالى: ﴿ وَالسَّعَفِيمِ لِذَيْهِكِ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَمُستُهُ أَعْرِضَ عَنْ هَذَا ﴾ (" إيوسف: ٢٩].

- قَولُهُ: ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُوكَ صَوْقًا وَلَا نَصَرًا ﴾ فَرَّعَ على الإعلانِ بتكذبيهم إيَّاهم تأييسُهم مِن الانتِفاعِ بهم في ذلك الموقفِ؛ إذ بَيَّنَ لهم أَنَّهم لا يَستطيعون صَرْفَ ضُرَّ عنهم، ولا إلْحاق ضُرَّ بمَن يَغلِيُهم. ووَجُهُ التَّفريع

⁽۱) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٤-١٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٩٢/٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٩٩/٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩١/١٣٤).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۷۱)، ((حاشية الطبيي على الكشاف)) ((۲۰،۲۰۰)، ((۲۰،۲۰۰)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۰۱،۲۰۰).





ما ذَلَّ عليه قرلُهم: ﴿ سُبَحْنَكَ ﴾ [الفرقان: ١٨]، الَّذي يَقْتضي أَنَّهم في مَوقف اللَّبِهِ ﴿ اللَّمِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّ

- وعلى القول بأنَّ الخِطابَ للمَمبودِينَ، فالتاءُ في ﴿ تَسْتَطِيمُوت ﴾ النِفاتُ". - قَولُهُ: ﴿ وَمَن يَظْلِم يَنكُمْ تُؤْقَهُ عَذَاكا كَيمِلاً ﴾ تَذييلُ للكَلامِ يَسْمَلُ عُمومُه جميعَ النَّاسِ، ويكونُ خِطابُ ﴿ وَنِكُمْ ﴾ لَجميعِ المُكلَّفينَ، ويُفِيدُ ذلك أنَّ المُشركِين المُنحِقَّ عنهم مُعَنَّبون عذابًا كبيرًا ".



⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٠٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٣٤٢/١٨).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٩٢).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٤٢).





الآيات (٦٠-٤١)

﴿ وَمَا أَرْسَلُنَا فَبُلُكَ مِنَ الْمُرْسَلِاتِ إِلَّا إِفَهُمْ لِبَنَا كُلُونَ الطّحَامُ وَيَمْشُونِ
فِي الْأَسْوَقِ فَي مَعَلَنَا بَشَفَكُمْ لِتَشْفِى فِيْسَةٌ أَنْصَهْ بِرُونِ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۞

وَقَالَ اللّذِينَ لا بَرْجُونِ لِقَامَّا لَوَلاَ أَيْنِ مَلِينَا اللّهَ بِكُهُ أَلْ زَنِي رَبَّنَا لَقَدِ اَسْتَكُبُكُواْ فِي الْفُيْسِيمِ وَعَنْو لِشَجْرِينَ وَيُفُولُونَ حِجْرَ الشَّهِيمِ وَعَنْو كَلَيْ اللّهُ بِكُمْ لا بَشْرَى بَرْمَهِ لِللّهُ جِينَ وَيُفُولُونَ حِجْرَ الشَّهِيمِ وَعَنْو اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللل

غُريبُ الكُلمات:

﴿ وَعَنَوَ ﴾: أي: تكبَّروا وتحبَّروا، والعاتي: هو المبالغُ في رُكوبِ المعاصي المتمّرَّدُ، والغُتُوُّ: تجاوُزُ الحَدِّ في الظُّلم، وأصلُ (عتو): يدُلُّ على استِكبارٍ (١٠).

﴿ حِمْرًا تَحْمُورًا ﴾: أي: حَرَامًا محرَّمًا، وأصلُ (حجر): يدُلُّ على مَنع (١٠).

﴿ هَيَكَاتُمَنَدُولَا ﴾: أي: ضائعًا باطِلًا، والهباءُ المنثورُ: ما يدخُلُ البَيتَ مِن الكُوَّةِ (النافذة) مِثلَ الغُبارِ إذا طلَعَت فيها الشَّمسُ. وأصلُ الهباءِ: يدُلُّ على غَبرةِ ورِقَّةٍ، وأصلُ (نشر): يُدُلُّ على إلقاءِ شيء مُتَمَرَّقِ".

⁽١) يُنظر: ((غرب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٣٣)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٢٥). ((الغربييز)) للهووي (٤/ ١٣٢٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٦ه)، ((نفسير ابن عاشور)) (٩/ ١/).

⁽۲) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ۳۱۲)، ((نفسير ابن جرير)) (۲۷/۷۷)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ۳۰۰)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (۱۳۸/۲)، ((نذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ۳۱۲)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ۲۱۲).

⁽٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣١٢)، ((تفسير ابن جرير)) (١/١ ٤٣١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٩٤)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٨٩٩)، (١/ ٣١).





﴿ مُقِيلًا ﴾: أي: مَنزِلًا وقرارًا وقتَ القاتلةِ، والقَيلولةُ عند العَرَبِ: الاستراحةُ نِصفَ النَّهارِ إذا اشتَدَّ الحَرُّ').

مُشكِلُ الإعرابِ:

قُولُه تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرْوَنَ ٱلْمَلَتَهِكَةَ لَا بَثْرَىٰ يَوْمَهِ لِلْتَحْمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً عَمْحُونًا ﴾ قُولُه: ﴿ يَوْمَ ﴾ العامِلُ فيه النَّصِبَ محدوفٌ تقديرُه (يُمنَعون) أي: يُمنَعون البِشارةَ يومَ يَرُون الملائحة، ولا يجوزُ أن يعمَلَ فيه نَفْسُ البُشرى؛ لوجهينٍ:

أحدُهما: أنَّها مصدرٌ، والمصدرُ لا يعمَلُ فيما قبْلَه.

والثاني: أنَّها منفيَّةٌ بـ (لا)، وما بعْدَها لا يعمَلُ فيما قبْلَها.

وقيل: إنَّ ربوم) منصوبٌ بـ (اذكُرُ) محذوفًا؛ فيكونُ مفعولًا به، والتقديرُ: اذكُرُ يومَ يَرَونَ الملائكةَ. وجملةً ﴿لَا بُشْرَىٰ ﴾ في محلَّ نَصبٍ، مَقولُ قَولٍ مُضمّرٍ، أي: يومَ يَرَونَ الملائكةَ يقولونَ: لا بُشرى، وجملةُ (يقولون) المقَدَّرةُ في محلًّ نصبٍ حالٌ مِن ﴿المَلَتِكةَ ﴾.

قُولُه: ﴿ حِجْرًا ﴾ منصوبٌ على المَصدريَّةِ بفِعلٍ مَحدُوفٍ وُجوبًا، وهي مِنْ (حَجَره): إذا مَنَّعَه؛ لأنَّ المستعيذَ طالِبٌ مِن اللهِ أن يمنعَ المكروة لا يَلتَقُهُ، وكأنَّ المعنى: أسألُ اللهَ أن يمنَعَه مَنعًا، ويَحجُرَه حَجرًا، و﴿ عَجُورًا ﴾ صِفةٌ مُوكِّدةٌ للمَعنى "٠.

⁽۱)يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۲۷/ ٣٣٤)، ((الغريين)) للهروي (٥/ ١٦٠٣)، ((التفسير البسيط)) للواحدي (٢/١٦))، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٩٠).

⁽۲) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (۲/ ۵۳۲)، ((تفسير الزمخشري)) (۱۷۶۳)، ((التيبان في إعراب القرآن)) للمكيري (۲/ ۹۸۶)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (۸/ ٤٧٠–٤٧٣)، ((تفسير الألوسي)) (۲/ ۱).





المعنى الإجماليُّ:

يقولُ تعالى: وما أرسَلْنا قَبَلَك -يا مُحمَّدُ- أحدًا مِن المُرسَلينَ إِلَّا مِن البَشَرِ الذين يأكُلونَ الطَّعامَ، ويَمشونَ في الأسواقِ؛ فليس للمُشرِكين حُجَّةٌ في تكذيبِك. وابتَلَيْنا بعضَكم ببَعضٍ -أيُّها النَّاسُ- فهلْ تَصبِرون على هذا البَلاءِ؟ وكان ربُّك -يا محمَّدُ- بَصيرًا بمن يَصبِرُ مِن عِبادِه ومَن لا يصبِرُ، ويعلَمُ أحوالَهم وأعمالَهم، وسيُجازي كُلَّا بعَمْلِه، ويعلَمُ مَن يصلُحُ لرسالتِه فَيصْطَفيه.

وقال الكفّارُ الذين يُنكِرون البعث ولا يُقِرُّون بلقاءِ الله ولا يخافونَه: هلّا أنوَّل اللهُ الملائِكةَ علينا؛ ليُخبِرونا بصِدقِك، أو نرى اللهَ جَهرةً بأعيُّبنا فنؤمِنَ لك! لقد أضمر هؤلاء الكُفّارُ في أنفُسِهم كِبْرًا عن الحقّ، وتجاوَزوا الحَدَّ في الظُّلمِ والطُّغيانِ والاستِكبارِ. يومَ يرى هؤلاء الكُفَّارُ ملائِكةَ العذابِ فلا بُشرى لهم يَومَها بالخَير، بل بالخَيبةِ والخُسرانِ، ويقولُ الملائِكةُ لهم: حَرامٌ محَرَّمٌ عليكم أن تكونَ لكم اليومَ بُشرى.

وقصَدْنا إلى ما عَمِلَه هؤلاء الكُفَّارُ في الدُّنيا مِن وُجوهِ الخَيرِ، وأعمالِ البِرِّ، فجمَلْناه ضائِمًا باطِلًا لا وَزنَ له، كالهباءِ الذي تفرَّق وتبَّد؛ لحقارتِه، أمَّا أهلُ الجنَّةِ فهم خَيرٌ مكانًا ومَنزِلًا في الجنةِ، وهم أحسَنُ موضعَ قائلةِ!

تَفسيرُ الآيات:

﴿ وَمَا آَرْسَلْنَا فَبَلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِبَا تُحُونَ الطَّعَامُ وَيَعَشُونَ فِي ٱلأَسْوَاقِ وَيَحَمَلُنَا بَشَيْحَكُمْ إِينَشِي فِيشَةً أَنْصَبِرُونَكُ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۞﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا تقدمَ الطعنُ على الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأكل الطَّعام، والمشي





في الأسواقِ؛ أخبَرَ تعالى أنَّها عادةٌ مُستمِرَّةٌ في كلِّ رِسالةٍ(١).

وأيضًا لَمَّا فَرَغَ مِن تهديدهم ووعيدِهم؛ شرّع في تسلية رَسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بما ناله مِن قَولِهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِيَأَكُنُ ٱلطَّعَارَ ﴾ [الفرقان: ٧] مِن الحُرْنِ وضِيق الصَّدر'').

﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا فَهُلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنْهُمْ لِيَأْكُونَ ٱلطَّعَمَامَ وَيَعْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ﴾.

أي: وما أرسَلْنا قبْلَك -يا محمَّلُ- أحدًا مِن المرسَلينَ إلَّا والحالُ أَنَّهم بَشَرٌ يأكلون الطَّعامَ ويَمشونَ في الأسواقِ؛ فليس للمُشرِكين حُجَّةٌ في تكذيبِك؛ لكونِك تأكُلُ الطَّعامَ وتَمشى في الأسواقِ؟".

كما قال تعالى: ﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا قَبَلْكَ إِلَّا بِعَالًا فُرِي َ إِلَيْمِ فَتَنْقُوۤ أَفَلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنْتُهُ لَاتَمْلُتُونَ * وَمَاجَعَلْنَهُمْ جَسَدًالَا يَأْصُلُونَ ٱلطَّعَامُ وَمَا كَانُواْخَلِينَ ﴾ [الأنبياء:

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِيَعْضِ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبلَها:

أفاد ما تَقَدَّمَ مِن الآيةِ أنَّ الرُّسُلَ يأكُلُونَ الطَّعامَ فيحتاجونَ للفِذاءِ وتحصيلِه، وأنَّهم يَمشونَ في الأسواقِ للسَّعيِ والتكشُّبِ؛ وأفاد آخِرُ الآيةِ الحِكمةَ الرَّبَائيَّةِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٩٤).

⁽٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/٢٠٢).

⁽۳) يُنظر: ((تقسير ابن جوير)) (۲۷-۱۹)، ((تفسير ابن کثير)) (۱۰۰،۱۰)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (۲۱ه/۲۱۰)، ((تفسير القاسمي)) (۲۳۶۷)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۰)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۲/۱۸)





في ذلك، وهي أنْ يكونَ بذلك فتنةٌ واختبارٌ للعِبادِ، وتلك سُنَّةُ اللهِ تعالى في خلْقِه؛ فقد جَمَل بعضَهم لبعض فتنةً''.

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِيعْضِ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾.

أي: وامتحنًا -أيُّها النَّاسُ- بعضَكم ببَعضٍ؛ لِيَظهَرَ ما نعلَمُه منكم في عالَمِ الغَيبِ مِن الطَّاعةِ والمعصيةِ في عالَمِ الشَّهادةِ، فهلْ تَصبِرونَ على البَلاءِ أو لا تَصبرونَ^{٣١}؟

قال ابن القيم: (قال تعالى: ﴿ وَصَكَدَلِكَ تَنَا بَعَشَمُ بِيَعْنِي ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَلَنَا المَسْتَطُونِهُمْ فَيَعْنِي ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَسَلَنَا المَسْتَحُرُ إِلَيْنِ فِينَا لَلْمَاءِ، وهَنَّ وَعَلَاهُ وَيَنَا لَلْمَاءِ وهَنَّ وَعَلَاهُ وَيَنَا لَلْمَاءِ، وهَنَّ وَعَنَا لَهُمْ وَالرَّجَالُ فِينَا للسَّاءِ وهَنَّ وَعَنَا لَهم، والرَّجَالُ فِينَا للسَّارِه، وهَنَّ فِيهم المَّرْتُ والفُقراء فِينَة لهم، والنالي كَلْ أَحِدِ بِقِيدٌ جَمَلًا مُتَالِكُوا فِما استَرَّتُ أَلَامُ الأَمْ فِي الذَّرْيُّ وَلَلْكَ إلى أن يطويَ اللهُ الذَّيا ومَنَ عليها، وكم له سبحانَه في مِثلِ هذا الايلاءِ والامتحانِ مِن حِكمةِ بالغنِّه، ويُعمق سابِغة، ومُحكِم نافق، ويُعمق اللهُ الذَّيا (رضاء اللهُ الذَّيا ومَن عليها، وكم له سبحانَه في مِثلِ هذا الايلاءِ والامتحانِ مِن حِكمةٍ بالغنِّه، ويُعمق المُلكِه وحَمِدِهِ!). ((شفاء المليل)) (هن: ٤٢). (ومن : ٤٢). (ويُعنَّة اللهفان)) لابن القيم (١/ ١٦٢).

ومثن اختار هذا المعنى بعمومه في الجمائة : ابنُ جريره والقرطيقُ وابن رجب، والسعدي. يُنظر:

((تفسير ابن جرير)) ((۲۷ / ۲۶)، ((تفسير القرطيي)) (۱۸ / ۱۸)، ((اختيار الأولى في شرح
حديث اختصام الملأ الأعلى)) لابن رجب (ص: ۱۳،۱۲۲)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۰۰).
قال ابن عاشور: (وحالُّ الفتنة في كلا البعقين مختلفٌ فبصُّها فتنةٌ في العقيدة، وبعضُها فتنةٌ
في الأمن، وبعضُها فتنةٌ في الأبدان، وشيلٌ أحدُّ البعقين النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والمؤمنينَ
معه، والبعضُ الآخرُ المشركين، فكان حالُ الرَّسولِ فتنة للمُشرِكين؛ إذْ رَعُموا أَنَّ حالَه مُنافِ
للرسالة فلم يؤمنوا به، وكان حالُ المؤمنينَ في ضَعْفِهم فتنة للمُشرِكين؛ إذ رَعُموا عن الإيمانِ
الذي يُشرِيهم بهم). ((فقير ابن عاشور)) (۱/ 23۲).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٦٥).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) ((۲/ ٤٤٤)، ((معاني القرآن)) للزجاج (۱۳/۶، ۱۳)، ((شفاء العليل)) لابن القيم (ص: ٤٤٤)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۰/۳)، ((نظم الدر)) للبقاعي (۱۳/ ۲۵۰)، ((نقسير السعدي)) (ص: ۵۰۰).





قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضُهُم يَبْعَيْنِ لِتَعُولُواْ أَهْتُؤُلُوْ مَنَّ أَلَّهُ عَلَيْهِم مِنْ يَبْنِنَا أَلْيَسَ اللَّهُ بِأَعْلَى إِلَّشْكِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وعن عِياضِ بنِ حِمارِ المُجاشِعيِّ رَضِيَ الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَّلم قال فيما يرويه عن اللهِ: ((قال: إنَّما بعثنُك لأبتليَك وأبتليَ بك)'''.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

موقعُ هذه الجملةِ بغدَ الجملةِ الأُولى لبيانِ أنَّ فِتنةَ اللهِ لهم هي عن عِلم وبَصَرِ بصَوابِ ذلك وحكمتِه، وأنه مُطَّلِعٌ على حقيقةِ ما يكونُ منهم عندَ الاختيارِ ليجازيَهم عليه، وفي هذا وعدٌ ووعيدٌ للمُمتخينَ".

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾.

أي: وكان ربُّك -يا محمَّدُ- بَصِيرًا بمن يَصبِرُ مِن عبادِه ومَن لا يصبِرُ على ما امتُحِنَ به، ويعلَمُ أحوالكم وأعمالكم، وسيُجازي كُلَّا بعَمَلِه، ويعلَمُ مَن يصلُحُ لرسالتِه فَيصْطَفيه، ويختَصُّه بتفضيله".

⁽۱) رواه مسلم (۲۸٦٥).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٦٦).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٢٥)، ((تفسير القرطمي)) (١٩/ ١٩)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٥٠ ، ٨٥).

مِنَّن اختار أنَّ معنى (وَكَانُ رَبُّكُ يَمِيرُ ﴾ أي: بَمَن يصبِرُ ويمَن يجزعُ: ابنُ جرير، ومكي، والخازن، وجلال الدين المحلي، والشركاني. والخازن، وجلال الدين المحلي، والشركاني. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٢٥٥)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (١٩٧/٥) ((افسير ابن الجوزي)) ((الوجز)) للواحدي (ص: ٧٧٦)، ((تفسير البزي)) (٢١١/٣٤)، ((تفسير البزي)) (٢١١/٣٤)، ((تفسير الجلاليز)) (حن ٤٧٢)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٨٠).





﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونِكَ لِقَاتُمَا لَوْلَا أَزِلَ عَلَيْمَا الْمُلَتَحِكُةُ أَوْ نَزَىٰ رَبَّثَ لَقَدِ اسْتَكَكَبُرُوا فِيّ أَشْهِمْ رَعَنْو عُمُواً كَبِيرًا ۞﴾.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلْتَبِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾.

أي: وقال الكفَّارُ الذين لا يَطمَعونَ في لقائِنا، فلا يرجونَ ثوابَنا ولا يخافونَ عِقابَنا؛ لإنكارِهم البَعثَ: هلَّا أنزَل اللهُ علينا الملائِكةَ، أو نرى اللهَ بأعيُّبنا فَنُومِنَ⁰⁷؟!

= ويشَن قال بنحو هذا القول من السلف: ابنُ جُرَيج. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۲۱,۲۱۶). وقبل: المعنى: إذَّ اللهَ يصيرٌ بعن يَستجقُّ أن يُوحى إليه ومَن يستجقُّ أن يهديه اللهُ لِما أرسَلهم به، ومَن لا يستَجقُّ ذلك. ومثَّن قال بذلك: ابنُ كثير، يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (۱-۱۰). وقال التعلميُّ: (﴿وَكَتَكَانَ رَبُّكَ بَهِيمَرُ﴾ بمَن يَعسرُ ويَجزعُ، وبمن يؤمنُ وبمن لا يؤمنُ). ((نفسر التعلم)) (//١٢٨).

وقال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ رَقُلُهُ بَعِيمِ ﴾ أي: بكلُّ امري، وبمن يصبرُ أو يجزعُ، ومَن يؤمرُ ومَن لا يؤمنُ، وبمن أدّى ما عليه مِن الحقّ ومَن لا يؤدّي). ((تفسير القرطبي)). (١/١/ ١)

وقال السعدي: (﴿ وَصَافَا رَبُكُهُ بَعِيمِ؟ ﴾ يعلَمُ أحوالكم، ويصطَفى مَن يعلَمُه يصلُحُ لرسالتِه ويختَصُّه بتفصيله، ويعلُمُ أعمالُكم ثِبُجازيكم عليها: إنْ خَيرًا فخيرً، وإنْ شَرًّا فشرًّا. ((تفسير السعدي))(ص: ١٩٨٠، ٥٨١).

(۱) يُنظر: (تفسير ابن جرير)) (۱/ ۲۲)، ((الوسيط)) للواحدي (۳۳۸/۳)، ((تفسير ابن جزي)) (۲/ ۸۱)، ((تفسير ابن کثير)) (٦/ ۱۰۱)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣٦٨/١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۱ه)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (۲/ ۳۷).

قيل: المعنى: هذّ أنزل اللهُ علينا ملاتكة، فتُخيِرَنا أنَّ محشّنًا معبقُّ فيما يقولُ، وأنَّ ما جاءنا به صِدفٌ، أو نرى ربَّنا فيشيِرَنا بذلك! ومثن قال بذلك في الجملة: ابنُ جربو، والسموقندي، وابن أبي زمنين، والتعلبي، ومكَّي، والبغوي، والزمخشري، والقرطي، والخازن، والألوسي. يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (٤٣١/١٧)، ((نفسير السموقندي)) (٢/ ٣٤٤)، ((نفسير ابن أبي زمنين) (٢/ ٢٥٧)، ((نفسير التعلبي)) (٢/ ٤٤١)، ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي (م/ ١٩٧٥)، ((نفسير البغوي)) (٢/ ٤٤)، ((نفسير الزمخشري)) (٢/ ٢٧٢)، ((نفسير





كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَنَ فُؤْمِرَ لَكَ حَقَى تَفَخَرُ لَا مِنَ الأَرْضِ بَلْمُواْ * أَوَ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن غِيلِ وَمِسَبِ فَنَمَجِرَ الْأَنْهَرَ خِلَلَهَا تَغْجِرًا * أَوْ تُشْفِطُ السَّمَاءَ كُمَّا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِمُنَا أَوْ تَأْنِي بِاللّهِ وَالْمَلْتِكِةِكَ قِيلًا * أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْثُ مِن ثُخْرُي أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءَ وَلَن ثُؤْمِنَ لِرُفِيِكَ حَقَّ ثُمْزِلًا عَلَيْنا كِنَا تَقْرَوُهُ قُلْ سُبْحَان رَدِ هَلْ كُشْنُ إِلَّا بِشَكَل رَمُولًا ﴾ [الإسواء: ٩٠ - ٣٩].

﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ ﴾.

أي: لقد تكبَّرَ الكُفَّارُ الذين تجرَّرُوا على اقتراحِ نُزولِ الملائِكةِ عليهم، أو رُويةِ اللهِ في الدُّنيا، وتعظَّموا في أنفُسِهم'').

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَكِدُلُونَ فِى ٓ مَاكِتِ اللَّهِ بِعَدْرِ سُلْطَنَنٍ أَنَـٰهُمْ ۚ إِن فِ صُدُودِهِمْ إِلَّا كِيِّرٌ مَّـاهُم بِبَلِيْدِهِ ﴾ [غافر: ٥٦].

= الفرطمي)) (۱۹/۱۳)، ((نفسير الخازن)) (۲۱/۱۳)، ((نفسير الألوسي)) (۲۰/٤). وممَّن قال بنحو هذا القُولِ مِن السَّلَفِ: ابنُّ جُرَيِحٍ. يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲۲/۱۷). وقيل: معنى: ﴿وَلِمَا لَزُلِنَ كَلِّتِنَا ٱللَّمَلَةِكُمْ ﴾ أي: بالرسالةِ كما أنت الأنبياء والرسُّل، كما أخبرٌ

وفيل: مغنى: فؤولا الزن غيننا المسلمية به اي: بالرسالو حما انت الاسهاء والرسل، هما اخبر عنهم تعالى في الأية الأخرى: ﴿فَالُواْ أَنْ تُلْيَنَ خَنْ تُؤَنِّ يَشَلَ مَا أُونِّى رُسُلُ اللهِ [الأنّام: ١٣٤]. ومِمْنَ قال بذلك: ابنُّ كثير، والشنقيطي. يُنظر: ((نفسير ابن كثير)) (١٠١/١)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤٣/١).

وقيل: المعنى: هَلَّ أَتُول علينا الملازِكةُ فكاتوا (سُلَّة إلينا! وممَّن اختار: مقاتلُ بنُ سليمانَ، والواحديُّ يُنظر: ((تضير مقاتل بن سليمان)) (٣/ ٣٣٠)، ((البسيط)) للواحدي (١٦/ ٤٤٩)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/ ٣٣٨).

وقال السعدي: (﴿ وَالْوَلَةُ أَوْلَ عَلَيْنَا اللَّكَتِيكُمُ أَوْ زَيْنَ رَبِّنَا ﴾ أي: هَلَّ نُزْلَت المعلايكةُ تَشَهَدُ لك بالرّسالةِ وَتَوْيُدُكُ عليها، أو تُترلُ رُسُلًا مُستقِلْينَ، أو نرى رَبَّنا فِبْكَلْمَنا ويقولَ: هذا رَسولي فاتّبِعره!!). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨١).

(١) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (٢٧/ ٢٣٤)، ((تفسير السمعاني)) (١٤/٤)، ((نفسير السعدي)) (ص: ٥٨١)، ((أضواء اليان)) للشنقيطي (٦/ ٣٧).





﴿وَعَنَوْ عُنُوًّا كَبِيرًا ﴾.

أي: و تجاوَزَ أولئك الكُفَّارُ الحَدَّ في الكِبْرِ والظُّلمِ والطُّغيانِ، باقتراحِهم ذلك''.

﴿ يَوْمَ يَرُونَ ٱلْمُلَتِّمِكُةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَهِذِ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا عَجُورًا ١٠٠٠٠٠

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

هذه الآية تُجوابٌ لقَولِهم: ﴿ لَوْلَا أَنِّنَ عَلَيْنَا ٱلْمَلْتَهِكُمُّ ﴾، فبَيَّنَ تعالى أنَّ الذي سألوه سيُوجَدُ، ولكِنَّهم يَلقونَ منه ما يَكرَهونَ (١٠٠٠).

﴿ يَوْمَ يَرُونَ ٱلْمَلَتُهِكَةَ لَا يُشْرَىٰ يَوْمَهِذِ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾.

أي: يومَ يرى الكُفَّارُ مَلائكةَ الموتِ حينَ تَنزِلُ لقَبضِ أرواحِهم، ويَرُون ملائكةَ العذابِ في البَرزخِ ويومَ القيامةِ؛ فلا تُبَشِّرُ الملائكةُ المُجرِمين يومَ يَرَونَها بالخَيرِ، بل بالخَيبِة والخُسرانِ^{٣٣}.

كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَوَى إِوْ الظَّلِيمُونَ فِي غَمَرَتِ ٱلْمُرْتِرُ ٱلْمُلْتِكُمَّةُ بَاسِطُرُّا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسُكُمُّ ٱلْكُومُ تُجْرَرُنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ عَيْرَ ٱلمُقِّ وَكُنتُمُّ عَنْ مَانِدِيهِ تَسْتَكُمُّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقال سُبحانَه: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَقَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَتَحِكُهُ يَضْرِيُونَ وُجُوهُهُمْ وَأَذَنَكُوهُمْ وَدُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال: ٥٠].

⁽١) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (٤٣١/١٧)، ((الوسيط)) للواحدي (٣٣٨/٣)، ((نفسير الشوكاني)) (٤/ ٨١)، ((أصواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٣٥، ٣٨).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (۲٤/ ٤٤٩).

⁽۳) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۲۷/۷۷)، ((تفسير القرطبي)) (۲۰/۳۳)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۰۲،۱۰۱)، ((نظم الدر)) للبقاعي (۲۱۹/۳۳)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۱)، ((أضواء البيان)) للشتقيطي (۲/۳۷،۸۳).





وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ نَوَقَنَّهُمُ الْمَلَتِكُةُ طَالِينَ اَنْشُيِهِمُّ قَالَقُواْ النَّـَلَةِ مَا كُنَّا فَصَلَّ مِن شَوَّعُ بَنَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيدًا بِمَا كُشَنَّهُ تَصَمَلُونَ * فَادَخُلُواْ الْبَوْبَ جَهَةَمُ خَلِابِي فَهِنْسَ مَثْوَى الْمُشَكِّمُونِ ﴾ [النحل: ٢٩،٧٨].

وعن البَرَاء بنِ عازب رَضيَ الله عنهما، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((إنَّ العبدَ الكافِرَ إذا كان في انقِطاع مِن النَّبنا وإقبالٍ مِن الآخرة، نزل إليه مِن السَّماءِ مَلاَئِكةٌ سُودُ الوجوهِ، معهم المُسُوحُ (()، فيَجلسون منه مَذَّ البَهرِ (()، ثمَّ العَمرِ (()، ثمَّ العَمرِ اللهَّمِ عند رأيه، فيقولُ: أَيُّهُما النَّقسُ الخبيئةُ، اخرُجي يجيءُ مَلكُ الموتِ حتى يجلِسَ عند رأيه، فيقولُ: أيُّهُما النَّقسُ الخبيئةُ، اخرُجي مِن الصُّوفِ المبلولِ، فيأخَذُها، فإذا أخَذها لم يَدَعوها في يَبِه طَرْفة عَين حتَّى يَجلوها في تَلك المُسُوحِ، ويخرُجُ منها كانتَن ربحِ جيفة وُجِدَت على وجهِ الأرضِ، فيصمَدونَ بها، فلا يمرُّون بها على ملإ مِن الملائِكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّرِ مُن العلائِكةِ إلَّا قالوا: ما هذا النَّب حتى يُتهى به إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيستغيّخ له فلا يُعتَمُ له، فلا يُستَعَى بها في اللهِ صلَّى اللهُ عَلْهِ والمَنهِ اللهُ عَلْمَ المَنْهُ له فلا يُعتَمُ له، فلا يُعتَمُ له فلا يُعتَمُ له، فلا يُعتَمُ له، فلا يُعتَمَل اللهُ عَلَم المَنها والمَنهَ عَلَى المَنْهَ عَلَى المَنهَ عَلَى المَنها في اللهِ صلَّى اللهُ المعلوبَ المَنهاءِ الدُّنيا، فيستغيّخ له فلا يُعتَمُ له، فلا يَعتَمُ له، فلا يُعتَمُ له، فلا يُعتَمُ له، فلا يُعتَمُ له، فلا يُعتَمُ له، فلا يُعتَمَل اللهُ عَلَم اللهُ عَلَى المَنْهَ عَلَى يَلِحَ المَنهَ عَلَى المَنْهُ عَلَى المَنْهُ عَلَى المَنهُ عَلَى المَنْهُ عَلَى المَنْهُ عَلَى المَنهُ عَلَى المَنْهُ فَلَانَهُ عَلَى سَجُعِينَ المَنْهُ في الأَرْضِ السُّفلى، فُطرَّ وُحُه مُؤحَّه، ثمَّ قرأ خَلَق وَلَ يُشْعِلُ الْمَنْهُ الْمَنْ الْمَنْهُ الْمِنْهُ الْمَنْهُ الْمَنْهُ الْمَنْهُ الْمَنْهُ الْمِنْهُ في الأَرْضِ السُّفِلَ المَنْهُ الْمَنْهُ الْمَنْمُ الْمُنْهُ الْمَنْهُ الْمُنْهُ الْمُنْه

⁽١) المُسُوحُ، جَمعُ البِسِعِ، وهو اللَّباسُ الخَتِينُ، يُنظِر: ((امرقاة المفاتيح)) للقاري (٣/ ١٧٩). (٢) مَد البِصَر: عبارةٌ عمَّا ينتهي إليه بِصَرُ الإنسانِ. يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) للمظهري (م) 1847

⁽٣) السَّفُودُ: أي: الحديدةُ التي يُشوى بها اللَّحَمُ، يُعقِر: ((شرح المشكاة للطبيي)) (٤/ ١٣٨١). (٤) سِجُينِ: قِبلَ: هو موضِعٌ فيه كتابُ الفُجَّارِ مِن قعرِ النَّارِ. وقيل: هو كتابٌ جامعٌ لأعمال الشياطين والكَفَرَةِ. وقيل: هو مكانٌ في أسفلِ الأرضِ الشَّابِعَ، وهو محلُّ يليسَ وجنووه. يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٣/ ١١٨٠)، ((مرعاة المفاتيح)) للمباركفوري (٢٩٤٥).





يرك السَّمَاةِ فَتَخْطَلُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرَّيْعُ فِ مَكُانِ سَحِيّ ﴾ [الحج: ٣٦]، فتمادُ رُوحُه في جسَدِه، ويأتيه مَلكانِ فيُجلسانِه، فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: هاهُ هاه، لا أدري، فيقولانِ له: ما هذا الرجُلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هاهُ هاه، لا أدري، فينادي مُنادٍ بن السَّماءِ أَن كذَبَ، فافرشُوا له مِن النَّارِ، وافتَحوا له بابًا إلى النَّارِ، فيأتيه مِن السَّماءِ أَن كذَبَ، فافرشُوا له مِن النَّارِ، وافتَحوا له بابًا إلى النَّارِ، فيأتيه مِن كرَّه، وَشَعوا له بابًا إلى النَّارِ، فيأتيه مِن السَّرِ، وافتَحوا له بابًا إلى النَّارِ، فيأتيه مِن كرَّه حتَّى تخلِف فيه أضلاعُه، ويأتيه رجُلٌ قبيحُ كرَّا في في أَن كذَبَ مُؤمِّلُ الذي يَسووُك، هذا يومُك الذي كنتَ تُوعَدُّ فيقولُ: أَن اعمَلُك الوجهُ يجيءُ بالشَّرِّ، فيقولُ: أنا عمَلُك الخيثِث. فيقولُ: أنا عمَلُك الخيثِث. فيقولُ: أنا عمَلُك

﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا تَحْجُورًا ﴾.

أي: ويقولُ الملائِكةُ للكُفَّارِ: حَرامٌ محَرَّمٌ عليكم الفَلاحُ اليومَ (١٠).

(۱) أخرجه ابن أبي شبية في ((المصنف)) (٩٩ - ١٢)، وأحمد (١٨٥٣٤)، والحاكم في ((المستدرك)) (١٠٧) بالفاظ متفارية.

صحَّح إسنادَه ابنُ جريرٍ في ((مسند ابن عمر)) (٢/ ٤٩٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢٠٠/١)، وحشَّن المحديث المعنَّدرِّيُّ في ((الترغيب والترهيب)) (٢٨٠/٤)، وصحَّحه الألبائيُّ في ((صحيح الترغيب)) (٢٥٥٨)،

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٣٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ٢٠١).

وممَّن ذهب إلى أنَّ القاتلينَ بذلك هم الملائكةُ: ابنُ جريرٍ، وابنُ كثيرٍ، ونسَبه إلى الجمهورِ. يُنظر: المصدران السابقان.

ويمَّن ذهب إلى ذلك أيضًا: السمر قنديُّ، والتعليى؛ ومكِّي، والنسفي، يُنظِّر: ((تفسير السمو قندي)) (٢/ ٥٣٤)، ((تفسير التعلي)) (٧/ ١٣٩)، ((الهداية إلى يلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ١٩٨٥)، ((تفسير النسفي)) (٢/ ٣٣٥).

ومِمَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السلفِ: أبو سعيدِ الخُذْريُّ، والضحَّاكُ، ومجاهدٌ في روايةِ عنه، وقتادةُ في روايةِ عنه. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٧/ ٢٨٤)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) =





﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلِ فَجَعَلْنَهُ هَبَاتَهُ مَّنتُورًا ﴾.

أي: وعَمَدُنا يومَ القيامةِ إلى ما عَمِل هؤلاء المُجرِمونَ في اللَّنيا مِن العباداتِ وأعمالِ البِرِّ والخَيرِ، فأحَبَطْناها وأَبْطَلْناها، حتَّى صارَتْ كالهباءِ'' المتقرِّقِ المتبدَّدِ، فلا يتفِعُمُ منها صاحبُها بشَىءَ أصلًا''.

= (٨/ ٢٧٧ ٢)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/ ٢٤٥).

ومِنَّن اختار أنَّ القاتلينَ بذلك هم المجرمون الكَفَّارُ: الزمخشريُّ، والبيضاويُّ، وأبو حَيَّان، والشوكاني، والقاسمي، والشتقيطي، يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣٧٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ٢٢٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٧٧)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٨١)، ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٢٤٤)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (٦/ ٣٩).

ويمَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السلفِ: ابرُّ جُرِيعٍ، ومجاهدٌ في رواية عنه، وقتادةً في رواية عنه. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۲۲۹/۱۷)، ((تفسير العاوردي)) (۱٤١/٤)، ((تفسير ابن الجوزي)) (۲/۲۲)

قال ابنُ جُزي: (إن كان الفسيرُ للمجرمينَ فالمعنى أنَّهِم يقولونَ: حجرًا، بمعنى عودًا! لأنَّ العربُ كانت تتعرُّدُ بهذه الكلمةِ منَّا تكرهُ، وانتِصابُه بفعلٍ متروكٍ إظهارُه، نحو: معاذَ الله). ((التسهيل لعلوم التنزيلِ)) (ص: ١٣٦٦)،

وقال الشنقيطي: (الكفَّار الَّذِينَ اتَّذَرَحوا إنزالَ العلائكةِ إذا زَأَوُّا العلائكةَ تَرَقَّمُوا العذابُ مِن يَتِهِم، فيقولونَ حِينَٰذِ للعلائكةِ: ﴿ هِجَرُا تَعْجُورًا ﴾: أي: حرامًا مُمَّوَّمًا عليكم أَنْ تَنَسُّونا بسرو؛ أي: لاَثنَّا لم نرتكِّ ذنبًا نَستوجِبُ به العذابُ. ((أصواء البيان)) (٦/ ٣/).

وقال الواحدي: (قولُه: ﴿ حِبْرٍ عَمْجُورًا ﴾ أي: حرامًا مُحَرَّمًا. قاله ابنُ عباسٍ وجميعُ المفسَّرينَ. وأصلُ الحجر في اللغة: المنمُّ). ((البسيط)) (١٦/ ٤٥٤).

(۱) قال ابنُ جرير: (والهَبَاهُ: هو الذي يُرى كهيتةِ النَّبارِ إذا دخل صَوهُ الشَّمسِ مِن كَرَّةٍ، يحسّبُ الناظِرُ غُبارًا، وليس بشّيءٍ، تَقيِضُ عليه الأيدي ولا تمَسُّه، ولا يُرى ذلك في الظُّلُّ). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٣١).

وقال البقاعي: (باطلاً لا نفعَ فيه، وهو معنى ﴿ مَنِكَةُ ﴾، وهو ما يُرى في شُعاع الشَّمي اللَّمانِيل مِن الكُوَّةِ مِشَّا يُشِيهُ الغُبَارَ، فهو أَشَيَّهُ شَيء بِالعدَّمِ؛ لأنَّهُ لا نفعَ له أصلاً). ((نظم اللرو)) ((۲/ ۲۳)، ۲۷) ((الوسيز)) لا ين القيم (ص: ۲۰)، ((نفسير ابن كثير)) (۲/ ۲۰۰، (نفسير الشوكاني)) = التبوكية)) لا بن القيم (ص: ۲۰)، ((نفسير ابن كثير)) (۲/ ۲۰۰، (نفسير الشوكاني)) =





كما قال تعالى: ﴿ مَثُلُ اللَّهِ مِن كَفَتُرُ أَمِرَهِمَ أَ اَعَدَالُهُمْ كُرُعَادِ اَشْتَدَّ بِهِ الرَّجُ فِي فَرَمِ عَامِينٍ لَا يَقِدُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى ثَنَ وَ ذَلِكَ هُوَ الشَّلَالُ الْبَيدُ ﴾ [ابر اهم: ١٨]. وقال سُبحانه: ﴿ وَاللَّذِينَ كَمُوا أَعْمَالُهُمْ كَدَيْمِ يَعْمِعُ مِسَمُ الظَّمَانُ مَا تَحْقَ إِذَا جَمَاهُ لُوْ يَعِدُهُ شَيْعًا وَوَجَدُ اللَّهَ عِندُهُ فَوَقَدْهُ عِسَابَةٌ وَلَقَهُ مَرِيعُ أَلْحَسَابٍ ﴾ [النور: ٢٩].

﴿ أَصْحَبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَهِ إِخَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَفِيلًا ١٠٠٠).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا بَيَّنَ سُبحانَه وتعالى حالَ الكُفَّارِ في الخَسارِ الكُلِّيُّ والخَبيةِ التامَّةِ؛ شرَحَ وصْفَ أهل الحِنَّةِ؛ تنبيهًا على أنَّ الحظَّ كلَّ الحَظِّ في طاعةِ اللهِ تعالى''.

﴿ أَصَحَبُ الْجَنَّةِ يَوْمَهِ إِخَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (١) ﴾.

أي: أهلُ الجنَّة بسَبَبِ ما عَمِلوه من الأعمالِ المتقَبَّلةِ أفضَلُ^٣ منزِلًا في الجنَّة، وأحسَنُ مَوضِمَ فاتِلَةٍ^٣.

= (٤/ ٨٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٨).

قال ابن القيم: (﴿ وَقُومُنَا ۚ إِنَّى مَا عَيْلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَعَمَلَنَهُ هَٰ مِنْكُ تَنْشُولُ ﴾ وهي الأعمالُ التي كانت لغَيرِ الله، وعلى غيرِ أَمْرِه وسُنَّةِ رَسولِه صَلَّى اللهُ عَلَيه وسِلّم). ((مدارج السالكين)) ((/ ؟ ٥١٥). وقال ابن عاشور: (كانوا في الجاهليَّةِ يَعْدُلُون الإعمالُ الصالحةَ متجلةً لخَيرِ اللّنبا؛ لأَنْهَا تُرضي الله تعالى فيجازيهم بيتم في الدنيا؛ إذ كانوا لا يؤينون باليّمثِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١/٨)

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢٥١).

 (٢) قال ابن جُزي: ﴿ فَيَرِّ مُسْتَقَدَّ ﴾ جاء هنا التفضيلُ بين الجنة والنار؛ لأنَّ هذا مستقرً وهذا مستقرًى. ((نفسير ابن جزي)) (٢/ ٨٨).

وقال السعدي: (حذا من باب استِحمالِ أفعَلِ التنفسيلِ فيما ليس في الطَّرَفِ الاَخْرِ منه شَيَّءٌ؛ لأنَّه لا خيرَ في مَقبلِ أهلِ النَّارِ ومُستَعَرَّهم، تَقَوْلِه: ﴿وَالتَّهَ مَثْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩]. ((نفسير السعدي)) (ص. ٨٥١). ويُنظرَ ((قواعد التفسير)) للسِن ((م٨/)).

(٣) يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٧٧)، ((تفسير الرسعني)) (٣١٣/٥)، ((تفسير =





الغَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَمَسَلَنَا بَشَكُمُ إِنْشَوِي فِتْنَةٌ أَنْصَبُرُون ﴾ قَرَنَ شُبحانه الفِتنة بالصَّبرِ هاهنا، وفي قَوله: ﴿ ثُمَّ إِنِ كَرَبَكَكَ لِلْذَيْنِ كَالْجَرُوا مِنْ نَعْدِ مَا ضَيْرَ أَلْ السَّبرِ، فإنْ صبَرَ كانتِ الفتنة مُمحَّصة له ومُخَلَّصة مِن اللَّنوب، كما يُخلَّصُ الكِيرُ خَبَتَ النَّهَ مِ والفِضَّةِ، فالفتنة كَيرُ القلوب، ومحَكَّ الإيمان، وبها ينبَينُ الصَّادِقُ مِن الكَانِدِي، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَا اللَّيْنِ عَنَ فَلَهِ عَلَى اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَعَلَيْدُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللللَّهُ عَلَى اللللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللَّهُ عَلَى اللللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُولُ الللللَّهُ عَلَى الللللَّهُ عَلَى اللْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللللَّهُ عَلَى الللللَّهُ عَلَى اللللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الللللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى

٧- قال تعالى: ﴿ وَكَمَلْنَا بَشَمَكُمْ لِيَسْفِى فِتْنَةٌ أَتَصْبِرُوكَ وَكَانَ رَبُّكُ بَعِيدًا ﴾ بكُلِّ شَيء فهو عالِمٌ بالإنسان قبل الامتحان، لم يُفِذه ذلك عِلمًا لم يُكِنْ، وهو سُبحانه يضَعُ الأمورَ في حاقً مواضِعها وإن رُبِيَ غيرُ ذلك، فينبغي على كلِّ أحدِ التَّسليمُ له في جَميع الأمور؛ فإنَّه يَجُرُّ إلى خَيرِ كبيرٍ، والتدبُّرُ لأقوالِه وأفعالِه بحُسْنِ الانقيادِ والتلقِّي؛ فإنَّه يُوصِلُ إلى علمٍ غزيرٍ، وما أراد بابتلائِك بهم

⁼ الخازن)) (٣/ ٣١٢)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٨٢).

قال البقاعي: (﴿ وَلَحْسَنُ مُقِيلًا ﴾ أي: مكانًا يمكنُ فيه الاستراحةُ في مثلِ وقت القَيلولةِ للاسترواحِ بأزواجِهم، والتعتع بما يكونُ في الخلواتِ). ((نظم الدرر)) (٢٧ / ٣٧).

وقال ابن عاشور: (والمَقيلُ: المكانُ الذي يُؤوَى إليه في القَيلولةِ، والاستراحةُ في ذلك الوقتِ مِن عادةِ المترَفيزَ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩).

وقال الشنقيطي: (اعلمُ أنَّ المشهورَ في كلامِ العرب أنَّ المَقيلَ: القيلولةُ أو مكانُها، وهي الاستراحةُ نصفَ النهارِ زمنَ الحرِّ مثلًا، وإن لم يكن معها نومٌ). ((أضواء البيان)) (27/1).

⁽١) يُنظر: ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (٢/ ١٦٢).





وابتلائهم بك في هذا الأذى الكبير إلّا إعلاءَ شأنِك، وإسفالَ أمرِهم، ﴿ وَلَنَمْلُنَنَّ نَبَالُهُ بَعَدْجِينٍ ﴾(' [ص: ٨٨].

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِيَعْضِ فِشْنَةً ﴾ الرَّسولُ فِتنةٌ للمُرسَل إليهم، واختبارٌ للمُطيعينَ مِن العاصين، والرسُلُ فتَنَّاهم بدَعوةِ الخَلقِ، والغنيُّ فتنةٌ للفقير، والفقيرُ فِتنةٌ للغنيِّ، وهكذا سائِرُ أصنافِ الخَلقِ في هذه الدَّارِ دارِ الفِتَن والابتلاءِ والاختبارِ، والقصدُ مِن تلك الفِتنةِ ﴿أَتَصَّبِرُونَ ﴾ فتقومون بما هو وظيفتُكم اللَّازمةُ الرَّاتبةُ، فيُثيبكم مولاكم، أمْ لا تَصبرون فتَستَحِقُّون المعاقَبَة (٢)؟ فكُلُّ مَنِ اتَّصل بك، مِن أهلك ويَنيك، وأبيك وأمَّك، وأصحابك وعشيرتِك، وقَومِك وكُلِّ مَن ترتبطُ به برباطٍ مِن أبناءِ جنسِك: هو فِتنةٌ وامتِحانٌ لك: هل تقومُ بواجبِك نحوَه مِن جلْب خَيرِ له، أو دفع شَرٌّ عنه، أو جلْب خيرِ منه لِغَيره، أو دفع شَرِّه عن غيره، وهل تكُفُّ يدَك عن شَيْبُه، وتكُفُّ بصَرَك عمَّا مُتِّع به، وتسألَ اللهَ مِمَّا عندَه مِن فَضلِه؟ وإنَّما تقوم بواجِبك نحوَه ممَّا تقدَّم، وتكُفُّ يدَك وعينَك عنه، وتسألُ اللهَ ممًّا عندَه راضيًا بما قَسَم لك، معتقدًا الخيرَ كُلُّ الخير في قَسمِه؛ إذا تدرَّعتَ بالصَّبر على إتيانِه وإن كان عليك ثقيلًا، والكفِّ عمًّا يُطلَبُ منك الانكفافُ عنه وإن كان منك قريبًا، وفي طبعِك لذيذًا. وإنَّما يكونُ لك هذا الصبرُ إذا كنتَ دائمَ اليقينِ بعِلم الله بك، واطِّلاعِه عليك، وأنَّه كان بك بصيرًا. هذه الحقائِقُ كُلُّها هَدَتْنا هذه الآيةُ الكريمةُ إليها؛ هدَتْنا إلى أنَّا امتُحِنَّا ببعضِنا، وأنَّ الذي يُخلِّصُنا في هذا الامتحانِ، ويخرِجُنا سالمينَ هو الصَّبرُ (٢).

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٦٧).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٠).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٦٨).





٤ - قال الله تعالى: ﴿ وَكَمَلْنَا بَسَمَكُمْ لِبَشِي فِتْنَةً أَنْصَبِرُفِك ﴾ عَلِمْنا بن هذه الآية أنَّ الله تعالى: ﴿ وَكَمَلْنَا بَسَمَكُمْ لِبَشْهِم لِيُظْهَرَ حَقَائَهُم، فعلينا أن يَبْنَى أَمُورَنا على الامتحانِ والاختيارِ، فلا نُقُرَّرَ علمًا ولا نُصدِرَ حُكمًا إلَّا بِغَدُ ذلك، وخُصوصًا في معرفةِ النَّاسِ والحُكْمِ عليهم، فالظَّراهرُ كثيرًا ما تُخالِفُ البواطنَ، والتصنُّمُ والتكلُّفُ قلَّما يَسلُم منهما أَخَدُ، ولا يَعهِمُ مِن الخطأِ مع هذه المغالطاتِ كلَّها إلا الامتحانُ والاختبارُ، فاعتَهم، بهما (().

الغَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

 ١ - قَولُه تعالى: ﴿ وَجَمَلُنَا بَسَمَكُمْ لِبَعْضِ فِتْنَةً ﴾ فيه دَليلٌ على القضاء والقدر ('').

٢- في قولِه تعالى: ﴿ وَيَحَمَلْنَا بَعَضَيْ مُ لِيَعْفِى فِيشَنَةً أَنصَّمِرُونَ ﴾ سؤالًا:
 اللهُ تعالى عالِمٌ بما يَكُونُ مِن عبادِه بعداً امتحانِهم قبلَ أن يَمتحِنَهم، فما حِكمةُ
 الامتحان؟

الجوابُ: أنَّ اللهَ تعالى إنما يُحابِبُ عبادَه على ما عَيلوه وكَسَبوه واكتسبوه بما عندهم مِن الاختيار، لا على عِلْهِه بما عندهم مِن الاختيار، لا على عِلْهِه منه قبلُ أن يَعملوه؛ فلهذا يُمتحنون؛ لتظهرَ حقائقُهم، ويَقَعَ جزاؤُهم على ما كسبتُ أيديهم باختيارهم، ولا حُجَّة لهم في تَقَدُّم عِليه تعالى بما يكونُ منهم؛ لأنَّ تقدُّم العِلمِ لم يكن مُلجِئًا لهم على أعمالِهم، ففي هذا الامتحان قيام حُجَّةِ الله على العامِلينَ أمامُ أنفُسِهم وأمامَ الناسِ، كما فيه إظهارٌ لحقيقتِهم لأنفُسِهم ولغيهم، ولغيهم، "

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٦٨).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٢١).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٦٧).





٣- قال الله تعالى: ﴿ وَيَمَمَلَنَا بَهَشَحَكُمْ إِنْتَشِي فِنْـنَةُ أَنْصَـ بِرُونَتِ ﴾ كما يُفتَنُ اللهُ وَاللهِ للمِنْةِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ اللهِ اللهِ

ففي الأُولى: نأتي بما يبرَأُ منه الإسلامُ، ونصَرِّحُ بأنَّه مِن صميمِه!

وفي الثَّانيةِ: ترانا في حالةٍ مِن الجهلِ والفَقرِ والذُّلِّ والاستعبادِ يَرثي لها الجمادُ.

فلمًا يَرانا الغربيُّون على هذه الحالةِ يَنفِرونَ مِن الإسلامِ، ويَسخرونَ منه، إِلَّا مَن نظَرَ منهم بعَينِ العِلمِ والإنصافِ؛ فإنَّه يعرِفُ أنَّ ما نحن عليه هو ضِدُّ الإسلام، فكنًا فِننةً عظيمةً عليهم، وحجابًا كثيفًا لهم عن الإسلامِ. فكنًا -ويا لَلاسفِ- فتنةً للقَرم الظالمين.

وهم مِن ناحيتهم نراهم في عزَّ وسيادة وتقدَّم عِلميَّ وعمرانيِّ، فننظرُ إلى تلك الناحية منهم، فنندفعُ في تقليدهم في كلِّ شيء حتى معائيهم ومفاسِدهم، ونَزْ دَري كلَّ شيء عندنا حتى أعزَّ عزيزٍ، إلَّا مَن نظَر بعينِ الِعلم، فعرَف أنَّ كلَّ ما عندهم مِن خير هو عندنا في ديننا وتاريخنا، وأنَّ ذلك هو الذي تقدَّموا وسادوا به، وأنَّ ما عِندَهم مِن شَرَّ هو شَرَّ على حقيقتِه، وأنَّ ضرَرَه فيهم هو ضَرَرُه، وأنَّه لا يجوز أن يُتابَعوا عليه؛ فكانوا فتنة لنا حتى ينظُر من ينظُرُ بعينِ الحق للحقائق ممَّن تبهرُه الظواهِرُ فتسلُّه إدراكه فتغذو لا يغرَّق بين اللَّبَّ والقشور (().

3 - قَولُهُ تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَلْمَا ﴾ لا يخافون، وإنَّما جاز البرجو، في موضِع البخاف؛ لأنَّ الوَّاجي الشَّيءَ قَلِقُ فيما يرجوه؛ فمرَّةً يُشتدُ طَمَعُه فيصيرُ كالآمِن،

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٦٧).





ومرَّةً يضْعُفُ فيصيرُ كالخائفِ(١).

٥- قَولُه تعالى: ﴿ لَا يَرْبَعُونَ لِقَاتَمَا ﴾ دلَّ ظاهِرُ الآيةِ على جوازِ الرؤية (١٠) وقد أجمع أهلُ اللسانِ على أنَّ اللقاءَ متى نُسِب إلى الحيِّ السليمِ مِن العمى والمانعِ
 اقتضى المعاينة والرؤية (١٠).

٦- في قولِه تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَلْمَنَا لَوْلَا أَنِنَ عَلَيْنَا الْلَكَتِهِكُمُ أَوْ زَيْنَ رَبَّنَا لَلْكَتِهِكُمُ أَوْ زَيْنَ رَبَّنَا لَلْكَتِهِكُمُ أَوْ زَيْنَ رَبَّنَا لَلْكَتِهِ الْإِنْ لَا تَكُونُ بِالاحْتِسَابِ، لَقَدِ السَّمَاعُ فَي اللَّهِ عَلَى إِنْ اللَّهِ تعالى ؟ قال: ﴿ إِلْهَمَا عَلَمْ حَيْثُ يَتِمَنُ لُوسَالَتُكُمْ ﴾ [الأنعام: 175]

٧- يُفهَمُ مِن قولِهِ تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ أَصْحَنُ الْجَنَّةِ يَوْمَمٍ فِيرُ الْجَنَّةِ وَهَمَ فِيرُ الْجَنَّةِ وَهُ اللّهِ الْمَعْتُ الْجَنَّةِ وَهُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهَ اللّهُ عَرَبُ اللّهُ عَرْبُ اللّهُ عَلَى اللّهُ على المؤمنينَ غيرُ عسير، كما قال تعالى: ﴿ لَا يَحْرُنُهُمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَمْلُ اللّهُ عَمْلُ اللّهُ عَمْلُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَمْلُ اللّهُ عَمْلُ اللّهُ عَمْلُ اللّهُ عَمْلُ اللّهُ عَمْلُ اللّهُ عَمْلُ اللّهُ عَمْلًا يَرَمُ عَمِرٌ ﴾ (اللّه د : ١٩].

٨- قال الله تعالى: ﴿ أَشَحَنُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَهِ ذِخَرٌ مُّسْتَقَرُّ وَلَحْسُ مَقِيلًا ﴾
 استنبَط بعضُ العُلماء من هذه الآية الكريمة أنَّ حِسابَ أهل الجنَّةِ يسيرٌ، وأنَّه

⁽١) يُنظر: ((باهر البرهان)) للغزنوي (٢/ ٢٠٢٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (١٤/ ٥٠٦).

⁽٣) يُنظر: ((حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)) لابن القيم (ص: ٢٨٨).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/٦).

⁽٥) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ١٤).





ينتهي في يصف نهار، ووجُهُ ذلك أنَّ قُولَد: ﴿ مَتِيلًا ﴾، أي: مكانَ قَيلولة، وهي
الاستراحةُ في يصف النَّهار، قالوا: وهذا الذي فُهمَ مِن هذه الآية الكريمةِ جاء
بيانه في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَا مَنْ أُوقِى كِنَبُهُ بِيَسِيهِ. * شَوَق يُمُاسَبُ حِسَاباً بِيبِيرًا *
وَمَقَلِهُ إِلَى الْهَلِيهِ سَشْرِيكًا ﴾ [الانشقاق: ٧-٩]. وقيل: إنَّ الله تعالى يحاسِبُ
الخلائق كلَّها في نصف يوم؛ لقوله تعالى: ﴿ أَصْحَتُ الْجَنَّةِ يَوْمَهِ فِي مَنْ اللهُ تَعَالَى اللهِ وَأَصْمَتُ الْجَنَّة وَوَهِ مِن هذا أَنَّ الله
يحاسِبُ الخلائق كلَّهم في نصف يومٍ حتى إنَّ كلَّ واحدٍ منهم يَقبلُ في منزله
ومستقرَّه (١٠).

9 - في قوله تعالى: ﴿ خَيْرٌ تُسْتَقَرُّا وَآحَسَنُ مَقِيلًا ﴾ سؤالٌ، وهو أنَّ الآية دلَّتْ على أنَّ مُستقرَّهم غيرُ مقيلهم، فكيف ذلك؟

والجوابُ مِن وجوهٍ:

منها: أنَّ المستقَرَّ مكانُ الاستِقرارِ، والمقيلَ زمانُ القَيلولةِ، فهذا إشارةٌ إلى أنَّهم مِن المكانِ في أحسَن مكانٍ، ومِن الزَّمانِ في أطيّبِ زَمانٍ.

ومنها: أنَّ بعْدَ الفراغِ مِن المحاسَبةِ والذَّهابِ إلى الجنَّةِ يكونُ الوقتُ وقتَ القَيلو لة^{...}.

ا - في قَولِه تعالى: ﴿ وَلَحْسَنُ مُقِيلًا ﴾ سُؤالًا: كيف يصحُّ القَيلولةُ في الجنَّةِ والنَّارِ، وأهلُ النَّارِ أبدًا في عَذابٍ يَعرِفونَه، وأهلُ النَّارِ أبدًا في عَذابٍ يَعرِفونَه، وأهلُ النَّارِ أبدًا في عَذابٍ يَعرِفونَه، وأهلُ الجَّذِ في نعيم يَعرِفونَه؟!

⁽١) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشقيطي (٦/ ٤١)، ((دفع إيهام الاضطراب)) للشقيطي (ص: ١٧٢). (٢) يُنظر: ((نفسير ابن عثيمين - سورة آل عمران)) (٢/ ٩٧ه).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٥٢).





والجوابُ: قال اللهُ تعالى: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيَا بُكُرَةً وَعَشِنًا ﴾ [مريم: ٢٢]، وليس في الجنّة بُكرةٌ وعَشِيٌّ ! لِقُولِه تعالى: ﴿ لا يَرْوَدُ فِيهَا مَنْسَا وَلا رَبَهَيِّ ا﴾ [الإنسان: ٣١]، ولأنّه إذا لم يكن هناك شمسٌ لم يكن هناك نصفُ النّهار، ولا وقتُ القَيلولةِ، بلِ المرادُ منه بيانُ أنَّ ذلك الموضِعَ أطيبُ المواضِع وأحسَنُها، كما أنَّ مَوضِعَ القيلولةِ يكونُ أطيبَ المواضِعِ. واللهُ أعلمُ (١٠). وقيل: المقيلُ: موضعُ الاستراجَة انم أو لم ينَمْ (١).

بلاغةُ الآيات:

١- قَولُهُ تعالى: ﴿ وَمَا آرَسَانَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلشُّرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَا أَكُونَ الطَّحَامَ
 وَيَهُ شُورَى فِي ٱلْأَسُولِيُّ وَيَعَمَلنَا بَهُ شَخَصُمُ إِنْسَوِى فِشْنَةً أَنَصْدِ بُونَتُ وَكَانَ رَبُّكَ بَعِيدًا
 بَعِيدًا ﴾

- قُولُه: ﴿ وَمَا أَرْسَلُنَا فَسَلَكَ مِنَ الْفُرْسِلِينَ إِلَّا إِفَهُمْ لِبَأَ كُلُونَ الطَّمَامُ ﴾ رَدُّ على قولهم: ﴿ مَال مَذَا الرَّشُولِ بِأَصُّلُ الطَّمَارَ وَيَشْفِى فِ النَّشَولِ بِالصَّلُ الطَّمَارَ وَيَشْفِى [الفرقان: ٧]. بغدُ أَنْ ردَّ عليهم قولَهم: ﴿ أَنَ لُلُقَ إِلَيْهِ كَذَرُ أَنَّ مَكُونُكُمُ اللَّهِ جَدَّدُ يَأْضُلُ مِنْهَا ﴾ [الفرقان: ٨] بقوله: ﴿ تَسَالُكُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّهُ وَلَهُمْ فِيها بِأَنَّ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَهُمْ فِيها بِأَنَّ اللَّهَ اللَّهُ عَلَى الأَخْرَقِ (). أَعْلَالُ اللَّهُ أَعْلَى اللَّهُ وَلِهُمْ فِيها بِأَنَّ اللَّهُ أَعْلَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَرَا مِن ذلك في الأَخْرَةِ ().

- جُملةُ: ﴿ إِنَّهُمْ لِكَأَكُلُوكَ الطَّعَكَامَ ﴾ في مَوضع الحالِ، والتَّوكيدُب (إنَّ) واللَّام؛

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢٥٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٤/ ١٥).

⁽۳) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/۳٤۳).





لتَحقيقِ وُقوعِ الحالِ؛ تَنزيلًا للمُشرِكين في تَناسِيهم أحوالَ الرُّسلِ مَنزلةَ مَن يُكِرُّ أَنْ يُكونُ الرُّسلُ السَّابقون يأُكُلون الطِّعامَ، ويَمْشون في الأسواقِ^(١).

- قَولُهُ: ﴿ وَمَمَلَنَا بَهَمَ صُمْ مُرْهَدِي فِشَنَةً ﴾ هذا تَصبيرٌ لرّسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على ما قالوهُ واستَبْدعوهُ؛ مِن أكْلِه الطَّعامَ، ومَشْيِه في الأسواقِ، بغدُما احتجَّ عليهم بسائرِ الرُّسلِ. وقبل: هو تَسليةٌ له عمَّا عَبُروه به مِن الفَقرِ حينَ قالوا: ﴿ أَوْ لِلْفَتَمْ إِلَيْهِ صَنَّا أَوْ مَنْكُونُ لُهُ جَنَّةً يَأْصُلُ مِنْهَا ﴾ (().

- فَولُهُ: ﴿ وَحَمَلْنَا بَشَكُمْ رِيَعْضِ فِتَنَّةُ أَنْصَبِرُوتُ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ تَذييلٌ؛ فضَميرُ الخِطابِ في قولِه: ﴿ بَشَنَكُمْ ﴾ يَعُمُ جميعَ النَّاسِ؛ بقوينةِ السَّباق".

- قَولُهُ: ﴿ أَنْصَبْرُونَ ﴾ عِلَّةٌ للجَعْلِ، والمعنى: وجَعَلْنَا بَعضَكم لِيعضِ فِننَةُ؛ لنَعلَمَ أَيُّكم يَصبِرُ. ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿ لِيَنَاتُوكُمْ أَيَّكُو أَمْسَنُ عَكَلُ ﴾ [الملك: 2]. أو استِفهامٌ مُستعملٌ في الحثَّ والأمْرِ على الصَّبرِ على ما أَفْتَيْنُوا به⁰.

- قَولُهُ: ﴿ أَتَصَّبِرُهُ ٢٠ ﴾ الانتيصارُ على ذِكْرِهِ مِن غيرِ تعرُّضٍ لمُعادِلٍ له -كأنُ يقولَ: (أتصبِرونَ أَمُّ لا تصبِرون) -؛ ممَّا يدُلُّ على أنَّ اللَّاثقَ بحالِ المفنونينَ والمُتوقَّمَ صُدورُه عنهم هو الصَّبِرُ لا غيرُ^(٥).

⁽١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٤٣).

⁽٢) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٢/ ٢٧٣)، ((نفسير البيضاوي)) (١٢١/٤)، ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ٩٥)، ((نفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٠)، ((نفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٤٣٥)،

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٤٤).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣١)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٨/ ٨/ ٣٤٥).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٠).



التفسير المحرر للقران الكريم

- قَولُهُ: ﴿ وَكَانَ دَبُّكَ بَعِيدٍ كُل ﴾ خبرٌ فيه مَزِيدُ تَشْرِيفِ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ (١٠). وسلَّمَ بالالْتفاتِ إلى اسمِ الرَّبَّ مُضافًا إلى ضَميرِه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ (١٠). وومَوْعُ ﴿ وَكَانَ دَبُّكُ على الصَّبرِ المأمرِدِ به، أي: هو عليمٌ بالصَّابرِ المأمرِدِ به، أي: هو عليمٌ بالصَّابرِ بالمَّابرِينَ، وإيذانٌ بأنَّ اللهَ لا يُضِيعُ جَزاءَ الرَّسولِ على ما يُلاقِيه مِن فَوْمِه، وأنَّه ناصِرُه عليهم. وفي الإسنادِ إلى وضفِ الرَّبُّ مُضافًا إلى ضَميرِ النَّي إلْماعٌ إلى هذا الوغلا؛ فإنَّ الرَّبُ لا يُضِيعُ أولياءَهُ (١٠).

٢- قُولُه تعالى: ﴿ وَقَالَ اللّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاتَمَا تُولاً أَذِلَ عَلَيْنَ اللّهَ يَحَمُّ أَوْ زَيْنَ رَبَّنَا لَنَهَ عَجُمُونَ عَلَيْهُ مَالَةً أَخْرَى مِن مَقالاتِ تَكْسَيهِمُ لَقَهِ السَّلَامُ وَالسَّلامُ، وقد عَنْوَنَ عليهم في هذه المقالةِ بـ ﴿ اللّذِينَ كَمْثَوا لَهُ لِيَجُونَ عليهم في هذه المقالةِ بـ ﴿ اللّذِينَ كَمْثَوا لَهُ الفرقان: ٤٤] للأنَّ بِينَ هذا الوصف وبين مقالتِهمُ انتِقاضًا؛ ور ﴿ الطّلائِكُونَ ﴾ [الفرقان: ٤]؛ لأنَّ بينَ هذا الوصف وبين مقالتِهمُ انتِقاضًا؛ فهم قد كذَّبُوا بلِقاء الآخِرة بما فيه مِن رُولِية اللهِ والملائكةِ، وطلبوا رُولِية اللهِ في المثانِية عليهم في اللَّنبا، وأرادُوا تَلقيلُ اللَّينِ مِنَ الملائكةِ ، وأليق اللَّينِ مِنَ الملائكةِ ، وأردُول الملائكةِ ، وطلبوا رُولية اللهِ مياشرة؛ فكان في حكاية قُولهم، وذِكْر وصْفِهم: تَعجيبٌ مِن تَناقَضِ مَدارِكِهم! وأيضًا فإنَّ أهلَ الشَّركِ أنكروا البعث، وتوهَّموا أنَّ شُبهتَهُم في إنكارِه أَوْى حجَّة لهم في تكذيبِ الرُّسلِ؛ فين أَجْلِ ذلك أيضًا جَعَل قولَهم ذلك طريقًا لتعريفهم بالمتوصولِ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَنْلُ عَلَيْهِمُ ، المَنْكُ مَيْهِمُ ، المَنْكُ مَيْهَمَ مَلكُ المَنْكُ مَيْنَانُ مَيْتَهِمْ . اللّه اللهِ عَلَيْهِمْ اللّه عَلَيْهِمْ اللّهِ عَلَيْهِمْ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهِمْ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهُمْ اللّهِ عَلَيْهِمْ اللّهُ اللّهِ عَلَيْهِمْ اللّهُ عَلَيْهِمْ اللّهُ اللّهُ اللّه مِنْ اللّه اللّه عِلْمَالُونَ اللهِ اللّه عَلْهِمُ اللّهُ اللّه اللّه اللّه اللّه اللهُ اللّه اللّه اللهُ اللّه اللهُ اللهِ اللّهُ اللّه اللهُ اللّه اللهُ اللّه اللهُ اللّه عَلَيْهِمْ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

- قَولُه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاتَمَنَا ﴾ شُروعٌ في حِكايةِ بعضٍ آخَرَ مِن أقاويلِهمُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٠).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/ ۳٤٥).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥).





الباطلة وبيان بُطلانها، بعد إبطال أباطيلهم السَّابقةِ. والجملةُ معطوفةٌ على قولِه تعالى: ﴿ وَقَالْوَاكَالِ هَنذَ الرَّسُولِ ﴾، ووُضِع الموصولُ ﴿ الَّذِينَ ﴾ موضعَ الضَّميرِ؛ للتَّنبيهِ بما في حَبِّرِ الصَّلَةِ على أنَّ ما يُحكَى عنهم مِنَ الشَّناعةِ بحيثُ لا يَصدُرُ عَمَّن يَعتقدُ المصيرَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ (١٠.

- والقوئم المعانيدون السابقون في قوله: ﴿ وَكَاثُواْ فَوَنَا هُولَا ﴾ هم الذين وصَفَهم اللهُ هنا بقوله: ﴿ وَقَالَ اللَّذِينَ لَا يَرَجُّونَ لِفَالَتَنَا ﴾، وقد أُقيمَ المُنظَوَّرُ مُقامَ المُضمَّرِ؛ وذلك أنَّه تعالى لَمَّا سَلَّى رسولَه صلواتُ اللهِ عليه بقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فَسَلَكَ مِنَ الْمُرْسِكِينِكِ ... ﴾ [الفرقان: ٢٠] عاد إلى تقييح نوعٍ آخَرَ مِن أفعالِهم، وهو إنكارُهم لقاءَ اللهِ، وأنَّ لله تعالى دارَ جَزاءٍ (").

- و(لولا) في قولِه: ﴿ لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلْتَكِكُةُ ﴾ حرْفُ تَحضيضٍ مُستعمَلٌ في التّعجيز والاستِحالةِ "".

- قَولُهُ: ﴿ لَقَادِ اَسْتَكَكُّبُوا فِي اَنْشِيهِمْ وَمَتَوْ عُثُواً كَدِيرًا ﴾ استِثنافٌ يَتنزُّلُ منزلةَ جوابٍ عن قَولِهم. والنَّاكِيدُ بلامِ القَسَمِ لإفادةِ معنى التَّمجيبِ؛ لانَّ القسَم يُستممَّلُ فِي النَّمجُّبِ⁽⁰. والاستِكبارُ: مُبالَغةٌ في التَّكثِرِ؛ فالسَّينُ والتَّنَّهُ في قولِه: ﴿ اَسْتَكَثِّرُوا ﴾ للمُبالَغةِ ⁽⁰.

- وأيضًا هذه الجُملةُ في حُسنِ استِتنافِها غايةٌ، وفي فَحْوى هذا الفعلِ دليلٌ على التَّعجُّب مِن غَيرِ لفظِ التَّعجُّب؛ ألا ترى أنَّ المعنى: ما أشَدَّ استِكبارَهم!

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٠).

⁽٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٢٠٨/١١).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/٥).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٥،٥). .

⁽٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/٥).





وما أكبرَ عُتُوَّهم "! فقولُه: ﴿لَقَواسَتَكَبَّرُ أَنِيَ الْقَنِيهِمَ ﴾ جملةٌ فَسَميَّةٌ، يَستدعي أَنْ يُتلقَّى بها مَن يُبالِعُ في الإنكار، كأنَّه لَشَّا قالوا: لو لا أُثرِل علينا الملائِكةُ أو نَرى ربَّنا، حُمِل السَّامعُ على أن يقولَ: ما أشدًّ استِكبارَهم! وما أكبرَ عُتُوَهم! لاَنَّها اسْتَملَتْ على أمرٍ يَقتضي النَّعجُبَ منهم، فلا يَتمالَكُ أَنْ يَتُرُكَ ذلك القول، فوُضِع مَوضِعَه: ﴿لَقَدِاسَتَكَمُّرُوا ﴾؛ لأنّه أَبْتِتُ وَالْمَكْمُ مِن ذلك".

- قَولُه: ﴿عُنُوًّا كَبِيرًا ﴾ وصَفَ العُنُوَّ بالكبيرِ؛ مبالَغةُ في إفراطِه (٢٠).

٣- قولُه تعالى: ﴿ يَوْمَ رَوْنَ الْمَلْتَوِكُمْةَ لَا يُشْرَى يَوْمَ لِلِيَائِمْ مِرِينَ وَيَعْوُلُونَ حِبْرَ كَعْجُورًا ﴾ - قولُه: ﴿ يَوْمَ رَوْنَ الْمَلْتَوِكُمْةَ ﴾ استثناف مسوقٌ لبيانِ ما بَلْقُونه عِندَ مُشاهدتِهم ليما الترحُوه بغي ليما الترحُوه بغي المالانكة عليهم السَّلامُ ، بغذَ استِعظامِه، وبيان كُونِه في غاية ما يكونُ مِنَ الشَّناعة. وإنَّما قيلَ: ﴿ يَوْمَ رَوْنَة ﴾ دُونَ أَنْ يُعَالَ: (يومَ يَنِزلُ الملائكةُ)؛ إيذانًا مِن أولِ الأمرِ بأنَّ رُونِتَهم لهم ليسَتْ على طريق الإجابة إلى ما اقترحُوه، بل على وجه آخرَ غير معهودٍ (١٠).

- وفي هذا الاستئناف تلميخ وتَهكَّم بهم؛ لأنَّ ابتِداءَه مُطبعٌ بالاستِجابةِ،
 وآخِرَه مؤيسٌ بالوعيدِ⁽⁶⁾.

- والمُدولُ إلى نَفْيِ الحِنسِ في قولِه: ﴿لَا بُثَرَىٰ يَوْمَهِٰ لِلْتَجْرِمِينَ ﴾؛ للمُبالَغةِ في نَفْي البُشرى. وحيثُ كان نَفْيُها كِنايةً عن إثباتِ ضِدَّها -كما أنَّ نفيَ

⁽۱) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲/ ۳۷۳)، ((تفسير اليضاوي)) (۱۲۱/٤)، ((تفسير أبي حيان)) (۱/ ۹۸، ۹۹، ۷۷)، ((تفسير أبي السعود)) (۱/ ۲۱۱).

⁽٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٠٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٧٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٩٦).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١١).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٦، ٧).





المحبَّةِ في مثلِ قولِه تعالى: ﴿ وَإِنَّالَهُ لَا يُحِبُّ آلْكَفِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] تنايةٌ عن البُّغض والمَقْتِ- دَلَّ على ثبوتِ النَّذْرِ -أي: الخوف- لهم على أَبلَغِ وجُو وآكَدِه (''.

- و ﴿ يَوْمَهُذِ ﴾ تكريرُ للتَّاكِيدِ والتَّهويلِ، مع ما فيه مِنَ الإيذانِ بانَّ تقديم الظَّرِفِ للاهتِمام لا لقَصْرِ نَفْيِ البُشرَى على ذلك الوقتِ فقط؛ فإنَّ ذلك مُخِلِّ بتَفظيم حالِهم " . وقيل: قُدِّم الظَّرفُ للاهتِمامِ به؛ لإثارةِ الطَّمع، وللتَّشويقِ إلى تَميينِ إبَّانِه، حَتَّى إذا وَرَدَما فيه خَبِيةً طَمَعِهم كان له وقْعُ الكَآبَةِ على نفوسِهم حينما يَسمَعونه " .

- وقوله: ﴿ لِلْتَعْمِينِ ﴾ إِمَّا عامِّ يَتناوَلُ حُكُمُه حُكُمُهم، ولا يَلزَمُ مِن نَفِي البُّشرى لعامَّةِ المُجرمينَ حيتلهِ نَفُي البُّشرى بالعَفْوِ والشَّفاعةِ في وقتِ آخَرَ، وإمَّا خاصٌّ وُضِعَ مَوضِعَ ضميرِهم؛ تسجيلًا على جُرْمِهم، وإشعارًا بما هو المائمُ للبُشرى، والموجِبُ لِما يُقابلُها (١٠٠).

- وفي قولِه: ﴿ حِجْرا تَعَجُورا ﴾ جاءتِ الصَّفةُ ﴿ تَعَجُورًا ﴾؛ لتأكيدِ معنى الحَجرِ، كما يُقالُ: ذَيِّلُ ذَائِلٌ -واللَّذِيلُ: الهَوانُ-، ومُوتٌ ماثِتٌ (٤٠).

- (٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١١).
 - (٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/٧).
- (٤) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٣/ ٣٧٣)، ((نفسير البيضاوي)) (١٣/ ١٧١)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢١٠)، ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ٩٧)، ((نفسير أبي السعود)) (١/ ٢١١)، ((نفسير ابن عاشور)) (٧/ ٩).
- (٥)يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٧٤)، ((نفسير البيضاوي)) (٤/ ٢٢٢)، ((نفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٢)، ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ٩٨)، ((نفسير ابن عاشور)) (٩/ ٩٨).

⁽۱)يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (۹۷/۸)، ((تفسير أبي السعود)) (۲/ ۲۱۱)، ((تفسير ابن عاشور)) (۹/ ۷).





٤- قولُه تعالى: ﴿ وَقَلِمُنَا إِنَّ مَا عَبِلُوا مِن عَمَلِ فَجَمَلَتُهُ مَيْكَ مَسُورًا ﴾ وفي قوليد: ﴿ فَجَمَلَتُهُ مَيْكَ مَسَلَمُ مَا القِباءِ في قِلْيد وحقارته عنده، وأنّه لا يُستَفَى به مع كونِه موجودا، ثمَّ بالمَسْتور منه؛ لأنك تراه مُستظِمًا مع الضَّوء فإذا حرَّكُه الرَّيْحُ رائيته قد تناثَرٌ وذَهَب كُلَّ مَذَهَب؛ فلمْ يكتفي أنْ شَبّة عملهم بالهباء حتى جعله مُستاثِرًا، ومِثلُ هذا الإردافي يُسمَّى في البَديع: بالتشميم (اللهباء الآ)؛ فقولُه: ﴿ مَسْتُورًا ﴾ وضفٌ كاشفٌ؛ لأنَّ الهباءَ لا يكونُ إلَّا مشررًا، فذِكُرُ هذا الوصفِ للإشارة إلى ما في الهباء مِنَ الحقارة ومِنْ التَّقَوْقِ ؟ ...

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٧٤)، ((تفسير البيضاوي)) (١٢٢/٤)، ((حاشية =

⁽١) التَّميم: هو أن يُؤتى في كلام لا يُوهِمُ غَيَرَ العراد بفضلةٍ تُفيد نكتةً. أو بعبارة أخرى هو: الاثيانُ بكلمةِ أو كلام متشمِ للمقصود؛ لرَّفعِ اللبسِ عنه، وتقريبه للفَهم، أو لزيادةٍ حسنه، بعيث إذا طُرح من الكلام نقص معناه في ذاتِه، أو في صِفاته. يُنظر: ((نفسير أبي حَيَّان)) (١٠/ ١٢٠)، (٣٣٣/٢)، ((الإنقان في علوم القرآن) للسيوطي (٣/ ٢٥٢)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيى الدين درويش (١/ ٤٤)، ((مفاتح القسير)) لأحمد سعد الخطيب (٢/ ٢٠٤).

⁽٣) الإيغال: هو اسيكمال الكلام، قبل الإنيان بمقطه، فإذا أريد الإنيان بذلك أتي بما يُهيد معنى زائدًا على معنى ذلك الكلام، وهو صَربان: ١- إيغال تخيير؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَرُ مِنْ اللّهِ عَلَى عَلَى معنى ذلك الكلام، وهو صَربان: ١- إيغال تخيير؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَرُ مِنَ اللّهِ عَلَى اللّه عَلَى قد تمّ بقرله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَرُ مِنَ اللّهِ عَلَى اللّه عَلَى اللّه الله الله الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله الله عَلَى الله الله الله يتحصُل ؛ وذلك أنّه لا يَعلُمُ أنْ حُكْمَ الله احسَرُ مِن كلَّ حُكم إللّا مَن الكلام قبلَ فَقَلَهِه، فإذا أَن بعالله الم يتحصُل ؛ وذلك أنّه لا يعلُمُ انْ حُكمَ الله احسَرُ مِن كلَّ حُكم إلّا مَن أَن واحدٌ حكيمٌ عادلًا. ٣- إيغالُ احتياطٍ: وهو اسيكمالُ معنى الكلام قبلَ فَقَلَه، معنى أنتمة للمبالغة؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلاَ مُعْتَى العَلَمْ اللّهَامَة اللهُمَاة في الله عنها عنها معنى مديرين زائدًا على معنى الكلام، عيث قال: ﴿ وَلاَ وَلوَا لَدْيِينَ ﴾ [النسل: ١٨]، فإنْ قبل ما معنى مديرين وقد أخيى عنها وَبَرُ التولُّي قبل ذلك لا يُعْيني عنها؛ إذ التولُّي قد يكون بجانبٍ دونَ جانبٍ، كما يكونُ الإعراضُ. يُنظر: ((تحرير التحبير)) لابن أبي الإصبح (ص: ٣٢٣)). ((إعراب القرآن وريان)) لمحي الدين دروش (٢/ ١٠٥٠).





٥ - قَولُه تعالى: ﴿ أَسْحَنُ ٱلْجَنَّةِ وَمُهَا إِخْرَةٌ مُّسْتَقَرُّا وَآخْسَنُ مَقِيلًا ﴾ استثنافً
 ابتدائيٌّ؛ چيء به لمُقابَلةِ حالِ المشركينَ في الآخرةِ بضِدَّها مِن حالِ أصحابِ
 الجثّة(١٠).

- قَولُهُ: ﴿ وَآَحْسَنُ مُقِيلًا ﴾ سَمَّى مكانَ دَعَتِهم واستِرواحِهم إلى الحُورِ مَقِيلًا -مع أنَّه لا نَومَ في الجنَّةِ- على طَريقِ التَّسبِيهِ إِذِ المكانُ المُتخبَّرِ للقَلولةِ يكونُ أَطيّبَ المواضع. وفي وضفِه بزِيادةِ الحُسنِ مع حُصولِ الخَيرِيةِ بَعَطفِه على المُستَقَرَّ رَمْزٌ إلى أنَّه مُزَيَّنٌ بفُنونِ الزَّينِ والزَّخارفِ " . وقيل: وصَفَه بالحُسن؛ إرادة لحُسن ساكنِيهِ على طريق الكِناية " .

- واسمُ التَّفَصْلِ (خَيْرٌ) في قولِه: ﴿ خَرَّمُ شُسْتَقَدَّ ﴾ قبل: إنَّه ليس على بابِه مِن استِعماله دَلالةً على الأفضليَّة؛ لئلاً يَلزَمَ مِن ذلك خَيرٌ في مُستَقَرَّ أهلِ النَّارِ. وقبل: يُمكِنُ إيقاؤُه على بابِه، ويكونُ التَّفضيلُ وقعَ بين المُستَقَرَّينِ والمَقِيلَينِ باعتِبارِ الزَّمانِ الواقعِ ذلك فيه ''). وقبل: التَّفضيلُ المُعتبَرُ فيهما إمَّا لارادةِ الزَّيادةِ على الإطلاقِ، وإمَّا بالإضافةِ إلى ما للكَفرةِ المُستَممينَ في اللَّنيا، أو إلى ما لهم في الآخرةِ بطريقِ التَّهكُم بهم ''). وقبل: التفاضُلُ

⁼ الطبيع على الكشاف) (۱ / ۲۱ ؟ ۲۱)، ((تفسير أبي حيان) (۱۹۸۸)، ((تفسير أبي السعود)) (۲ / ۲۱۲)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱ / ۸۱۸)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (۲ / ۲۸۲، ۲۸۷). (۱) پُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱ / ۸ / ۹ ، ۹).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۷۵)، ((تفسير البيضاوي)) (۱۲۲/٤)، ((تفسير أبي حيان)) (۱۹/۸)، ((تفسير أبي السعود)) (۱/ ۲۱۲).

⁽٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/٢١٦).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٩٩)، ويُنظر أيضًا: ((قواعد التفسير)) للسبت (١/ ٢٥٨).

⁽٥)يُنظر: ((نفسير البيضُاوي)) (٤/ ١٣٢)، ((نفسير أبي السعود)) (٢/ ٢١٢)، ((نفسير ابن عاشور)) (٩/ ٩).





الذي ذُكِرَ بين المنزلتينِ إنَّما يَرجمُ إلى المَوضعِ، والموضعُ مِن حيثُ إنَّه مَوضعٌ لا شرَّ فيه. وقيل: هذا التفاصُّلُ واقعٌ على هذا التقديرِ، أي: لو كان لهم مستقرَّ فيه خَيرٌ لكان مستقرَّ أهلِ الجنةِ خيرًا منه''. وقيل: هذا يَحْسُنُ في مَعرِضِ التَّقريعِ، كما إذا أعطى السيدُ عبدَه مالًا فتَمَرَّدَ وأبى واستكبّرُ؛ فَيْضُرِيُه ضَربًا وجيعًا، ويقولُ على سبيلِ التوبيخ: هذا أطبّبُ أمْ ذاك''؟!

- وفي قوله: ﴿ خَرِّرٌ مُّسْتَقَرُّ وَاتَمْسَنُ مُقِيلًا ﴾ يَنايةٌ في قوله: ﴿ مُسْتَقَدُّ ﴾ وَ المجلسُ اللَّائمُ لأهلِ المَّبِقَدِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ لَا اللَّهِ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلِلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُولَا الللللِلْمُ اللللِّلْمُ الللِللل

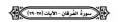


⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥١).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢٤/ ٤٣٩).

⁽٣) يُنظر : ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/٧، ٨).





الأيات (١٥-٩٦)

﴿ رَوْمَ تَشَقَّقُ النَّمَاةُ بِالعَدَمِ ثُوْلِ الْلَكِيكَةُ تَنْرِيلًا ۞ الشَّكُ يَوَمِيدِ الْحَقُّ الرَّحَنِ وَكَانَ مَوْمًا عَلَى الْكَفِينَ عَمِيرًا ۞ رَوْمَ يَسَشُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَحَمُّلُ يَسَيَّتِي الْخَذَةُ مَعَ الرَّسُولِ سَيِلًا ۞ يَوَيَقَ يَشِي الْغَيْدُ فَلَانًا عَلِيلًا ۞ الْفَذَاشَلَيْ عَنِ الْذِكِرِ مَهَدُ إِذْ جَلَةَ فَيْ رَكَانَ الشَّبِطُنُ لِإِرْسَىٰ خَذُولًا ۞ ﴾.

غَرِيبُ الكَلمات:

﴿ وَٱلۡفَيۡمِ ﴾: أي: السَّحابِ؛ سُمَّيَ بذلك النَّه يَغُمُّ السَّماءَ، أي: يَسُرُها ويُغطِّبها، وكُلُّ شَيءٍ عَظَيَته فقذ غَمَمتَه، وأصلُ (غمم): بذُلُّ على تغطية وإطباقِ (١٠).

﴿ غَلِيلًا ﴾: الخَليلُ: الصَّديقُ، مِنَ الخُلَّةِ، أي: الصَّداقةِ والموَّدَّةِ؛ سُمَّيَت بذلك لأَنَها تنخَلَّرُ التَّفْسَ، أي: تتوسَّطُها^(١).

﴿ مَٰذُولًا ﴾: أي: كثيرَ الخِذلانِ، والخِذلانُ: تَركُ المَعونةِ، وأصلُ (خذل): يدُلُّ على تَركِ الشَّيءِ والقُعودِ عنه ".

المعنى الإجماليُّ:

يصِفُ الله تعالى بعضَ أهوالِ يومِ القيامةِ، فيقولُ: واذكُرْ -أَيُها الرسولُ-حين تتشَقَّقُ السَّماءُ عن سَحابٍ رَفيقِ أبيضَ يومَ القيامةِ، وتُنزَّلُ الملائِكةُ إلى أرضِ المحشَرِ تنزيلًا. في ذلك اليّرم يكونُ السُّلطانُ النَّابِثُ الحَقُّ لله وحَدَه دونَ

⁽١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ٤٩، ١٣٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣٧٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦١٣)، ((التيبان)) لابن الهاتم (ص: ٨٦٦).

⁽٢) يُنظر: ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٥٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٩١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٤)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٩، ٣٩٨).

⁽٣)يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٦٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٧٧)، ((الكليات)) للكفوى (ص: ٤٣٧).





غيرِه مِن مُلوكِ الأرضِ، وكان ذلك اليَومُ يَومًا شَديدًا على الكافرينَ.

ثمَّ يذكُرُ تعالى ما يكونُ عليه الكافرونَ يومَ القيامةِ مِن حسرةِ وندامة، فيقولُ: واذكُرْ حين يَمَضُّ الظَّالمُ المحادُّ للهِ ورَسولِه على يَدَيه؛ تحسُّرًا وأسَفًا، يقولُ: يا لِيتني سلَكْتُ طَرِيقَ الحَقَّ الذي جاء به الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، واتبَعْتُهُ فيما جاء به مِن عندِ رَبَّه.

وانَّه يقولُ في هذا اليوم: يا هَلاكي! ليتَني لم أَتَخِذُ مَن أَصَلَّني وأغواني في الدُّنيا صديقًا لي وحببًا، لقد صرَفَني هذا الصَّديقُ المشرّومُ عن القُرآنِ والهُدى بعد أن بلَغَني. ثمَّ قال الله تعالى: وكان الشَّيطانُ كثيرَ الخِذلانِ للإنسانِ الذي يتَّعُه، تاركًا لإعانيّه ونصرِه وَقتَ استِنصارِه به.

تَفسيرُ الآيات:

﴿ وَيُوْمَ نَشَقُّتُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْفَكْمِ وَأَزِلَ ٱلْمُلَتَبِكُةُ تَنزِيلًا ١٠٠٠

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

هذا الكلامُ مَنِيٌّ على ما استَدعَوه مِن إنزالِ الملائكةِ؛ فَيَّتَنَ سُبحانَه أنَّه يحصُلُ ذلك في يوم له صِفاتٌ ذكرَها في هذه الآياتِ(١٠).

وأيضًا لَمَّا كان للكَفَرةِ في هذه الدَّارِ مِن العِزَّ والفَوَّةِ والضَّخامةِ ما يتعجَّبونَ معه مِن مصيرِ حالِهم إلى ما ذُكِرَ؛ بَيَّنَ أَنَّ الأَمْرَ في ذلك اليومِ على غَيرِ ما نَعهَدُه، فقال عاطِفًا على ﴿ يَوْمَ يُوْمَ الْمُلْتَدِكَةَ لَا بُشْرَى، يَوْمَهْ لِلْسُجْمِينَ ﴾" [الفرقان: ٢٢]:

﴿ وَيَوْمَ نَشَقَقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْعَمَامِ ﴾.

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٥٢). (٢) يُنظر: ((نظم الدر)) للبقاعي (١٣/ ٢٧٢).

الجزء ١٨ الحزب ٣٧





أي: واذكُرُ أَيُّها الرسولُ() يومَ القيامةِ حين تتشَقَّقُ السَّماءُ عن سَحابٍ أَبيَضَ رَقِيقِ().

﴿ وَنُزِلَ ٱلْكُنِّيكُةُ تَنزِيلًا ﴾.

أي: وتُتَزَّلُ الملائِكةُ يومَ القيامةِ مِن السَّمواتِ إلى أرضِ المحشَرِ تنزيلًا"". كما قال تعالى: ﴿ هَلْ يَظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْيِّهُمُ ٱلْمَلَّةِكَةُ أَنْ يَأْقِ أَشُرُ رَبِّكَ ﴾ [النحل:

وقال سُبحانَه: ﴿ وَجَآهُ رَبُّكَ وَٱلۡمَلُكُ صَفَّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢].

﴿ ٱلْمُلُكُ يَوْمَهِ إِ ٱلْحَقِّ لِلرَّحْدَنِّ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَنْفِرِينَ عَسِيرًا (أنَّ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كان ذلك اليومُ سببًا لانكِشافِ الأمورِ، ومَعرفةِ أنَّه لا مُلْكَ لِسواه سُبحانَه؛ لأنَّه لا يَقضى فيه غَيرُه، قال(1):

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَهِ إِ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَانِ ﴾.

- (١) قال محمد رشيد رضا: (وجمهورُ المُفشرينَ يجعلونَ كلمة بيوم، في أشال هذه الآياتِ مفعولًا
 لِنعلِ محدوقِ تقديرُ و وإذَكْرَا، وهو خطابٌ لِلرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، أي: واذَكْرُ لهم
 فيما تَطُوه عليهم يومَ يَكُونُ كَنَا وكَذَا). ((تقسير المنار) (٨/ ٥٥).
- (٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٧/ ٤٣٦)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٧٧)، ((تفسير القرطبي)) (٣/ ٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨١)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٢/ ٤٤).
- وقال ابن كثير: (يخيرُ تعالى عن هُولِ يومِ القيامةِ، وما يكونُ فِهِ مِن الأمورِ العظيمةِ؛ فمنها انتِهاقُ الشَّماءِ وتَعَظُّرُها، وانقراجُها بالغَمامِ، وهو ظُلُلُ النورِ العظيمِ الذي يُبِهِرُ الأَيصارُ). ((تفسير ابن كتير)) (1/ 10).
- (٣) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (٢٩/ ٤٣٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨١).
 - (٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٧٣).





أي: السُّلطانُ -يَومَ القيامةِ- المؤكَّدُ النَّابِتُ الذي لا يَزولُ: للرَّحمنِ وَخَدَه دُونَ غَيرِه مِن مُلوكِ الأرضِ(١٠).

كما قال تعالى: ﴿ لِمَنِ ٱلْمُلَّكُ ٱلْيُومُّ لِلَّهِ ٱلْوَحِدِ ٱلْقَهَّادِ ﴾ [غافر: ١٦].

وعن أبي هُريرة رَضِيَ الله عنه، عن النبيِّ صَلَّى الله ُعليه وسَلَّم قال: ((يَقِيضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ، ويَعلوي السَّماءَ بِيَمينِه، ثمَّ يقولُ: أنا المَلِكُ، أين ملوكُ الأرض؟))(".

﴿ وَكَانَ يُومًا عَلَى ٱلْكَنفِرِينَ عَسِيرًا ﴾.

أي: وكان يومُ القيامةِ يَومًا صَعبًا شَديدًا على الكافرينَ (٣٠).

كما قال تعالى: ﴿ فِإِذَا نُتِرَقِ النَّاقُورِ * فَنَاكَ يَرَسُونِ يَرَّمُّ صَيَرٌ * عَلَّ ٱلْكَنْفِينَ غَيْر كِيرِ ﴾ [المدد: ٨ - ٨ - ١].

﴿ وَيَوْمَ يَعَشُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيهِ يَحُولُ يَلَيَّتَنِي اَتَّخَذُتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيِيلًا ﴿ ﴿ ﴾. مُناسَبُهُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كان حاصِلُ حالِ الكافرينَ أنَّهم جانَبوا أشرفَ الخلْقِ، الهاديَ لهم إلى

(۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲۷ (۶۳۹)؛ ((نفسير الزمخشري)) (۳۷ (۲۷۰)؛ ((نفسير السعدي)) (ص: ۵۸۱)؛ ((نفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ۸۷).

(٢) رواه البخاري (٧٣٨٢) واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٣٩٤)، ((تفسير القرطبي)) (٣/ ٢٤)، ((تفسير ابن كثير))
 (١٠٧/٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٥١).

قال القرطبي: (هؤوكَكَانُ يَوَّشَا كُلُ الْكَثِيرِينَ عَسِيرًا فِيهَ أَيْ: لِمَا يَنَالُهِم مِن الأهوالِ، ويَلخَفُهم مِن الخِرِّي والهوالِ، وهو على المؤونينَ أخَفُ مِن صَلاةٍ مكتوبةٍ...، وهذه الآيةُ والنَّ عليه؛ لأنَّه إذا كان على الكافرين عَسيرًا، فهو على المؤمنين يَسيرًا. (نَصْير القرطبي) (٣/ ٢٤).

وقال ابن كثير: (قوله: ﴿وَرَكَانَ يَوْمًا عَلَ ٱلْكَثِينَ عَبِيرًا ﴾ أي: شديدًا صَعبًا؛ لأنَّه يومُ عَدلٍ، وقَضاءِ فَصل). ((تفسير ابن كثير)) (/ / ۲۰).





كلِّ خَيرٍ، وصاحَبوا غيرَه معَّن يقودُهم إلى كُلِّ شرَّ؛ بَيَّنَ عُسْرَ ذلك اليومِ -الذي إنَّما أوجبَ جُراتُهم تَكذيبُهم به- بتناهي نَلْمِهم على فِعلهم هذا، فقال (١٠):

﴿ وَيَوْمُ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ بَدَيْهِ ﴾.

أي: واذكُرْ يَومَ القيامةِ حينَ يَعَضُّ الظَّالِمُ المخالِفُ لطَريقِ الرَّسولِ على يَدَيه؛ نَدَمًا وحَسرةً وأسَفًا ".

﴿ يَكُولُ يَنَيَّتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَيِيلًا ﴾.

أي: يَقولُ هذا الظَّالِمُ: يا ليتني اتَّبَعتُ في الدُّنيا طريقَ رَسولِ اللهِ، فآمنتُ به ولم أخالِفُه؛ لأنجرَ مِن عذاب اللهِ، وأصِلَ إلى جنَّاتِه⁷⁷.

كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ ثَقَلَتُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَنْلِتَنَآ اَلْمَعْنَا اللَّهَ وَالْمَمْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَئِنّا إِنّا اَلْهَمَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاتِنا فَأَصْلُونَا السِّيبِلا ﴾ [الأحزاب: ٦٦،

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٢٧٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/٣٩٤)، ((الهداية)) لمكي (٨/ ٥٢٠٧)، ((تفسير ابن كثير)) (١٠٨/٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٢).

قال الشوكاني: (الظَّاهِرُ أَنَّ المَضَّ هنا حقيقةٌ، ولا مايتم من ذلك، ولا مُوجِبُ لتأويله. وقيل: هو كتابةٌ عن الغَيظِ والحسرة، والمرادُ بالظالم: كلُّ ظالمٍ بَرُدُ ذلك المكانَّ). ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٨٤).

وقال الشقيطي: (مِن المشهور عندَ علماهِ التَّمسِيرِ أنَّ الظَّالُمُ الذِي نَزَلَتَ فِيه هذه الآيَّةُ: هو عُمُّةُ ابنُّ أبي مُمُطِه وأنَّ فلانًا الذِي أصَلَّه عن الذَّكِرِ: أُنَّيُّ بِلُ خَلْقِهِ أَنْ أَخُوهُ أَيُّقٍ بِنُ حَلْقِ... وعلى كلَّ حالِ فالبِيرةُ بِمُعرِي الأَلفاظِ، لا بخصوصِ الأسبابِ: فَكُلُّ ظالمِ أَطاعِ خَلِلَهُ فِي الْكُفُرِ حَتَى مات على ذلك يجري له بِثلُ ما جرى لابن أبي مُمِّيطٍ). ((أضواه البيان) (١/٥٤).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٤٠)، ((تفسير القرطبي)) (٢٦/١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٢).





﴿ يَنَوَيْلَنَىٰ لَيْنَنِى لَرُ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيدُلا ۞ ﴾.

أي: يقولُ الظَّالِمُ: يا هلاكي! ليتَني لم أجعَلُ مَن أغواني في الدُّنيا صديقًا بيبيًا لي''.

عن أبي موسى الأشعريَّ رضِيَ اللهُ عنه عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((إنَّمَا مَثَلُ الجَلِسِ الصَّالحِ والجَلِسِ الشُّوءِ، كحامِلِ المِسكِ ونافِخ الكِيرِ"؛ فحامِلُ المسكِ: إمَّا أن يُحذيَك"، وإمَّا أنْ تَبَاعَ منه، وإمَّا أنْ تجدَد منه ربحًا طبَّيةً، ونافِخُ الكِير: إمَّا أن يُحرقَ ثِبابَك، وإمَّا أن تجدَر ربحًا خَبِيتًا))"،

﴿ لَقَدْ اَضَلَىٰ عَنِ الذِّكِرِ مِعَدَاذِ حَآدَيْ وَكَانَ الشَّيْطُنُ الْإِنسَيْنِ خَذُولًا ۞﴾. ﴿ لَقَدْ اَضَلَىٰ عَنِ الذِّكِرِ مِعَدَاذِ حَآدِيْ ﴾.

أي: لقد صَرَفني مَن اتَّخَذْتُه في الدُّنيا خليلًا عن القُرآنِ بعد بُلوغِه إليَّ، وصَدَّني ننه (٠٠).

(۱)يُنظر: ((نفسير القرطبي)) (۲٦/۱۳)، ((نفسير ابن كثير)) (٦/ ١٠٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٧٥).

(٢) الكبير: هو شيءٌ يَنفُخُ فيه الحقّادُه التشتيل الثّارُ، يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) للمظهري (ه/ ٢١١). ويُنظر أيضًا: ((فتح الباري)) لابن حجر (٤/ ٢٣٤).

(٣) يُحذيك؛ أي: يُعطيَك. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٧٨/١٦)، ((المفاتيح في شرح المصابيح)) للمظهري (٥/ ٢٣١).

(٤) رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨) واللفظ له.

(٥) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٤٢)، ((نفسير القرطبي)) (٢٦/١٣)، ((نفسير ابن كثير)) (١/ ٨٨/)، ((نفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥، ١٦)، ((أضواء البيان)) للمشتقبطي (٢/ ٤٧).

قال السعدي: ﴿ لَقَدْ أَشَلَّقِ عَنِ ٱلذِّكِرِ بَقَدُ إِذْ جَاتَنِي ﴾ حيثُ زيَّن له ما هو علَيه مِن الضَّلالِ بخُدَهِه وتسويلِه). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٢).

وقال ابن عاشور: (أي: نهاني عن التلبُّرِ فيه والاستماعِ له بعَدَ أن قاربَتُ فَهَمَه). ((تفسير ابن عاشور)) (١٦/١٩).





﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطُانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾.

أي: قال الله: وإنَّ مِن عادةِ الشَّيطانِ وصِفَتِه المجبولِ عليها: أن يَخذُلُ الإنسانَ الذي يَتَّبُهُ، وَيَتُرُكُ إِعانَتُه ونُصْرَهُ (١٠).

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ النَّتِطَنُّ لَمَا فَنِينَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهُ وَعَلَيْنَ وَقَدَ الْمُؤَّ وَوَعَدُلُكُو النَّفَانَةُ كُمَّ مَنَا كَانَ لِمَ عَلَيْكُمْ مِن سُلطَنِي إِلَّا أَن مَعَوْلَكُمْ فَاسْتَجَسُمُر لِيَّ فَلا تَلُومُونِ وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَّ مَا أَنَا بِمُعْمِنِحِكُمْ وَمَا أَنتُد بِمُعْمِنِ فِحَ ۖ إِنِي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكُ نُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ [ابراهيم: ٢٢].

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷٪ ٤٤٢) ((تفسير القرطمي)) (۲۲٪ ۲۲)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۰۸٪)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۸۵٪)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۲٪)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۲٪ ۲۶)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ۲۰۲–۲۰۶).

قال ابن عطية: (وقوله: فؤوكاك التَّبِطِينُ فِلْوَسْكِينِ مَنْدُولاً فِهِ يحبِلُ أَنْ يكونُ بِن قولِ الظَّالمِ، ويحتولُ أَنْ يكونُ ابتِداءً إنجارٍ مِن الله تعالى على جهةِ الدُّلالةِ على وجو ضلالتِهم، والتحذيرِ مِن الشيطانِ الذي بَلَّنْهم ذلك العبلة). (رضير ابن عطية)، (٢٠٩/٢).

وقال القرطبي: (﴿ وَكَارَكَ الشَّيْطُنُ الْإِنسَانِ مَذَّرُكًا ﴾ قبل: هذا مِن قُولِ الله لا مِن قُولِ الظالم. وتمامُ الكلام على هذا عند قوله: ﴿ مِبْعَدَ إِذْ جَلَتْنِ ﴾ . ((تفسير القرطبي)) (٢٦/١٣).

ومتَّن قال بِذَلَك: أبنُ أبي زمنين، والواحديُّ، وابن الجوزي، وابن كثير، وجلال الدين المحلي، وابن عاشور. واستظهره المشقيطيُّ، يُنظر: (تفسير ابن أبي زمنين)) (۱۹۹/۳)، ((الوسيط)) للواحدي (۱۹/۳)، ((تفسير ابن الجوزي)) (۱۹/۳)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۸/۲)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٤٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۳)، ((أضواء البيان)) للمشقيطي (۲/۲)؛

قال السعدي: (هِوَكَاكَ التَّيْطَكُنُ الْإِنْسَانِ مَثْلُولًا فِي يَرِيُّنُ له الباطِلُ، ويَقْتُحُ له النَّخِّ، ويَعِدُهُ الأمانيُّ، ثم يتخلَّى عنه، ويترَّأُ منه، كما قال لجميعِ أثباعِه حين قُضَيَ الأمرُّ، وقَرَّعُ اللهُ مِن حسابٍ النَّفَاتِيُ. ((فنسير السعدي)) (ص: ٨٦٢).

وقال ابن عثيمين: (فالظَّاهِمُ أَنَّ العرادَ بالإنسانِ منا الجنشُ، يعني: العؤمِنُ أو الكافِرَ، وإنَّما تُلُنا: إذَّ ذلك هو الظَّاهِرُ؛ لأنَّه كما يُغُوي الكافرين بالكُفرِ، كذلك يُعُوي المؤمنينَ بالفِسقِ). ((نفسير ابن عثيمين – سورة الفرفان)) (ص: ۲۰۲).





وقال سُبحانَه: ﴿ كُنْلُ الشَّيْطَنِ إِذَقَالَ لِلْإِنسَنِ ٱكُفُرٌ قَلْمًا كَفَرَقَالَ إِنِّ مَرِيَّ * [الحشر: ١٦].

الغُوائِدُ التَّربويَّةُ:

١ - قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ قَشَقَى النّسَاءُ وَالنّسَمِ وَيُوْلَالَكَتِهَكُةُ تَنْزِيدٌ ﴾ فيه التّحذيرُ مِن هذا اليوم، وأنّه يَنبغي الاستِعدادُ له، فيومُ القيامةِ لا يمكنُ أن يَفِرَّ الناسُ منه ومِن أهوالِه وأحكامه ١٠٠.

٢- في قَولِه تعالى: ﴿ ٱلْمُلُكُ يَوْمَهِ إِلَاحَقُ لِلرَّحْذِي ﴾ تخويفٌ وتحذيرٌ مِن تَسَلَّطِ الملوكِ؛ فإنَّه مِيكَيُّتُهم، ولا يبقى إلَّا الملوكِ؛ فإنَّهم يجبُ أَنْ يَذَكُروا هذا اليومَ الذي تَرُولُ فيه مِلكَيُّتُهم، ولا يبقى إلَّا مُلكُ اللهِ سُبحانَه وتعالى ".

٣- في قولِه تعالى: ﴿ يَهْ يَعُولُ يَكْتِنَي الْقَذْتُ مَ الرَّمُولُو سَبِيلا ﴾ أنّه كما علينا الن نَتَبَع سبيل الرَّسولِ عليه وآلِه الصلاةُ والسَّلامُ النِّي جاء بها مِن عندِ اللهِ تعالى، وهي الإسلامُ؛ كذلك علينا أن نَتَبع سبيله في القيام بشرائع الإسلام علما وعملاً؛ في أبوابِ العباداتِ، وأحكام المعاملات، وفي تطبيق أصولِ الإسلام وفروعه على الحياةِ العامّةِ والخاصّةِ، وهذه هي سُتَّهُ التي كان عليها، وكان عليها أصحابُه، وأهلُ القرنِ التاليي مِن التابعينَ، وأهلُ القرنِ الثالثِ مِن أنباع عليها أن على عنيها أسحابُه، وأهلُ المقرونُ المشهودُ لها بالخيريَّة على غيرِها بلسانِ المعصوم، كما أنَّ مَن عدَلَ عنِ الإسلام ولم يَسلُكُ سبيله وَقَعَ في ضلالِ الكُفرِ؛ كذلك مَن عدَل عنِ الشَّةِ ولم يَسلُكُ سبيلها وَقَعَ في ضلالِ اللَّهُو؛ كذلك مَن عدَل عنِ الشَّةِ ولم يَسلُكُ سبيلها وَقَعَ في ضلالِ اللَّهُو؛ كذلك مَن الم يَنجذُ أعظَم الحَسرةِ على ما كان مع الرَّسولِ سبيلَ الإسلامِ على ما كان عليها ما كان مع الرَّسولِ سبيلَ الإسلام وعلى ما كان

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٨٥).

⁽۲) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ۹۱).





مِن تَفريطه؛ كذلك مَن لم يَتَّخِذُ مع الرَّسولِ سبيلَ السُّنَّةِ؛ إذْ كلُّ منهما قد ظُلَمَ نفْسَه، وفَرَّطَ في سبيلِ نجاتِه؛ فالآيةُ وإنْ كانت في الكافرِ والمشرِكِ، فهي تتناوَلُ بطريقِ الاعتِيارِ لكلَّ الأهواءِ والبدعِ، وبهذا كانتِ الآيةُ متناوِلةً بوَعْظِها وترهيبِها جميعَ الخلقِ ممَّن لم يَدخُلُ في الإسلامِ، أو دخَلَ فيه ولم يلزَمْ سُنَّةَ نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم (١٠).

٤- قولُه تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَشُ الطَّالِمُ عَلَى يَدَيهِ يَحَمُّولُ يَلَيَتِنِي الْغَفَدُتُ مَعَ الرَّسُولِهِ صَيِيلًا * يَنَهِ يَعَثُولُ يَلَيَتِنِي الْغَفَدُتُ مَعَ الرَّسُولِهِ صَييلًا * يَنهَا يَنْهَ لَهُ اللهوء؛ لقوله: ﴿ لَمَنهُ الْمَاسَحَاتِ: أهلَ العِلمِ واللَّمِينَ ". أَضَلَي ها". وأنَّه يجبُ على المرء أن يونتاز لِنفُسِه الأصحاب: أهلَ العِلمِ واللَّمِينَ ". فلْيُوالِهِ مَن فلْينهُ فيها سَعادتُه، ولْيُعادِ مَن تنفَقه عداوتُه وتضُرُه صداقتُه (اللهُ ولَينجَرُ مَن يُخالِلُ؛ فلا يخالَ إلَّا مَن حَسُنتُ سريرته، واستقامتْ سيرته، وغَلَب الصوابُ على أقوالِه وأعمالِه؛ ليكونَ دليلَه إلى الخَير، وسائقه إليه (۱).

٥- قال الله تعالى: ﴿ يَوْيَلْقَ لَيْنِي لَرْ أَقَفِذْ فَلَاتًا عَلِيلًا ﴾ عندَما تتخَلُل محبَّهُ شخصٍ مِن الناسِ قلْبَك، وتُمرَجُ برُوجك، ويَستولي بسُلطانِ موَدَّيَه عليك؛ تصيرُ أَقوالُه وأفعالُه كُلُها عندَك مَرْضيَّةٌ، وعيوبُه ونقائصُه عنك محجوبةٌ، فتُمْسي طَوعَ بَنانِه، ورَهنَ إشارته، يوجِّهُك حيث شاء، ويَصرِفُك عمَّا أراد. وهذه حالةٌ مِن أخطٍ الأحوالِ عليك؛ لأنَّك فيها قد شُلِبت تمييزَك وخَيرت إرادتَك، وصِرتَ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١٠٤).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٩٧).

⁽٤) يُنظر : ((تفسير السعدى)) (ص: ٥٨٢).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧١).





آلةً في يدِ غَيرِك؛ فقد ترى الخيرَ وتُدْعى إليه فيَصرِفُك عنه، وقد ترى الشرَّ وتَحذَرَ منه فيُوقِهُك فيه!

وهَبْ هذا الخليل كان مخلِصًا لك، وحَدِبًا عليك؛ فإنَّه غيرٌ معصوم مِن الخطأِ والضَّلالِ، أمَّا إذا كان شرِّيرًا مفسِدًا فهنالِكَ الهلاكُ المحقَّقُ، والوَبالُ الشَّديدُ، وقد ذكرَ لنا اللهُ تعالى في هذه الآية ما كان مِن سوءِ مثالِ الظالم بسببِ انقياده لخليله، واتبًا عِه له مِن غير رويَّة وصِدقي تميزٍ؛ تحذيرٌ مِن سلطانِ الخُلَّةِ الذي يُهمَّلُ معه شأنُ الإرادة والتمييز، وتعليمٌ أنَّ علينا أنْ نحافظ على إرادتِنا وتمييزنا ونظرِنا لأنْفُسِنا مع الصَّديقِ والعدق، ومع الخليلِ وغيرِ الخليلِ، بل نحافظ عليها مع الخليلِ أكثر؛ لأنَّه مظنَّة الخوفِ بها له مِن المكانةِ في القلبِ، والشَّلطانِ على التَّشْر (١٠).

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَهُومَ يَعَشُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدْتِهِ بِحَوُّلَ بِنَكِتِنِى أَغَنْدَتُ مَعَ ٱلرَّسُولِي سَيبِلا ﴿ يَمُونَانَى نَتُونَا فَي لَمَ الْمَنْحَلِيمُ ﴿ لَقَدْ أَضَلَى عَنِ ٱلذِّحْرِ بَعَدَ إِذْ جَآءَيُّ وَكَالَ الشَّعِلانُ فَلَا المَّالِيمُ فَعَلَى عَنْ النِّعَ عِلَى النَّاعِ الرَّسولِ فهو ظالمٌ وَكَالَ ﴾ فكلُّ مَن خرَجَ عن اتبَّاعِ الرَّسولِ فهو ظالمٌ بعَسَب ذلك، والمُبتِدُعُ ظالمٌ بقَدْرِ ما خالف مِن سُتَّتِه ".

٧- التقليدُ المُحَرَّمُ بالنصَّ والإجماعِ: هو أنْ يُعارِضَ قولَ اللهِ ورسولِه بما يُخالِفُ ذلك، كائِناً مَن كان المخالِفُ لذلك؛ قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدْتُهِ بِمَثُولُ يَئِنَيْنَ وَتَعْ أَغَيْدُ فَلَانًا عَلِيلًا * يَنْهَلَقَ لَتَنِي لَرُّ أَغَيْدُ فَلَانًا عَلِيلًا * لَقَدْ أَصَالًا عَلِيلًا * يَقَالَ فَيْكُنَ لَلْإِنسَنِ مَدُولًا * وَقَالَ الشَّرَى مَا الشَّرَى مَا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَنِ مَدُولًا * وَقَالَ الرَّسُلُ بَنْرَبِّ إِنَّ فَرِي الْفَحْدُولُ هَا مَنْا الْقُرْمَانَ مَهْجُولًا ﴾ "المُثَمَّ مَنْ المُؤْمَنَ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِلمُلْمِ اللهِ اللهِ

٨- قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَشُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكُولُ يَنَيَّتَنِي أَغَّذَتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧١).

⁽٢) يُنظر: ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (٤/ ١٢٩).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٢٦٢).





سَبِيلًا * يَنوَيِّلَنَى لَيْتَنِى لَرَّ أَنَّخِذْ فُلَاتًاخَلِيلًا ﴾ لا ريبَ أنَّ هذا يتناوَلُ الكافِرَ الذي لم يؤمِنْ بالرَّسولِ؛ فإنَّ «الظلمَ المُطلَقَ» يتناوَلُ ذلك ويتناوَلُ ما دونَه بحسَبه. فمَن خالَّ مخلوقًا في خِلافِ أمرِ اللهِ ورسولِه، كان له مِن هذا الوعيدِ نَصيبٌ، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَآءُ يَوْمَهِ إِبَعْشُهُمْ لِبَعْضِ عَدُوًّ إِلَّا ٱلْمُثَقِينَ ﴾ (١) [الزخرف: ٦٧]. ٩ - قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَشُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَكَقُولُ يَنَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَمَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَوَيْلَتَنَ لَيْنَنِ لَوْ أَغَيْذُ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِ ﴾ فكلُّ مَن اتَّخَذَ غيرَ الرَّسولِ، يَتركُ لأقوالِه وآرائِه ما جاء به الرَّسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ فإنَّه قائلٌ هذه المقالةَ لا محالةَ؛ فهذا حالُ الخَليلين المتخالِّين على خِلافِ طاعةِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ومآلُ تلك الخُلَّةِ إلى العَداوةِ واللَّعنةِ، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَاءُ يُومَهِذِ بَعْضُهُ لِيَعْضِ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقد ذُكِرَ حالُ هؤلاء الأثباع وحالُ مَن تَبِعوهم في غيرِ مَوضِع مِن كتابِه؛ كَفَولِهِ تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَنَلِنَتَنَّا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا * وَقَالُواْ رَبُّنَاۚ إِنَّا ۚ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَآهَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا * رَبُّنآ تاتِمْ ضِعْفَيْنِ مِن ٱلْعَنَابِ وَٱلْعَنَّهُمْ لَعَنَّاكِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨]. تمنَّى القَومُ طاعةَ اللهِ ورَسولِه حين لا ينفَعُهم ذلك، واعتَذَروا بأنَّهم أطاعوا كُبراءَهم ورُؤساءَهم، واعتَرَفوا بأنَّهم لا عُذرَ لهم في ذلك، وأنَّهم أطاعوا السَّاداتِ والكُبَراءَ، وعَصَوُا الرَّسولَ، وآلت تلك الطَّاعةُ والموالاةُ إلى قَولِهم: ﴿ رَبُّنَآءَاتِهمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَنَابِ وَٱلْعَنَّهُمْ لَمْنَاكِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٨]، وفي بَعضِ هذا عِبرةٌ للعاقِل ومَوعِظةٌ شافيةٌ ١٦٠.

١٠ - التَّحذيرُ مِن الظُّلْم الذي يُصَدُّ به الإنسانُ عن دينِ اللهِ، أو التَّحذيرُ مِن

⁽١) يُنظر: ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (٧/ ٧٣).

⁽٢) يُنظر: ((الرسالة التبوكية)) لابن القيم (ص: ٥٤).





الظُّلمِ الذي يُوفِعُ الإنسانَ في مُخالَفةِ الرُّسُلِ؛ لقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿ وَوَرَمْ يَعَشُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾؛ لأنَّ الغرضَ مِن ذلك التَّحذيرِ ليس مجرَّدَ القِصَّةِ، بلِ الغرضُ أن يَحذَرَ الإنسانُ مِن هذا الأمرِ الذي يكونُ مَالُ صاحبِه إلى هذا الحالِ^(١).

١١ - في قولِه تعالى: ﴿ لِنَهْنِ لَا تَقْدَدْ فَلَاتُنَا عَلِيلًا ﴾ إيماءٌ إلى أنَّ شأن الخُلَّةِ اللَّمَةُ بالخَلْقِ ، وحملُ مَشورتِه على التُصحِ؛ فلا ينبغي أن يَضَمَ المرءُ خُلَّتَه إلَّا حيثُ يُوتِنُ بالشَّلامةِ مِن إشاراتِ الشُّوءِ؛ قال الله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَ اللَّهِ يَعَ اللَّهِ عَمَالُهُ اللَّهِ عَمَالَهُ عَنْ مُونِكُمٌ لَا يَأُلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ [آل عمران: ١١٨].

الغَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- في قَولِه تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشْقَقُ السَّمَاةُ وَالْفَدَمِ ثُرِّنِكَ الْكَتِهَكُةُ تَنزِيلًا ﴾ دَليلٌ على مجيء اللهِ تعالى يومَ القيامة -مع أنّه ليس في الآية ذِكرُ المجيء-! وذلك لأنَّ تشقُق السَّماءِ بالغَمامِ وتنزيلَ الملائكةِ إنَّما يكونانِ عندَ مجيء اللهِ للقَضاءِ بين عابوه، فيكونُ مِن بابِ الاستِدلالِ بأخدِ الأمْرينِ على الآخرِ؛ لِمَا بينهما مِن التلازُم".

٢- قَولُه تعالى: ﴿ وَنُزِلَا ٱللَّهَ كُهُ تَنزِيلًا ﴾ فيه أنَّ الملائكةَ في السَّماءِ ١٠٠.

٣- قَولُه تعالى: ﴿ لِلرَّحْنَيٰ ﴾ لم يقُلْ: «للهِ ا؛ إشارةً إلى كثرة رحمة اللهِ في ذلك اليوم(٥).

٤ - قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمُلُّكُ يَوْمَهِ إِلَّاحَقُ لِلرَّحْنَنِ ﴾ فلا يبقى لأحدِ مِن المخلوقين

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٩٧).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤).

⁽٣) يُنظر: ((مجموع فتاوي ورسائل العثيمين)) (٤/ ٢٧٣). (٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٨٥٥).

⁽٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٨٧).





مُلكٌ ولا صورة مُلكٍ، كما كانوا في الذُّنيا، بل قد تساوت الملوكُ ورعاياهم، والأحرارُ والعبيدُ، والأشرافُ وغَيرُهم. وممَّا يرتاحُ له القَلبُ، وتطميْنُ به النَّهْسُ، ويَسْرِحُ له الصدرُ: أنْ أضاف المُلكَ في يوم القيامة لاسمِه "الرَّحمن، الذي وَسِعتْ رحمتُه كلَّ شيء، وعَمَّتْ علَّ حيَّ، وملاتِ الكائناتِ، وعمَرتْ بها الدُّنيا والآخرةُ، وتمَّ بها كلُّ نقصٍ، وغلبتِ الأسماءُ الدالَّةُ عليه الأسماءُ الدالَّةُ عليه المُسَمّةِ الدَّانَةُ عليه المُستَقِيّق، وعليتِ الأسماءُ الدالَّةُ عليه الأسماءُ الدالَّةُ عليه المُستَقِيّق وسبقتْ رحمتُه عَضَبَه وغليّتُه، فلها السَّبَقُ والغَلبَة، وحَلَّق هذا الآدميَّ الضعيفُ وشرَّفَه وكرَّمَه؛ لِيُهمَّ عليه يعمَتَه، وليتغمَّد مِرَ حميته، وقد حضروا في موقِفِ الذُّلُ والخُضوعِ والاستِكانةِ بيْنَ ينيه يستَظرونَ ما يَحكُمُ فيهم، وما يجري عليهم، وهو أرحَمُ بهم مِن أنفُيهم ووالدِيهم، فما ظنُك بما يُعالِمهُم، وهو أرحَمُ بهم مِن أنفُيهم ووالدِيهم، فما ظنُك بما يُعالِمهُم، وهو أرحَمُ الهذابِ"؛

٦- في قولِه تعالى: ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَفِينِ تَصِيرًا ﴾ دَليلٌ على اختِلافِ النّاسِ في ذلك الموقِف؛ وإنَّ يُسْرَ ذلك اليوم وعُسرَه بحسَبِ حالِ الإنسان؛ فكلما كان الإنسانُ أشَدَّ إيمانًا وأشدَّ تقوى لله عزَّ وجلَّ، كان ذلك اليومُ أيسَرَ له، وكلَّما كان الإنسانُ أعتى وأكفرَ كان أشَدَّ وأعظَم، والقاعدةُ: أنَّه إذا علَّق المُحكمُ على وصفي، كان أثرُّ ذلك المُحكم بحسَبِ ذلك الوصفي، يعني: أنَّ تأثيرَ الوصف في الحُحكم بحسَبِ ذلك المُحكم بحسَبِ ذلك الوصفي، يعني: أنَّ تأثيرَ

⁽١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨١).

⁽٢) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٠٧).





الكفرُ أشَدَّ كان العُسرُ أشَدَّ، وإذا عُلِّق اليُسرُ بالإيمانِ، صار كلَّما كان الإيمانُ أقوى كان اليُسرُ أقوى''.

٧- في قَولِه تعالى: ﴿ وَهُومَ يَعَشُّ الطَّلَمُ عَلَى يَدْيُو يَحُولُ يَلَيَنِي أَغَذَتُ مَعُ الرَّسُولِ سَيبلا * يَوَمَنَى لَيْنَي لَرَّ أَخِذْ فَارَدًا عَلِيلا * لَقَدْ أَشَلَتِي عَنِ الذِّكِرِ بَعْدَ إِذْ جَاتَى ﴾ أنَّ عموم الظَّالعِين في يوم القيامةِ يُؤمِنونَ بالحقِّ؛ لِقَولِه: ﴿ لَقَدْ أَشَلَقِي عَنِ الذِّكِرِ بَعَدَ إِذْ جَآئَتِي ﴾، فأقرَّ بأنَّ الذَّكرَ قد جاء، وأقرَّ بأنَّ ما جاء، ذِكرٌ يَتذَكَّرُ به المرهُ '').

بلاغةُ الآياتِ:

١- قَولُهُ تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَقُ النَّمَاتُهُ وَالْعَنَمِ ثَرْلَ لَلْكَيْكُمُ تَنْزِيلًا ﴾ عَطفٌ على جُملةِ ﴿ يَوْمَ يَرْوَنَ الْمَلَتَيِكَةَ ﴾ [الفرقان: ٢٧]، والمقصودُ: تأييسُهم مِنَ الانتِفاعِ بأعمالِهم وبالهتهم، وتأكيدُ وعيدِهم. وأَدمَج في ذلك وَصْفَ بَعضٍ شُؤونِ ذلك اليّوم، وأنّه يَومُ تَنزيل الملائكةِ بمَرْاى مِنَ النّاسِ".

- قَولُه: ﴿ وَيَوْمَ قَشَقُتُ النَّمَاتُهُ إِلْفَنَتِم ﴾ فيه إعادةُ لَفظِ (يوم) على طريقةِ الإظهارِ في مَقامِ الإضمارِ وإنْ كان ذلك يَومًا واحدًا؛ لِيُعْدِ ما بيْن المُعادِ ومكانِ الضَّمير'').

- قَولُهُ: ﴿ وَيَوْمَ ثَنَقَقُ السَّلَهُ وَالْفَيْمِ ﴾ لَمَّا كان انشِقاقُ السَّماءِ بسّببِ طُلوعِ الغَمامِ منها، جعَلَ الغَمامَ كانَّه اللّذي تشقّقَ به السَّماءُ، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿ السَّمَاةُ مُنْفَطِرً يِهِ. ﴾ [المزمل: ١٨]. وقيل: الباءُ باهُ الحالِ، أي: مُنغِّمةُ ().

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٨٨).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٠٤).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٧٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٨/ ١٠٠).





- قَولُهُ: ﴿ وَثَوْلَ ٱللَّتَهِكُةُ تَنْزِيلًا ﴾ فيه تأكيدُ الفِعلِ (نُزُلَ) بالمفعولِ المطْلَقِ ﴿ تَنْزِيلًا ﴾؛ لإفادةِ أنَّه نزولُ بالذَّاتِ (١٠ وفيه دَلالةٌ على أنَّ الملائكةَ يَنزِلونَ شَيئًا فَضَينًا، لا يَنزلون جُملةً (١٠ .

٢- قَولُه تعالى: ﴿ الشَّلُكُ يَوْمَهِ لِلْحَقُّ لِلرَّحْدَيْ وَكَانَ يَوْمًا عَلَ الْكَفِينَ عَيمًا ﴾ - قَولُه: ﴿ الشَّلُكُ يَوْمَهِ لِهِ ﴾ هو صَدْرُ الجُملةِ المعطوفة؛ فيَعلَّقُ به ﴿ وَيَرْمَ ثَمَتُهُ النَّمَاةُ وَالنَّمَةُ وَالنَّمَةُ وَالنَّمَةُ وَالنَّمَةُ وَلَا الطَّعِمِ، وللتَّشُويقِ إلى تَعِينِ إِنَّائِهِ حَتَّى إذا وردَ ما فيه خَينةُ طَمَعِهم كان له وفْعُ الكآبةِ على نفوسِهم حينما يَسمَعونه. وتَكريرُ ﴿ وَيَرْمَهُ لِي ﴾ للتَّاكِيدِ والتَّهويل "".

و وفائدةُ التَقييدِ بـ ﴿ وَتِمَهِ إِنْ ﴾ في قولِه: ﴿ اَلْمُلُكُ يُوْمَهِ لِمَ الْحَقُّ لِلرَّحْنِي ﴾: أنَّ ثبوت المُلكِ المدّكورِ له تعالى خاصَّة يَومَئذِ، وأمَّا فيما عَداهُ مِن أيَّامِ الدُّنيا فيكرنُ لِغَيرِه أيضًا تصرُّفٌ صُوريٌ في الجُملةِ ('') ففي ذلك اليومِ لا مالكَ يسواهُ - لا في الصورة ولا في المعنى - فتخضَعُ له الملوكُ، وتَعْنُو له الوجوه، وتَذِلُ له الجبابرةُ، بخلافِ سائرِ الآيَّامِ (''). وإيرادُه تعالى بمُنوانِ الرَّحمانَيَّة؛ للإيهونُ الخَطْبَ على الكَفَرةِ؛ لقدم استِحقاقِهم للرَّحمة وَ '').

- قَولُه: ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَيْفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ اعتراضٌ تَذْيِيليٌّ مُقرِّرٌ لِما قَبْلُه.

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ۸٠).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٣).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٤٥٣/٢٤).

⁽٦) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/٢١٣).





وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿ عَلَ ٱلْكَفِينَ ﴾؛ لمراعاةِ الفَواصلِ ''. وقيل: تقديمُ ﴿ عَلَ ٱلْكَفِينِ ﴾ للحَصْرِ والقَصرِ، وهو قصرٌ إضافيٌّ، أي: دُونَ المؤمنينَ '''. ٣- قَولُهُ تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَشُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَسُمُّولُ يَدَلِّيَنِي الْتَّخَذَتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَيلاً ﴾

- قولُه: ﴿ وَيَوْمَ يَمَشُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ عَضُّ اليدَينِ والأنامِلِ كِنايةٌ عن الغَيظِ والحَسرةِ الأَنها مِن رَواوِفِها، فَيَذَكُّرُ الرَّادفةَ ويذُلُّ بها على المَردوفِ، فَيرَتفعُ الكلامُ به في طَبقةِ الفَصاحةِ، ويَجدُ السَّامعُ عِندَه في نفْسِه مِنَ الرَّوعةِ والاستِحسانِ ما لا يَجِدُه عِندَ لفظِ المُكنَى عنه؛ فشأنُ مَن وقع في غَيظٍ وحسرةِ وندامةِ أنْ يَمَضَّ يَديهِ، ويأكُلَ بَنانَه كانَّه لَمَّا لم يجدُ شيئًا يُطفئُ فيه غِيظه، رَجَع على نفْسِه بذلك؛ فلذا يُكنَى به عنها؛ مِن إطلاقِ اللازم وإرادةِ الملزوم، وذلك لا يَمتَمُ مِن وجودِ العَضَّ منه حقيقةً، بل وقوعُ ذلك هو الشأنُ الغالُبُ ".

- والمَفَّ: الشَّذْ بالأسنانِ على الشَّيءِ؛ لِيُثْوِلِمَه أو ليُمْسِكَه، وحقُّه التَّعديةُ بنفْسِه -فيُقال: عَضَّ يَديهِ-، إِلَّا الَّه كَثُرَثُ تَعديتُه بـ (على)؛ لإفادةِ التَّمكُّنِ مِنَ المَعضوضِ إذا قصَدوا عضَّا شديدًا، كما في هذه الآيةِ⁽¹⁾.

- واللَّامُ في ﴿ اَلظَّالِمُ ﴾ يَجوزُ أن تكونَ للعهدِ، ويَجوزُ أن تكونَ للجِنسِ (٥٠).

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/٢١٣).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۱۹).

⁽۳) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲۷ / ۲۷۱)، ((تفسير أبي حيان)) (۱۰۲ ،۱۰۱)، ((تفسير أبي السعود)) (۱۲/۲) ((تفسير ابن عاشور)) (۱۲/۱۹)، ((تفسير ابن باديس)) (ص: ۱۲۹).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٥)يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٧٦)، ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ١٠١)، ((نفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٣، ٢١٤).





- قُولُه: ﴿ يَكُولُ كِلَتِنِي التَّخَذُ مُعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ ﴿ كَلَتِنِي ﴾ نداه للكلام الدَّالُ على التَّمنِي، وهذا النَّداء يزيدُ المُتمنَّى استِبعادًا (()؛ نادَى ويْلَتَه -أي: هلكَنه- لِتَحضُرَ في ذلك الوقتِ؛ لأنَّه وقُنُها، وليس نِداؤُها رَغبة في خُضورِها؛ فالهلاكُ لا يُرغَبُ فيه، وإنَّما نادى الهلاكَ لِيَحضُرُ؛ لِمَا حصَلَ له مِن اليأس والقنوطِ مِن أسباب النَّجاةِ، فلمْ يَنقَ له إلَّا الهلاكُ ().

- وجملةً ﴿ كِنَكُولُ يَنْلِتَنِي أَغَنْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ حاليَّةٌ؛ فهو يعَضُّ حالةً كونِه قائلًا: يا لَيْنِي، فيَنَّتُ هذه الجُملةُ ما يقولُ، كما بَيِّنَت الَّتِي قَبْلَها ما يَعمَلُ، فصَّرَّرَاهُ في حالِهِ الشَّنِعِ الفظيعِ ".

- وإنَّما عَدَلَ عنِ الإتبانِ بِفعلِ الاتَّباعِ وَنَحوِه بأَنْ يُعَالَى: (يا لَيَتَنِي اتَّبغتُ الرَّسولَ، إلى هذا التَّركيبِ ﴿ يَلَيَتَنِي التَّخَذُتُ يَعَ الرَّسُولِ سَيِيلاً ﴾ الذي فيه إلمانبٌ؛ لانَّ في هذا التَّركيبِ تَمشيلَ هَينة الاقتِداءِ بهَينةِ مُسايرةِ الدَّللِ تمشيلاً مُحتويًا على تَشبيهِ دَعوةِ الرَّسولِ بالسَّبلِ، ومُتضمًّنا تَشبيهَ ما يَحصُلُ عن سُلوكِ ذلك السَّبيلِ مِنَ النَّجاةِ بِبُلوغِ السَّائرِ إلى المَوضعِ المقصودِ؛ فكان حُصولُ هذه المعاني صائرًا بالإطنابِ إلى إيجازٍ، وأمَّا لفَظُ المتابعةِ فقد شاع طلى الاقتِداء، فهو غير مُشعِر بهذا التَّمثيلِ (أ).

- والتَّنكيرُ في قولِه: ﴿ سَيِيلاً ﴾ للإفرادِ، أي: سبيلًا واحدًا لا تعدُّدُ فيه، بخِلافِ ما كان عليه الظَّالمُ مِن سُبُل أهوايُه المُتعدِّدةِ المُتشعِّبةِ (*).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٠).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٣/١٩).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٠).







٤ - قَولُه تعالى: ﴿ يَنَوْيَلَنَىٰ لَيْنَنِىٰ لَرْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾

- قَولُهُ: ﴿ يَكِيَّاتُهُ لِيَّتِي لِرُّ أَغَيْدُ فَلَاتَاخَلِيلَا﴾ تَحشُّرٌ بطريق نِداءِ الوَيلِ، والألفُ يَوضٌ عن ياءِ المتكلَّمِ، وهو تعويضٌ مشهورٌ في نِداءِ المضافِ إلى ياءِ المُتكلِّم(''. وهذا التَّمنِّي منه وإنْ كان مَسوقًا لإبرازِ النَّدمِ والحَسرةِ، لكتَّه مُتضمِّنٌ لنَوعَ تَعلُّل واعتِذارِ بإسنادِ جِنايتِه إلى الغَيرِ'''. مُتضمِّنٌ لنَوعَ تَعلُّل واعتِذارِ بإسنادِ جِنايتِه إلى الغَيرِ'''.

- وكلمةُ (فُلان) كِنابةٌ عن الأعلام؛ فإنْ أُريدَ به ﴿الظّالِم ﴾ مُفْبةُ -أي: ابنُ أَسَين لِم التَّخِذُ أَبُيّا ابنُ مُمْبِطٍ-؛ فمعنى قولِه: ﴿لَيْنَيْ لَوْ الْحَجْذُ فُلاتًا عَلِيلًا ﴾: لَيْنَتِى لِم التَّخِذُ أَبُيّا اللهِ عَلَمٌ اللهِ اللهِ عَلَمٌ لا مَحالة، فجَمَّله كِنابةً عنه؛ التَّخذ مِنَ المُصْلِينَ خليلًا كان لخَليله اسمٌ عَلَمٌ لا مَحالة، فجَمَّله كِنابةً عنه؛ فعلى هذا الجملةُ مُعترضةٌ مُذيّلةٌ، وعلى التَّعينِ يَجوزُ أن يكونَ حالًا اللهِ فعلى هذا الجملةُ مُعترضةٌ مُوليلًا فقصدُ وقيل: (فُلانِ) إمَّا قصدُ للنَّحْرِه، أو لفصدٍ بَعْفة عليه، أو خِيفةً مِن أهلِهم، أو للجَهلِ به، أو لعدَم الفائدةِ في هذه الآية إنْ حُولتُ على إرادةٍ خُصوصٍ عُشْبةً وأُبَيِّ، أو حُولتُ على إرادة كُلُ مُشوكٍ له خَليلًا دُونَ مَشَل المشهرُ إزادةٍ تُحصوصٍ عُشْبةً وأُبَيِّ، أو حُولتُ على إرادة كَلُ مُشوكِ له خَليلًا دُونَ مَشَل الماشيمُ إزادةٍ تُحصوصٍ عُشْبةً وأُبَيِّ، أو حُولتُ على إرادة كَلُ مُشوكِ له خَليلًا دُونَ مَشَل الماشيمُ إزادةٍ مُنْ مُشالِكُ له خَليلًا دُونَ مَشَل الماشيمُ إرادة وَلَمُ مُشولِكُ له خَليلًا دُونَ عَصاهُ فيما سَوَّلَ له؛ قضدًا للاشيمُوز إذ مِن

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٤).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٧٦، ٢٧٧)، ((تفسير اليضاوي)) (١٣٢/٤)، ((حاشية الطبي على الكشاف)) (٢/٣/١١)، ((تفسير أبي السعود)) (٢/١٤)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/٨).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٠١، ٢٠٢).





خُلَّتِه مِن أَصْلِها، إذْ كان الإضلالُ مِن أحوالِها(١).

- وقيل: كَنَى (بفلانٍ)؛ لأنَّ لكلِّ ظالمٍ خليلًا له اسْمُه الخاصُّ؛ فلا يُمكِنُ التَّصريحُ بأسماءِ الجميع، فما بقِيَ إلَّا الكِنايةُ عنها بفُلانٍ^(١).

٥- قَولُه تعالى: ﴿ لَقَدْأَضَلَنِي عَنِ الْفَصَيْرِ مَعَدُ إِذْ جَآمَةٍ وَكَاتَ الشَّيْطَانُ الْإِنسَيْنِ مَدُولًا جَآمَةٍ وَكَاتَ الشَّيْطَانُ الْإِنسَيْنِ مَدُولًا اللهِ اللهِ قد صَدَر عن خُلِّيه أَعظَمُ خُسرانٍ لخليله؛ إذْ أَضَلَه عنِ الحقِّ بغدَ أن كاد يَتمكَّنُ منه "، وتَصديرُه باللَّم القسميَّة؛ للمُبالَغة في بيانِ خَطيه، وإظهارِ ندَمه وحُسْرِية ().

- وجملةً ﴿ لَقَدْ أَضَلِّي عَنِ ٱلذِّكِرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِ ﴾ بيانٌ لسببِ تَمنِّه السابِقِ (٠٠٠)

- وقولُه: ﴿ وَمَدَ إِذْ جَاتَنِى ﴾ ﴿ إِذْ ﴾ ظرفٌ للزَّمنِ الماضي، أي: بغدَ وَقْتِ جاءَني فيه الذَّكرُ، والإتبانُ بالظَّرفِ هنا دُونَ أَن يُقالَ: (بعدَ ما جاءَني)، أو (بعدَ أَنْ جاءَني)؛ للإشارة إلى شدَّةِ التَّمكُّنِ مِنَ الذَّكرِ؛ لأَنَّه قد استَقرَّ في زمنٍ وتحقَّق، ومنه قولُه تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّه لِلْشِيلَ قَوْمًا بَعَدَ إِذْ هَدَنْهُمْ ﴾ [التوبة: 110]، أي: تَمَكَّنَ هَائِهُ منهم (٠٠).

- قَولُهُ: ﴿وَكَانَ النَّيْطَنُ لِلْإِنسَانِ خَدُلاً ﴾ اعتِراضٌ مقرِّرٌ لمَضمونِ ما قبَّله؛ إمَّا مِن جهتِه تعالى، أو مِن تمامِ كلامِ الظَّالمِ، على أنَّه سَتَّى خليلَه شيطانًا بغدَ وضَفِه بالإضلالِ الَّذي هو أخَصُّ الأوصافِ الشَّيطانيَّةِ؛ لأَنَّه أَضَلَّه كما

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٤).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ۱۷۰).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٤).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٤).

 ⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٠).
 (٦) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٦/١٩).

الجزء ۱۸ الحزب ۳۷





يُصِلُّ الشَّيطانُ، ثمَّ خَذَله ولمْ يَنَفَعُه في العاقبة، أو على أنَّه أرادَ بالشَّيطانِ
إبليسَ؛ لأنَّه الَّذي حمَلَه على مُخالَّةِ المُضلَّينَ، ومُخالَفةِ الرَّسولِ الهادي
صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، بوَسوَستِه وإغوائِه، ثمَّ خَذَله. أو أرادَ الجِنسَ، وكلَّ
مَن تَشَيْطانَ مِنَ الجنِّ والإنسِ. لكنْ وصْفُه بالخِذلانِ يُشهِرُ بأنَّه كان يَعِدُه في
النَّنيا ويُمْتَّبه بأنْ يَتَفَعَه في الأَخِرة، وهو أَوْقَقُ بحال إبليسَ (١٠).

- وقيل: هو تَذْييلٌ مِن كلامِ اللهِ تعالى لا مِن كلامِ الظَّالمِ، تَنبيهًا للنَّاسِ على أنَّ كلَّ هذا الإضلالِ مِن عَمَلِ الشَّيطانِ، فهو الَّذِي يُسُوِّلُ لخَدلِلِ الظَّالمِ إضلالَ خَليلِه؛ لأنَّ الشَّيطانَ خَذولُ الإنسانِ، أي: مَجْبولٌ على شَدَّةٍ خَذْلهِ... والخَذْلُ: ترُكُ نَصْرِ المُستنجِدِ مع القدرةِ على نضرِه، فإذا أَعانَ على الهزيمةِ فهو أشدُّ الخَذْلِ، وهو المقصودُ مِن صيغةِ المُبالَنةِ في وضفِ الشَّيطانِ بخَذْلِ الإنسانِ؛ لأنَّ الشَّيطانَ يَكيدُ الإنسانَ فيُورَّطُه في الضَّرَّ، فهو خَذولُ ٣٠.

- وقبل: (أل) في (الشَّيْطَان) و(الإِنْسَانِ) للجِنسِ؛ قِنَدَخُلُ فِي جِنسِ الشَّيطانِ خليلُ الظَّالمِ الَّذي صدَّه عن الذَّكرِ، وقرينُ خَليلِه مِن الجنَّ الَّذي سوَّل له ذلك وأعانَه، وقرينُه هو الَّذي زَيَّه له ودعاهُ إليه (").



⁽۱) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۳/ ۲۷۷)، ((تفسير اليضاوي)) (۶/ ۱۲۳)، ((تفسير أبي حيان)) (۸/ ۲۰)، ((تفسير أبي السعود)) (۲/ ۱۶ ۲).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٦، ١٧).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٠).





الآيات (۲۰-۹۲)

﴿ وَقَالَ ارْتُولُ يَدَتِ إِنَّ فَنِي اتَّفَدُوا هَذَا الفُّرَانَ مَهُجُونًا ﴿ وَكَالَهُ الْمُعَلَىٰ الْكُولُ نَهِي مَدُوَّا مِنَ الْمُجْمِينُ وَكَنَى بِرَتِكِ هَادِيمًا وَتَسِيرًا ۞ وَقَالَ اللَّينَ كَفُرُوا تَوَلا نُؤِلَ مَلَيْهِ الفُرْانُ جُمَّلَةُ وَهِذَا كَالِكَ لِنَقْبَتَ بِهِ. فَوَادَكُ وَتَلْتُمْ زَيْبِلا ۞ وَلا بالْوَلَاكَ بِمَنْ إ جِنْنَاكَ إِلَا مِنْ وَلَحْمَنَ قَلْبِيلًا ۞ إِلَّينَ يُعْتَرُونَ عَلَى وُجُوفِهِمْ إِلَّ جَهَنَّمُ أُولَتُهِك يَشَرُّ تَنْكُنَا وَأَنْسَلُ مَهِيلًا ۞ ﴾.

غَريبُ الكَلمات:

﴿مَهُجُولًا ﴾: أي: مَتروكًا، والهَجرُ والهِجْرانُ: مُفارقةُ الإنسانِ غَيْرَه، وأصلُ (هجر)هنا: يُدُلُّ على قطيعة وقطع''.

﴿ ثُمَالَةُ ﴾: أي: دَفعةً، مجتمِعًا، في وقتِ واحدٍ، لا كما أُنزِل نُجومًا مُتَفَرَّفةً، ويُقالُ لكلِّ جماعة غير منفصلةٍ: جُملةٌ، وأصلُ (جمل) هنا: تجمُّعُ".

﴿ تَغْيِرًا ﴾: أي: بَيانًا، وأصلُ (فسر): يدُلُّ على بيانِ شَيءٍ وإيضاحِه ٣٠٠.

﴿ يُعَشَرُونِ ﴾ أنا: يُجمعونَ، والحشرُ: الجمعُ معَ سَوقِ، وكلُّ جمعٍ حشرٌ، ويُطلَّنُ أيضًا على البعثِ والانبعاثِ، أو الجمع بكثرةً (''.

(۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قيية (ص: ٣٦٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٦٢)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٣٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٣٣)، ((النبيان)) لابن الهائم (ص: ٣١٦).

(٢) يُنظر: ((مقايس اللغة)) لابن فارس (١/ ٨٨٤)، ((السيط)) للواحدي (١٦/ ٤٨٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٠٣)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٨٥).

(٣)يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤ / ٤ ه ٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٣٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٣).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٨٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٦٦)، =







المعنى الإجماليُّ:

يقول تعالى: وقال الرَّسولُ لَرَبَّه جَلَّ وعلا، مُشتكيًّا في الدُّنيا: يا رَبَّ، إنَّ الكُفَّارَ مِن قَومي ترَكوا هذا القُرآنَ وأعرَضوا عنه فلا يُؤمِنون به، ولا يَعمَلون بأحكامِه.

ثمَّ يقولُ الله تعالى مسَلَّا نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم: وكما جعَلْنا لك -يا محمَّدُ- أعداءً مِن مُشرِكي قَومِك، كذلك جعَلْنا لكُلِّ نبيٍّ مِن الأنبياءِ أعداءً مِن الكُفَّارِ المُشرِكين مِن أقوامِهم؛ فاصيِرْ كما صَبَروا، وكفى برَبَّك -يا محمَّدُ-هاديًا وناصرًا لك على أعدائك.

ثمَّ يذكرُ الله تعالى أيضًا بعض شبهاتِ المشركينِ، فيقولُ: وقال الكُفَّارُ: هلَّا نزَّل اللهُ عليك -يا محمَّدُ- القُر آنَ دَفعةَ واجِدةً لا مُفَرَّقًا؟ ويرُدُّ عليهم سبحانَه فيقولُ: كذلك نزَّلنا عليك القُرآنَ -يا محمَّدُ- مُفَرَّقًا؛ لنقَوَّيَ به قَلبَك، وتزدادَ ثَباتًا ويَقينًا، وجمَلنا بَعضَه يَنزِلُ في إثْرِ بَعضِ على تُؤدةِ وتمَهُّل، ويَنَّاه تبيينًا.

ولا يأتيك هؤلاء المُشرِكون بمَثلِ مِن الأمثالِ التي مِن جُملتِها اقتراحاتُهم الفبيحةُ، يُريدونَ به القَدْحَ في نبوَّتِك، إلَّا جِثْناك في مُقابَلتِه بالجوابِ الحَقَّ الثابتِ الذي يُبطِلُ شُبهَتَهم بأحسَنَ ممَّا جاؤوا به كشفًا ويبانًا.

ثمَّ يبيَّنُ الله تعالى سوءَ مصيرِهم، فيقولُ: الذين يُحشَرون يومَ القيامةِ مَسحوبينَ على وُجوهِهم إلى جهنَّمَ أولئك شَرِّ مَنزِلًا ومَكانًا في جهنَّم، وأضَلُّ النَّاسِ عن طربق الحقِّ.



^{= ((}المفردات)) للراغب (ص: ٣٣٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٨/ ١٨٢)، ((التيان)) لابن الهائم (ص: ١٦١).





تَغسيرُ الآيات:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَنْرَبِّ إِنَّ قَرْمِي ٱتَّخَذُواْ هَنْذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُوزًا ١٠٠٠.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا أَكْثَرَ الكُفَّارُ مِن الاعتراضاتِ الفاسِدةِ ووجوهِ التعَنُّتِ؛ ضاق صدرُ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، وشكاهم إلى الله تعالى (١٠).

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَدُرَبِ إِنَّ قَرْمِي أَغَخَذُوا هَنذَا ٱلْقُرَّءَانَ مَهْجُورًا ١٠٠٠ ﴿.

أي: وقال الرَّسولُ مُشتكيًا في اللَّنيا " إلى رَبَّه: يا رَبَّ، إنَّ كُفَّارَ قَومي تَرَكوا القُرآنَ العظيمَ وهجَروه؛ لا يَسمَعونه ولا يتذبَّرونَه، ولا يُؤمِنونَ به، ولا يَعمَلون بأحكامه ""!

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٥٥).

(۲) مَنَّى اختار أَنَّه يقولُ ذلك في النَّبيا: الزمخشريُّ، وابنُّ عطيَّةً ونتَبُ للجمهور، والرازيُّ ونتَبَه لاُكثرِ المفشرينَ، والسفيُّ، وابنُّ عاشور. يُنظر ((نفسير الزمخشري)) (۲۷۷/۲۲)، ((نفسير ابن عطية)) (۲۰/۱۲)،))تفسير الرازي)) (۲۵/۲۵)، ((نفسير السفي)) (۲۵-۲۵)، ((نفسير ابن عاشور)) (۲/۱۷).

وممّن اختار أنَّ هذا القولَ يقولُه النِّيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في الآخرةِ: ابنُ جريهِ والثمليُّ، والواحديُّ، والبغويُّ، والشوكاتيُّ يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۹/ ٤٤٢)، ((تفسير الثملي)) (۱۳/ ۱۳۲)، ((الوجيز)) (ص: ۷۷۸) للواحدي، ((تفسير البغوي)) (۳/ ٤٤٥)، ((تفسير البغوي)) (٤/ ٨٥)، الشوكاني)) (٤/ ٨٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢٠٩/٤)، ((تفسير القرطعي)) (٢٧/١٣)، ((تفسير ابن كبير)) (٢٠٨/١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٧/١٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٤/٦).

مثّن اختار في النجلة أنَّ المرادَ بهَجرِ التُرانِ: أَنْهم يَركونَه، ويُعرِضونَ عنه لا يُوينونَ به، ولا يُتملونَ بما فيه: مقاتلُ بنُ سليمانَ، وابنُ جرير، والسعرقنديُّ، والواحديُّ، والسماتيُّ، والبغريُّ، والنسقيُّ، والخازنُ، وجلالُ الدِّينِ المحليُّ، والشوكانيُّ، والقاسميُّ، والمعلديُّ، والشغيطيُّ، يُنظر: (نضير مقاتل بن سليمان)(۲۳ / ۳۲۲)، (نضير ابن جرير)) (۲۷ (٤٤٤)».





﴿ وَكَنَاكِكَ جَمَلَنَا لِكُلِّي نَهِيَ عَلَوَّا مِنَ ٱلْمُجْرِيقُ وَكَنَى مِرَاكِ هَادِيَا وَنَصِيرًا ﴿ ﴿ ﴾. مُناسَبُهُ الآية لِما قبلَها:

لَمَّا شكا عليه الصلاةُ والسلامُ قومَه؛ سلَّاه اللهُ تعالى وعزَّاه، وأمرَه بالصَّبرِ

= ((تفسير السعرقندي)) (۲/ ۳۹ه)، ((الرجيز)) للواحدي (ص: ۷۷۸)، ((السيط)) للواحدي (۲/ ٤٨٣)، ((تفسير السعهاني)) (۱۸/٤)، ((تفسير البغوي)) (۲/ ه£)، ((تفسير السغي)) (۲/ ۵۰ه)، ((تفسير الخازن)) (۳/ ۳۳)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ۷۶٤)، ((تفسير الشوکاني)) (۶/ ۵۸)، ((تفسير القاسمي)) (۷/ ۳۵)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۲)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۲/ ۱۵).

وممَّن قال بنحوٍ هذا القُولِ مِنَ السَّلَفِ: ابنُ عَبَّاسٍ، وابنُ زيدٍ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٤٤)، ((تفسير ابن الجوزي)) (٣٠ / ٣٤).

ومِثَّن اخدار في الجملةِ أنَّ المعنى أنَّهم جَمَلوه كالهَنْيانِ، وما لا يُشتَّعُ به مِن القَولِ: لبنُ كُتِيَةَ والزَّجَاجِ، يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن فتية (ص: ٣١٣)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (3/1/3).

قال الماؤرةيُّ: (قولُه تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّمُولِيَكِينَ إِنَّ قَلَى الْقَدُّواَ هَذَا ٱلْقُرْيَانَ مَهَجُولًا ٣٠] فيه ثلاثةُ أوجُوهِ أَخَدُها: أَنَّهِم هَجَروه بإعراضِهم عنه، فصار مُهجورًا. قاله ابنُ زيد. الثَّاني: أَنَّهم قالوا فيه هُجُرًا، في: قَينخا، قاله مجاهدٌ. الثَّالثُ: أَنَّهم جَعَلوه هُجُرًا مِنَ الكلامِ، وهو: ما لا نَفَحَ فِهِ مِنْ التَبْتِ والهَهَانِ. قاله ابنُ قُينةًا. ((نفسير الماوردي)) (٤٣/٤).





والنَّبَاتِ، ووعدَه ورجَّاه'''، ويَيْنَ أنَّ له أُسوةً بسائِرِ الرسُّلِ؛ فلْيَصبِرْ على ما يَلْقاهُ مِن قَومِه كما صَبَروا'''.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

أي: وكما جَعَلْنا لك -يا محمَّدُ- أعداءً مِن مُشرِكي فَومِك، كذلك جَعَلْنا لكُلِّ الأنبياءِ أعداءً مِن الكُفَّارِ المُشرِكين مِن أقوامِهم يُعارِضونَهم ويُؤذونَهم؛ فاصبرْ كما صبرَ أولئك الرسُّلُ مِن قَبْلِك^٣.

كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَاكَ جَمَلَتَ الْكُلِّي نِيَ عَدُوَّالَشَيْطِينَ ٱلْإِنِى وَٱلْجِنَ بُوجِي بَعَشُهُمْ إِلَى بَعْضِ ثُخْرُكَ ٱلْقَرْلِ عُهُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢].

﴿ وَكُفَىٰ بِرَبِّكِ هَادِينًا وَنَصِيرًا ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبلَها:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى أنَّه جَعَل لكُلِّ نِيَّ عَدُوًّا مِن المجرمين، وهؤ لاء المجرمون يحاولون القضاء على الرَّسالةِ أو النبَّوةِ بواحدٍ مِن أَمْرَينِ؛ إمَّا بإضلالِ النَّاسِ وصَدَّهم عمَّا جاءت به الرسُّلُ، وإمَّا بقِتالِهم وإهلاكِهم، فيَعتَدُون على النَّاسِ بالقِتالِ- فقال الله تعالى: ﴿وَكَنْ مِرْتِكَ هَادِينَا﴾ في مقابلةِ محاولةِ الإضلالِ، ﴿وَيَكَنْ مِرْتِكَ هَادِينَا﴾ في مقابلةِ محاولةِ الإضلالِ، ﴿وَيَكَنْ مِرْتِكَ هَادِينَا ﴾ وأمّيهم "٠٠.

وأيضًا لَمَّا كان هذا مَوطنًا تتعلَّقُ فيه النفوسُ متشوِّقةً إلى الهدايةِ بعُدَ هذا

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص ١٧٦).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٥٥).

 ⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) ((۲۷/۱۳)؛ ((تفسير القرطبي)) (۲۷/۱۳)؛ ((تفسير ابن کثير))
 (۱۰۹/۱)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/۱۹)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (۲/۱۵).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١١٤).





الطَّبِع، والنُّصرةِ بعْدَ ذلك الجَعْلِ؛ كان كانَّه قبل: لا تَحزَنُ؛ فلَنَجعلَنَّ لك وَلِيًّا ممَّن نَهْديه للإيمانِ، ولَننصرَنَّهم على عدوَّهم كما فعَلْنا بمَن قبَلك، بل أعظم''.

﴿ وَكُفَىٰ بِرَبِّكِ كَادِيَا وَنَصِيرًا ﴾.

أي: وكفى برَبِّك -يا محمَّدُ- هاديًا يَهديك إلى الحَقَّ وإلى مصالح الدَّينِ والدُّنيا، وناصِرًا لك على أعدائِك، يدفعُ عنك كُلَّ مَكروهِ في أمرِ الدَّينِ والدُّنيا، فلا تُبالِ بمَن عاداك، واصبِرْ وامضِ لتبليغِ رِسالةِ الله إليهم، متوكَّلًا عليه مسحانه".

كما قال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ أَللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْمَّدِي ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

وقال سُبحانَه: ﴿ إِن يُشَرِّكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمٌّ وَإِن يُخَذُّ لَكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَشُرُكُم مِنْ بَقِيهِ. ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلا نُولَ مَلَيُهِ الْفُرْنَانُ مُحْلَةً رَحِيدَةً كَنَاكِ لِنَكْيَتَ بِهِ. فُؤادَكُ رَوْلَنَهُ زَبِيلا (۞ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَرَ سُبحانَه شِكايةَ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم مِن هِجرانِ قَومِه للقُرآنِ، وقرَّرَ عداوتَهم له، ونُصرتَه عليهم؛ أنْبَعَ ذلك بما يدُلُّ عليه، فقال عَطفًا على ما مضَى مِن الأشباوِ في الشُّبَوَ^(٣):

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَا نُزِلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَحِدَةً ﴾.

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٧٧).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٥)، ((تفسير ابن عطية)) ((٩/٤)، ((تفسير القرطبي)) (٣/ ٢٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٥٨).

⁽٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١١٣/ ٣٧٨).





أي: وقال كُفَّارُ قُرَيشٍ: هلَّا نزَّل اللهُ على محمَّدِ القُرآنَ دَفعةً واحِدةً، ولم يُنزَّلُ مُفَوَّقًا (١٠٠)

﴿كَذَالِكَ لِنُثَيِّتَ بِهِ، فُوَّادَكَ ﴾.

أي: كذلك نزَّلنا عليك القُرآنَ -يا محمَّدُ- مُفَرَّقًا؛ لنقوِّيَ قَلَبَك فَعَيِه و تحفَظَه، و تَزدادَ يقينًا وطُمانينةً وثَباتًا (٢٠).

﴿ وَرَتَلْنَهُ نَرْتِيلًا ﴾.

أي: أنزَلْناه مفرَّقًا على تُؤدةِ ونَمَهُّلٍ، شَيئًا بغدَ شَيءٍ، آياتٍ ثمَّ آياتٍ، وبيَّنَاه تبيينًا(٣).

- (١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٤٥)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٧٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١٠٩/٦).
- (۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ 523)، ((تفسير القرطمي)) (۲۸/۱۳)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۱۹).
- (۳) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ۴۵)، ((تفسير القرطي)) (۲۹/۱۳)، ((تفسير البيضاوي)) (۱۳۳/)، ((تفسير ابن کثير)) (۱/ ۱۰۹)، ((تفسير العليمي)) (۱۳۳/)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۸۵)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱/ ۲۰).
- مَّن احتار في الجعلة أنَّ التَّرِيلَ معنى الترسُّلِ، والشَّكُ شَيَّا بِغَدَ شَيْءِ آياتٍ ثُمَّ آياتٍ على تَوَّدَةٍ وَتَمُهُلِ: هَاتَلُ بنُ سليمانَ، وابنُّ جرير، والرَّجَّاجُ، والرَّمَحْشِيُّ، وابن عطية، وابن الجوزي، والرازي، والقرطي، واليضاوي، وجلال الدين المحلي، المحدي، يُنظر: ((تضير المعاني القرآن وإعراب) للزجاج (١/٤٤)، ((تضير الرمعاني القرآن وإعراب) للزجاج (١/٤٦)، ((تضير ابن عطية)) (١/٩/٤)، ((تضير ابن عطية)) (١/٩/٤)، ((تضير القرطي)) (١/٩/٤)، ((تضير القرطي)) (١/٩/٤)، ((تضير القرطي)) (١/٩/٤)، ((تضير القيطاوي)) (١/٩/٤)، ((تضير الجلالين)) (ص: ١٤٤)، ((تضير المناسية)) (ص: ١٨٤)، التحديم)) (ص: ١٨٤)، (التصير المناسية المحديم)) (ص: ١٨٤)، التحديم)) (ص: ١٨٤)، التحديم)) (ص: ١٨٤)، التحديم)) (ص: ١٨٤)، (التصير المناسية المحديم)) (ص: ١٨٤)، (التصير المحديم)) (ص: ١٨٤)، (التصير المناسية المحديم)) (ص: ١٨٤)، (التصير المحديم) (صدير المحديم) (صد
- وممَّن قال بنحو هذا القولِ مِن السَّلفِ: ابنُ عبَّاسٍ، والنَّخَعيُّ، والحسن، وابن جُرَيج. يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (١/ ٤٤٦)، ((نفسير الثعلبي)) (١٣٢/٧).





كما قال تعالى: ﴿ وَقُرْهَ أَنَا فَوَقَتُهُ لِنَقَلَّمُ عَلَى النَّاسِ عَلَى شَكْنٍ وَزَلَنَتُهُ تَبْزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثْلٍ إِلَّا حِثْنَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَغْسِيرًا ١٠٠٠.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا رَدَّ تعالى اعتراضاتِهم، وأبطَلَ شُبُهاتِهم؛ أخبرَ بالَّه لا يَزِالُ القرآنُ كذلك: يَدمعُ باطلَهم بحقَّه فيُرْهِعُه، ويَصدَّعُ غشاءً تَمويهِهم بصادقِ بيانِه فيُمَرِّقُه؛ لِطمانةِ قلْبِ نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم وتثبيته، والوعدِ له بدوام النَّصرِ والتأييدِ (١٠).

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلِ إِلَّا حِثْنَكَ بِٱلْعَقِي وَأَحْسَنَ تَشْبِيرًا ١٠٠٠ ﴾.

أي: ولا يَذكُرُ مُشرِكو قُرَيشٍ شُبهةً أو اقتِراحًا يُعارِضون به الحَقَّ ويَطعنونَ به فيه، إلَّا انزَلْنا مِن القُرآنِ ما يُبطِلُ شُبهَتَهم، ويَرُدُّ حُجَّتهم بأحسَنَ مِمَّا جاؤوا به؛

= وومَّن اختار أنَّ الترتيلَ بمعنى التَّبيين: السمرقنديُّ، وابنُ أبي زمنين. يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (۲/ ۵۳۷)، (زفسير ابن أبي زمنين)) (۳/ ۲۰۹).

وممَّن قال بذلك مِن السلفِ: قَتادةُ. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٠٩).

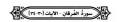
قال العليمي: (﴿ وَرَثَلْنَهُ زَيْبِلًا ﴾: أنزَلْنَا بعضَه في إثرِ بعضٍ، وبيِّنَاه تبيينًا). ((تفسير العليمي)) (٥/ ٢٣).

وقال الثعلبي: (والترتيلُ: التبيينُ في ترسُّل وتثبُّتٍ). ((تفسير الثعلبي)) (٧/ ١٣٢).

وقال ابن طاشور: والترتيل بسيعين به الكلام إذا كان حَسَنَ التاليف، بينَّنَ الدَّلاتِ... والترتيلُ يجودُ أن يكون حالة لتزول القرآن، أي: نرتُنه مفرَّقاً مشقَّة في الفاظه ومعانيه غير مراكم، فهو مفرَّق في الزمان، فإذا كمل إنرال سورةٍ جامت أياتُها مرتَّة متناسبةً، كأنَّها أنزلت مجملةً واحدة، ومفرَّق في التأليف بانه مفشلٌ واضعٌ... ويجوزُ أن يرادُ به وتلناه؛ أمَّزت يتربيه، أي: بقراء، مرتَّلا، أي: يتمثّهل بألا يُمجَّلُ في قراءته؛ بأن تُشَيَّز جميعٌ الحروف والحركاب بمهل، ابن طاشور) (١٩/١ع).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٢).





بيانًا ووضوحًا، وفصاحةً وتَفصيلًا(١).

﴿الَّذِينَ يُعْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِنَّ جَهَنَّمَ أُولَتُهِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَصْلُ سَيِيلًا ۞﴾. مُناسَةُ الآية لِما قَلَها:

لَّمَّا أبطلَ سبحانه شُبِّهَهم؛ بَيِّنَ مَالَّهم وجزاءَهم (١٠)، فقال تعالى:

(۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲۰ /٤٤٠٤) ((نفسير القرطيي)) (۲۹ /۲۱)، ((مجموع القتاوي)) لابن تيمية (٢٠ / ۲۰)، ((تفسير ابن كثير)) (١٠ / ٢٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢١ / ٢١). قال ابنُ القيم: (التفسيرُ الأحسَنُ: هو الألفاظُ الدالَّةُ على ذلك الحَقَّ، فهي تفسيرُه وبيانُه... فلا بدَّ مِن أَن يكونَ التفسيرُ مُطابقًا للمُقتَّرِ مُفهمًا له، وكلَّما كان قَهُم المعنى منه أوضَحَ وأيَّينَ، كان التفسيرُ أكمَلَ واحسَنَ؛ ولهذا لا تجِدُ كلامًا أحسَنَ تفسيرًا ولا أثمَّ بيانًا مِن كلامٍ الله مُبحانَه). ((الصهاعة العرسانة) (۲۰ / ۲۳، ۲۳)، ۳۲).

وقال ابن عشيمين: (... فالمرادُ بالمشلَّل هنا الصَّفَةُ، يعني: لا ياتُونَك بِصِفةٍ مِن القَولِ يُريدونَ بها إيطالُ دَعورتِك إلَّا حِثناك بالحثِّ، إذَنُ فَهُم ياتُون بياطلٍ، لأنَّه قائلَ قُولَهم بالخَرِّ، فهذا دليلُّ أيضًا على أذَّ كُلُّ شُههةٍ يحتَّجُ بها المُكذِّبون للرَّحولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فهي باطلٌ، ولكِنَّ هذا الماطِلُ باطلٌ في ذاتِه قد يظهُرُ لبعضِ النَّاسِ بُطلائه، وقد يَخفى على بعضِ النَّاسِ بُطلائه). ((نفسير ابن عشيمين – سورة الفرقان)) (ص: ١٢٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٤٨/١٧)، ((تفسير القرطبي)) (٣٠/١٣)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣١/ ٣٨١)، ٢٨١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٣).

قال ابن جرير: (يقولُ تعالى يُرَكُّرُه لنَّيُّ، هؤلاً" المُشرِكون -يا محشَّدُ القاتلون لك: ﴿وَلَوَلَا نُولَلَ عَلَيْهِ الْقُرْبُانُ مُمْلِكَ فِيمَدُهُ فِي وَمَن كان على مِثْلِ الذي هم عليه من التُّمْنِ بالله، الذين يُحشَرون يومَ القبادةِ على وُجوهِهم إلى جهنَّم، في الذي الحَبِيِّ اللهِ بَعِنَّمَ، شَرِّ المُستِحُونُ فِي الشَّبَا والآخرةِ مِن أهلِ الحَجَّةِ فِي الحَجَّةِ، وأضَلُّ مَعِم في الذُّينا طريقاً) ((تقسير ابن جرير)) ((18 (28)).





عن قنادة، قال: حقّتُنا أنسُ بنُ مالكٍ، ((أنَّ رجُلًا قال: يا رَسولَ اللهِ، كيف يُحشَرُ الكافِرُ على وجهِه يَومَ القيامةِ؟ قال: أليس الَّذي أَمْشاهُ على رِجليَهِ في الدُّنيا قادِرًا على أن يُمشِيّه على وجُهِه يَومَ القيامةِ؟)). قال قتادةً: بلى وعِزَّةِ رَبِّناً(''.

الغَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١ - قَولُه: ﴿ أَنْخَذُوا هَنَذَا ٱلثَّرْءَانَ مَهُجُورًا ﴾ فيه تلويخ بأنَّ مِن حقَّ المؤمنِ أنْ
 يكونَ كثيرَ النَّعامُدِ للقر آن؟ كَيْ لا يَندرجَ تحتَ ظاهرِ النَّظم الكريم "'.

٢- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَدَيِّ إِنَّ قَوْيَ اتَّخَذُواْ هَدَا الْقُرْوانَ مَهَجُولًا ﴾ شكا نبيًّنا صلَّى الله عليه وسلَّم إلى ربَّه هَجْر قومه - وهم كفَّارُ قريش - لهذا القرآنِ العظيم، أي: تَرْكهم لتصديقه والعملِ به، وهذه شكوى عظيمةٌ، وفيها أعظمُ تخويفِ لمن هجر هذا القرآنَ العظيم، فلم يعمَلُ بما فيه مِن الحلالِ والحرامِ والآدابِ والمكارم، ولم يعتقِدُ ما فيه مِن العقائد، ويَعتبرُ بما فيه مِن الزَّواجرِ والقصص والأمثالُ".

٣- في قَولِه تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَمَلَنَا لِكُمْ يَتِي عَدُوْا مِن ٱلْمُجْرِينَ ﴾ ابتلاء الله سبحانه وتعالى للمُؤمِن؛ فإنّه إذا كان الإيمانُ قويًّا فإنه يَصمُدُ أمامَ هذه الشُّبُهاتِ، وأمامَ هذه العُداوة، وإذا كان ضعيفًا فإنه يتأثّر، فهذا مِن حِكمةِ الله سبحانه وتعالى: أنَّ الله يُقبَّضُ للإنسانِ ما يكونُ سببًا للحيلولة بينه وبين دَعوتِه لِيَبلُوهُ، قال سُبحانه وتعالى: ﴿ وَمِن النَّاسِ مَن يَعَبُدُ أَلْتَه عَلَى حَرْفِقٌ فَإِنْ أَصَابُهُ عَيْرٌ أَلْمَانَ يعِه عني: اطمأنً بعد إلى الله عني : اطمأنً بعد إلى هو عليها، ﴿ وَلِنَّ آصَابُهُ فِينَا كُمُ وَهِيهِ مِدِيمَ وَمَعْ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللهُ عَلَى الله عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الل

⁽١) رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) واللفظُ له.

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٥).

⁽٣) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٤٨).





هُوَ ٱلْخُمْرَانُ ٱلْمُوبِينُ ﴾ [الحج: ١١]: وإنْ أصابَته فِننةٌ وأمرٌ يَشغَلُه انقلبَ على وَجهه (١٠)

٤- قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَمَلْنَا لِكُمْ يَعَى عُدُواً مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ وهذه العداوة التي ذكرها الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَمَلْنَا لِأَسْلِ الْأَسْلِ؛ لأنَّ هؤلاء عادَوُا الرسُلُ للمُعانِهم ولهذا كان الرسولُ عليه للمُعانِهم للحَقِّ، يعني: ما عادَوُا الرُسُلَ لاشخاصِهم ولهذا كان الرسولُ عليه الصلاة والسلامُ قبلَ البَعنةِ عند قريشٍ ليس عدوًا، بل هم يُسمُونَه الأمينَ، فما دامتِ العداوة مِن أَجْلِ الدعوة إلى الدِّينِ فسوف تكونُ لكلَّ مَن دعا إلى الدِّينِ لأنَّ الذي يَدعو مثلاً إلى شريعة النِّي صلَّى الله عليه وسلَّم هو يدعو إلى ما دعا إليه النَّييُ عليه الصلاة والسلام، فلا بُدُ أن يكونَ له أعداءٌ، كما كان للأنبياءِ أعداءٌ، وعليه فالواجِبُ على من دعا إلى الهُدى وأوذيَ أن يَصبِر، وأن يتَاسَّى بما جرى للرسُلِ مِن قبلِه، والرسُلُ أعظَمُ منزلةً عندَ اللهِ منه، ومع ذلك مَكَنَ أعداءُهم ممّا فعَله ومناً.

٥- قَولُه تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلا نُوْلِ عَلَيْهِ الْفُرْوَانُ جُمْلَةً وَحِدَةً كَالِكَ
 لِنَكْتِتَ بِهِ. فُؤَادُلَةً رَوْقَانَهُ تَرْقِيلًا ﴾ دَليلٌ على أنّه يَنتَني لِمَن أراد حِفظ شَيء أنْ يَحفظ منه قَدْرًا قليلًا ، ويأمّز مِن نسيانه ".
 منه قَدْرًا قليلًا ، أو شَيئًا بعْدَ شَيء؛ ليرسَخَ في قلبه ، ويأمّز مِن نسيانه ".

٦- قَولُه تعالى: ﴿وَرَقَلْتَهُ رُوْيِهِا ﴾، أيْ: نزَّلْناه مُفَرَّقًا، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ ذلك مِن دَلاتلِ أنَّ مِن عِندِ الله؛ لأنَّ شانَ كلام التَّاسِ إذا فُرَّقَ تأليفُه على أزمنةٍ
 مُتباعِدةٍ أنْ يَمَوَره التَّمَمُّكُ وعدَمُ تَشابُو الجُمَلِ (¹¹).

٧- قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ لَوَّلا نُزِلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ مُمْلَةٌ وَبِيدَةً كَذَلِكَ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١١٥).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٠٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٠).





لِنَقْتِىَ بِهِ. فُؤَادَكُ وَرَنَّلْنَهُ رَقِيلًا ﴾ مِن محاسِنِ هذه الشَّريعةِ المطَّهَرةِ أَنَها نزلت بالتَّدريجِ المناسِب، ويُمثينُا ذلك فائدة عمليَّة، وهي أن نقراً القرآنَ ونفهَّهه حتى تكونَ آياتُه على طَرفِ السنتِنا، ومعانيه نُصبَ أعينِنا؛ لِنُطبَق آياتِه على أحوالِنا، ونُنزِلَها عليها، كما كانت تَنزِلُ على الأحوالِ والوقائع، فإذا حَدَثَ مرَضٌ قلبيِّ أو اجتماعيِّ طلَبْنا دواءَه في القرآنِ، وطبَّقناه عليه، وإذا عَرَضَتْ شُبهةٌ أو ورَدَ اعتِراضٌ؛ طلَبْنا فيه الرَّدَّ والإبطالَ، وإذا نزلَتْ نازلةٌ طلَبْنا فيه حُكمَها، وهكذا نذهَبُ في تطبيقِه وتنزيلِه على الشَّدُونِ والأحوالِ إلى أقصى حَدَّ بمكِنَّنا^ن.

٨- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِسَدُلٍ إِلَّا حِثْنَكَ بِالْحَقِ وَلَحْسَنَ تَشْعِيرًا ﴾ في تنزُّلِ آياتِ القرآنِ على حسّبِ الوقائع دَليلٌ على أنَّه ينبغي للمتكلَّم في العلم -بن مُحَدَّثٍ ومُعَلَّم - كلَّما حَدَثَ مُوجِبٌ أو حَصَلَ مَوسِمٌ، أن يأتيَ بما يناسِبُ ذلك مِن الآياتِ القُرآتَيَةِ والأحاديثِ النَّبويَّةِ، وفيها قدوةٌ صالحةٌ لأثمَّةِ الجُمَعِ وخُطبانِها في توخَيهم بخُطبَهم الوقائع النازِلةَ، وتطبيقِهم خُطبَهم على مقتضى الحال، وذِكر المواعِظِ الموافِقةِ لذلك ").

٩- في قَولِه تعالى: ﴿وَلَا يَأْوَنَكَ بِمَثْهِ إِلَّا مِثْنَكَ عِالْحَقِ وَأَمْسَ تَقْدِيرُ ﴾ أنّه ينبغي أن نقتدي بالقرآب فيما نأتي به مِن كلامٍ في مقامِ الججاحِ أو مقامِ الإرشادِ، فالمُتوخَ دائمًا الحقَ الثابت بالبرهانِ أو بالعِيانِ، ولنُفَسِّرُه أحسنَ التفسيرِ، ولنُشرَحْه أَكمَلَ الشرحِ، ولنُقَرِّئه إلى الأذهانِ غايةَ التقريب، وهذا يَستدعي صحَّةَ الإدراكِ، وجُودةَ الفَهم، ومتانةَ العلم؛ لِتَصَوَّرِ الحقِّ ومعرفتِه، ويَستدعي محُسنَ البيانِ، وعلومَ اللسانِ لتصويرِ الحقِّ وتجليه والدفاع عنه، فللاقتداءِ بالقرآنِ في الإنيانِ بالحقِ واحتَق واحتَن بنا للهِ اللهِ الذي الإنبانِ، بالحقِ واحتَن بيانِ علينا أن تُحَصَّلُ هذه كلَّها، ونتدرَّبَ فيها، ونتمرَّن عليها؛ بالمقرآنِ في الإنيانِ

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ۱۸۱،۱۸۰).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٢)، ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨١).





حتى نَبلُغُ إلى ما قُدِّر لنا منها، هذا ما على أهلِ الدعوةِ والإرشادِ وخدمةِ الإسلامِ والقرآنِ.

فامًا ما على عمومِ المسلمينَ مِن هذا الاقتداءِ: فهو دوامُ القصدِ إلى الإنبانِ بالحَقِّ، وبَذْلُ الجُهدِ في التعبيرِ بأحسَنِ لفظِ وأفرَبِه، ومَن أخلَصَ قَصْدُه في شَىءٍ، وجَمَلُه مِن دأبه؛ أُعِينَ -بإذنِ الله تعالى- عليه''.

١٠ - قولُه تعالى: ﴿ وَلَا يَاتُونَكَ بِمَنَهِ إِلَّا حِثْنَكَ يَالْحَقِ وَلَحْسَنَ قَفْيهِ لَى هُوْخَذُ منه أَنَّ كلَّ دَي باطلٍ نَجِدُ بِيانَ باطلِه مِن الوحي المُنتَزِّل على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، فما مِن شُبهة إلى يومنا هذا تَرْدُ إلَّا وفي كتابِ الله وسُتُّةِ رَسولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ما يَدْحَشُها ﴿ . وإنَّك إذا تَبَعْتَ آياتِ القرآنِ وجدْنَها قد أَتْتُ بالعَددِ الوافرِ مِن شُبَهِ الصَّالِين واعتراضاتِهم، ونَقَضَتْها بالحقِّ الواضِح، والبيانِ الكاشفِ في أو جَزِ لفظ و اقْرَبِه وابلَغِه، وهذا قِنسٌ عظيمٌ جليلٌ مِن علوم القرآنِ، يتحتَّمُ على رجالِ الدَّعوةِ والإرشادِ أن يكونَ لهم به فضلُ عناية، ومَزيدُ يرايةٍ وخبرة، ولا نحسبُ شُبهة تَرهُ على الإسلامِ إلَّا وفي القرآنِ العظيم رَدُّها بهذا الوعدِ الصادقِ مِن هذه الآية الكريمة؛ فعلينا عندَ وُرودِ كلَّ شُبهةٍ مِن كلَّ ذي الوقالِة أن نَفرَة إلى آي المُورَانِ (.).

١١ - قال الله تعالى: ﴿اللَّذِينَ يُعْتَرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ ﴾ فيما يذكُرُه الله تعالى من هذا الجزاء العادلِ تخويفٌ عظيمٌ لنا مِن سوء الأعمالِ التي تؤدِّي إلى سوء الجزاءِ⁽¹⁾.

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١٢٦).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٣).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٨٥).





الغَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

ا - قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولَ يَنَرِبُ إِنَّ قَرْيَ اتَّخَذُواْ هَنَذَا ٱلْقُرْوانَ مَهْجُورًا ﴾
 في شكوى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مِن هجرةِ القرآنِ دَليلٌ على أنَّ ذلك
 من أصعب الأمور وأبغضِها لديه (١٠).

٢ - في قَولِه تعالى: ﴿ أَتَّعَذُواْ هَذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ كَراهةُ هَجْرِ المصحفِ
 وعدم تعهُّده بالقراءة فيه ٢٠٠٠.

٣- في قَولِه تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ بَكَرِيّ إِنَّ قَرْي أَغَمَدُواْ هَـٰذَا الْقُرْءان مَهجُورًا ﴾
 حُجّةٌ على مَن يَعدِلُ عن القُرآنِ في الاحتِجاجِ به، ويَعيبُ على مَن يدعو إليه (١٠٠)

٤ - قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولَ يَكَرِبُ إِنَّ قَرِي اَتَّخَذُواْ هَـٰذَا اَلْفُرْءَانَ مَهِجُورًا ﴿ وَكَانَا لِهُ رَالِمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَمِنَ اَعْدَاءِ وَمَنَا اللَّهُ وَمِنَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ تعانَا ، فهؤلاء الذين سمَّاهم الرَّسولِ، وأنَّ هذه العَداوة أمرٌ لا ابُدَّ منه، ولا مَفَرَّ عنه "ا، فهؤلاء الذين سمَّاهم الله تعالى أعداء لنبيّه، ووَصَفَهم بالإجرامِ: هم أولئك الذين هَجَروا القرآن وصَدَّوا عنه؛ فهذا تخويفٌ عظيمُ ووعيدٌ شديدٌ لكلِّ مَن كان هاجرًا للقرآنِ العظيم بوجو مِن وجوه الهجرانِ "!

٥- هَجرُ القرآنِ أنواعٌ:

أحدُها: هَجرُ سَماعِه، والإيمانِ به، والإصغاءِ إليه.

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ۱۷۳).

 ⁽٢) يُنظر: ((أحكام القرآن)) لابن الفرس (٣/ ٣٩٦)، ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي
 (ص: ١٩٧).

⁽٣) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٠٨).

⁽٤) يُنظر: ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (٤/ ١٠٦).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٦).





الثاني: هَجرُ العمَلِ به، والوقوفِ عند خَلالِه وحرامِه، وإذْ قرأَه وآمنَ به. الثالثُ: هَجرُ تحكيمِه والتَّحاكُم إليه في أصولِ الدِّينِ وفُروعِه، واعتفادُ أنَّه لا يفيدُ اليقينَ، وإنَّ أدلَّتَه لفظيُّةٌ لا تُحَصِّلُ الطِلمَ.

الرابعُ: هَجرُ تدبُّرِه وتفَهُّمِه، ومَعرفةِ ما أراد المتكلِّمُ به منه.

الخامسُ: هَجُرُ الاستشفاءِ والتَّداوي به في جميعِ أمراضِ القلبِ وأدوانِها، فَيَطلَبُ شفاءَ دايْه مِن غيرِه، ويَهجُرُ التداويَ به، وكلَّ هذا داخِلٌ في قُولِه تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولَ يَمَنِي إِنَّ قَوْمَى أَتَّخَذُواْ هَنَذَا الْقُرْءَانَ مَهجُورًا ﴾، وإنْ كان بعضُ الهجرِ أَهْوَنَ مِن بعض''.

٦ - قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولَ يَرَبِّ إِنَّ قَوْيَ اتَّغَدُّواْ هَذَا ٱلْقُرُوانَ مَهَجُولًا ﴾ في حكاية الله تعالى لهذه الشكوى وعيدٌ كبيرٌ للهاجرينَ بإنزالِ العقابِ بهم؛ إجابةٌ لشكوى نبيَّه، ولمَّا كان الهجرُ طبقاتِ أعلاها عدَمُ الإيمانِ به، فلكلً هاجرِ حنُّه مِن هذه الشكوى وهذا الوعيد").

٧- في قولِه تعالى: ﴿ وَكَانَاكِ جَمَلنا لِكُلِّ نِهِ عَدُواً مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ أنَّ الحقَّ يَنبَينُ الشَّرِه؛ لأنَّ اللهَ جَعَل عدوًا مِن المجرمين يُنابِذُ الدَّعوة، فهِنَ الحكمةِ في ذلك أنْ تَبيَّنُ الدعوة؛ لأنَّه إذا لم يكنْ لها مُعارضٌ ما تَيَيَّتُ، لكنْ إذا كان لها مُعارضٌ موكنًا أَتِيَ بشُبهةٍ رُدَّ عليها، صار ذلك أبينَ وأوضَحَ ٣٠)، فمُعارضةُ الباطلِ للحَقِّ مِن ممّا نَريدُه وضوحًا وبيانًا وكمالَ استِدلالٍ، وبها يَنبَينَ ما يفعَلُ اللهُ بأهلِ الحقِّ مِن الكورامةِ، وبأهل الباطل مِن التُقوبةِ ٤٠٠).

⁽١) يُنظر: ((الفوائد)) لابن القيم (ص: ٨٢).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٣).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١١٥).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير السعدى)) (ص: ٥٨٢).





٨- في قَولِه تعالى: ﴿ وَكَذِكْ بَمْنَاكِكُمْ نَيْ عَدُوْلَيْنَ ٱلْمُعْمِمِينَ ﴾ عناية اللهِ تعالى بالرَّسولِ بما وقع لغَيره، هذا دليلٌ على بالرَّسولِ به و وَجَهُ ذلك: أنَّ كُونَ اللهِ يُسلِّي الرَّسولِ بما وقع لغَيره، هذا دليلٌ على العناية به. وكونُ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم يَسْرٌ، يَسْابُه ما يستابُ البشر مِن الحُزنِ على أنَّ الرسولَ صلَّى التسلية ، وإذا كان الرسولُ يحتاجُ إلى ذلك فمن دونَه مِن بابِ أولى؛ فالنَظرُ إلى ما أصاب الغير يُهُونُ على النفْسِ ما يُصيبُها، وهو مِن مقتضياتِ الطبيعةِ البشريّةِ (١٠).

٩- في قولِه تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَمَلنَا لِكُلُّ نَيْ عَدُواْ مِنَ ٱلْمُعْرِينُ وَكَنْ مِرَلِكَ مَالِكَ وَلَهِم اللَّهُ عَلَى رَعِيهِم أَنَّ خَالنَ مَالِكِكَ وَيَهِم أَنَّ خَالنَ اللَّهِ عَلَى رَعِيهِم أَنَّ خَالنَ اللَّهِ عَلَى رَعِيهِم أَنَّ خَالنَ اللَّهِ عَلَى رَعِيهِم أَنَّ خَالنَ اللَّهِ عَلَى مَنَاهُ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّةُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ الللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْمُؤْلِلَهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْلِقُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ الللْهُ ا

١٠ - قولُه تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَمَلنَا لِكُلِّ نِنِي عَدْوًا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ فيه تسليةٌ لرَسولِ
 الله صلّى الله عليه وسلّم، وحمْلٌ له على الاقتداء بمن قبله مِن الأنبياء عليهم الصّلاةُ والسلامُ (١٠).

١١ - قَولُه تعالى: ﴿ وَكُذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوّاً مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ فيه تنبيهٌ للمُشركينَ؟

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١١٤).

⁽٢) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٥٠٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (١٥/١٥).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٥٥).

⁽٥)يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٣/ ٧٧٧)، ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ٢٠٨)، ((نفسير أبي السعود)) (٦/ ١٥/٥)، ((نفسير ابن عاشور)) (4/ ١٨/١).





لَيْعِرِضوا أحوالَهِم على هذا الحُكمِ التَّارِيخيِّ؛ فَيَعلَموا أنَّ حالَهِم كحالِ مَن كَلَّبوا مِن قَوم نوح وعادٍ وتُمودُ^{٧٧}.

١٦ - في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَنَ مِرَلِكَ هَادِكَا وَتَصِيرًا ﴾ أنه قد وعد الله تعالى انبيَّه - بعدَما أخرَه بالتأسِّي والصَّبر - ، بالهداية والنَّصر ؛ ففي هذا بِشارةٌ للدُّعاة مِن أُمَّتِه مِن بعُدِه، السَّارُ يَن في الدَّعوة بالفرآنِ وإلى القرآنِ على نَهْجِه: أن يَهديهم ويَنصُرَهم، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَهدُواْ فِينَا لَنَهْ دِينَهُمْ شُبُلُناً وَلِنَّ أَلَهُ لَتَهَ النَّهْ مِينَا لَنَهْ دِينَهُمْ شُبُلناً وَلِنَّ أللهَ لَتَه النَّصُو والتأبيد، وهذا عامٌ للمجاهِدِينَ النُّحسِينَ، والحمدُ للوربُّ العالَمينَ ".

19 - في فَولِه تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلذِّينَ كَفُوا لَوَلا نُولِ عَلَيْهِ ٱلْفُرْءِانُ جُمْلَةُ وَهِدَةً كَذَلِكَ النَّبِيِّ وَهِ فَوَادَكُ وَرَقَلْتُهُ تَرْقِيلًا ﴾ وليلٌ على أنَّ اللاحذ بالأسبابِ لا يؤثَّر في توكُّلِ المتوكِّلِينَ كما يزعُمُ جَهَلةُ المتصوّفةِ أنَّ طَلَبَ المكاسِبِ مُؤثَّر في التوكُّلِ! وَالمَّدِينَ المُواتِنِ مَه التوكُلِ! أَلا يَعلمونَ أنَّ اللهَ جلَّ جلالُه كان قاورًا على تثبيتِ القُرآنِ جملةً واحدةً في قلْبٍ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم؟! ولكنَّه لمَّا جَمَل سببه المِفظَ بصِفةٍ أجراه علىا ٥٠٠

٤ - في قولِ الله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاا نُزِلَ عَلَيْهِ الْفُرْءَانُ جُمْلةً وَعِدَةً صَدَلَاكَ لِنَكْنِتَ هِهِ قُوْادَكُ وَرَقَلْنَهُ رَبْيلًا ﴾ إثباتُ الحكمةِ في أفعالِ الله؛ لقولِه تعالى: ﴿ لِنَكْنِتَ هِهِ فُوَادَكَ ﴾؛ لأنَّ «اللامّ» للتّعليلِ، والتّعليلُ معناه الحِكمةُ؛ ففيه رَدُّ على طائفةٍ مِن طوائفِ البدع، يَرُونَ أَنَّ أفعالَ اللهِ سُبحانه وتعالى غيرُ مُمَلّلةٍ، وأنَّه عزَّ وجلَّ يخلُقُ الخَلقَ وَيُشَرِّعُ الشَّرائعَ لمجزَّدِ المشيئةِ لا لحِكمةٍ! فهذه فهذه

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٧، ١٨).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٧).

⁽٣) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ٩٠٩).





الآياتُ تُفيدُ بيانَ الحِكمةِ مِن إنزالِ القُرآنِ مُفَرَّقًا، وأنَّ أفعالَ اللهِ تعالى مُمَلَلةٌ مُقرونةٌ بالحِكمةِ، لكنَّ هذه الحِكمةُ التي تكونُ لأفعالِ اللهِ عزَّ وجلَّ -سواءٌ كانت شرعيَّة أو غيرَ شرعيَّةٍ- منها ما هو معلومٌ، ومنها ما هو مَجهولٌ لنا، ولكنَّها معلومةٌ عندَ اللهِ تعالى (١).

ه و يَولِه تعالى: ﴿ كَنْ لِكَنْ لِنَكْيَتَ بِهِ فُؤَادَكُ وَرَتَلْنَهُ تَرْتِيلًا ﴾ دَلالةٌ على اعتِناء الله بكِتابِه القُرآنِ وبرَسولِه محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم؛ حيثُ جَمَلَ إنزالَ
 كتابِه جاريًا على أحوالِ الرَّسولِ ومَصالحِه الدَّينيَّةِ"، وقولُه: ﴿ لِنَكْتِتَ بِهِ فُؤَادَكُ ﴾
 كلمةٌ جامعةٌ؛ لأنَّ تَتيبَ الفؤادِ يَعَتَضى كلَّ ما به خَيرٌ للنَّفْسَ".

٦ - في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا ثُولًا عَلَيْهِ ٱلْفُرْارُ جُمْلُةُ وَعِيدَةً حَكَمْلُوا لَوْلَا ثَوْلِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى البليغِ متكرّرًا متجدّدًا، كان مُحتاجًا إلى تجديد تقوية فليه، وكان ذلك مُعتضيًا لتفريق نزولِ الآي عليه ١٠٠.

افي قولِه تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّذِينَ كَفُرُوا لَوْلا نُزِلَ مَلْتِهِ ٱلْفُرْءَانُ جُمْلَةُ وَعِدةً كَذَلِكَ
 لِنُكِيتَ بِهِ. فُؤَادَكُ وَرَيْلَنَهُ تَرْزِيلًا ﴾ ببانُ حكمتين في إنزالِه مفرَّقًا:

الحكمةُ الأُولى: تثبيتُ قلبِهِ صلَّى الله عليه وسلَّم.

الحكمةُ الثانيةُ: تفريقُه مرتَّبًا على الوقائعِ.

وكان في تَبِيْك الحكمتينِ مَزيَّتانِ عظيمتانِ للقرآنِ العظيمِ على غيرِه مِن كُتُبِ اللهِ تعالى، فكان ما اعتَرضوا به على أنَّه نقصٌ فيه عنها: هو كمالٌ له عليها(١٠).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١٢٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٢).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٩). (٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).





٩ - في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَاتُونَكَ يَشَلِ إِلَّا يِشْنَكَ يَالَعَقِ وَأَحْسَنَ تَقْدِيرًا ﴾ رقد على المتكافين من الجَهْميَّة ونَحوهم، ممَّن يرى أنَّ كثيرًا مِن نُصوصِ القرآنِ محمولةٌ على غيرِ ظاهرِها، ولها مَعانِ غيرُ ما يُعَهُمُ منها؛ فإذَن -على قولِهم- لا يكونُ القُرآنُ أحسَنَ تَفسيرًا مِن غيرِه، وإنما التَّفسيرُ الأحسَنُ -على زَعمِهم- تَفسيرُهم الذي حَرَّفوا له المعانى تَحريفًا ؟؟!

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَلَا بِالنَّوْنَكَ بِمَنْهِ إِلَّا حِثْنَكَ كِالْمَقِ وَلَّحَىنَ تَقْدِيرًا ﴾ فمُخالفو
 الرسُلِ - ومنهم مُخالِفو ما جاء به الكِتابُ والسُّنَةُ لا يأتون بقِياسٍ يَردُّون به بعض ما جاءتُ به الرسُلُ، فيكونُ قياسًا أقاموا به باطلاً، إلَّا جاء اللهُ -فيما يَعَتَ

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٠، ١٨١).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٣).





به الرسُلَ- بالحَقِّ، وبقياسٍ أحسَنَ تَفسيرًا، وكشفًا وإيضًاحا للحَقِّ ١٠٠٠.

71 - في قوله تعالى: ﴿اللَّيْنَكُمْتُمْرُونَ عَلَى وَجُوهِهِمْ إِلَى جَهَتَمَ ﴾ أنَّ هؤلاء رفعوا وجوههم في الدنيا عن السجود لله، فاذناً اللهُ تلك الوجوة فمَشَوا عليها في المحشَر، ورفعوا رؤوسَهم كِبْرًا عن الحقَّ، فنكسَها اللهُ يومَ القيامةِ، ومَشَوا في طريق النظر والاستدلال مَشيًا مقلوبًا، فمشوا في الآخرة مَشيًا مقلوبًا؛ فكان ما نالهم مِن سوء تلك الحالِ جزاءً وِفاقًا لِمَا أَنوا مِن قُبحٍ الأعمالِ ﴿وَمَا رَبُّكَ يَطَلَنُمِ لَنَا لِهِمَ مِن سوء تلك الحالِ جزاءً وِفاقًا لِمَا أَنوا مِن قُبحٍ الأعمالِ ﴿وَمَا رَبُّكَ يَطَلَنُمِ لَلْمَا اللهِ هُومَا رَبُّكَ يَطَلَنُمِ اللهِ هَا وَفَالَمَا اللهِ هَا اللهِ اللهُ عمالِ اللهِ وَمَا اللهُ اللهِ هَا اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ هَا اللهِ هَا اللهُ اللهِ هَا اللهُ اللهِ اللهُ عمالِ إلهُ وَمَا رَبُّكَ يَطَلَنُمِ اللهُ عمالٍ اللهُ وَمَا رَبُكُ وَلَلْمَ اللهِ اللهُ عمالِ اللهُ عمالِهُ اللهُ عمالِهُ اللهُ ال

بلاغةُ الآيات:

١- قولُه تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَكَرَتِ إِنَّ قَرَى اَتَّخَذُواْ هَذَا الْقُرْءَانَ مَهَجُورًا ﴾ عطفٌ على قولِه تعالى: ﴿ وَقَالَ النِّينَ الْإَيْرِيَ الْإِنْ الْمَالِقَ اللهِ قال: ٢١]، وما بينهما اعتراضٌ، مَسوقٌ لاستِعظامِ ما قالُوه، وبيان ما يَحِيقُ بهم في الآخرة مِنَ الأهوالِ والخُطوبِ. وإيرادُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بعُنوانِ الرِّسالةِ ﴿ الرَّسُولُ ﴾؛ لتَحقيق الحقَّ، والرَّدُ على نُحورِهم؛ حيثُ كان ما حُكِي عنهم قدْحًا في رسالتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، عنهم قدْحًا في رسالتِه صلَّى الله عليه وسلَّمَ ، عليه وسلَّمَ ...

- وفي قولِه: ﴿ يَكِنَ ﴾ إظهارٌ لعَظيمِ الْتِجائِه، وشِنَّةِ اعتِمادِه، وتَمامِ تَفويضِه لمالكِه، ومُدبَّرِ أمْرِه، ومُوالي الإنعام عليه "ا.

- وفي هذه الحِكاية ﴿إِنَّ قَوْمَى أَتَخَذُوا مَكَ اللَّهُوانَ مَهْجُورًا ﴾ تعظيمٌ للشَّكاية، وتَخويفٌ وتَحذيرٌ لقُومه؛ لأنَّ الأنبياءَ كانوا إذا التَّجَوو إليه، وشُكُوا إليه

⁽١) يُنظر: ((بيان تلبيس الجهمية)) لابن تيمية (٤/ ٥٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٥).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٤).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٢).





قَوَمَهِم، حَلَّ بهِمُ العَذَابُ ولَمْ يُنظَروا (١٠)، وتَأْكِيدُه بـ (إنَّ) للاهتِمامِ به؛ ليكونَ التَّشكَى أَقُوى (١٠).

- والتَّمبيرُ عن قُريشِ بـ ﴿ فَقَى ﴾؛ لزِيادةِ التَّلَمُّرِ مِن فِعلِهم معه وتَوبيخِهم؛ لأنَّ شَأَنَ قَومِ الرَّجُلِ أن يوافِقوه، ويُصَدَّقوا به، ويَقبَلوا ما جاء به ". وأيضًا في التَّمبيرِ عنهم بـ (قَومِه) وإضافتِهم إليه، وفي التَّمبيرِ عن القُرآنِ اباسمِ الإشارةِ القَريبِ (هَذَا): بَيانٌ لعظيمِ جُرْمِهم بتَرْكِهم للقُرآنِ، وهو قريبٌ منهم في الصَّدَّ عمَّن هو إليهم قريبٌ مِن قريبٍ، وهذا أتْتَجُ الصَّدَّ واظلَمُهُ⁽¹⁾.

- وفِعلُ الاتّخاذِ إذا قُيّد بحالةٍ يُفيدُ شَدَّةَ اعتِناءِ المُتَّخِذِ بَتلك الحالةِ، بحيث ارتَكَب الفِعلَ لاَجْلِها، وجعَلَه لها قَصْدًا؛ فقولُه: ﴿ الْغَخْدُولُ هَـٰذَا الشُّرَهَانَ مَهُجُورًا ﴾ أشَّدُ ثُبالغَة في هجرِهمُ القُرآنَ مِن أَنْ يُعَالَ: (إنَّ قَومي هجروا الفُرآنَانَانَا (انَّ قَومي هجروا الفُرَّرَةُ إلى اللهَ عالَجوا أنفسَهم في ترجّه علاجًا كثيرًا، وأنَّهم جعَلوا الهَجْرَ مُلازِمًا له، ووصفًا مِن أوصافِه عندَهم، وذك أعظمُ مِن أنْ يُقالَ: هجَروه، الذي يُفِيدُ وُقوعَ الهجرانِ منهم، دونَ ذكك أعظم النَّهوتِ والمُلازَمةِ؛ لِما يَرؤنَ مِن خُسن نَظْهِه، ويَذُو قون مِن لَذيذِ

⁽١) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٢/ ٢٧٧)، ((نفسير البيضاوي)) (١٣/٤)، ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ١٠/)، ((نفسير أبي السعود)) (١/ ٢٥٠)، ((نفسير ابن عاشور)) (١/ ١٨/).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽۳) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۷/۱۹)، ((تفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ۱۰۷. ۱۰۸).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٢).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٧/١٩).





مَعانيه، ورائقِ أساليبِه، ولَطيفِ عَجائبِه، وبَديع غَرائبِه'''.

- واسمُ الإشارةِ في قولِه: ﴿ هَنَذَا ٱلْقُرَّالَ ﴾؛ لتَعظيمِه، وأنَّ مِثْلَه لا يَتَخَذُ مُهْجورًا، بل هو جَديرٌ بالإقبالِ عليه، والانتِفاع به".

٢ - قولُه تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَمَلنا لِكُلِّ نِيمَ عَثُونًا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينُّ وَكَفَى مِرَائِكَ هَادِيـًا
 وَنَصِيرًا ﴾

- قُولُه: ﴿ وَكَانَاكِ جَمَلْنَا لِكُلِّ نَهِيَ عَدُواً مِنَ ٱلْمُجْوِمِينَ ﴾ وُصِفَ أعداهُ الأنبياء بأنهم مِنَ المُجرِمينَ، أي: مِن جملةِ المُجرِمينَ؛ فإنَّ الإجرامَ أعَمُّ مِن عَداوةِ الأنبياء، وهو أَعَظَمُها. وإنَّما أُريدَ هنا تحقيقُ انضِواءِ أعداءِ الأنبياءِ في زُمرةِ المُجرِمينَ؛ لأنَّ ذلك أَبلغُ في الوصفِ مِن أن يقالَ: عَدُوا مُجرِمينَ ٣٠.

- قَولُهُ: ﴿ وَكُنَىٰ رِمَلِكَ هَادِيـُ اوَنَصِيرًا ﴾ خبرٌ فيه وغدٌ كَريمٌ له صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالهداية إلى مَطالِيه كافَّة، والنَّصرِ على أعداتِه ''

٣- قَولُه تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَوْلِكَ عَلَيْهِ الْفُرْيَانُ جُمْلَةَ وَهِدَةً كَذَلِكَ لِلْكَ عَلَيْهِ الْفُرْدَاكُ وَيَقْلَتُ اللَّهِ حِكَايةٌ لا تقراحِهم الخاصَّ بالقُرآنِ الكريم بغد حكاية اقتراحِهم في حَقَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وإيرادُهم بعُنوانِ الكُفرِ ﴿ وَقَالَ اللَّهِينَ كَفُرُوا ﴾ لذهم بعُنوانِ الكُفرِ ﴿ وَقَالَ اللَّهِينَ كَفُرُوا ﴾ لذه المتراض آخرُ مِن اعتراضاتِهم

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٧٦، ٣٧٧)، ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٨/١٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٧٧)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٠٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ١٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٩/ ١٨).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٥).





الباطلةِ، نسَقَه مع ما تقدَّمَ منها؛ لِيُجابَ عنه، ويُبيَّنَ خَطؤُهم فيه(١).

- فَولُه: ﴿ وَقَالَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْفُرْدَانُ خُمَلَةً وَبِهَدَةً ﴾ لَمَّا كانوا -لشِئَة ضَعفِهم- لا يَكادون يَسمَحون بتسمية القرآنِ تنزيلا، فضُلا عن أنْ يُسنِدوا إنزاله إلى الله سبحانه وتعالى؛ بَنُوا للمَفعولِ في هذه الشَّبهة التي أورَدُوها قولَهم: ﴿ زُلِنَ عَلَيْهِ ﴾ ".

- والفعلُ (نَزْلَ) ياتِي مُراوفًا لـ (أنزَلَ)، والتَضعيفُ أخو الهَمزة، وياتي مُفيدًا للتَكثير، فَيُفِيدًا للتَكثير، فَيُغِيدًا للتَكثير، فَيُغِيدًا للتَكثير، فَيُغِيدًا للتَكثير، فَيُغِيدًا للتَكبير النَّفيد للتَدريج؛ لئلاً يُناقِضَ قولَهم: ﴿ مُمَلَةٌ وَهِدَةٌ ﴾؛ فيكونُ مِن التَضعيفِ المُمْرادِفِ للهمزة. والمُختارُ أنَّ (نزَل) المُضاعَفَ يَرِدُ لكثرة الفِعلِ ولِقُوتِه؛ فجاء لكثرة في آية (آلِ عمرانَ): ﴿ زَلَ عَيْكَ آلْكِتَبَ بِاللَّمَةِ ﴾ [آل عمران: ٣]، وجاء لقُوْرَيه في هذه الآية؛ لأنَّ إنزالَ الجُملةِ مرَّة واحدة أقوى مِن إنزالِ كلَّ جُرْةٍ مِن الأجزاء بِمُفرّدٍه (٣).

- وقوله: ﴿كَنَالِكَ لِنَثَيْتَ بِهِ. فُوْاذَكَ ﴾ استِتنافٌ واردٌ مِن جِهتِه تعالى لردِّ مقالِتِهمُ الباطلةِ، ويبانِ الحِكمةِ في التَّنزيلِ التَّدريجيِّ"). وعدَل فيه عن خِطابِهم إلى خِطابِ الرَّسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ؛ إعلامًا له بجكمةِ تَنزيلِه مُفرَّقًا، وفي ضِمْنِه امتِنانٌ على الرَّسولِ بما فيه تَنبيتُ قلْبه، والتَّسِيرُ عليه "٠.

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٧).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٧٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٧).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٥، ٢١٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٩).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).







- قَولُهُ: ﴿كَذَلِكَ لِنَتَيْتَ بِهِ. فَوَادَكَ ﴾ الأصْلُ: أنزلناهُ كذلك...، فأوجَزَ بحذْفِ المُتعلَّقِ؛ لوُجودِ ما يذُكُّ عليه مِن إعراضِهم. وفُصِلَ -أي: لم يُعطَفُ على ما قَبْلَه-؛ لأنَّه جوابٌ عن اعتراضِهم'').

- وَنَكَّر ﴿ زَنِيلَا ﴾؛ للتَّفخيمِ والتَّعظيمِ؛ فالتَّنوينُ فيه تنوينُ تنويعٍ وتعظيمٍ، أي: نوعًا مِن التَّرتيلِ عظيمًا (٢٠).

٤ - قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ يَمَتُوا إِلَّا حِشْنَكَ وَالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَشْدِيرًا ﴾ فَأَلَكَةٌ " جامِعةٌ نَمُّمُ ما تَقَدَّمَ، وما عسَى أَنْ يَأْتُوا به مِنَ الشُّكوكِ والتَّمويهِ بأنَّ كَلَّ ذلك مَدُّوضٌ بالخَجَّةِ الواضحةِ ، الكاشفةِ لتُرُّهاتِهم؛ فإنَّه لَمَّا استقصى أكثرَ مَعاذيهِ هم وَتَعلُّلاتِهم، وردَّ عليها وأبطلها؛ أَتَى بهذِه الآيةِ الجامِعةِ العامَّةِ⁽¹⁾.

- وفيه مِنَ الدَّلالةِ على المُسارعةِ إلى إبطالِ ما أَتَوْا به، وتَثبيتِ فؤادِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ما لا يَخفَى (٥٠).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٧٨).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (۲۱، ۲۱۳)، ((تفسير ابن باديس)) (ص: ۱۷۸)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲/۱۹).

⁽٣) الفَذَلكة: بِن فَذَلَكَ حِسابِه فَذَلكَمَّه أَي: أَقَهاهُ وَوَحَ عِنْهُ وَذَهِ مُجتلَ ما فَصُل أَوَلًا وحُلاصة. والمَذَلكة والمَد منحوتة كدالتِبسلة) و(المحوقة)، من قولهم: (فذَلِكَ كذَا وكذَا عددًا). ويُراد بالفذلكة التجهد إلما المنتجة أيمنا منتق بن الكلام، والغربغ عليه، ومنها فذلكة الحساب، أي: مُجتلُ تفاصيله، وإنهاؤه، والفراغ منه، كقوله تعالى: ﴿فَيْقَه عَتَرَةٌ كَلِفَةٌ ﴾ يَعْدَ قوله؛ ﴿فَقِيهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ المُحسَلِ، (المَعْتَمَةُ المُحسَلِم) للزّيدي (٢٧/ ٢٧٧)، ((كناشة للمُؤَوَّدُ) للمُحسِل المنافقة ا

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢١).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٦).





- وتَنكيرُ (مَثَل) في سياقِ النَّغِي ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ... ﴾ للتَّعميمِ، أيْ: بكُلِّ مَثَل (١٠).

- وتغديةُ فِعْلِ ﴿ يَأْتُونَكَ ﴾ إلى ضَميرِ النِّيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ لإفادةِ أنَّ إتيانَهم بالأمثالِ يقصِدون به أن يُعْجِموه. وجاءتْ صِيغةُ المضارعِ في قوله: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ ﴾ لتَشْمَلُ ما عسى أنْ يَأْتُوا به مِن هذا النَّوع " أ

- والتَّمبيرُ بالمُضارعِ ﴿ يَأْتُونَكَ ﴾ يُفِيدُ الحُدوثَ وتجدُّدَ الإتبانِ منهم. والتَّمبيرُ بالماضي ﴿ حِثْنَاكَ ﴾ -مع أنَّه في معنى المُستقبلِ - يُفِيدُ تحقُّقُ المجيء، وهو المُناسِبُ لمَقام الوعدِ والتَّبيتِ '').

- وقولُه: ﴿ حِنْنَكَ إِلَّغَقِ ﴾ مُقابِلٌ لقولِه: ﴿ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثْلٍ ﴾، وفي هذه المقابَلةِ إشارةً إلى أذَّ ما يأتُون به باطلٌ. والتَّمبيرُ في جانبِ ما يؤيَّدُه اللهُ مِنَ الحُجَّةِ به ﴿ حِنْنَكَ ﴾ وَوَنَ أَتَنِناك، كما عَبَّر عمَّا يَجيئون به به ﴿ فَأَثَوْنَكَ ﴾: إمَّا لمُجرَّدِ التَّقنُون ، وإمَّا لأنَّ فِعلَ الإتيانِ إذا استُعمِلَ كثُرُ فيما يَسوءُ وما يُكرَّهُ، كالوعيد والهجاء، بخلافِ فِعلِ المَجيءِ إذا استُعمِلَ ؛ فأكثرُ ما يُستعمَلُ في وصولِ الخَيرِ والوعد والتَّمرِ والشَّيء العظيم (٤٠).

- قَولُه: ﴿ وَلَّهَ مَنَ تَقْدِيرًا ﴾، أيْ: أحَقَّ في الاستِدلالِ؛ فالتَّفضيلُ للمُبالَغةِ؛ إذْ ليس في حُجِّتِهم حُسنٌ أصلًا. أو يُرادُ بالحُسنِ ما يَبُدو مِن بَهْرَ جَوَّ سَفسَطْتِهم وشُبَههم؛ قَبْجيءُ الكشفُ عنِ الحقَّ أحسَنَ وفَعًا في نَفُوسٍ السَّامِعينَ مِن

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۲۱).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٢١، ٢٢).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٣).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٢، ٢٣).





مُغالَطاتِهم؛ فيكونُ التَّفضيلُ بهذا الوجِهِ على حقيقتِه، فهذه نُكتةٌ مِن دَقائقِ الاستِعمالِ، ودَقائقِ التَّزيل^(۱).

- قَولُهُ: ﴿ تَقْمِيلُ ﴾ فِي قولِه: ﴿ وَلَصَّنَ تَقْمِيلُ ﴾ وُضِعَ موضعَ: معنَى ومؤدِّى، أي: أحسَنَ معنَى ومؤدَّى مِن سؤالِهم؛ فهو مِن وَضْعِ السَّببِ مَوضعَ المُسبَّبِ؛ لأنَّ التَّكشيفَ سببُ ظُهورِ المعنى وكشَّفِه؛ ففيه المبالغةُ مع الإيجازِ "".

- والمرادُ بقولِه: ﴿ اللَّيْنَ يُحَمَّرُونَ عَلَى وَجُوهِهِم ﴾ القومُ الَّذِينَ أَوَرُدوا هذه الأسئلة على سَبيلِ التّعنَّتِ في قولِه: ﴿ وَقَالَ اللَّذِي كَثُولُ اللَّذِي كَثَوَهُ اللَّهُ وَلَكَ اللَّذِي كَثَنَّرُونَ عَلَى وَمُجُوهِم ﴾ *لَمُنْ وَمُجُوهِم اللَّهُ وَلَيْنَ يُمْتَرُونَ عَلَى وَمُجُوهِم ﴾ واقعٌ موقع الضَّميرِ، كانَّه قبل: هُم يُحشَرون على وُجوهِهم؛ فوضِع المُظهُرُ مَا مُرضِعَ المُضْمَرِ؛ إشعارًا بتوهينِهم، وتَحقيرًا لشأنِهم، ولتَحصيلِ فائدةِ أَنَّ

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ۲۳).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲۷۸/۳)، ((حاشية الطبيع على الكشاف)) (۲۲۹/۱۱)، ((تفسير أبي حيان)) (۸/ ۲۰۶).

⁽٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٣٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٣). .

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٤).





أصحاب الضّمير تَبَتَ لهم مَضْمونُ الصَّلةِ، ولِيَبَنَى على الصَّلةِ موقعُ اسمِ الإشارةِ، ومُقتضَى ظاهِرِ النَّظمِ أن يقالَ: (ولا يَأْتُونَك بِمَثَلٍ إِلَّا جِثْناكَ بالحقَّ وأَحسَنَ تفسيرًا، هُمْ مَنَّ مَكاناً وأضَلُّ سبيلًا، ونحشُرُهم على وُجوهِهم إلى جَهنَّم)، كما قال في سورةِ (الإسراء): ﴿وَتَعَشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِينَاةِ عَالَى مُعْمِمْ ﴾ [الإسراء: ٩٧] عَقِبَ قولِه: ﴿ وَمَا مَنَ النَّسَ أَن يُؤيشُونًا إِنَّ عَلَيْهُ الْهُمْدَى إِلَّا أَنَ فَاللَّمِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْ اللَّمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّمُ عَلَى وُجوهِهم هُمُ الذين يأتُون بالأمثالِ تكذيبًا النَّمِي صَلّى الله عليه وسلّمَ، وإذ كان قصْدُهم ممّا يَأْتُون به مِنَ الأمثالِ تَكْدِيبًا تَنْعَيلُ السَّبِلِ دُونَ النَّيلُ صَلّى الله عليه وسلّمَ، وإذ كان قصْدُهم ممّا يَأْتُون به مِنَ الأمثالِ صلّى الله عليه وسلّمَ، وإذ كان قصْدُهم ممّا يأتُون به مِنَ الأمثالِ صلّى الله عليه وسلّمَ، وإذ كان قصْدُهم مَا يأتُون به مِنَ الأمثالِ صلّى الله عليه وسلّمَ، وإذ كان قصْدُهم وصَلالِ السَّبِلِ دُونَ النَّي

- قُولُه: ﴿ أَوْلَتِهِكَ شَكَرٌ تَكَانَا وَآمَسَلُ مَيِهِلا ﴾ فيه الإنبانُ باسم الإشارة ﴿ أَلْقَيْنَ المشارَ إليهم -وهم ﴿ اللَّيْنَ فَيْ الْمَاسَرةِ وهو أَنْهم ﴿ مَثَرٌ مَكَانَا وَأَصَلُ مَيِهِلا ﴾ فه و أخرياهُ بالمكانِ الأَشَرِّ والسَّبلِ الأَضَلُ بسَببِ ما اتَصفوا وَأَصَلُ سَيْدِلا ﴾ و أخرياهُ بالمكانِ الأَشَرِّ والسَّبلِ الأَضَلُ بسَببِ ما اتَصفوا به مما ذلَّ عليه الصَّلةُ ، وهو خَشْرُهم على وُجوهِهم إلى جهنَّم، الذي ما أصابَهم إلا بهما وقلَهم ألني منها قولُهم: ﴿ لَوَلَا ثُولِ مَا يَديهم ، والأَجْلِ ما سَبَق مِن أَحوالِهمُ ألني منها قولُهم: ﴿ لَوَلَا ثُولُ مَلْهُ وَيَدَهُ ﴾ [الفرقان: ٢٣]؛ فهم أَحِقًاهُ بكريهم شرًّا مكانا وأضَلَ سبيلًا؛ بسَبِ ما أدَاهم إلى ذلك الحَشرِ؛ فاكنُهيَ بذِكْرِ المُسبَّبِ عن السَّببِ".

⁽١) يُنظر: ((حاشية الطبيع على الكشاف)) ((١/ ٣٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٣/ ٢٢، ٢٤). (٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢ / ٢٤).





- وصِيغنَا النَّفضيلِ ﴿ شَكِرٌ ﴾، و﴿ أَصَلُ ﴾ في قولِه: ﴿ شَكِرٌ مَّكُانَا وَأَنسَلُ سَكِيلًا ﴾ مُستعمَلتان للمُبالَغةِ في الاتصافِ بالشَّرِ والضَّلالِ. وتَعريفُ جُزْأَيِ الجملةِ يُغيدُ القَصْرَ، وهو قصْرٌ للمبالَغةِ بَنْزيلهم مَنزِلةً مَن انحصَرَ الشَّرُ والضَّلالُ فيهم. ورُويَ: أنَّ الكفَّارَ قالوا للمسلمينَ: هُم شَرُّ الخلْقِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ؛ فيكونُ القصْرُ قضرَ قلْبٍ، أَيْ: هُم شَرِّ مكانًا وأضَلُّ سبيلًا لا المسلمون، وصِيغنَا التَّفضيلِ مَسْلوبنَا المُفاضَلةِ على كِلا الوَجهَينَ^(۱).

- وأيضًا لم يُذكَرُ مع أفعلِ التَّفضيلِ المُفضَّلُ عليه؛ لِيُفِيدَ أنَّ مكانَهم شرُّ مكانِ مِن أمكنةِ الشَّرِّ، وسبيلَهم أضلُّ سبيلِ مِن شُبُلِ الضَّلالِ(؟).



⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٤).





الآيات (۲۰-٤)

﴿ وَلَقَدْ مَاتِهَا مُوَى الْحِنْتَ وَيَعَلَنَا مَمُهُ أَغَاهُ هَدُورِى وَزِيَا ۞ فَقُلْنَا ادْهَا إِلَى الْقُورِ الْذِينَ كَنْبُواْ بِفَائِنِهَا هَمَّ نَرْتُهُمْ هَمْمِيرًا ۞ وَقَعْ فَرِج لَمَّا كَنْبُواْ الرُّسُلَ أَضَوَّنَهُمْ وَمَعَلَنَهُمْ لِلنَّاسِ مَائِمَةٌ وَأَعْتَدَا الطَّلِيدِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ وَعَادًا وَتُمُونَا وَأَصْتَ الرَّسِ وَفُرُونًا بَيْنَ فَلِكَ كَثِيرًا ۞ وَكُلَّا صَرَّنَا لَهُ الْأَثْنَلُ وَكُلَّا تَبَرَّنَا تَفِيرِكَ ۞ وَلَفَدْ أَفَوْ طَلَاقَتِهُ الْمَيْةَ أَمْلِرَتْ مَطَّرَ السِّوْةً أَكْمَامٌ يَتَكُونُواْ بَرَوْنَهُمَا أَل

غُريبُ الكُلمات:

﴿ وَزِيرًا ﴾: أي: عَونًا، مِن الوِزرِ: وهو الجملُ النَّقيلُ، كَأَنَّ الرَزيرَ يحمِلُ عَن السُّلطانِ الثِّقلَ والشُّغلَ، وأصلُ (وزر): يدُلُّ على الثِّقل في الشَّي: ١٠٠.

﴿ فَدَمَّزَيُهُمْ مَنْمِيرٌ ﴾: أي: أهلَكْناهم بالعذابِ إهلاكًا، والدَّمارُ: الهلاكُ، والتَّدْميرُ: وادخالُ الهلاكِ على الشَّيء، وأصلُ (دمر): يُكلُّ على الدُّخولِ في البيب وغَيره".

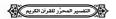
﴿ وَأَعْتَدُنَا ﴾: أي: أعدَدْنا، قيل: هو أفَعَلْنا مِن العَتادِ، وهو ادِّخارُ النَّمِيءِ قبْلَ الحاجةِ إليه، كالإعدادِ. وقيل: العَتادُ: المُعَدُّ الثابتُ اللازمُ. وأصلُ (عتد): يدُلُّ على حُضورِ وقُرْبِ^(٣).

⁽۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ۲۷۸)، ((تفسير ابن جرير)) (۱۲/٥٥)، ((غريب القرآن)) القرآن)) للسجستاني (ص: ۴۸۳)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (۱۰۸/۲)، ((المفردات)) للراغب (ص: ۸۲۸).

⁽٢) يُنظر: ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٣٠٠)، ((الغريين في القرآن والحديث)) للهروي (٢/ ٢٥١)، ((البسيط)) للواحدي (٢٠ / ٥٠٠)، ((المفردات في غريب القرآن)) للراغب (ص. ٢١٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير))(١٧/ ٥١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢١٦/٤)، ((الغريبين =





﴿الرَّشِي ﴾: أي: البنرِ العَظيمةِ، أو الأُخدودِ، أو الوادي، وقيل: الرَّسُّ: كلُّ محفورٍ، ومثلُّ البنرِ والقبرِ ونحوِ ذلك، وأصلُ (رسس): يدُلُّ على ثباتٍ، وقيل: أصلُه: الأثرُّ القليُلُ الموجودُ في الشَّيءِ (١٠).

﴿ وَهُرُونًا ﴾: القرونُ: جمعُ قَرْنِ، وهو: الأُمَّةُ مِنَ النَّسِ، أو القَومُ المُعْتَرِنونَ في زَمنِ واحدِ غيرِ مُقَدَّرِ بملَّةٍ مُمَّيَّةٍ. وقيلَ: مدَّةُ القرنِ مثةُ سنةٍ. وقيل: ثمانونَ. وقيل: ثلاثون. وقيل غيرُ ذلك. والاقترانُ هو اجتِماعُ شيئينِ أو أشياءَ في معنًى مِن المعاني، وأصلُ (قرن): يكُنُّ على جَمع شَيَعٍ إلى شَيءَ ''.

﴿ تَبَّزَنَا ﴾: أي: أهلَكْنا ودمَّوْنا، وأصلُ (تبر): يدُلُّ على كَسرٍ وإهلاكٍ (٢٠٠٠).

﴿ نُتُورُكُ ﴾: أي: مَعادًا وبَعثًا، وأصلُ (نشر): يدُلُّ على فَتح شَيءٍ وتشعُّبه (١٠).

= في القرآن والحديث)) للهروي (٤/١٢٢٣)، ((المفردات في غريب القرآن)) للراغب (صـ : ٥٤٥).

قال الراغب: (وقيل: أصّله: أعددنا، فأبدل مِن إحدَى الدَّالِينِ تاكَ، ((المفردات)) (ص: 80). (() مُنظردات)) (ض: 80). (() يُنظر: ((تقسير البنج)) لابن فارس (٢١/ ١٩٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢٧/ ٢٣)، ((المقردات)) للراغب (ص: ٣٥١)، ((اتفسير القرطبي)) (٣٢/ ٣٣)، ((التيبان)) لابن الهائم (ص: ٣٦١).

(۲) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قبية (ص: ۱۰۰)، ((معاني القرآن)) للنحاس (۲۰/ ۲۰۰)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (۱/ ۲۷، ۷۷)، ((المفردات)) للراغب (ص: ۱۹۲۷)، ((التبيان)) لابن الهاتم (ص: ۱۰۵، ((الكليات)) للكفوي (ص: ۲۹۷).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قبية (ص: ٣١٣)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٥١)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٣٦٣)، ((المفروات)) للراغب (ص: ١٦٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٣٦٤)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٣١).

(٤) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٥٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٣٠)، ((نفسير اللغة)) المنظر (ص: ٤٣٠)، ((التيبان)) لابن اللهائم (ص: ٢٥).





المعنى الإجماليُّ:

يَذكُرُ الله تعالى أحوالَ الذين كذَّبوا أنبياءَهم، فكانت عاقبتُهم الإهلاكَ والتدميرَ، فيقولُ: ولقد آتَيْنا موسى النَّوراةَ، وجعَلْنا معه أخاه هارونَ مُعينًا له في أمر الرِّسالةِ، فقُلْنا لهما: اذَهَبا إلى فِرعَونَ وقويه، فكذَّبوهما فأهلكُناهم بالغَرقِ، وأعَدُونا وأَعْنَ لذلك قومَ نوحٍ لَمَّا كذَّبوا نو شا، وجعَلْناهم عِظةً وعِيرةً للنَّاسِ، وأعَدُونا للظَّالمين عذابًا موجِعًا مُؤلِمًا، وأهلكُنا كذلك عادًا وثمودَ وأصحابَ الرَّسَّ؛ لكفْرِهم وتكذيبهم، وأمَمّا غيرَهم كثيرينَ لا يعلَمُهم إلَّا الله، وكلًّا من هؤلاء المهلكينَ وضَّمَنا له الأدلَّة على وحدائيَّينا، وكلَّا منهم أهلكَنا إهلاكًا كاملًا.

ولقد مرَّ كفَّارُ قُريشِ على قرية قوم لوط الذين أمطر اللهُ عليهم ججارةً مِن السَّماء، أفلمْ يَكونوا يرونَ في أسفارِهم آثارَ إهلاكِنا هذه القرية، فيعتَبِروا ويتَّعظوا بما حلَّ بهم بسَبَبِ كُفرِهم وتكذيهم؟! بل كانوا يَرونَ عاقِبة أهلِ تلك القرية التي أهلكُناها، ولكِيَّهم كانوا لا يُؤمَّلونَ وقوعَ البَعثِ بعدَ المَوتِ، فلا يرجونَ ثوابًا، ولا يخافونَ عذابًا.

تُغسيرُ الآيات:

﴿ وَلَقَدْ مَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتْبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَنْرُونَ وَزِيرًا ١٠٠٠ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

بغدَ أَنْ تَكَلَّمُ شُبحانَه وتعالى في التَّوحيدِ، ونَفيِ الأندادِ، وإثباتِ النبوَّةِ، والجَوابِ عن شُبُّهاتِ المنكِرِينَ لها، وفي أحوالِ القيامةِ- شرَعَ في ذِكرِ القَصَصِ على الشُّنَةِ المعلومةِ ().

وأيضًا لَمَّا تقَدَّمَ تكذيبُ قُريشٍ والكفَّارِ لِمَا جاء به رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٥٥٨).



التفسير المحزّر للقرآن الكريم

وسلَّم؛ ذَكرَ تعالى ما فيه تسليةٌ للرَّسولِ، وإرهابٌ للمُكلَّيينَ، وتذكيرٌ لهم أَنْ يصيبَهم ما أصاب الأُممَ السَّابقةَ مِن هلاكِ الاستِتصالِ لَمَّا كَذَّبوا رسُلَهم، فناسَبَ أَنْ ذَكرَ أَوَّلاً مَن نزَلَ عليه كتابُه جُملةً واحدةً؛ ومع ذلك كفّروا وكذَّبوا به، فكذلك هؤلاء: لو نَزَلَ عليه القرآنُ دَفعةً لكَذَّبوا وكفّروا كما كَذَّب قَومُ موسى (١٠).

﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَنَبَ ﴾.

أي: ولقد آتَينا موسى التَّوراةَ (٢).

﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَأَخَاهُ هَنْرُونَ وَزِيرًا ﴾.

أي: وجعَلْنا مع موسى أخاه هارونَ مُعينًا له يُقَوِّيه ويؤيِّدُه").

كما قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَالُهُ مِن رَّحْيَنَا أَخَاهُ هَرُونَ بِيِّنا ﴾ [مريم: ٥٣].

وقال سُبحانَه: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنْتُحْ فِي صَدْدِي * رَبَيْرَ لِنَ أَمْرِي * وَأَصْلُمُ عُقْدَةُ فِن لِسَانِي * يَشْهُهُواْ فَلِي * وَأَحْمَل فِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * حَرُونَ أَخِي * أَشَدُهِ هِ: أَنْزِي * وَأَشْرِكُمُ فِي أَمْرِي * كُنَّ شُرِّعَكُ كَذِيرًا * وَنَذَكُرُكُ كَذِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَعِيبًا * فَالَ فَدْ أُونِيتَ شُؤْلِكَ يَشُومَنَ ﴾ [طه: ٧٥ - ٢٧]

> ﴿ فَقُلْنَا انْهَا إِلَى الْقَرِرِ الَّذِيكِ كَنَّبُوا بِمَايَتِنَا فَدَمَّرَتُهُمْ مَّنْمِيرًا ﴿ ﴾. ﴿ فَقُلْنَا انْهَا إِلَى الْقَرِرِ الَّذِيكِ كَنَّبُوا بِمَايَتِنَا ﴾.

⁽۱) يُنظر: ((تفسير أي حيان)) (۱۰ه/۸). (۲) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲۷/ ٤٥١)، ((نفسير السمر قندي)) (۳۸/۲)، ((نفسير القرطمي))

⁽۱) یسو در انتصابی این جریزی ۱۰۱۱ (۱۰۱۰) در نصابی در استونستایی ۱۱ (۱۰۱۰) (مستیر مورسی) (۱۲۰) (مستیر مورسی) (۲۰) (۱۰۰۰) (مستیر مورسی) (۲۰) (۱۰۰۰) (مستیر مورسی) (۱۲۰) (مستیر مورسی) (۱۲۰) (مستیر مورسی) (۱۲۰) (مستیر مورسی) (مستیر مورسی) (مستیر مورسی) (۱۲۰) (مستیر مورسی) (مستیر

⁽۳) پُنظر: ((تفسیر ابن جریر)) (۱۷/ ۵۱)، ((تفسیر ابن کثیر)) (۱۱۰/۱)، ((تفسیر ابن عاشور)) (۱۹/ ۲۵).





أي: فَقُلْنا لموسى وهارونَ: اذهَبا إلى فِرعَونَ وقَومِه القِبطِ الذين كذَّبوا بأدِلَّتِنا وبراهيينا(١٠).

﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾.

أي: فكذَّب فِرعَونُ وقَومُه موسى وهارونَ، فأهلَكْناهم بالغَرقِ إهلاكًا(٢).

كما قال تعالى: ﴿ فَانَقَنْنَا مِنْهُمْ فَأَغَرَقَتُهُمْ فِي الْيَدِ بِأَنَّهُمْ كَذَّهُمْ إِيَابَنِينَا وَكَاثُوا عَنْهَا غَيْلِينَ * وَأَوْرَفْنَا الْفَوْمَ اللَّذِينَ كَانُوا بُسُتَضْمَعُونَ مَسْتَدِقَ الْأَوْنِ وَمَعَكِيبَهَا الَّذِي بَرَكْنَا فِيهًا ۗ وَتَشَتَ كُلِمَتُ رَبِّكَ الْمُضْفَى عَلَى بَقِيّ إِسْرَهِ مِنْ بِمِا صَمَرُوا ۗ وَوَصَرْفًا مَا كَانَ يَصَنْعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا بَشْرِيشُونَ ﴾ [الأعواف: ١٣٦، ١٣٧].

﴿ وَقَمْ نُوحٍ لَمَّا كَذَافِوا الرُّسُلَ اَغَرَفَتَهُمْ وَجَعَلَتَهُمْ النَّاسِ ، اَبَةٌ وَأَعْتَدَا الطَّليوب عَدَابًا أَلِيمًا ﴿ ﴾ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا هَدَّدَ سُبحانَه المكذِّبِينَ بإهلاكِ الأُوَّلِينَ الذين كانوا أَقْوَى منهم وأكثَرَ، وقَدَّمَ قصَّةَ موسى عليه السَّلامُ- أَتْبَعَه أَوَّلَ الأُمْمِ؛ لأَنَّهم أَوَّلُ، ولِمَا في عذابِهم مِن الهَولِ، ولِمناسبةِ ما بِيَّنه وبيْنَ عذابِ القِبطِ، فقالُ^٣:

﴿ وَقَوْمَ نُوجٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرُّسُلَ أَغْرَفْنَهُمْ وَجَعَلْنَهُمْ لِلنَّاسِ اَلَهُ ﴾.

(۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۱۷/ ٤٥١)، ((نفسير القرطبي)) (۳۱/ ۳۱)، ((نفسير ابن عاشور)) (۹/ ۲۵).

قال البقاعي: (﴿ أَلْقِيْكِ كَذَّوُلُو يَكِينُهَا ﴾ أي: العرثيّة والمسموعة من الأنبياء الماضينُ قِبَلُ إِتِيانِكما في عِلمِ الشَّهادةِ، والمربيّةِ والمسموعة منكما بعدّ إتيانِكما في عِلمِنا). ((نظم الدرر)) ((۲/ ۸۲۶). (۲) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۱/ ۲ ۵۶)، ((البسيط)) للواحدي (۲/ ۵۰۰)، ((نفسير القرطبي))

.(٣١/١٣)





أي: وأغرَقْنا قَومَ نوحٍ لَمَّا كلَّبوا نوحًا، وجعَلْنا إغراقَهم بالطُّوفانِ عِبرةَ للنَّاسِ وعِظةً ''.

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَا طَمَّا ٱلنَّاءُ مَلْتَكُو فِ لَلْإِيهَ * لِنَجْعَلَهَا لَكُو نَلْكِرَةُ وَقَيْبًا أَذُنَّ وَعِنَّا ﴾ [الحاقة: ٢١، ١١].

﴿ وَأَعْتَدُنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

أي: وأعدَّدُنا في الآخرةِ للظَّالِمِينَ مِن قَومٍ نُوحٍ وغَيرِهم عدَابًا مُؤلِمًا مُوجِمًا؛ جزاءً على ظُليهم".

﴿ وَعَادَا وَثَمُودَا وَأَصْحَبَ ٱلرَّسِ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۞ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَر سُبحانَه آخِرَ الأُمَّمِ المهلَكةِ بعامَّةٍ وأَوَّلَها، وكان إهلائُهما بالماءِ-ذكَرَ مَن بيَنَهما ممَّن أُهلِكَ بغيرِ ذلك؛ إظهارًا للقُدرةِ والاختيارِ، وطوَى خبرَهم بغير العذاب؛ لأنَّه في سياقي الإنذار، فقال":

﴿ وَعَادًا وَثِمُودًا وَأَصْعَبَ ٱلرَّسِ ﴾.

(۱) يُنظر: (زنفسير ابن جرير)) (۱/ ٥١)، (زنفسير القرطبي)) (۱۱/ ۳۱)، (زنظم الدور)) للبقاعي (۱۳/ ۳۸م)، (زنفسير ابن عاشور)) (۲۱/ ۲۱)، (زنفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: - ۱۳۰۰

قال الفرطبي: (﴿ وَيَعَمَلَنَّهُم لِلنَّاسِ مَانِكَ ﴾ أي: علامةً ظاهرةً على قدرتنا). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٣١).

- (۲) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (۳/ ۲۳۰)، ((تفسير ابن جوير)) (۲۰/ ۲۵۱)، ((تفسير السموقندي)) (۲/ ۲۳۵)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۷/۱۹)، ((تفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص. ۱٤۱، ۱۶۵).
 - (٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٨٦، ٣٨٧).





أي: وأهلَكُنا أيضًا عادًا قَومَ هُودٍ، وثمودَ قَومَ صالحٍ، وأصحابَ الرَّسَّ، ودمَّوْناهم لكُفوهم وتكذيبهم''.

كما قال تعالى: ﴿ وَمَكَاذَا وَكَثُونَا وَقَدْ تَبَكِّ لَكُمْ مِن مَّنَكِنِهِمْ وَرَقَتَ لَكُمْ النَّيْطِ الْمَ الْمَنْ الْمَنْ الْمُثَنِّ اللَّهِ العنكبوت: ٣٨]. لَهُمُ النَّيْطِ الْمَا الْمَنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمَنْ الْمَنْ الْمَنْ الْمَنْ الْمَنْ الْمُنْ اللهِ اللهُ اللهُ

* وَأَصْنُ ٱلْأَبْتَكِنَ وَقَوْمُ تَنَّحُ ثُلُّ كُنَّبَ الرَّسُلَ لَحَنَّ وَعِيدِ ﴾ [ق: ١٢ - ١٤]. ﴿ وَقُرُونًا بَنَ ذَلِكَ كَنِيرًا ﴾.

أي: ودمَّرْنا بين تلك الأُمَمِ الكافرةِ -التي سمَّيْناها- أُمَمَّا أُخرى كثيرةً لا يعلَمُها الَّا اللهُ".

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٥١)، ((تفسير الماتريدي)) (٢٧/٨)، ((تفسير القرطبي)) (٣/ ٣/)، ((أضواء البيان)) للمنقبطي (٥٣/ ٣٠).

قال ابنُ جريرٍ في التعريف بأصحابِ الرسُّ: (الشَّوابُ مِن القولِ في ذلك قولُ مَن قال: هم قومُ كانوا على يثرِ؛ وذلك أنَّ الرَّسَّ في كلامِ العربِ: كُلُّ محفورٍ، مِثلُ البِتِر والقيرِ ونحوِ ذلك. ولا أعلَمُ قومًا كانت لهم قصَّةٌ بسبب مُعْرَةٍ ذَكَرَهم اللهُ في كتابٍ إلَّا أصحابَ الأُخدودِ... وإن يكونوا غيرَهم فلا نعرفُ لهم خيرًا إلَّا ما جاء مِن جملةِ الخيرِ عنهم أنَّهم قومٌ رَسُّوا نبيَّهم في حفرةً). ((تفسير ابن جير)) (١/ ٤٥٤، ٤٥٤).

وقال ابن عاشور: (اتَّفقوا على أنَّ الرَّسَّ بثرٌ عظيمةٌ، أو حَفيرٌ كبيرٌ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/٧ع).

وقال الشنقيطي: (وأمَّا أصحابُ الرَّمَ فلم يأتِ في القرآنِ تفصيلُ قَصَّيهم ولا اسمُ بَيُهم، وللمفسُرينَ فيهم أقوالُ كثيرةً تُزكَّناها لا لقيالا دليلَ على شَيءٍ منها). ((أضواء البيان)) (٦/ ٥٥). وتُنظرُ أقوالُ المفسُرينَ في أصحابِ الرَّسِّ في: ((تفسير الماوردي)) (٤/ ١٤٥)، ((البسيط)) للواحدي (١٦/ ٢٠٥)، ((تفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٣٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٩/ ١٩).





كما قال تعالى: ﴿ أَلْبَرُوا كُمُ أَهْلَكُمَّا مِن تَبْلِهِم مِن قَرْنِ مَكَثَّهُمْ فِى الْأَرْضِ مَالَّو نُسُكِن لَكُرُّ وَأَرْسَلُنَا السَّمَاةَ عَلَيْهِم قِدْوَارًا وَجَمَلُنَا اللَّهَهُرَ تَجْرِى مِن تَخْيِهِمْ فَأَهْلَكُنْهُم يُذُفُوجِمْ وَأَنشَأَةًا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا مَاخِينَ ﴾ [الأنعام: ٦].

وقال سُبحانَه: ﴿ أَلَدَ يَأْتِكُمْ بَنُواْ الَّذِيكِ مِن قَلِيكُمْ قَوْرٍ فُوجٍ وَعَكَادٍ وَتَسُودُ ۗ وَالَّذِيكِ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللّهُ ﴾ [إبراهيم: ٩].

﴿ وَكُلَّا مَنَرَبْنَالَهُ ٱلْأَمْنَالِّ وَكُلًّا تَمَّزَا نَشْبِيرًا ۞ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا قَدَّمَ شُبحانَه أَنَّه بِأَتِي في هذا الكتابِ بِما هو الحقُّ في جوابِ أمثالِهم؛ بَيَّنَ أَنَّه فَعَلَ بالجَمِيعِ نحوًا مِن هذا، فقال تسليةً لنبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم، وتأسيةً وبيانًا لتشريفِه بالعَفوِ عن أمَّية '''، وعدم استِتْصالِها بالعذابِ:

﴿ وَكُلَّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْشَالَ ﴾.

أي: وكلُّ الأُمَمِ الكافرةِ التي أهلَكْناها أقَمْنا عليها الحُجَّةَ، ووَضَّحْنا لها الأدِلَّة بذِكر الأمثالِ؛ لِيَعتبروا بها ويتَّعِظوا^(٣).

= قال ابن كثير: (الأظهرُ: أنَّ القرنَ هم الأنَّةُ المتعاصِرون في الزَّمن الواحد، فإذا ذهوا وخلفَهم جيلٌ آخَرُ، فهم قرنٌ ثان، كما ثبت في الصحيحين عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنّه قال: • هيرُ [الناسي] قرني، ثمَّ الذين يلونَهم، ثمَّ الذين يلونَهم... • الحديثُ). ((تفسير ابن كثير)) (/ ۱/ ۱۲).

وقال الشنقيطي: (والأظهرُ أنَّ القرونَ الكبيرَ: المذكورُ بعَدَ قومِ نوحِ وعادِ وشودَ، وقتلَ أصحابِ الرَّسُ، وقد دلَّت آيَّهُ مَن سورة البراهيم؛ على أنَّ بفدَ عادٍ وثمودَ خَلْفًا كَفَروا وكنَّبوا الرسُّل، وأنَّهم لا يعلَمُهم إلَّا اللهُ جلَّ وعلا. وتصريعُه بأنَّهم بعد عادٍ وثمودَ يوضُهُ ما ذَكَرْنا). ((أضواء البيان)) (7/٣م).

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٨٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٥٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) =





﴿وَكُلَّا تَبَّرْنَا تَنْبِيرًا ﴾.

أي: وكُلُّ الأُمَم الكافرةِ الماضيةِ دمَّرْ ناها تدميرًا كامِلًا، واستأصَلْناها بالعذاب''.

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُمَّا مُعَذِينَ حَنَّى نَهَكَ رَسُولًا * وَإِنَّا أَرْدَنَا أَنْ تُمْلِكَ فَرَيْهُ أَمْرَنَا مُمْرُفِهَا فَنَسَقُواْ فِيهَا فَخَقَ عَلَيْهَا الْفَوْلُ فَدَمْرَنَهَا تَذْمِيرًا * وَكُمْ أَهْلَكُنَا مِنَ الْفُرُونِ مِنْ بَقْدِ فُرْجُ رُكُنَى بِلِكَ بِشُوْلِ عِمَادِنِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٥ – ١٧].

وقال سُبحانَه: ﴿ وَكُمْ فَصَمْنَا مِن قَرْيَهُ كَانَتْ طَالِمَةٌ وَأَنْشَأَنَا بَمْدَهَا فَوْمَا المَدْيِنَ * فَلَمَّا آَحَسُوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِنْهَا يَرْفُشُونَ * لَا تَرْتُشُوا وَآرَجِمُوا إِلَى مَا أَرْفِئُمْ فِيهِ وَمَسْكِيكُمْ لَمَلَكُمْ تَسْتُونَ * قَالُوا يُولِنَنَا إِنَّا كُنَا طَلِيهِنَ * فَمَا وَالْتَ يَلْكَ دَعُونَهُمْ حَقَى جَمَلْتُهُمْ حَصِيدًا خَيْدِينَ ﴾ [الأنبياء: ١١ - ١٥].

﴿ وَلَقَدْ أَوْاَ ظَلَاقَرَاهِ الَّتِيَّ أُمْطِرَتْ مَطَّدَ التَّوْةُ أَكْلَمْ يَكُونُواْ بَكَرْدَفَهَأَ بْلُكَاثُوا لَا يَرْجُرُكُ نُفُونًا شَلَاقًا ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كان سَوقُ خبرِ قَوم نوح وعادٍ وثمودَ وأصحابِ الرَّسِّ وما بيْنَهما مِنَ

= (٦/ ١/١)، ((نفسير ابن عاشور)) (٢٩/١٩)، ((أصواء البيان)) للشقيطي (٦/ ٥٠٥). قال ابن عاشور: (والمَثَلُّ: النَّظِيُّ والمُشابِء، أي: يَثِنَّا لهم الأشباة والنظائِرُ في الخيرِ والشَّرُّ؛ لِيُعرضوا حالَّ انْشُيهم عليها). ((نفسير ابن عاشور)) (٢٩/١٩).

وقال ابن عثيمين: (يعني: يَتَّأَل له الأمثال، يعني: الوقائع الذي أوققها الله تعالى بمَن تَبَلَهم، كلُّ أَمَّةُ تُشَدُّر بَمَن تَبْلَهَا، ويُضرَبُ لها المثلُّ، يقالُ: هذا مَثُلُ المحَلَّين، حصَلَ عليهم كَيْتَ وَتُيتَ، تَكُلُّ أَمَّةٍ النَّذِهِ اللهُ تعامَ الإنذار، بحيثُ لا يقى لها حُجِّةً؛ أَنَّهُ محتَّدِ عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وغيرُها). (نفسير ابن عيسين - سورة الفرقان) (ص. ٤٩١).

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ٥٦)، ((تفسير الفرطبي)) (۱۳/ ۳۶)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۲/ ۱۲)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٥/ ١٥).





القرونِ مقصودًا لاعتبارِ قريشٍ بمصائرِهم؛ تُقِل نَظْمُ الكلامِ هنا إِلى إضاعَتِهم الاعتبارَ بذلك وبما هو أظهَرُ منه لأنظارِهم، وهو آثارُ العذابِ الَّذي نَزَل بقريةِ قوم لوطٍ(١٠).

﴿ وَلَقَدْ أَنَوا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِيَّ أَمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾.

أي: ولقد مرَّ كُفَّارُ قُرَيشٍ على قَرِيةِ قَومٍ لُوطٍ الذين أهلَكَهم اللهُ بالحِجارةِ التي أمطَرَها عليهم(''.

كما قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرَّا عَلَيْهِم مَّطَرٌّ فَسَاةً مَطَرُّ ٱلمُّنذَرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٣].

وقال سُبحانَه: ﴿ فَجَعْلُنَا عَلِيهَمَا سَافِلُهَا وَأَمْطُرُنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةُ مِن سِجِيلٍ * إِنَّ فِي ذَاكِ لَآيَدِ إِلْشَوْتِيمِنَ * وَإِنَّهَا لِسَبِيلِ ثُمِيمِ ﴾ [الحجر: ٧٤ – ٧٦].

﴿ أَفَكُمْ يَكُونُواْ بِكَرُوْنَهُمَا ﴾.

أي: أفلم يكُنْ كُفَّارُ قُرُيشٍ يَرَونَ في أسفادِهم آثارَ عَدَابِ اللهِ على قريةِ قَومِ لوطٍ، فيَعتَبِروا ويتَعِظوا بما حلَّ بأهلِها مِن العذابِ؛ بسبَبِ تكذيبِهم بالرَّسولِ، ومُخالفتِهم أوامِرَ الله'"؟

قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِلَّكُوْلَتُنُونَ عَلَيْهِم تُصْبِحِينَ * وَبِالْتِلُّ أَفَلَا تَقْوَلُونَ ﴾ [الصافات: ١٣٧].

﴿ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٩).

 ⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ۵۷)، ((تفسير القرطبي)) (۳۲/۲۳)، ((تفسير ابن كثير))
 (۱۲/۲۱)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲/۱۹).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧١/ ٤٥٧)، ((تفسير القرطبي)) (٣٤/ ٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) (١١٢/٦).





أي: ما كذَّب كفَّارُ قُرُيشِ بمحمَّدٍ لكونِهم لم يَرَوا ما حلَّ بقومٍ لوطٍ، وإنَّما كذَّبوا ولم يعتَبِروا؛ الأَنَّهم لا يُؤمَّلون وقوعَ البَعثِ بعْدَ الموتِ، فلا يَرجونَ ثوابًا في الآخرةِ، ولا يخافونَ عذابًا فيها (١٠).

الغَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

٢- في قولِه تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوج لَمّا كَنْجُواْ الرَّسُلَ ﴾ إذا قيل: لماذا جُمِلَ قومُ
 نوح مكذّبين للرسُلِ مع أنّهم كذّبوا رسولًا واحدًا؟

فالجوابُ مِن أوجهٍ:

منها: أنَّهم استَندوا في تكذيبِهم رسولَهم إلى إحالةِ أَنْ يُرسِلَ اللهُ بِشَرًا؛ لأَنْهم قالوا: ﴿مَا هُذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُو بُرِيدُ أَنْ يَنْفَسَّلَ عَ<u>كَ</u>مُّمْ وَلَوْ سَكَةَ اللهُ لأَزْلَ مَلَيْحَكَةً مَّا سَيِعْنَا بِهَذَا فِي عَامَلَهَا الْأَوْلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٤]؛ فكان تكذيبُهم مستلزِمًا تكذيب عموم الرسُل.

ومنها: أنَّهم أوَّلُ مَن كَذَّبَ رسولَهم؛ فكانوا قدوةُ للمكذِّبِين مِن بغدِهم ". ومنها: أنَّ تكذيبَه تكذيبٌ لباقي الرسل؛ لاشتراكِهم في المجيء بالتوحيد،

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۵۰۹)، ((تفسير القرطبي)) (۱۳/ ۳۶)، ((تفسير ابن کثير)) (۱۲/ ۱۲)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (۲۳/ ۳۹۰).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (۱۳/ ۳۱).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٦/١٩).





فيكونُ هذا مِن بابِ الجنسِ؛ لأنَّ مَن كذَّب رسولًا فكانَّما كذَّب جميعَ الرسُّلِ؛ لأنَّ أعداءَ الرسلِ لا يُعادونَهم لشخصِهم، وإنَّما يعادونَهم لِما يَذَعونَ إليه، وما جاؤوا به، وهذا جنسٌ؛ فيكونُ تكذيبُهم لرسولِ تكذيبًا لجميع الرسُّلِ^(١).

ومنها: أنَّ مَن كَذَّب رسولًا فقد كَذَّب جميعَ الرسُّلِ؛ لأَنَّهم لا يُعْرَقُ بَيْنَهم في الإيمانِ، ولأَنَّه ما مِن نبيًّ إلَّا يُصدِّقُ سائرَ أنبياءِ الله، فمَن كَذَّب منهم نبيًّا فقد كَذَّب كلَّ مَن صدَّقه مِن النبِّينَ^(۱).

ومنها: أنَّه لطولِ مُكثِه في قومِه صار كأنَّه رسُلٌ كثيرونَ؛ لأنَّه لَئِث فيهم ألْفَ سَنةٍ إلَّا خمسينَ عامًا، وهذه مدَّةٌ تستوعبُ رسُلًا كثيرينَ، فكأنَّه لطولِ المُكثِ صار متعدَّدًا".

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَقَعْمَ ثُوجِ لَمَّا كَذَبُواْ الرُّسُلِ أَغَرَقْتَهُمْ وَحَمَلَتُهُمْ لِلتّابِن مَائِهُ وَعَالَ وَصُوعًا وَالْصَلَ أَغَرَقْتَهُمْ وَحَمَلَتُهُمْ لِلتّابِي مَائِهُ وَعَالَ وَصُوعًا وَأَصْمَلَ الرّبِي وَفُرُونًا بَيْنَ فَلِك كَيْنِ * وَكُلّا مَنْهَا لَهُ فَالْخَبْرَ سُبحانَه أَنّه ضَرَبَ لَكُ المَّمْنَ لَهُ الْأَمْنَلُ وَكُلًا تَمْزَنَ تَنْهِيرًا ﴾ فأخبر سُبحانه أنه ضرَب الأمثال لجميع هؤلاء الذين أُرسِلَ إليهم وأهلكَهم، فلم يعاقِبهم إلا بغد أنْ أقام عليهم الحُجَةَنَا.

٤ - قُولُه تعالى: ﴿أَنَهُمَا إِلَى القَوْمِ اللَّهِ حَكَنَاهُ إِعْلَيْتَنَا ﴾ في كلمة ﴿ كَنَاهُوا ﴾ الشكال، وهو أنَّه يقتضي أنَّ التكذيبَ سابِقٌ للرَّسالةِ، فكيف يكونون مكذَّبين مع أنَّهم لم يأت إليهم رَسولٌ؟!

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١٣٧، ١٣٧).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٣١).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١٣٧، ١٣٩).

⁽٤) يُنظر: ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (٦/ ٣٨٢).





والجواب من أوجُهِ:

منها: أنَّ الفعلَ الماضيَ هنا بمعنى المستقبَلِ، بمعنى: الذين يكذَّبون بآياتِنا؛ لأنَّ الآياتِ لم تصِلْ إليهم بَعْدُ؛ فمعنى ﴿الَّذِينَ كَنَّهُمْ بِعَايَتِنَا ﴾ أي: يُكذَّبون بها في المستقبَل.

ومنها: أن يُقالَ: ﴿ كُفُّهُوا بِعَايَشِنَا ﴾ بحسَبِ عِلمِ الله عزَّ وجَلَّ، يعني: قَدَّرْنا أَنْهِهُ يُكَذِّبون.

ومنها: أنَّهم قد أُرسِلَ إليهم رسولٌ فكنَّبوه، وهذا يؤيَّدُه قُولُ المؤمِنِ مِن آلِ فِرعَونَ: ﴿ وَلَقَدْ مِنَآ عَلَمْ مُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَتِ فَا يُلْمُ فِي شَاتِيمَا جَاءَكُم بِعِبْ حَقَّ إِذَا هَلَكَ قُلْمُ لَن يَبْعَثَ لَلْقُمْنِ تَعْدِيهِ رَسُولًا ﴾ [غافر: ٣٤].

فإذا قيل: إنَّ يوسُفَ سابِقٌ جدًّا على موسى؟ فيُقالُ: لعلَّ آثارَ رسالتِه قد بَقِيت؟ ولهذا خاطبهم المؤمِنُ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُوسُكُ ﴾، ولم يُنكِروا؛ ما قالوا: ما جاءَنا، ﴿فَمَا زِلْمُ فِي شَلِهِ مِنَا جَآءَكُمْ وِهِ ﴾ يعنى: إلى الآنَ (١٠).

ه - في قَولِه تعالى: ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ إيذانٌ بطولِ مُدَدِ هذه القُرونِ
 وكد تما (١٠).

بلاغةُ الآيات:

١ - قَولُه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَانَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابُ وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَأَخَاهُ هَدُرُونَ وَزِيرًا ﴾

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١٣٣).

وثيل: قولُّه: ﴿ اللَّهِيْكَ كُلَّيُّهِا يُمِنَائِكَا ﴾ وضفٌ للقوم، وليس هو مِنَّ المقولِ لموسى وهارونَ، لأنَّ التَّكذِيبَ حَبِئَنَةٍ لَمَّا يَقْمُ منهم، ولكَّه وضفٌ لإفادةٍ قُرَّاءِ القَرآنِ انَّ موسى وهارونَ بلَّغا الرَّسالَة، وأَظَهَرَ اللهُ منهما الآياتِ، فكَذَّب بها قَوْمُ فِرعونَ، فاستَخَفُّوا الشَّدعِيرَ. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٩ (٢٠ ٢٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).





- قَولُهُ: ﴿ وَلَقَدْ مَاقِيَا مُوسَى ... ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ سِيقَتْ لتأكيد ما مرَّ مِنَ النَّسلية والوعد بالهداية والنَّصرِ في قوله تعالى: ﴿ وَكَنَّى مِرْ يَلِكَ هَاوِيَا وَقَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١] بحِكايةِ ما جرّى بيْنَ مَن ذُكِر مِنَ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ وبيْنَ قَومِهم حكايةٌ إجماليَّةً كافيةً فيما هو المقصودُ، واللَّامُ جوابٌ لقسَمٍ محذوفِ، أي: وباللهِ لقد آتَيْنا موسى التَّوراةً (١٠).

- قَولُهُ: ﴿ وَلَقَدْ مَاتِينَا مُوسَى الْهَائِدِ الْخَبْرِ باعتبارِ ما يَشتولُ عليه مِنَ حَرْفُ النَّحقِيقِ (قَدْ) ولامُ القسَمِ؛ لتأكيدِ الخَبْرِ باعتبارِ ما يَشتولُ عليه مِنَ الوعيدُ بتدميرِهم. ولَمَّا جرَى الوعيدُ والتَّسليةُ بذكرِ حالِ المحدِّبينَ للرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ عَطَف على ذلك تَمشيلَهم بالأُممِ المُحكَذِّبينَ رُسُلَهم؛ ليَحصُلَ مِن ذلك موعظةُ هؤلاءٍ، وزيادةُ تَسليةِ الرَّسولِ، والتَّعريضُ بوَعدِه بالانصار له").

- والتَّعرُّضُ في مَطلَعِ القصَّةِ لإيتاءِ الكِتابِ مع أَنَّه كان بعْدَ مَهلِكِ القَومِ، ولمْ يكنُ له مَدخَلٌ في هَلاكِهم كسائرِ الآياتِ؛ للإيذانِ مِن أوَّلِ الأمرِ ببُلوغِ نبيَّ الله موسى صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ غاية الكمالِ، ونَيْلِه نهايةَ الآمالِ، التَّي هي إنجاءُ بَني إسرائيلَ مِن فِرعونَ، وإرشادُهم إلى الطَّريقِ الحقَّ بما في التَّوراةِ مِنَ الأحكام؛ إذْ به يَحصُلُ تأكيدُ الرَّعدِ بالهداية".

- والتَّعرُّضُ هنا إلى تأييد موسى بهارونَ تَعريضٌ بالرَّدِّ على المشركينَ؛ إذْ قالوا: ﴿ لَوَلَا آلِزَلَ إِلَيْهِ مَلَكُ فَيَكُوكِ مَكُهُ نَذِيرٌ ﴾ [الفرقان: ٧]؛ فإنَّ موسى

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٧).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٥).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (١٨/٦).





لَمَّا اقتضَتِ الحِكمةُ تأييدَه لمْ يُؤيَّدْ بملَكِ، ولكنَّه أُيَّدَ برسولٍ مِثْلِه'''.

٧- قولُه تعالى: ﴿ فَقُلْنَا أَدْهَا إِلْهَ الْقَرْمِ الْقَرِى كَنْبُوا بِعَائِيقاً فَدَعْرَتْهُمْ مَعْمِرا ﴾ في الكلام حذفٌ، أي: فذَهَا وأَقَيّا الرّسالة، فكذَّبوهما، وقد حصل بهذا النَّظم إيجازٌ عجيبٌ اختُصرَت به القِصَّة؛ فذُكِر منها حاشِيَاها: أوَلُها وآخِرُها، وهما: الإنذارُ، والتّدميرُ -أي: إلزامُ الحُجَّةِ بَبعثةِ الرسُلِ، واستحقاقُ الأُممِ التّميرَ بتكذيبهم رُسُلَهم-؛ لأَنهما المقصودُ بالقِصَّةِ؛ فذلَّ بذِكرِهما على ما هو الغَرَصُ مِن القِصَّةِ الله؛ فأرادَ إلزامَ الحُجَّة علم، فبَتَ الله؛ فأرادَ إلزامَ الحُجَّة علم، فبَتَ إليهم، فبَتَ إليهم رَسولَين فكذَّبوهما، فأهلكهم ").

- قَولُه: ﴿ فَدَمَرَنَهُمْ مَدْمِرًا ﴾ أُتبع الفِعلُ بالمفعولِ المطْلَق؛ لِما في تَنكيرِ المصدرِ مِن تعظيم التَّدميرِ، وهو الإغراقُ في اليَمَّ".

- وبدأ بذِكرِ موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، مع أنَّه مَناخَرٌ بالنَّسبةِ إلى قَومِ نوحٍ؛ لأنَّ فِرعونَ أقربُ عهدًا، وأشَدُّ عُتُوًّا مِن قومٍ نوحٍ⁽¹⁾. وقيل: قدَّم قصَّةً موسى عليه السَّلامُ لِمناسبةِ الكتابِ في نفْسِه أوَّلًا، وفي تنجيهِه ثانيًا، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّذِينَ كَفُرُوا لَوْلاَ تُزِلَ عَلَيهِ القُرْمَانُ جُمْلَةً وَبِهدَةً كَامِدَةً فُؤُدَكُ رَقِئَلُكُمْ ثَرِيْدِلاً ﴾ [الفرقان: ٣٢].

٣- قَولُه تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوجٍ لَّمَّا كَنَّهُواْ الرُّسُلَ أَغْرَفْنَهُمْ وَجَعَلْنَهُمْ لِلنَّاسِ مَاسَةً

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٥).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۸۰)، ((تفسير البيضاوي)) (۶/ ۱۲۶)، ((تفسير أيي حيان)) (۱۰۲/۸)، ((تفسير أبي السعود)) (۲/ ۲۱۷، ۲۱۸)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱/ ۲۱۹).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٢٦/١٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١٣٦).

⁽٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٨٥).





وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

- قُولُهُ: ﴿ وَقَوْمَ ثُوحِ لَمَّا كَنْهُوا الرُّسُلُ اَغَرْفَنَهُمْ وَمَعَلَنَهُمْ لِلنَّاسِ مَائِكَ ﴾ فيه تقديمُ قَومٍ نُوحٍ؛ للاهتمامِ؛ لأنَّ حالَهم هو محَلُّ العِبرةِ؛ فقُدَّم ذِكرُهم، ثمَّ أُكُد بضميرِهم؛ فإنَّ (قَوْمَ نُوحٍ) انتصَب بفعلٍ مَحذوفِ يُعشَرُه ﴿ أَغَرْفَنَهُمْ ﴾ (١٠).

- قَولُهُ: ﴿ وَأَعْتَنَا لِلطَّلْلِيرِكَ عَنَاهًا أَلِيمًا ﴾ فيه إظهارٌ في موقع الإضمارِ -حيثُ قبل: ﴿ للطَّلْلِيرِكِ ﴾، عِرَضًا عن: أعتَلْنا لهم-؛ للإيذان بتَجاوُزِهمُ الحدَّ في الكُفرِ والتَّكذيب، والإفادة أنَّ عذابَهم جزاءٌ على ظُلْمِهم بالشَّركِ وتكذيب الرَّسولِ. أو هو عامَّ يَتناوَلُهم بمُمومه (١٠٠٠).

وقد أفاد هذا الإظهارُ أيضًا: إرادةَ الشُّمولِ والعُمومِ؛ ليَسْمَلَهِم هم وغيرَهم، حتى الظَّالِمون مِن قريشٍ يدخُلون في هذا؛ لأنّه إذا قال: (وأعتَذنا لَهم عَذابًا أَلِيمًا) صار العذابُ الأليمُ لهم فقط، لكِنْ لَمّا قال: ﴿لِلطَّللِمِيكَ ﴾ صار لهم ولغيرِهم، وأفاد تسجيلَ هذا الرّصفِ عليهم، وهو الظُّلمُ؛ لأنّه وصَفَهم بأنّهم ظالِمون. وأفاد أيضًا إظهارَ الحكمةِ من هذه العقوية، وهي أنّهم كانوا ظالِمين، يعني: أعدَّ لهم عذابًا أليمًا؛ لأنّهم ظالِمون. مع ما فيه من تنبيه المخاطَبِ؛ لأنَّ تغيُّر السياقِ يوجِبُ انتباة المخاطَب؟ .

فقوله تعالى: ﴿وَأَعَدُنَا لِلظَّلِيمِينَ عَدَابًا أَلِيمًا ﴾ –على أنَّه وُضِع المُضمَّرُ موضعَ المُظهَرِ – عطَفَه على (أَغْرَفْنًا)؛ ليَجمَعَ لهم نَكالَ الدَّادِينِ، وعلى العمومِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٦).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۸۰)، ((تفسير اليضاوي)) (۱۲٤/۶)، ((تفسير أبي السعود)) (۱۸/۱۱)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۱/۱۹)،

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ١٤٠).





مِن بابِ التَّذييل، فيَدْخلوا في العامِّ دُخولًا أَوَّليًّا(١).

٤ - قَولُه تعالى: ﴿ وَعَادَا وَثَمُودَا وَأَصْحَبَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَالِكَ كَثِيرًا ﴾

- قُولُه: ﴿ وَعَاذَا وَتَمُونَا ﴾ قبل: هو عَطْفٌ على (هُم) في (جَمَلْنَاهُمُ)، أو على ﴿ لِللّهَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللللّهُ اللللللللللّهُ الللللللللللللللللل

ولعلَّ الاكتفاء في شؤونِ تلك القُرونِ بهذا البيانِ الإجماليِّ ﴿ وَقُرْمًا بَيْنَ
 وَلِكَ كَثِيرًا ﴾؛ لِمَا أَنَّ كلَّ قَرنٍ منها لم يكنُ في الشُّهرةِ وغَرابةِ الفَصَّةِ بمثنابةِ الأُمْمِل الشَّهرةِ وغَرابةِ الفَصَّةِ بمثنابةِ
 الأُمم المَذكورةِ (**).

٥ - قُولُه تعالى: ﴿ وَكُلَّا مَنَ إِنَّالُهُ ٱلْأَمْشَالُّ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَنْبِيرًا ﴾

 انتصب ﴿تَنْبِيرًا ﴾ على أنَّه مفعولٌ مطلقٌ مؤكّدٌ لعامِلِه؛ إلافادة شدَّة هذا الإهلاك(0).

 ٦- قَولُه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَقَوْا عَلَمْ الْقَرْاهُ الَّتِيّ أَمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْةُ أَلْكَامُ يَحَكُونُوا بَرُوْفَهَا أَبْلُ حَاثُوا لا بَرْجُوبَ نُشُورُ ﴾

- قَولُه: ﴿ وَلَقَدْ أَنَوَّا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِيَّ أَمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ مَسوقةٌ

⁽١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/٢٣٦).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٢٧).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٩).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).





لبيانِ مُشاهدتِهم لآثارِ هلاكِ بعضِ الأُمْمِ المُنَثِّرةِ، وعدَمِ اتَّعاظِهم بها. وتَصديرُها بالقسّمِ ﴿ وَلَقَدَ ﴾؛ لمَزيدِ تقريرِ مَضمونِها. وقيل: اقتِرانُ الخَبرِ بلَامِ القسّمِ؛ لإفادةِ معنَى التَّعجيبِ مِن عدَم اعتِبارِهم'''.

- والإتبانُ: المَمجيءُ. وتَعديتُه في قولِه: ﴿ وَلَقَدْ أَوْاَ هَا لَقَلْهَ آَيَةٍ ... ﴾ بـ (على)؛ لتَضمينِه معنَى: (مَرُّوا)؛ لأنَّ المقصودَ مِنَ التَّذكيرِ بمَجيءِ القريةِ التَّذكيرُ بمَصيرِ أهْلِها؛ فكانَّ مَجيتَهم إيَّاها مُرورٌ بأهْلها، فضُمِّنَ المَجيءُ معنَى المرورِ؛ لأنَّه يُشهِهُ المرورَ؛ فإنَّ المرورَ يَعلَّقُ بالسُّكَانِ، والمَجيءَ يَعلَقُ بالمكانِ^(١).

- ووصَف الفَريةَ بـ ﴿ آلَتِيَ أَمْطِرَتُ مَطَرَ السَّوْهِ ﴾؛ لأنَّها اشتُهرَتْ بمَضمونِ الصَّلةِ بين العربِ وأهل الكِتابِ "٢.

- وقوله: ﴿ مَطَرَ الشَّرُهِ ﴾ فيه تسميةُ العذابِ الَّذي نَزَل عليهم مِنَ السَّماءِ مطرًا على طريقة التشبيه؛ لأنَّ حقيقةَ المطر ماءُ السَّماءِ ").

- تَفَرَّعَ على تَحقيقِ إِتِيانِهِم على القَريةِ مع عدّمِ انتِفاعِهم به قولُه: ﴿ أَلَكُمْ مَ يَكُونُواْ يَكُونَهُا ﴾ وهو استِفهامٌ صُوريٌّ عن انتفاء رُويتهم إيَّاها حينما يأتون عليها؛ لأنَّهم لَمَّا لمْ يَتَّعِظوا بها كانوا بحالٍ مَن يُسألُ عنهم: هل رأَوْها؟ فكان الاستِفهامُ لإيقاظِ العقولِ؛ للبحثِ عن حالِهم. وهو استِفهامٌ إمَّا مُستعمَلٌ في الإنكارِ والتَّهديدِ، وإمَّا مُستعمَلٌ في الإيقاظِ لمعرفةِ سببِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢٩ / ٢٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٠).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).





وقيل: الاستِفهامُ معناه التَّعَجُّبُ^{(۱۱}. وقيل: هو تَوبيخٌ لهم على تَوْكِهِمُ التَّذَكَّر عِندَ مُشاهَدةِ ما يُوجِبُه. والهمزةُ لإنكارِ نَفْيِ استِمرارِ رُؤيتِهم لها، وتقريرِ استِمرارِها حسّبَ استِمرارِ ما يُوجِبُها مِن إتيانِهم عليها. والفاءُ لعَطفِ مَدْخولِها على مُقَدَّر بَقتضيه المَقامُ^(۱۱).

- و (بلُ) في قولِه: ﴿ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ إمَّا إضرابٌ عمَّا قَبْلَه مِن عدَم رؤيتِهم لآثارِ ما جَرَى على أهل القُرى مِنَ العُقوبةِ، وبيانٌ لكَونِ عدَم اتِّعاظِهم بسبب إنكارِهم؛ لكَونِ ذلك عُقوبةٌ لِمعاصيهم، لا لعدَم رؤيتِهم لآثارِها، خَلَا أنَّه اكتَفي عنِ التَّصريح بإنكارِهم ذلك بذِكْرِ ما يَستلزِمُه مِن إنكارِهم للجَزاءِ الأُخْرويِّ، الذي هو الغايةُ مِن خلْقِ العالَم. وقد كُنيَ عن ذلك بعدَم النُّشورِ، أي: عدَم توقُّعِه، كأنَّه قيل: بل كانوا يُنكِرون النُّشورَ المُستتبعَ للجزاءِ الأَخْرويِّ، ولا يرَوْنَ لنفْسِ مِنَ النُّفوسِ نُشورًا أصلًا مع تَحَقُّقهِ حَتْمًا، وشُمولِه للنَّاسِ عمومًا، واطِّرادِه وقوعًا؛ فكيف يَعترِفُون بالجزاءِ الدُّنيويِّ في حقِّ طائفةٍ خاصَّةً مع عدَم الاطِّرادِ والملازَمةِ بيْنَه وبيْنَ المعاصى حتَّى يَتذكَّروا ويَتَّعِظوا بما شاهَدوه مِن آثارِ الهلاكِ، وإنَّما يَحمِلونه على الاتَّفاقِ؟! وإمَّا انتِقالٌ مِنَ التَّوبيخ بما ذُكِر مِن تَرْكِ التَّذَكِّرِ إلى التَّوبيخ بما هو أعظَمُ منه مِن عدَم توقُّع النُّشورِ ٣٠). ويَجوزُ أن يكونَ (بلْ) للإضرابَ الانتِقاليِّ انتِقالًا مِن وصْفِ تَكذيبِهم بالنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وعدَّم اتِّعاظِهم بما حَلَّ بالمكلِّبينَ مِنَ الأُمم، إلى ذِكرِ تكذيبِهم بالبّعثِ؛ فيكونَ انتِهاءُ الكلام عِندَ قولِه: ﴿أَفَكُمْ يَكُونُواْ يَكُونُهَا ﴾، وهو الَّذي يَجري

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ٨٠٨).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢١٩).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٢١٩، ٢٢٠).





على الوجهِ الأوَّلِ في الاستِفهام، وهو الإنكارُ والتَّهديدُ ١١٠.

- وفي قولِه: ﴿ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُوكَ نَشُونًا ﴾ وُضِعَ الرَّجَاءُ مَوضِعَ النَّوقُّعِ؟ لاَنَّه إِنَّمَا يَتَوَقَّعُ العاقبَةَ مَن يؤمِنُ، فمِن نَمَّ لم يَنظُروا ولم يَذَّكَّروا، ومَرُّوا بها كما مرَّثْ ركائِهم").

- وعُبِّر عن إنكارِهمُ البَعثَ بعدَمِ رَجائِه؛ لأنَّ مُنكِرَ البَعثِ لا يَرْجو منه نفعًا، ولا يَخشى منه ضُرًّا، فعَبِّر عن إنكارِ البَعثِ بأحدِ شِقِّي الإنكارِ؛ تَعريضًا بأنَّهم ليسوا مِثْلَ المؤمنينَ يَرْجون رحمةَ اللهِ^{٣٠}.



⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٠، ٣١).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨١)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٠٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٠، ٣١).





الآيات (١١-33)

﴿ وَإِنَّا رَأَوْكُ إِن يَتَخِدُونَك إِلَّا هُمُ زُلَا الْمَنَا الَّذِى بَسَكَ الْفُرْ رَسُولًا ﴿ آَنَ إِن كَاد لِكُيدُلْنَا عَنْ الِهَجْنِنَا لَوْلَا أَلَى صَبَرَتَنَا عَلَيْهَا أُوسَوْكَ يَسْلَمُونَ جِيرَ بَرَوْنَ الْعَنَابَ مَنْ أَصَّلُّ سِيلًا ﴿ آَن الْمَنْ مِنْ الْغَنْدَ إِلْنَهُمْ مُونِدُهُ أَفَانَت تَكُونُ عَلَيْهِ وَحِيدًا ﴿ آَنَا أَمْ مَنْسَلُهُ أَنَّ أَصْحَدُهُمْ مِنْسَمُونِ أَوْ مَعْوَلُونَا إِنْ هُمْ إِلَّا كَافَتُونَمْ مِنْ أُمْ أَسَلُ كُوبِلًا ﴿ آَنَ

غَريبُ الكَلمات:

﴿ هَوَيْكُ ﴾: أي: ما تَميلُ إليه نفْسُه، والهَرى: مَيلُ النَّفسِ إلى الشَّهوةِ، قيل: سُمِّي بذلك؛ لآنَّه يَهوِي بصاحِيه في النُّنيا إلى كلَّ داهية، وفي الآخرةِ إلى الهاوية (١٠٠٠ ﴿ وَكِيلًا ﴾: أي: مانِعًا وحافِظًا، وأصلُ (وكل): يدُلُّ على اعتمادِ غَيرِك في أم ك (١٠٠٠.

المعنى الإجماليُّ:

يخبِرُ الله تعالى عن استِهزاهِ المشركينَ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وما كانوا يقولونَه عندَ رؤيتهم له، فيقولُ تعالى: وإذا رآك -يا محمَّدُ- كُفَّارُ قرَيشٍ، يَسخَرون منك، ويَستَهزِفون بك، قائلينَ: أهذا الذي يزعُمُ أنَّ اللهَ أرسلَه إلينا رَسولٌا؟! لقد أوشَكَ أن يَصرِفنا عن عبادةِ أصناينا لولا أن تمسَّكنا بها وردَدُنا دعوتَه. ثمَّ يقولُ الله تعالى مهدَّدًا لهم: وسوف يعلَمُ هؤلاء الكُفَّارُ حينَ يرونَ العذابَ مَن أبعَدُ طريقًا عن الحَقِّ، أهُم أمْ أنت؟!

⁽۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٣٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦٦/٦). ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٩٨)، ((التبيان)) لابن الهاتم (ص: ٩١١).

⁽۲) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قنية (ص: ۳۱۳)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (١٣٦/١)، ((المغردات)) للراغب (ص: ۸۸۲)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ۲۰۱).





ثمَّ يقولُ تعالى مسلَّيًا نبيَّه، ومبَيَّنًا حقيقةَ حالِ هؤلاء المشركينَ: أرأيت -يا محمَّدُ- مَن اتَبَع هواهُ وانقاد له، أفأنت تكونُ عليه حَفيظًا؛ تمنَّعُه مِنَ الشَّلالِ، وتَهديه إلى الحَقُّ! بل أتظُنُّ أَنَّ أكثرَ هؤلاء المُشرِكين يَسمَعون ما تُرشِدُهم إليه سماعَ تدثَّرِ وتعَقُّلٍ، أو يَعقِلونَه، حتى تطمَعَ في إيمانِهم؟! كلَّه، إنَّهم ليسوا كذلك؛ فما هؤلاء المُشرِكون في عدم انتفاعِهم بما يقرَّعُ قلوبَهم وأسماعَهم إلَّا كالبهائِم، بل هم أسوأ حالًا منهم!

تَغسيرُ الآياتِ:

﴿ وَلِذَا رَأَوْكَ إِن يَنْجِنُدُونَكَ إِلَّا هُـرُوا أَهَاذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ١٠٠٠ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا بَيَّنَ سُبحانَه مُبالَغةَ المُشرِكين في إنكارِ نبوَّتِه، وفي إيرادِ الشُّبُهاتِ في ذلك؛ بَيَّنَ بغدَ ذلك أنَّهم إذا رأوًا الرسولَ اتَّخَذوه هُزُوًا، فلم يقتصِروا على تزلكِ الإيمانِ به، بل زادوا عليه بالاستِهزاءِ والاستِحقارِ ''.

وأيضًا فإنَّ ما تقَدَّمتْ حكايتُه مِن صنوفِ أذاهم الرسولَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كانت أقوالًا في مَغيبِه، فعَطفَ عليها في هذه الآيةِ أذَّى خاصًّا، وهو الأذَى حينَ يرَوفَه'''.

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَنْخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُوًّا ﴾.

أي: وإذا رآك -يا محمَّدُ- كُفَّارُ قُرِيشٍ، لا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا سُخريةً، فهم دائِبونَ على الاستِهزاءِ والسُّخريةِ بك⁰⁷.

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢٦٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣١).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١١ / ٤٥٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٦ / ١١٣)، ((تفسير السعدي)) =





﴿ أَهَا ذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾.

أي: ويقولُ كُفَّارُ قُريشِ احتقارًا للرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: أهذا الذي يزعُمُ أنَّ اللهَ أرسَلَه إلينا رسولًا مِن بين خَلقِه ''؟!

كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَمَاكَ الَّذِينَ كَفَرُّوا إِن يَنْجِنُّونَكَ إِلَّا هُمْزُوا آهَدَا الَّذِي يَنْكُرُ ءَالِهَ تَكُمْ وَهُم بِنِكِ الرَّمْنِي هُمْ كَيْوُرِكَ ﴾ [الأنبياء: ٣٦]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلاَ يُزِلَهُ هَذَا الْفُرْمَانُ عَنَّى رَجُلٍ مِنَ الْفَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١].

وقال سُبحانَه حاكيًا قولَهم: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكُرُ مِنْ يَبْنِنَا ﴾ [ص: ٨].

﴿ إِن كَادَلَثِينَاتُمَا عَنْ مَالِهَتِهَا لَوْلَا أَن صَمَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَمَنْوَكَ يَعْلَمُونَ حِبِك يَرْوَنَ الْمَذَابَ مَنْ أَصَلُّ مَيْلِلاً ۞ ﴾.

﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ اللَّهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبِّفَا عَلَيْهَا ﴾.

أي: يقولُ كُفَّارُ قُرَيشٍ: لقد أوشَكَ هذا الرَّسولُ أن يَصرِ فَنا ويَصُدَّنا عن عبادةِ أصنامِنا بحُجَجِه وأدِلَّتِه، لولا أن ثبُتنا على عبادةِ آلهيّنا فتمسَّكْنا بها ولم نَقبَلْ دُعُونَهُ '''}!

^{= (}ص: ٥٨٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٢).

⁽١) يُنظر: ((تفسير يحتى بن سلام)) ((۱۸/٩٤)، ((تفسير ابن جرير)) ((۱۸/٤٥)، ((تفسير المن جرير)) (۱۸/٩٥)، ((تفسير المن تحير)) (۱۸/۹۱)، ((قسير السعدي)) (ص: ۵۸۳). قال السعدي: (وقالوا -على وجه الاحتقار والاستصفار-: ﴿ الْمُنْدَا اللَّهِي بَسَتَكَ أَلَّهُ رُسُولًا ﴾ أَن الله هذا الرجُلُ! وهذا بن شِدَّة ظُلههم وعنايهم وقلبِهم المخالِقُ؛ فإنَّ كلامتهم هذا الرجُلُ! وهذا بن شِدَّة ظُلههم وعنايهم وقلبِهم المخالِقُ؛ فإنَّ كلامتهم هذا يُعهِمُ أنَّ الرَّسولُ حاشاه- في غاية الحِشَّة والحقارة، وأنَّه لو كانت الرسالة لغيره لكان أنسَبًا). (قسير السعدي)) (ص: ۸۵).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٥٨/١٧)، ((تفسير الماتريدي)) (٨٨/٨)، ((تفسير ابن =







كما قال تعالى: ﴿ وَاَطَالَقَ الْلَاَ أَيْمُمْ أِنِ الشُّوا وَاصْبُوا عَقَ مَالِهَيْكُمْ ۖ إِنَّ هَذَا لَنَنَ ، يُـرُاهُ *مَا سَوِعَنَا بِهَذَا فِي الْلِيلَةِ الْأَخِرَةِ إِنْ هَنَا إِلَّا الْخِيلَةُ ﴾ [ص: ١، ٧].

﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِيكَ يَرُونَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا وَصَفُوه بِالإضلالِ فِي قَولِهِم: ﴿ إِنكَادَلَثِينَا ﴾؛ بَيَّن تعالى أنَّه سيَظهَرُ لهم مَنِ المُضِلُّ ومَنِ الضَّالُّ عندَ مُشاهَدةِ العذابِ الذي لا مَخلَصَ لهم منه، :: النال

﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِيثَ بَرُونَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

أي: وسوف يعلَمُ الكُفَّارُ حين يرَونَ عذابَ اللهِ النَّازِلَ بهم (٢) مَن أخطأً طريقَ

= كثير)) (١١٣/٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٩١، ٣٩٢)، ((نفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٣٣)

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (١٤/ ٥٣٩).

(۲) قيل: السرادُ: عذابُ الآخرة. ومعَّن قال بهذا: مقاتلُ بن سليمان، وابن أبي زمنين، والواحدي، وابن الجوزي، وجلال الدين المحلي، والشركاني. يُنظر: ((نفسير مقاتل بن سليمان)) (۳/ ۳۵)، ((نفسير ابن أبي زمنين)) (۲/ ۲۱۱)، ((الوسيط)) للواحدي (۲/ ۳۱)، ((نفسير ابن الجوزي)) (۳/ ۳۲۷)، ((نفسير الجلالين)) (ص: ۲۵)، ((نفسير الشركاني)) (٤/ ۹۰).

وقيل: المرادُ به: ما وقع لهم يومَ بدرٍ. وممَّن قال بهذا: القرطبيُّ، وابن عاشور. يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (۱۳/۵۳)، ((تفسير ابن عاشور)) (۷۹/۳۶).

قال ابن عاشور: (الأظهرُ أنَّ المرادَ عذابُ السَّيفِ النازِلُ بهم يومَ بدرٍ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٤).

وقيل: يرونَ العذابَ في النُّنيا والآخرةِ. وممَّن قال بذلك: البقاعي. يُنظر: ((نظم الدرر)) (١٣/ ٣٩٢).

وقيل: يرون العذابَ في الآخرةِ وعندَ العوتِ. وممَّن قال بذلك: ابنُّ عثيمين. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ١٧٠).





الهُدى: هم أم محمَّدٌ الذي دعاهم إلى توحيدِ اللهِ(١٠٠٠)!

﴿ أَرَهُ يَتَ مَنِ أَتَخَذَ إِلَىهَهُ، هَوَلَهُ أَفَأَنَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ١٠٠٠ ﴿.

﴿ أَرْوَيْتَ مَنِ أَتَّخَذَ إِلَىٰهَ أُو مُوَدَّهُ ﴾.

أي: أرأيتَ -يا مُحمَّدُ- مَنِ اتَّبعَ هواه، وانقاد إليه وأطاعَه (٢٠)؟!

- (۱)يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۸۷/۱۷)، ((الوسيط)) للواحدي (۲/ ۳٤۱)، ((تفسير القرطبي)) (۲۰/ ۳۵)، ((تفسير الألوسي)) (۲۰/ ۳۳، ۲۶)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۶).
- (۲) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۹/ ٤٥٩/١٧)، ((نفسير الزمخشري)) (۹/ ۲۸۲)، ((نفسير ابن عطية)) (۱۲/۶) ((نفسير القرطي)) (۱/ ۲۵)، ((سجموع الفتاري)) لابن تبيية (۱۰/ ۵۹)، ((نفسير ابن کثير)) (۱/ ۱۳۱۳)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۸۵،)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱/ ۱/ ۲۵)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۵/ ۱/).

قال ابنُ تبيئةَ: (آتَيَاعُ الهوى دَرَجاتُ: فعنهم المُشرِكون والذين يَعَدُدون بن دونِ اللهِ ما يَستحسِنون بلا عِلم ولا بُرهانِ، كما قال: ﴿ أَرْبَتُ مَن الْحَدَّالُ لَهُمْ، هَرَنهُ ﴾ [الفرقان: ٤٣]، أي: يَتَجُدُ إِلَهُ الذي يعبُّدُه وهو ما يهواه من آلهةٍ، ولم يقُلُ: إنَّ مواه نفسُ إلهه، فليس كلُّ مَن يهوى شيئًا يَعُدُدهُ فإنَّ الهوى أقسامٌ، بل العرادُ: أنَّه جمَلَ المعبودَ الذي يعبُدُه هو ما يهواه، فكانت عبادثَة تابعة لهوى نفسه في العبادةِ فإنَّه لم يَعبُدُ ما يجبُ أن يُعبَدّ، ولا عبَدَ العبادةَ التي أُورَ بها. وهذه حالُ «الهلِ المَدّعِ» فإنَّهم عبَدوا غيرَ الله، وابتَدْعوا عباداتٍ زَعموا أنَّهم يَعبُدون الله بها!).

وقال البقاعي: (أي: أقيم حمَّروا الإله بإنزاله إلى رتبة الهرى، فهم لا يَسْدُون إلَّا الهوى، وهو مَيْلُ الشهوة، ورميُّ الغُسِ إلى الشَّيءِ، لا شههة لهم أصلاً في عبادة الأصنام يرجعون عنها إذا جَلَت، فهم لا يَنْفَكُون عن عبادتها ما دام هواهم موجودًا... فالمعنى: أنَّ هذا الملعومة قصر نفّته على تألُّه الهوى، فلا صلاحً له ولا رشادً، وقد يتألُّه لهوّى غيره، ولو قبل: مَنِ انتخذُ هواه إلهه؛ لكان المعنى أنَّه قصر هواه على الإله، فلا غَنَّ له؛ لأنَّ هواه تابعٌ لأمرٍ الإله، وقد يُشاركُ في تألُّو الإله غيرُه، قال أبو حيَّان: والمعنى أنَّه لم يتخِذْ إلها إلَّا هواه، اتبعى.

فلْو عُكِس لقِيل: لم يَتَّخِفُ هُوَى إِلَّا إِلهَه، وهو إِذَا فعل ذلك فقد سلَّبَ نفْسَه الهوى فلم يعمَلُ به إلَّ فيما وافق أمرَ المِه، ومما يوصُّحُ لك اتعكاسَ المعنى بالتقديم والتأخير أنَّك لو قلتَ: فلانُّ اتَّخَذ عِبَدَه إِنه؛ لكان معناه أنَّه عظم العِيدَ، ولو قِيل: إنه أتَّخَذ أباه عِبْدَه؛ لكان معناه أنَّه أهان =





= الأب، وسواة في ذلك إتيانك به هكذا على وزان ما في القرآن أو نكّرت أحدَهما، فإنّك لا تتهدُّ دُوقَك فيه يختلفُ في أنه إذا فقم الحقيرَ شرَّق، وإذا فقم الشريف تخفّره، وكذا لو فلت: اتّخذ إصطبلة مسجدًا، أو صديقه أبّا، أو عكشت، ولو كان التقديمُ بمجرَّد العالمية من غير احتلافٍ في اللَّذلاةِ فُلَمْ في «الجائبة» الهوى؛ فإنَّ السياقَ والسياقَ له، وحاصِلُ المعنى أنَّه اضمحلَّ وصفُ الإله، ولم بيقَ إلا الهوى، فلو قُدِّم الهوى لكان المعنى أنَّه زال وغَلَيت عليه صِنةُ الإله، ولم يكُنْ ينظرُ إلَّا إليه، ولا مُحكمً إلَّا له، كما في الطينِ بالنسبة إلى الخَرْفِ سواءً، والله أعلم). ((نظم الدر) (۲/ ۲۸ (۲۲ ۹۲)).

وقال ابن عاشور: (قوله تعالى: ﴿ أَوَّتِنَ مَن أَشَدَدَ إِلَيْهُمْ مَوْيَهُ ﴾ إذا أُجرِي على الترتيب كان معناه: جمَلَ إلهُ الشيء الذي يهوى عبادت، أي، ما يُحبُّ أن يكونُ إلها أنه، أي: لمجرّو الشهورة، لا لأن إلهُ مستجقً للإلهيَّة، قالمعنى: مَن أَشَفَدُ ربًا له محبوبَه؛ فإن الذين عبدوا الأصنام كانت شهوئهم في أن يعبدوها، وليست لهم مُجبَّةً على استحقاقها السادة، فإطلاق إلهه على هذا الوجو إطلاق حقيقيٌ. وهذا ينايبُ قولَه تبلّد: ﴿ إِن كَان كَلُهُمُنْكَا عَنَ مَالِهُمَنَا ﴾ [الفرقان: 12]... وإذا أجري على اعتبار تقديم المفعول الثاني كان المعنى: مَن أَشَفَد هواه قدرة أنه في أعانه المناه عباد المناه عن أشعال في الشام؛ لأنه يشمَلُ عبادتهم الأصنام، ويشملُ غيرَ ذلك مِن المنكراتِ والفواحش مِن أفعالهم. وينحا إليه بأن عباس، وإلى هذا المعنى فيمناهم، والحبار، وإلى هذا المعنى ويتما الديم أن محمدلًا للإنه، ((نفسير ابن عاشور)) ((١/ ٥) ٥٣).

وقال ابن عثيمين: (الصواب أنَّ الآية على ظاهرها، وأنَّ الإلهُ هو الهوى، ومعنى ذلك: أنَّه جعل المنتخافِه المنتخافِل الزّباء والمن غير ذلك؛ فعلمه الأولى الشجرِ والحجرِ، ويقودُه إلى استحافِل الزّباء وإلى غيرِ ذلك؛ فعلمه الأولى (يُختف إلى المنتخافِل الزّباء وإلى عشير ذلك؛ فعلم الأولى ((تقسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) ((تنسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) ((س. ١٧٧).

وقال الماوَرْديُّ: (قولُه تعالى: ﴿ أَرْمَيْتَ مَنِ أَغَذَ إِلْهُمُهُ مُونِهُ ﴾ فيه ثلاثةُ أقاويلَ:

أحدُها: أنَّهم قومٌ كان الرجُلُ منهم يَعبُدُ حجَرًا يَستحسِنُه، فإذا رأى أحسَنَ منه عبَدَه وترَك الأوَّلَ. قاله ابنُ عبَّاسِ.

الثَّاني: أنَّه الحارثُ بنُ قَيسٍ، كان إذا هوى شيئًا عبَدَه. حكاه النقاشُ.





كما قال تعالى: ﴿ أَفَرَيْتَ مَنِ أَغَذَ إِلَهُمُ هَوِيهُ وَأَضَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمِهِ، وَقَلْمٍه. وَمَعَلَ عَلَى بَصَرِيدِ عِشْرَةً فَمَن يَهِدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجائية: ٢٣].

﴿ أَفَأَنَتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾.

أي: أفأنت -يا مُحمَّدُ- تكونُ على مَنِ اتَّبِع هواه حَفيظًا تمنَّعُ مِن الضَّلالِ، وتَهديه إلى الحَقَّ؟! كلَّا؛ فليست الهدايةُ والضَّلالةُ موكولتَينِ إليك، وإنَّما عليك البلاغُ(١).

كما قال تعالى: ﴿ إِن تَحْرِضَ عَلَى هُدُنهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِيلُ وَمَا لَهُم مِن نَصِيرِك ﴾ [النحل: ٣٧].

وقال سُبحانَه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَلِكَ وَلَكِئَنَ أَلَلَهُ يَهْدِى مَن يَشَاَةً وَهُو أَعْلُمُ بِالْسُهْنَدِيكِ ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ أَفَمَن رُبِيَّ لَمُسُوّهُ عَمَاهِ. فَرَهَاهُ حَسَنًا ۚ فَإِنَّالَةَ يُصِلُّ مَن يَشَأَهُ وَجَهِى مَن يَشَأَةٌ ۚ فَلَا لَذَهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْمٍ ْ حَمَرَتٍ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ لِمِمَا يَصْنَفُونَ ﴾ [فاطر: ٨].

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْفَهُمْ يَسَمَعُونَ أَوْ يَعْفِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَهَٰمِ ۚ بَلْ هُمْ أَضَلُ كيلاً ۞﴾.

﴿ أَمْ تَعْسَبُ أَنَّ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾.

أي: بل(") أَنظُنُّ -يا مُحمَّدُ- أَنَّ أَكثَرُ هؤلاء المُشرِكين يَسمَعون الحَقُّ أو

- (۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۹۹)، ((تفسير القرطبي)) (۳۳/ ۳۳)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ۲۵)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۹/ ۹۹).
- (٢) قال الشنقيطي: (﴿ أَمَّ ﴾ في هذه الآية الكريمة هي المنقَطعةُ، وأشهَرُ معانيها أنَّها جامعةٌ بين =





يَعقِلُونَه، حتى تطمَعَ في إيمانِهم؟! فليسوا كذلك(١).

كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوَ كُنَّا مَنْتُمُ أَوْ نَفَقِلُ مَا كَا فِي أَصَّنِي السَّعِيرِ * فَأَعَثَرُفُواْ بِذَنْبِهِمْ فَشُحْقًا لِأَصْحَنِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١١،١٠].

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَكِيلًا ﴾.

أي: ما المُشرِكون إلَّا كالبهائِم، بل هم أسوأُ حالًا منهم(١٠)!

كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَانًا لِجَهَنَدَ كَثِيرًا ثِنِ لَلْهِ وَلَهُوثُ لَا يَشْفَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعَيْثُ لَا يُسَيِّرُونَ بِهَا وَلَكُمْ اَنَانُ لَا يَسْتَعُونَ بِهَا أَوْلَتِكَ كَالْأَشْنَو بَلَ هُمْ أَضَلُّ وَلَتِكِكَ هُمُ الْفَنِقُونَ ﴾ [الأعراف: 1٧٩].

= معنى «بل» الإضرابيَّةِ، واستفهام الإنكار ممّا، والإضرابُ المدلولُ عليه بها هنا إضرابُ انتقاليُّ، والمعنى: بل أنحسُبُ أنَّ أكثَرَهم يسمّعون أو يَعقلون؟! أي: لا تعتقدُ ذلك ولا تظُّه، فإنَّهم لا يسمعون الخَقِّ ولا يعقلونَه، أي: لا يُلرِكونه يُعقولِهم). ((أضواء البيان)) (1/ ٥٩). ويُنظر (رفسير ابن عيمين- سورة القرقان)) (ص: ١٨٠).

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۴۹/۱۷، فعم.)، ((تفسير القرطبي)) (۳۲/۱۳)، ((تفسير الشوكاني)) (۱۰/۶)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۹/۱۰)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة القرقان)) (ص.: ۱۸۵–۱۸۲).

قال القرطبي: (﴿ إِلَّمَ تَعْسَبُ أَنَّ أَلَّصَكَّمُ بِتَسْمُونَ ﴾ سماعٌ قبول، أو يفكرون فيما تقولُ فيعقلونه التي: هم بمنزلة مَن لا يعقلُ ولا يسمعُ، وقبل: المعنى: أنَّهم لمَّا لم يَستعموا بما يَسمعون فكاتَّهم لم يَسمعوا). ((قسير القرطبي)) (٢٦/١٣).

وقال ابن عاشور: (المرادُ مِن نفي أنَّ ﴿ أَسَعَمَّهُمْ يَسْتَمُونَ ﴾ نفي أثرِ السماع، وهو فَهُمُ الحرَّا؛ لأنَّ ما يُلقيه إليهم الرسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم لا يَرَتابُ فِيه إِلَّا مَن هو كالذي لم يسمعُه، وهذا كقوله تعالى: ﴿ يَلْكَ لاَشْتِهُ ٱلْمَوْقَ وَلَا شُجِّعُ ٱلشَّمَّ الشَّمَّةَ إِنَّا وَلُوَّا مُدْيِرٍةً ﴾ [النمل: ٨٠]). ((نفسير ابن عاشور)) (١٩/٩).

(۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ۲۰۶)، ((تفسير البغوي)) (۲/ ٤٤٧)، ((تفسير القرطبي)) (۳۲/۱۳)، ((تفسير ابن کثير)) (۲/ ۱۳)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۹/ ۱۵).





وقال سُيحانَه: ﴿إِنَّ مَثَرَ الدَّوَاتِ عِندَاتُه وَالشُمُّ الْبَيْثُمُ الَّذِيثَ لَا يَتْقِلُونَ * وَلَوْ عَلم الشَّغِيمِ خَيْرًا لَمُسْتَعَهُمٌّ وَلَوْ السَّتَعَهُمْ لَتُولَّا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٣، ٣٧]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَاتِ عِندَ اللَّهِ اللَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسَنَعُونَ وَأَلْكُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلأَفْتُمُ وَالنَّارُ مَشْوَى لِمَنْمُ ﴾ [محمد: ١٧].

وقال جلَّ جلالُه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفُرُوا مِنْ أَهَلِ ٱلْكِنَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِجَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيَمَّا أُولَئِكُ هُمُّ مُثَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [المبنة: ٦].

الغُوائدُ التَّربويَّةُ:

١- قال تعالى: ﴿ أَرْتَيْتَ مَنِ أَغَنَدُ إِلَيْهَ مُ هَوْنَهُ ﴾ والواجِبُ الذي يلزَمُ العملُ به: هو أن تكونَ جَميعُ أفعالِ المكلَّفِ مُطابِقة لِما أمْرَء به معبودُه جَلَّ وعلا، فإذا كانت جميعُ أفعالِه تابعة لِما يَهواه، فقد صرفَ جميعَ ما يستجقُّه عليه خالِقُه من العبادة والطاعة إلى هواه(١).

٢- أصلُ الطريقِ هو الإرادةُ والقَصدُ والعملُ، وذلك يَتضمُّنُ الحُبَّ، وكثيرًا ما يَعمَّلُ الحُبَّ، وكثيرًا ما يَعمَلُ السالكُ بمُقتضى ما يَجدُه في قَلْبِه مِنَ المَحيَّةِ، وما يُدرِكُه بنَوقه مِن طَممِ العِبادةِ، وهذا إذا لم يكنُ موافِقًا لأمرِ الله ورسولِه فصاحِبُه في صَلالٍ، وهو مِمَّنِ التَّبَع هواه، قال تعالى: ﴿ أَرْيَتَ مَنِ أَتَضَدَ إِلَنهُمُ مُونهُ أَفَأَتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَصِيلًا ﴾ اتَّبع هواه، قال تعالى: ﴿ وَلَا لَمُ يَسَتَجِيبُوا لَكَ فَاعَلُمْ أَتَمَا يَقَمُونَ أَفَلَتُهُ مَنْ مَنْ أَفَلَ اللهَ وَلا اللهِ وَلا اللهِ وَلا اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُولِيقَ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُولِيقَ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُولِيقِيقِ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُولِيقِ اللهُلِيقِ اللهُ عَلَى اللهُولِيقِ الللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُولِ اللهُ عَلَى ال

⁽١) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٥٨).





• ٥]؛ فجَعَل كلَّما خالَفَ الأمرَ فصاحِبُه مُتَّبِعٌ هواه، فما ثَمَّ واسِطةٌ، بل إمَّا الأمرُ وإمَّا الهوى''.

٣- قال الله تعالى: ﴿ آمْ تَعَسَّبُ أَنَّ أَتَّكَمْهُمْ يَسْمَمُونَ أَوْ يَسْقِلُونَ أَنْ هُمْ إِلَّا البهيمة كَالْأَشْنَمُ بِّلَ هُمْ أَصَلُّ سبيلًا مِن الأنعام؛ لأنَّ البهيمة يَهديها سائقُها فَتَهْدي وتَشِّبُهُ الطَّريق، فلا تَحيدُ عنها يمينًا ولا شِمالًا، والأكثرونَ يَدْعوهم الرسُلُ ويَهْدونهم السَّبيلَ فلا يَستجيبونَ ولا يَهتُدون، ولا يُقَرَّقون بين ما يَصُرُّهم مِن النَّباتِ والطَّريق فنَجتنيه، وما يَنفَعُهم والأنعامُ نَفْرَقُ بين ما يَصُرُّهما مِن النَّباتِ والطَّريق فنَجتنيه، وما يَنفَعُهم فا فَتَرْيُره، والله تعالى لم يَحلُق للانعامِ فَلُوبًا تَعقلُ بها، ولا أَلْمَاتُ فَقَرَلُهُ اللهُ ولا اللهُ تعالى لم يَحلُق للانعامِ فَلُوبًا تَعقلُ بها، ولا اللهُ ولا اللهُ ولا المؤلوب والقلوبِ والألبينةِ والأسماعِ والأبصارِ؛ فهُم أَصَلُّ من البهائم، فإنَّ مَن لا يَعتدي إلى الرُّشِيةِ وإلى الطَّريقِ -مع الدَّليلِ إليه - أَضَلُّ واسْواً حالًا مِمَن لا يَهتدي حيثُ لا دليلَ معه (").

الغُوائدُ العلميَّةُ واللَّطائفُ:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَا رَأَوْكَ إِن يَنْجَدُّونَكَ إِلَّا هُمْرُوا أَهْدَا اللَّهِ بَسَكَ اللّه مَرُولًا ﴿ إِن كَنْجَدُونَكَ إِلَّا هُمْرُوا أَهْدَا اللّهِ مَنْكُونَ اللّهُ رَسُولًا ﴿ إِن كَانَهُ مَنْ الْمَهْرِكِينَ أَنْهُم مَنى رَأُوا الرسولَ عِبْدَ مِن المشركين أَنْهم متى رأوا الرسولَ أَنُوا بنوعَين مِن الأفعال:

أحدُهما: أنَّهم يَستهزئون به، وفسَّرَ ذلك الاستهزاءَ بقَولِه: ﴿ أَهَدَا الَّذِي بَمَكَ اللهُ رُسُولًا ﴾، وذلك جهلٌ عَظيمًا؛ لأنَّ الاستهزاءَ إمَّا أن يقعَ بصورتِه أو بصِفتِه:

⁽١) يُنظر: ((الكلام على مسألة السماع)) لابن القيم (١/ ١٦٢).

⁽٢) يُنظر: ((إعلام الموقعين)) لابن القيم (١/ ١٢٢).





أمًّا الأولُ فباطِلٌ؛ لأنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كان أحسَنَ منهم صورةً وخِلقةً، ويتقديرِ أنَّه لم يكُنُ كذلك لكنَّه عليه السَّلامُ أما كان يدَّعي التمييزَ عنهم بالصورةِ بل بالحُجَّة. وأمَّا النَّانِي فباطِلٌ؛ لأنَّه عليه السَّلامُ أدَّعي التميزُ عنهم في ظهورِ المعجزِ عليه دونَهم، وأنَّهم ما قدَروا على القَدحِ في حُجَّتِه وذَلالتِه، ففي الحقيقة هم الذين يستحقُّون أن يُهزا أبهم، ثم إنَّهم لوقاحتِهم قلبوا القضيَّة، واستَهزؤوا بالرَّسولِ عليه السلام، وذلك يدُلُّ على أنه ليس للمُبطلِ في كلَّ الأوقاتِ إلَّا السفاهةُ والوقاحةُ.

وثانيهما: أنَّهم كانوا يقولون فيه: ﴿ إِن كَادَ لِيُشِيلُنَا عَنْ ءَالِهَتِـنَا لَوْلاَ أَبَ صَبَرْكَا عَلَيْهَا ﴾، وذلك يدُلُّ على أمور:

الأوَّل: أنَّهم سَمَّوا ذلك إضلاً أَن ذلك يدُلُّ على أنَّهم كانوا مُبالِغين في تعظيم الهتِهم، وفي استعظام صَنيعه صلَّى الله عليه وسلَّم في صَرفهم عنه، وذلك يدُلُّ على أنَّهم كانوا يعتقدون أنَّ هذا هو الحقُّ، وقولُهم: ﴿لَوْلَاّ أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ يدُلُّ أيضًا على ذلك.

النَّاني: يدُلُّ هذا القَولُ منهم على جِدَّ الرَّسولِ عليه السَّلامُ واجتهادِه في صَرفِهم عن عبادةِ الأوثانِ، ولولا ذلك لَما قالوا: ﴿ إِن كَادَلَيْمِيلُنَا عَنَ مَالِهُمِينَا لَوْلَاَ آَبَ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ وهكذا كان عليه السَّلامُ؛ فإنَّه في أوَّلِ الأمرِ بالغَ في إيرادِ الدَّلائِلِ والجوابِ عن الشُّبُهاتِ، وتحمَّلَ ما كانوا يفعلونَه مِن أنواعِ السَّفاهةِ وسُوء الأدّب.

الثَّالث: أنَّ هذا يدُلُّ على اعترافِ القَومِ بِأَنَهم لم يعتَرِضوا البَّنَّةَ على دلائِلِ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، وما عارَضوها إلَّا بمَحض الجُحودِ والتقليد؛





لأنَّ قَولَهم: ﴿ لَوْلَا أَت صَبِّرْنَا عَلَيْهَا ﴾ إشارةٌ إلى الجُحودِ والتَّقليدِ(١٠).

٢- قولُه تعالى: ﴿وَمَوْفَ يَعَلَمُونَ عِيكَ يَرَوَنَ الْمَذَابَ مَنْ أَضَلُ سِيلًا ﴾ فيه وعيدٌ وذلالةٌ على أنهم لا يَقوتُونَه وإنْ طالَتْ ملَةُ الإمهالِ، ولا بدَّ للوعيدِ أن يَلحقهم؛ فلا يُعُرِّنَهُمُ النَّاخيرُ⁽¹⁷⁾.

٣- عبادةُ اللهِ تعالى إنّما هي بطاعتِه وطاعةِ رُسُلِه، فإذا أمرَ اللهُ على ألْسِنةِ رُسُلِه بشَيء، فعدَلَ عنه العبدُ إلى ما يُحبُّه هو؛ كان عابدًا لهواه، لا عابدًا لله؛ قال رُسُلِه بشَيء، فعدَلَ عنه العبدُ إلى ما يُحبُّه هو؛ كان عابدًا لهواه، لا عابدًا لله؛ قال تعالى: ﴿ أَنَ يَتَكُونُ عَلَيْهِ وَصِيلًا ﴾ "، فالآيةُ فيها دَلالةٌ على أنَّ كُلُّ مَن قَلْمَ هوى نفْسِه على هُدى ربَّه، فهو قد اتَّخذُه إلها؛ ولهذا يمكِننا أن نقولَ: إنَّ جميعَ المعاصي داخِلةٌ في الشَّركِ بهذا المعنى؛ حيث إنَّه قدَّمها على مَرضاةِ اللهِ تعالى وطاعتِه، فجَعَلَ هذا شريكًا لله عزَّ وجلَّ في تعبيده. له، واتباءِه إيَّاه ثمر المِلةِ بمعصيتِه.

٤ - الإنسانُ إذا اعتبرَ وتعرّف نفْسه والنّاس، رأى الواحِدَ يريدُ نفْسه أن تُطاعٌ وتعرّف نفْسه أن تُطاعٌ وتعرّف بلائمية وتعرّف مشحونةٌ بحبّ العلو والرئاسة بحسب إمكانها، فتجدُه يوالي من يوافقهُ على هواه، ويُعادي من يخالِفهُ في هواه، وإنّما معبودُه ما يَهواه ويُبدُه وَقَلُهُ الله تعالى: ﴿ أَرْبَتَ مَنِ أَقَلَ لَلهُ مُمونهُ أَفَاتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَصِيدٌ لا الله تعالى: ﴿ أَرْبَتَ مَنِ أَقَلَ لَلهُ مُمونهُ أَفَاتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَصِيدٌ لا الله تعالى: ﴿ أَرْبَتَ مَنِ أَقَلَ لَلهُ مُمونهُ أَفَاتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَصِيدٌ لا الله تعالى: ﴿ أَرْبَتَ مَنِ أَقَلَ لَلهُ الله تعالى الله تعالى

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢١٤).

 ⁽۲) يُنظر: ((تفسير الزمختري)) (۱/۲۸۲)، ((تفسير البيضاوي)) (۱۲۰/۶)، ((تفسير أبي حيان)) (۱۰۹/۸)، ((تفسير أبي السعود)) (۲۰۲۰).

⁽٣) يُنظر: ((نظرية العقد)) لابن تيمية (١/٧).

⁽٤) يُنظر: ((لقاء الباب المفتوح)) لابن عثيمين (اللقاء رقم: ١٣٦).

⁽٥) يُنظر : ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (٨/ ٢١٨).





ه - في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَعْسَبُ أَنَّ أَصَّمْهُمْ مِسْمَعُونِ لَوْ يَسْفِلُونِ ﴾ سؤالًا:
 أنَّه سُبحانه لَمَّا نفى عنهمُ السَّمعَ والعقل، فكيف ذَمَّهم على الإعراضِ عن الدَّينِ؟! وكيف بَعَثَ الرسولَ إليهم؛ فإنَّ مِن شرطِ التَّكليفِ العقلَ؟

الجوابُ: ليس المرادُ أنَّهم لا يَعقِلون، بل إنَّهم لا يَنتَفعون بذلك العَقلِ، فهو كقَول الرجُل لغيره إذا لم يَعَهَمْ: إنَّما أنت أعمى وأصَمُّنا)!

 ٦ - في قَولِه تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَا كَالْأَنْفَيْ أَبْلُ هُمْ أَصَلُّ سَكِيلًا ﴾ سؤالٌ؛ لِمَ جُعِلوا أَضَلُّ مِن الأنعام؟

الجوابُ مِن وجوهٍ:

أحدها: أنَّ الأنعامَ تَنقادُ لأربابِها وللَّذي يَغلِفُها ويَتَعَهَّدُها، وتُمتَّرُ بينَ مَن يُحْسِنُ إليها وبيْن مَن يُسيءُ إليها، وتَطلبُ ما يَنفعُها، وتَجتنبُ ما يضُرُّها، وهؤلاء لا يَنقادون لربَّهم، ولا يُميَّزونَ بيْنَ إحسانِه إليهم، وبيْن إساءةِ الشيطانِ إليهم الذي هو عدوِّ لهم، ولا يَطلبون الثوابَ الذي هو أعظَمُ المنافعِ، ولا يَحترِزونَ مِن العقاب الذي هو أعظمُ المَضارً!

ثانيها: أنَّ قلوبَ الأنعامِ كما أنَّها تكونُ خاليةً عن العِلمِ فهي خاليةٌ عن الجهلِ الذي هو اعتقادُ المعتقَد على خلافِ ما هو عليه مع التصميم، وأمَّا هؤلاء فقلوبُهم كما خَلَتْ عن العِلمِ فقد اتصفَّتْ بالجهلِ؛ فإنَّهم لا يَعلمونَّ، ولا يَعلمون أنهم لا يَعلمون، بل هم مُصِرُّون على أنَّهم يَعلمون.

ثالثها: أنَّ عدمَ عِلمِ الأنعامِ لا يَضُرُّ بأحدٍ، أمَّا جهلُ هؤلاء فإنَّه منشأَ للضررِ العظيم؛ لأنَّهم يَصُدُّونَ الناسَ عن سبيلِ اللهِ، ويبغونها عِوَجًا.

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٦٣ ٤).





رابعها: أنَّ البهائمَ لا تَستحقُّ عقابًا على عدمِ العِلمِ، أمَّا هؤلاء فإنَّهم يَستحقُّون عليه أعظمَ العقاب.

خامسها: أنَّ البهائمَ تُسبِّحُ اللهَ تعالى، على ما قال: ﴿ وَلِن مِن مَنَى ۚ إِلَّا لِشَيَّحُ عِنْدِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال: ﴿ أَلْمَرْ أَنَّ لَقَدِينَجُدُ أَنَّهُ مَن فِي الشَّنوَتِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالدَّوْلَ اللَّهِ إِنَّهُ ﴾ [الحج: ١٨]، وقال: ﴿ وَالطَّيْرُ صَنَفَنْتُ كُلُّ قَدْ عَلِمَ سَلَائِمُ وَضَيْبِحُهُ ﴾ [النور: ٤١]، وإذا كان كذلك؛ فضلالُ الكفارِ أشَدُّ واعظُمُ مِن ضلالٍ هذه الأنعام (١٠٠

سادسها: أن البهانتم لم يَعرفوا، ولم يَكونوا أُعطوا آلهَ المعرفةِ، وأمَّا الكفارُ فلم يَعرفوا وقد أُعطوا آلةَ المعرفةِ؛ فهم أَصَلُّ؟. والمحرومُ عن طلبِ المراتبِ العاليةِ إذا عَجَزَ عنه لا يكونُ في استحقاقِ الدَّمَّ كالقادر عليه التاركِ له لسوءِ اختياره؟!!

سابعها: أنَّ البهائم لم تُفسِدُ ما لها مِن المعارفِ؛ فإنَّ الله تعالى أعطاها قدُّرًا مِن المعارفِ فهي تَستعمِلُها، وأمَّا الكفارُ فقد أفسَدوا ما لهم مِن المعارفِ؛ فهم أضَلُّ وأقَلُّ مِن البهائم⁽⁾.

بلاغةُ الآيات:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَإِنَا رَأَوْكَ إِن يَتَخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُولًا أَهَـٰذَا الَّذِي بَهَــَكَ اللَّهُ
 رَسُولًا ﴾

- قولُه: ﴿إِن يَنْخِذُونَكَ إِلَّا هُـزُوًّا ﴾ الوصفُ بـ﴿ هُـرُوًا ﴾ للمُبالَغةِ في استِهز ائِهم

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢٦٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٢٢/٤).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢٤).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٤/ ٢٢).





به، حتَّى كَأَنه نَفْسُ الهُزُو؛ لأَنهم مَحَّضُوه لذلك. وإسنادُ ﴿يَنَجُودُونَك ﴾ إلى ضميرِ الجَمعِ؛ للدَّلالةِ على أنَّ جَماعاتِهم يَستهزِثون به إذا رأؤه وهُم في مَجالِسِهم ومُتنكياتِهم. وصِيغةُ الحَصرِ (إنْ... إلَّا)؛ للتَّشنيع عليهم بأنَّهمُ انحَصر اتَّخاذُهم إيَّاه في الاستِهزاءِ به، يُلازِمونه ويَذابُون عليه، ولا يَخلِطون معه شيئًا مِن تَذكُرِ أقوالِه ودَعوتِه؛ فالاستِثناءُ مِن عُمومِ الأحوالِ المَنفيَّة، أيْ : لا يَتَخِذونك في حالةٍ إلَّا في حالةِ الاستِهزاءِ (١٠).

- قولهُ: ﴿ أَهَدَا اللَّذِي بَمَتَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ مَقُولُ قَولٍ مَحذوفٍ، أي: يَقولون. والإشارة بر (هذا) للاستحقار منهم، وإبراز بعث الله رسولًا في معرض التَّسليم بجَغلِه صِلةً للمَوصولِ الَّذي هو صِفَتْه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مع كَونِهم في غاية النَّكرِ لِبَغْيه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بطريقِ التَّهكُم والاستِهزاء والإنكار ".

٢- قوله تعالى: ﴿ إِن كَادَلِينِكَ عَنْ مَالِهَ نِنَا لَوْلَا أَلَى صَبَرَتَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
 يَعْلَمُونَ عِيكَ بَرْوَنَ أَلْمَكُ إِنَ هَا أَشَالُ مَيلًا ﴾

- قولُهم: ﴿ إِن كَادَ يَتُشِئْنَا عَنْ مَالِهَتِنَا ﴾ أَسنَدوا مُقاربةَ الإضلالِ إلى الرَّسولِ دُونَ انفسِهم؛ تَرقُّعًا على أن يَكونوا قارَبوا الضَّلالَ عن آلهتهم، مع أنَّ مُقارَبَتُه إضلالَهم تَستلزمُ اقتِرابَهم مِن الضَّلالِ⁰.

- وجوابُ (لولا) في قولِهم: ﴿ إِن كَادَلَمُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبْرُنَا

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٢).

⁽۲) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۸۱)، ((نفسير اليضاوي)) (۱/ ۱۸۵)، ((نفسير أبي حيان)) (۱۰۹/۸)، ((نفسير أبي السعود)) (۲/ ۲۰۱)، ((نفسير ابن عاشور)) (۲/ ۲۱).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٣).





عَيْتَهَا ﴾ مَحدوفٌ؛ لدَلالةِ ما قَبَلَ (لولا) عليه، وهو ﴿ لِن كَادَلَيْشِكُ ﴾؛ وفائدةُ نَسجِ الكلامِ على هذا المينوالِ دُونَ أن يُؤْتَى بأداةِ الشَّرطِ ابتِداءَ مَثْلُوَةً بجوابِها: قَصْدُ العِنايةِ والاهتِمامِ بالخَبرِ ابتداءُ بأنَّه حاصِلٌ، ثمَّ يؤْتَى بالشَّرطِ بعْدَه تَقييدًا لإطلاقِ الخَبرِ بعْدَ إطلاقِه''.

- قولُه: ﴿ وَسَوْكَ يَعْلَمُونَ ... ﴾ هذا جَوابُ قولِهم: ﴿ إِن كَادَلُولُنَا عَنْ الْهَمْ عَلَى هُدًى فِي دِينِهم، وكان الله عَلَى عَنِ الله عَلَى عَنِ الله عَلَيْ الله عَلَى عَنِ الله عَلَى الله عَلَيْه الله عَلَى الله عَلَيْه الله عَلَيْه الله عَلَيْه الله عَلَى الله عَلَيْه الله الله عَلَيْه الله عَلَيْهِ الله الله عَلَيْه الله عَلَيْهِ الله عَلَيْه الله عَلَيْه الله عَلَيْه عَلَيْه الله عَلَيْهِ الله عَلَيْه الله عَلَيْه الله عَلَيْه الله عَلَيْهِ الله عَلْمُ عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ اللله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهِ عَلَيْهِ الللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ عَ

٣- قوله تعالى: ﴿ أَرْبَيْتَمَنِ أَخَذَا لِلْهُمُ أَمْرِيثُهُ أَنَاتُ تَكُونُ عَلِيّهِ وَكِيلًا ﴾ استئنافً خوطِبَ به الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فيما يخطُرُ بنفْسِه مِن الحُزنِ على تَكرُّرِ إعراضِهم عن دَعْوتِه؛ إذْ كان حَريصًا على هُذاهُم، والإلحاحِ في دَعْوتِهم، فأَعلَمَه بأنَّ مِثلَهم لا يُرجَى اهتداؤه؛ لأنَّهم جَعَلوا هواهُم إلههُم، فالخِطابُ للرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ".

- وقولُه: ﴿ أَرَبَيْتَ مَنِ آتَخَذَ إِلَنْهَهُۥ هَوَنهُ ﴾ فيه -على قَولٍ- تقديمُ المفعولِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٣، ٣٤).

 ⁽۲) يُنظر: ((فضير الزمخشري)) (۲/ ۲۸۱، ۲۸۲)، ((تفير اليضاوي)) (٤/ ١٢٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٢/ ٢٠٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٩/ ٣٤).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٤).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩ / ٣٤، ٣٥).





النَّاني ﴿ إِلَهَهُ ﴾ على الأوّل ﴿ هَوَنهُ ﴾؛ للعناية به، والأصلُ: اتَّخذ الهوَى إلهًا (١) وفيه - إلى جانبِ هذه التَّكتِّو- نُكتةٌ ثانيةٌ، وهي إفادةُ الحَصرِ؛ فإنَّ الكلامَ قبْلَ دُخولِ ﴿ أَرَيَّتَ ﴾ مُبتلاً وخَبرٌ، المبتدأُ (هَوَاهُ) والخبرُ (إلّههُ)، وتَقديمُ الخبرِ -كما علِمْتَ - يُفيدُ الحَصرَ، فكانَّه قال: أرأيتَ مَن لمْ يتَّخِذُ مَمبوده إلا هَواهُ؛ فهو أبلغُ في ذمَّه وتَوبيخه (١).

- قولُه أيضًا: ﴿ آغَفَدَ إِلَنهَ لَهُ مَوَيْتُهُ ﴾، أيْ: مَنِ اتَّخَذ هَواه قُدوةً له في أعمالِه، لا يأتي عمَلًا إلَّا إذا كان وِفاقًا لشهوتِه، فكأنَّ هَواهُ إِلهُه. وعلى هذا يكونُ معنى إلهِه شبيهًا بإلهِه في إطاعت على طريقةِ التَّشيهِ البَليغ، وهذا المعنى أَشْمَلُ في الذَّمُّ؛ لأنَّه يَشْملُ عبادتَهمُ الأصنام، ويَشْملُ غَيرَ ذلك مِنَ المُنكراتِ والفَواحش مِن أفعالِهم '''.

- قولُه: ﴿ أَرْبَتَ مَنِ أَغَنَدُ إِلَيْهُمُ مُونَهُ ﴾ قبل: الاستِفهامُ للتَّغرير، والتَّعجيبِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن شَناعةِ حالِهم بعْدَ حِكاية قَبائِجهم مِنَ الأقوالِ والأفعالِ، وبيانِ ما لهم مِنَ المَصيرِ والمآلِ، والتَّنبيهِ على أنَّ ذلك مِنَ الغَرابةِ بحِث يَجِبُ أن يُرى ويُتعجَّبَ منه ").

- قولُه: ﴿ أَفَأَنَّ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ إنكارٌ واستِبعادٌ لكُونِه صلَّى اللهُ

⁽۱) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲/ ۱۸۲۲)، ((تفسير اليضاوي)) (۱۳۵)، ((تفسير أيي السعود)) (۲/ ۲۲۱)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٤)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (۷/ ۱۹).

⁽٢) يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ١٩).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٥).

⁽٤)يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٢٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١١٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٠).







عليه وسلَّمَ حفيظًا عليه يَرْجُرُه عمَّا هو عليه مِنَ الضَّلالِ، ويُرشِئُه إلى الحقِّ طُوعًا أو كَرهًا. والفاءُ في ﴿أَفَائَتَ ﴾ لتَرتيبِ الإنكارِ على ما قبَلَه مِنَ الحالةِ المُوجِيةِ له''.

- وإنْ كان مَجموعُ جُملَتَيْ ﴿ أَرَيْتَ مَنِ أَتَخَذَ إِلَىهَهُ مَوْدِهُ أَفَأَتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ كلامًا واحدًا متَّصِلًا ثانيهِ بأوَّلِه اتِّصالَ المفعولِ بعامِلِه؛ تَعيَّنَ فِعلُ «رأيْتَ» لأنْ يَكُونَ فِعلًا قلْبَيًّا بمعنَى العِلم، وكان الاستِفهامُ الَّذي في الجملةِ الأُولِي بقولِه: ﴿ أَرَبَّتَ ﴾ إنكاريًّا كالنَّاني في قولِه: ﴿ أَفَأَنَّ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾، وكان مجموعُ الجُملتين كلامًا على طريقةِ الإجمالِ، ثمَّ التَّفصيل. والمعنَى: أَرأيْتَكَ تكونُ وَكيلًا على مَنِ اتَّخَذ إلهَه هَواهُ؟ وتكونُ الفاءُ في قولِه: ﴿أَفَانَتَ ﴾ فاءَ الجوابِ للمَوصولِ؛ لمُعاملَتِه مُعاملةَ الشَّرطِ، وهمزةُ الاستِفهام الثَّانيةُ تأكيدٌ للاستِفهام الأوَّلِ، كقولِه: ﴿ أَوَذَا كُنَّا عِظْنَا وَرُفَناً أَيناً لَمَبْعُونُونَ ﴾ [الإسراء: ٤٩] على قِراءةِ إعادةِ همزةِ الاستِفهام، وتكونُ جُملةُ ﴿ أَفَأَتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ عِوَضًا عنِ المفعولِ الثَّاني لفِعلِ ﴿ أَرَيْتَ ﴾، والفِعلُ مُعلَّقٌ عنِ العمل فيه؛ بسببِ الاستِفهام، على نحو قولِه تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر: ١٩]، وعليه لا يُوقَفُ على قوله: ﴿هَوَنهُ ﴾، بلْ يوصَلُ الكلامُ. وإنْ كانتْ كلُّ جملةٍ مِنَ الجُملتَينِ مُستقِلَّةً عنِ الأُخرى في نظْم الكلام، كان الاستِفهامُ الَّذي في الجُملةِ الأُولِي مُستعمَلًا في التَّعجيبِ مِن حالِ الَّذين اتَّخَذوا إلهَهم هَواهُم تَعجيبًا مَشوبًا بالإنكارِ، وكانتِ الفاءُ في الجُملةِ الثَّانيةِ للتَّفريع على ذلك التَّعجيب والإنكارِ، وكان الاستِفهامُ الَّذي في الجُملةِ الثَّانيةِ مِن قَولِه:

⁽١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٢٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢١).





﴿ أَفَانَتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ بمعنى: أنَّك لا تَستطبعُ قَلْعُه عن ضَلالِه، كما أشار إليه قَولُه قبلُه: ﴿ مَنْ أَضَلَّ مَيِلًا ﴾ (" [الفرقان: ٤٢].

و(مَن) في قَولِه: ﴿ أَرَبَتُ مَنِ أَغَمَدًا إِلنَّهُمُ مُونَهُ ﴾ صادِقة على الجَمْعِ المُمْتَحدَّثِ عنه في قَولِه: ﴿ وَمَسَوْقَ مَيْتَلَمُونَ حِيثَ مَرْزَقَ ٱلْمَذَابَ ﴾ [الفرقان: ٢٤]، ورُوعي في صَمائرِ الصَّلةِ لَفظُ (مَن)؛ فأفرِدَتِ الضَّمائرُ (١٠).

- وفي قوله: ﴿ أَفَانَتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ تقديمُ المُستَدِ إليه (أَنْت) على الخَبِر الفِعليَّ؛ للتَفوّي؛ إشارةً إلى إنكارِ ما حَمَّل الرَّسولُ عليه الصَّلاةُ والسَّلاةُ نُسْه مِنَ العِرصِ والحُزنِ في طلّبِ إقلاعِهم عنِ الهوَى ؟ ولَمَّا كان مُرادُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - حِرْصًا عليهم، ورَحمةً لهم - ردَّهُم عنِ الهَيْ والاَمْتِعلاءِ في قوله: ﴿عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (أَنَّ

٤ - قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَعْسَبُ أَنَّ أَكْثَمُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَمْقِلُونَ أِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْفَيْ بَلْ هُمْ أَسَلُّ كِيلًا ﴾

- قولُه: ﴿ أَمْ غَنَتُ أَنَّ أَضَغَمُمْ يَسَعُونَ أَوْ يَعْفِلُونَ ﴾ إضرابٌ انتقاليٌ عن التُأْيسِ مِن العبَدائِم، التَأْيسِ مِن العبَدائِم، العَلَية الهوى على عُقولِهم، إلى التَّحذيرِ مِن أَن يُظَنَّ بِهم إدراكُ الدَّلائلِ والحُجَج، وهذا تَوجه ثان للإعراضِ عن مُجادلَتِهمُ التَّي أَنَا عنها قولُه تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يَعَلَمُنَ عِيكَ يَرَوْنَ ٱلْمَذَابَ مَنْ أَصَلُّ سَيِيلًا ﴾ آنباً عنها قولُه تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُنَ عِيكَ يَرَوْنَ ٱلْمَذَابَ مَنْ أَصَلُّ سَيِيلًا ﴾ الكوفان: 21]، فد (أَمُ مُنقطِعة للإضرابِ الانتقاليِّ مِن إنكارٍ إلى إنكارٍ،

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ۳۵، ۳۹).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٣٦).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٩٤).





وهي مؤذِنةٌ باستِفهامٍ عطَفَتْه على الاستِفهامِ الَّذي قبْلَها. والتَّقديرُ: أَمَّ أَتَحسَبُ أَنَّ أَكثرَهم يَسمَعون أو يَعقِلون^(۱)؟

- وأيضًا في قوله: ﴿ أَمْ تَعَسَّبُ أَنَّ أَكَفَّمُ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقَلُونَ ﴾ نُفي فَهمُ الأَحِلَّةِ السَّمعَةُ وَلَهُمُ اللَّحِيَّةِ اللَّهِ اللَّهِ الحَلَّ وَلَمَا يَهم اللَّحِيَّةِ اللَّمَّ اللَّهَ اللَّهَ هذا حالُ دَهُما يُهم ومُقلًا يهم فقط، ومنهم مَن عَقَل الحَقَّ وكابَرَ استِكبارًا، وحَوفًا على الرَّناسة؛ ففيهم مَعنَرٌ عُقلاءً يَعَهمون ويَستَربُّون بالكائنات، ولكنَّهم عَلَبَ عليهم حُبُّ الرَّئاسة، واكتنَّهم مَلْمَ الله عليه وسلَم، ومُساوينَ للمؤمنينَ مِن ضُعفاء قُريشٍ وعَبيدهم مِثْلِ: عَمَّارٍ وبِلالٍ. وأيضًا تخصيصُ الأَمْ عَلَيْ ويلالٍ. وأيضًا تخصيصُ الأَمَّة عَلن مِنهم من آمَنَ ".

- وضَميرُ ﴿ أَكَنَمُهُمْ ﴾ لـ (مَن)، وجمْعُه باعتِبارِ معناها، كما أنَّ الإفرادَ في الضَّمارُر الأُوَلِ باعتِبارِ لفْظِها ^(٢).

- وعَطْفُ ﴿ أَوْ يَسْقِلُونَ ﴾ على ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾؛ لنفي أن يكونوا يَعقِلون الدَّلائلَ غَيرَ المَقالِيَّةِ، وهي دَلائلُ الكائناتِ⁽¹⁾.

- قولُه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْآمُنِ" بَلَ هُمْ آمَنلُ سَكِيلًا ﴾ جُملةٌ مُسنانَفةٌ مَسوقةٌ لتقريرِ النّكيرِ وتَاكيدِه، وحَسْم مادّةِ الحُسبانِ بالمرّةِ (٥). وقبل: مُستانَفةٌ استِنافًا بيانيًّا؛

 ⁽١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٢)، ((تفسير البيضاوي)) (١٣٥/٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٢٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٢/ ٢١/)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢/ ٢٧).

⁽۲) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۳/ ۲۸۲)، ((نفسير اليضاوي)) (٤/ ١٢٥)، ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ١١٠)، ((نفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٧).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢١).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٧).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢١).





لأنَّ ما تَقَدَّمَ مِن إنكارِ أَنَّهم يَسمَعون يُثيرُ في نفْسِ السَّامِعينَ سؤالًا عن نفْي فَهوهم لِما يَسمَعون مع سلامةِ حَواسَّ السَّمعِ منهم؛ فكان تَسْبيهُهم بالأنعامِ تَبِينًا للجَمعِ بِيْن خُصولِ اختِراقِ أصواتِ الدَّعوةِ آذانَهم مع عدَم انتفاعِهم بها؛ لعدَم تَهُتُّتِهم للاهتِمامِ بها؛ فالغرضُ مِنَ التَّشبيهِ التَّقريبُ والإمكانُ '''.

- وقولُهُ: ﴿إِنْهُمْ إِلَاَكُالْاَنْتُمْ إِلَى هُمُ أَصَلُّ سَكِيلًا ﴾ فيه تشبيهٌ لأكثرِ النَّاسِ بالأنعام، والجامعُ بين النوعين: التَّساوي في عدم قبولِ الهدى والانقيادِ له".



⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٧).

⁽٢) يُنظر: ((إعلام الموقعين)) لابن القيم (١/ ١٢٢).





الآيات (٤٥-٥٤)

﴿ أَلَمْ مَنَ إِلَىٰ رَقِكَ كُنَىٰ مَدَّ الطِّلَ وَلَوْ صَاءَ لَجَمَلَهُ سَكِما ثُمَّ جَمَلَنَا الشَّمْسَ عَلَيه دِيلِهُ

﴿ أَمْهُ فَيَسْمَنُهُ إِلَيْنَا فَشَمَا يَسِهِ أَنِّ ﴿ وَهُوَ الَّذِينَ جَمَلَ لَكُمُ الَّبِلَ لِبَاسًا وَالنَّوَمُ سُبَاتًا وَجَمَلُ النَّهَا فَشُورًا فَشُورًا ﴿ وَهُو النِّينَ النِّينَ بَغَرَّا بَيْنِ يَمْنَ يَنِهُ وَالْزَلَىٰ بِنَ السَّمَانِ مِنْ يَعْنَى بِهِ بَلْنَهُ شِبَا وَلَشَيْهُ مِنَا عَلَقْنَا أَشَكَا وَالْوَلِينَ كَيْفِيلًا اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهُ مِنَا عَلَقْنَا أَلْمَنَا وَالْمَاعِيلِ كَلَيْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مِنْ اللَّهُ وَلَا فَيْقَا اللَّهُ وَلَا فِيلًا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلُهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلًا وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ وَمُعَلِّلًا وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلُهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِيلًا وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِيلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُولًا اللَّهُ اللَّهُ وَمُولًا اللَّهُ وَمُعَلِّلًا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَاللَّهُ وَلَاللَّهُ وَمُؤْلًا اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

غُريبُ الكُلمات:

﴿ فَيَضْنَكُ ﴾: أي: أزَلناه ونسَخْناه، وأصلُ (قبض): يدُلُ على شيءٍ مأخوذٍ (١٠) ﴿ فَيْلَاسًا ﴾: أي: ساتِرًا وغِشاءً، وأصلُ (لبس): يدُلُ على مُخالَطةٍ ومُداخَلةٍ (١٠) ﴿ وُسُبَانًا ﴾: أي: واحةً لأبدانِكم، وقطعًا لأعمالِكم، وأصلُ (سبت): يدُلُ على القطع (١٠).

﴿ نُشُورًا ﴾: أي: يَفَظةً وحياةً، يَنتشِرونَ فيه، ويَبتَغونَ الرِّزقَ، ويَتصرَّفونَ في

⁽١) يُنظر: ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٥٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٥٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٠٤٠).

⁽۲) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ۳۲۳)، ((فنسير ابن جرير)) (۲۴) ()، ((مقاييس اللغة)) لابن قارس (۲۰/۰۵)، ((المفردات)) للراغب (ص: ۷۳۶)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ۲۲۶)، ((تفسير القرطبي)) (۲۸/۱۳).

⁽٣) يُنظر: ((غرب القرآن)) لابن قتية (ص: ٣١٣)، ((الغربيين)) للهروي (٣/ ٨٥٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٩٦).





حاجاتِهم، وأصلُ (نشر): يدُلُّ على فَتح شَيءٍ وتَشَعُّبِه (١).

﴿ يُمْزَلُ ﴾: أي: مُبَشِّراتِ بالغَيثِ، والبُّشرى تُطلَقُ على الإِخْبار بِمَا يَسُرُّ، وما يُعطَى للمُبشِّر، وأصلُ (بشر): ظهورُ الشَّيءِ مع حُشنِ وجَمالِ (٢٠).

﴿ وَأَنَالِينَ ﴾: الأناسيُّ: جَمعُ إنسيِّ، وهو مرادِفُ إنسانِ، مِثلُ كُرسيِّ وكَراسيٍّ، وأصلُ (أنس): يدُلُّ على ظُهورِ الشَّيءِ، وكلَّ شَيءٍ خالَفَ طريقةَ التَّرِحُسُ^(٣).

﴿ مَرَّقَتُهُ ﴾: قَسَّمْناه، يعني المطرّ: يَسقي أرضًا، ويتركُ أرضًا، وأصلُ (صرف): يلُلُّ على رَجع الشَّيءِ (1).

﴿ كُفُورًا ﴾: أي: جُحُودًا، وأصلُ (كفر): يدُلُّ على السَّترِ والتَّغطيةِ (٥٠).

﴿ مَرَجَ ﴾: أي: خلَطَ أو خلَّى بينهما، وأصلُ (مرج): يدُلُّ على مجيءِ وذَهابٍ واضطراب(١٠).

⁽۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قبية (ص: ١٤ ٤)، ((نفسير ابن جرير)) ((۱/٢٤٦)، ((مفاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٣٠)، ((الهداية)) لمكي (٨/ ٢٣٤ه)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٠٥).

⁽٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ١٦٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٢٩)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٥١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٩٦، ٩١).

⁽٣) يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (١٤/ ٧)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (١/ ١٤٥). ((نفسير الزمخشري)) (١/ ٣٤٩)، ((نفسير ابن عاشور)) (١/ ٤٩).

⁽٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ٣١٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣٤٢/٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٣٦٤)، ((نفسير القرطبي)) (١٣/ ٥٧).

⁽ه) يُنظر: ((مقايس اللغة)) لابن فارس (١٩١/ه)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٤، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٧٧٦).

⁽٦) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٢٦)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٩٥٥٥)، ((نذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٣٥٥، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٨٨).





﴿ فُرَاتٌ ﴾: الفُراتُ: الماءُ الشَّديدُ العُذوبةِ، قِيل: سُمِّي الماءُ الحُلوُ فُراتًا؛ لأنَّه يَفْرُتُ العطشُ، أي: يقطَهُ ويكسِرُه (١٠).

﴿ أُجَاجٌ ﴾: أي: شَديدُ المُلوحةِ، وأصلُ (أجج): يدُلُ على الشَّدَّةِ (١٠).

﴿ مَرْزَهًا ﴾: أي: حاجِزًا ومانِعًا؛ لئلًّا يَختلطًا، وكلُّ حاجزٍ بيْنَ شَيئينِ فهو برزخٌ (٢٠٠.

﴿ رَحِمْ كَتَحُولَا ﴾: أي: حَرامًا مُحَرَّمًا على صاحبِه أنْ يُغَيِّرُه ويُفْسِدَه، أو مانِمًا مَمْنوعًا، وأصلُ (حجر): المَنعُ والإحاطَةُ على الشَّيءِ⁽¹⁾.

﴿ نَسُنَا ﴾: النَّسِّ: اشتِراكُ مِن جهةِ أحدِ الأبوَينِ، أي: أن يجتمعَ إنسانُ مع آخَرَ في أَبِ أَو أَمَّ، قرُبَ ذلك أو بمُدَ، وقيل: ﴿ نَسَلَ الْهَ اَيْ: ذا نسب، وهو ما لا يَحِلُّ نكاحُه، وأصلُ (نسب): اتّصالُ شَيءِ بشَيءٍ، ومنه النَّسَبُ؛ سُمُيَ لاِتّصالِه ولِلاتِّصالِ به('').

(١) ((أدب الكاتب)) لابن قتية (ص: ١٦٥)، ((تفسير ابن جرير)) (٢٧ / ٤٧٧)، ((غرب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٦٩)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٤٩٨/٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٦٨)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٩٥).

(۲) يُنظر: ((أدب الكاتب)) لابن قتية (ص: ۱۲۵)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (۸/۱)،
 ((المغردات)) للراغب (ص: ۲۶، ۷۷۶)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ۵۳).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لا من قنية (ص: ٣١٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣١٤)، ((الغربيين في القرآن والحديث)) للهروي (/ ١٦٩)، ((المغردات)) للراغب (ص: ٢٠١٠، ٢٠٠). قال ابن فارس: (مِثّا فيه حرفٌ زائدٌ «البرزَعُ»؛ الحائِلُ بينَ الشَّيْئِينِ، كَانَّ بِشِهما بَر اوَّا، أيَّ، مُشّتمًا مِن الأرضِ، ثُمَّ صارَّ كُلُّ حائِلِ بَرْزَعًا، فالحَاثُم الِعَنَّةِ). ((مقايس اللغة)) (/ ٣٣٣).

وقال الراغب: (وقيل: أصله «برزه»، فعُرِّب). ((المفردات في غريب القرآن)) (ص: ١١٨).

(غ) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قبية (ص: ۲۱۵)، ((تفسير ابن جرير)) ((۲/۱۷۷)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (۱۳۸/۳)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ۱۲۱)، ((تفسير السمعاني)) (۲۱/۶)، ((المفردات)) للراغب (ص: ۱۱۸، ۲۲۷).

(٥) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) (٥/ ٤٣٣)، ((المفردات في غريب القرآن)) للراغب (ص: ٨٠١)، =





﴿وَمِيهُمْ ﴾: الصُّهرُ: قرابةُ النَّكاحِ، وأهلُ بَيتِ المرأةِ، وأصلُ (صهر): يدُلُّ على قُوبِي(''.

المعنى الإجماليُّ:

يَدْكُرُ الله تعالى بعضَ مظاهرِ قدرتِه، وبمنَنُّ على عبادِه ببيانِ بعضِ النَّمِ التي أنعَم بها عليهم، فيقول: ألمْ ترَ -يا محمَّدُ- إلى كيفيَّةِ بشطِ رَبَّك الظَّلَّ على الأرضِ مِن بعْدِ طُلوعِ الفَجرِ إلى طُلوعِ الشَّمسِ، ولو شاه اللهُ لجعَلَ الظَّلَّ دائمًا لا يتحَرَّكُ، نمَّ جعَلَ الشَّمسَ عنذَ طلوعِها دالَّةً على الظُّلَّ، ثمَّ نقصَ ذلك الظُّلَّ.

واللهُ سُبحانَه الذي جعَلَ لكم اللَّيلَ سِترًا يَستُرُكم بظَلامِه، وجعَل النَّومَ قاطعًا لحركتِكم لِتَستريحوا، وجعل النَّهارَ حياةً تنتشِرونَ فيه لطلَبِ الأرزاقِ.

واللهُ وحْدَه الذي أرسَلَ الرَّياحَ تَبَشُّرُ النَّاسَ بَنُزولِ المطَّرِ، وأنزَل مِن السَّماءِ ماءَ المطَّرِ الطَّهورَ؛ ليُحيَى به أرضًا مُجدِبةً لا نباتَ فيها، ويَسقَى به ما خلَقَه مِن الاُنعام والنَّاسِ.

ولقد قسَّم سُبحانَه ماءَ المطرِ بيْن النَّاسِ للتذكُّرِ والاعتِيارِ، فأبي أكثُرُ النَّاسِ التذكُّرِ والاعتِيارِ، فأبي أكثُرُ النَّاسِ اللهُ تعالى لجعَلَ في كلَّ قريةِ رَسولًا يُنذِرُ النَّاسَ عَذابَ اللهِ ويدعوهم إليه؛ فلا تُطِعِ الكافرين -يا محمَّدُ- فيما يُريدونَه مِن عبادةِ آلهتِهم، أو تَرْكِ شَيء مما أُرسِلتَ به، وجاهِنْهم بالقُرآنِ جِهادًا شديدًا. واللهُ وحْدَه هو الذي أرسل البَحرينِ وخلَّهما؛ أحدُهما شديدُ العذوبةِ، والاختِلاطَ.

^{= ((}تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٥)، ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٨٥).

 ⁽١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ٣١٤)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣١٥)،
 ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٩٤)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٥٥).





وهو وحْدَه الذي خلَقَ مِن المَنيِّ إنسانًا، فجعَلَ ذلك الإنسانَ ذا نَسَبٍ وذا صِهرٍ، ولم يزَلْ سُبحانَه قَديرًا على كلِّ شَيءٍ.

تُغسيرُ الآيات:

﴿ أَلَمْ نَرُ إِنَّ رَبِّكَ كَنِكَ مَدَّ الظِلَّ وَلَوْ شَآةَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنَا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ رَبِيلًا ۞﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمّا بَيَّنَ سُبحانَه جهْلَ المُعرِضين عن دلائلِه، وفَسادَ طريقِهم في ذلك؛ ذَكَرَ بعْدَه أنواعًا مِن الدَّلاثل الدالَّةِ على وجودِ الصَّانع، فقال تعالى(١٠):

﴿ أَلَمْ نَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كُيْفَ مَدَّ ٱلظِّلِّلَ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُ سَاكِمًا ﴾.

أي: ألم تَرَ(٢) -يا محمَّدُ- إلى هيئةِ بشطِ رَبِّك الظِّلُّ على الأرضِ مِن بعْدِ

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٦٤).

(Y) قال الشوكاني: (هَلْمَةُ الزُّوقِةُ المَّا يَصَرِقُهُ والمراةِ بها: المِ تُصِرُ إلى صُنعِ رَبُك؟ أو الم تُبصرُ إلى الظَّلُّ كِنْ نَدَّه رَبُّك؟ وإِمَّا قَلَيْتُهُ بمعنى العِلمِ فإنَّ الظَّلِّ مُعَيِّرٌ، وكُلِّ مُعَيِّرٍ حادثٌ، ولكُلُّ حادثٍ مُوجِدٌ. قال الزَّجَّاجُ: أَلَم تَرْ: أَلَم تَعلَمُ، وهذا مِن رويةِ القَلمِ.). ((تفسير الشوكاني)) (عُ/ Y):

ممَّن اختار في الجملة أنَّ الرؤية رويةً القلب، والعراد: ألَمْ تَعلَم: الفَرَّاءُ، والزَّجَاعُ، وابنُّ عطية، وأبو حيان، والعليمي. يُنظر: ((معاني الفرآن)) للفراء (١٣٦/١)، ((معاني الفرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/٧)، ((نفسير ابن عطية)) (٤/٢٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٢/ ٥٦٠)، ((تفسير العليم)) (١/٩/٤).

ومَّذَن اختار في الجملة أنَّ الرؤيَّة بَصَرَيَّة، أي: أَلمْ تَنظُّرُ: البيضاويُّ، والنسفي، وجلال الدين المحلي، وأبو السعود، والألوسي، وابن عاشور. يُنظر: ((نَصْـير البيضاوي)) (۲۲/۶)، ((نَصْـير النسفي)) (۲/ ۶۰)، ((نَصْـير الجلالين)) (ص: ۷۲)، ((نَصْـير أبي السعود)) (۲/ ۲۲)، ((نَصْـير الألوسي)) (۲۲/۲۰)، ((نَصْـير ابن عاشور)) (۲۹/۲۹).

وجمَع السعديُّ بيْن القولينِ، فذكَر أنَّ المعنى: (ألم تشاهِدْ ببصرِك وبصيرتِك). ((تفسير =





طُلوع الفَجرِ إلى طُلوعِ الشَّمسِ، ولو شاء اللهُ لجعَلَ الظُّلِّ مَمدودًا دائِمًا لا يتحرَّكُ بزيادةٍ ولا نُقصانِ^{(١٩}؟!

= السعدي)) (ص: ٥٨٤). ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين-سورة الفرقان)) (ص: ١٨٩).

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۲۶، ۶۱۳)، ((تفسير البغوي)) (۳/ ٤٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۸۵)، ((تفسير ابن عليمين - سورة الفرقان)) (ص: ۸۹).

مثّن ذَهَب إلى أنَّ المرادَّ بالظُّلُ: ين ظُلوع الفَجو إلى طُلوع الشّمين: ابنُ جرير،) (۱/ ۲۰ ع، والزُجُاح، والتِنُوي، والرسعني، والقرطي، والعليمي، والسعدي، يُنظر: ((تفسير البغوي)) (۱/ ۲۷۷ع)، ((تفسير ۲۶۱)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (۶/ ۷۷)، ((تفسير البغوي)) ((۲۷/ ۲۳)، ((تفسير العليمي)) ((۲۳)، ((تفسير الفرسير)) ((۲۹)، ((تفسير العليمي)) (ص: ۵۸٤)، ((تفسير العليمي)) (ص: ۵۸٤)،

ومئن قال بنحو هذا القول بين الشَّلف: ابنُ عَبَّاس، وابنُّ مُعَزَ، وسعيدُ بنُ جُنير، وأبو العالمية، وإبراهيمُ النَّغَمُّ، ومسروقٌ، والحسَنُ، وقتادَّ، وأبو مالِك، ومجاهدٌ، وعِخْرِمَّ، والشَّخاكُ. والشُّدي، وأبو سِنانِ الشَّيانيُّ، يُنظر: (انفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٦٠)، ((نفسير ابن أبي حاتم)(٨/ ٢٠١).

قال الواحديُّ: (والمفسَّرون جميعًا قالوا في معنى الظَّلُ هاهنا: إنَّه الظَّلُ مِن وَقتِ طُلوعِ الفَجرِ إلى وَقتِ طُلوعِ الشَّمسِ). ((السيط)) (١٧/١٦).

ونَسَبِ النَّسَفيُّ هذا القولَ إلى الجُمهور. يُنظر: ((تفسير النسفي)) (٢/ ٥٤٠).

قال البغوي: (وهو ما بيْنَ طُلوعِ النَّجِرِ إلى طُلوعِ الشَّسِ، جَعَلَى معدودًا؛ لأَمَّ ظِلَّ لا عُسسَ معه، كما قال في ظِلَّ الجَنَّةِ: ﴿ وَلَمَا يَتَكُورِ ﴾ [الواقعة: ٣٠] لم يكُنُ معه شمسٌ). ((تفسير البغوي)) (٣/ ٤٤٧).

واعترض ابنُ عطئةَ على هذا المعنى بأنَّ ذلك في غير نهادٍ، بل في بقايا اللَّيلِ، وهذا لا يُقالُ له ظِلَّ، واختار أنَّ السرادَ بَعَدُ الظُّلِّ بإطلاقِ هو بيْنَ أوْلِ الإسفارِ إلى بُرُوغِ السَّمس، ومِن بَعدِ مَفِيها مُذَّةً يَسيرَهُ فإنَّ في هذين الوقتينِ على الأرضِ كُلُها ظِلَّ معدودٌ على أَلْها نهارٌ، وفي سايِّر أوقاتِ النَّهاوِ ظِلالٌ مُتَطَلَّمةً، والمَدُّ والقَيضُ مُظَرِّو فيها. قال: (وهو عندي العرادُ في الآية، واللهُ أعلمُ). ((نضيه من عطة)) (٤/١٦) (٢)

وقيل: المرادُ به: ظِلُّ كُلُّ شاخصٍ؛ فإنَّه أوَّلَ ما تطلُعُ الشَّمسُ يكونُ الظَّلُ طويلًا ممدودًا، ثم يُهَتَضُ شيئًا فشيئًا. وهذا ظاهِرُ اختيار ابن القبَّم، وابنِ عاشور. يُنظر: ((مدارج السالكين)) لابن =





﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾.

أي: ثمَّ جَعَلْنَا الشَّمسَ عندَ طلوعِها دالَّةَ على الظَّلِّ؛ فهو يَتَبَعُها، ويتفاوَتُ بحَركتِها(١).

= القيم (٣/ ٢٧٣، ٢٧٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٩-٤١).

وقيل: المراد بالظلّ هنا: اللّيلُ. ومثن ذهب إلى ذلك: أبو القاسم التيسابوريُّ والبقاعي. يُنظر: ((إيجاز البيان)) لأبي القاسم التيسابوري (١٣/٣/)، ((نظم الدر)) للبقاعي (١/٩٧). ومئن ذهب إلى حملِ الآيةِ على جميع هذه المعاني: ابنُّ عثيمين. يُنظر: ((نفسير ابن عثيمين – سورة الغرقان)) (صر: 41-111).

قال أبنُ عَيمين: (المدرة بالظلّ على الخلاف بلائة آراء: إنّا أنّه ما يينَ طُلوع الفَجر إلى طلوع السَّمس... أو أنّه اللّيلُ كُلُه، ويكرنَ مَنْه تطويلَه ثَمْ يَنْقُصُ فَفِي هذا من قدوَ الفَجر إلى طلوع الشَّمس... أو أنّه اللّيلُ ويكرنَ مَنْه تطويلَه ثَمْ يَنْقُصُ فَفِي هذا من قدوَ اللّه تعالى، تغيُّرُ يكرنُ الظُّلُ طويلا معدومًا ثمّ يُقتَصُ شيئًا فَيَبِنَا، هُوَوَلَّو ثَمَّة فِه اللهُ سُبحانَه وتعالى هُلْبَعَكُمُ اللَّهُ عَلَى اللهُ سُجانَة وتعالى هُلْبَعَكُمُ اللَّهُ عَلَى اللهُ سُجانَة وتعالى هُلْبَعَكُمُ الطَّلِ المُعرِيلَة اللهُ سُجانَة وتعالى هُلْبَعَكُمُ اللهُ علي الطَّلِق اللهُ عليه اللهُ سُجانَة وتعالى هُلِمَعِكُمُ اللهُ عليها اللهُ مُعلَى الظَّلِمُ الشَّلَ على المسكونِ أنْ اللهُ منتَى اللهلُ والثَّلَمَ لللهُ واللهُ يَعْلَى المُعلِق اللهُ على المنافِق عَلَى اللهلُ والتَّلَمُ عَلَى المنافِق عَلَى المنافِق عَلَى المنافِق عَلَى المنافِق عَلَى المنافِق اللهُ المنافِق عَلى المنافِق عَلى المنافِق عَلى المنافِق عَلى المنافِق المنافق المنافِق المنافق المن

(۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲۷/۱۲)، ((نفسير القرطي)) (۳۷/۱۳۷)، ((نفسير البيضاوي)) (۱۲۲/٤)، ((مدارج السالكون)) لابن القيم (۲۲/۲۷)، ((نفسير ابن كثير)) (۱۱٤/۱، ((نفسير السعدي)) (ص: ۸۵ه).

قال ابن عثيمين: (قولُه: ﴿ فَتُرَجَعُلُنَا النَّمْسَ عَلَيْمِ وَلِيلاً﴾ جعْلُ الشَّمسِ تَلِيلاً على الظُّلُ فيه دليلٌ ليس على مجرَّد وجودِ الظلَّ، بل دليلٌ على ما فيه مِن المصالح، وهي أيضًا مدلولٌ عليها به؛ فالشَّمسُ الآنَ يُستَدُّلُ بها على ما في الظلَّ مِن المصالح، ويُستَدُلُ بالظَّلُ على ما فيها من =





﴿ ثُمَّ فَبَضْنَهُ إِلَيْنَا فَبْضَايَسِيرًا ١٠٠٠ .

أي: ثمَّ نَقَصْنا ذلك الظِّلُّ الممدودَ بسُهولةٍ وتدريج(١).

= المصالح أيضًا؛ لأنَّ غيب الشَّمسِ عن الأرض قد يؤثّر، ويقامَها دائمًا على وجو الأرض الذي يُراح المنافقة عَيْضًا مُ النَّهَا اللَّهِ وَالْمَائِدَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهَاءَ النَّهَا مَنْ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اللَّهَاءَ اللَّهَ عَلَيْكُمْ اللَّهَاءَ اللَّهَ عَلَيْكُمْ اللَّهَاءَ اللَّهَاءَ اللَّهَاءَ اللَّهَاءَ اللَّهَاءَ اللَّهَاءَ اللَّهَاءِ وَلَمْ اللَّهَاءَ اللَّهَاءِ وَلَمْ اللَّهَاءُ وَلَمْ اللَّهَاءُ وَلَمْ اللَّهَاءُ وَلَمْ اللَّهَاءُ وَلَمْ اللَّهِ اللَّهَاءُ اللَّهَاءُ اللَّهَاءُ اللَّهَاءُ اللَّهاءُ اللَّهاءُ اللَّهاءِ وَكُلُّ منهما في الحقيقةِ دالَّ ومدلولُ). ((تضير عدورة الفوائل) (ص: ١٩٤).)

(۱) يُنظر: (رتاويل مشكل القرآن) لابن قبية (ص: ۱۹۲)، (رتفسير ابن جرير)) (۱/ ۱۹۶٤)، ((جامع المسائل)) لابن تبعية (۱/ ۲۰، ۵۰)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (۲/ ۲۳۳)، ((نفسير ابن كثير)) (۱/ ۱۱۶)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۵۸۱)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱/ ۲۷).

قال الواحدي: (﴿ ثُمَّ قَيْضَتُهُ ﴾ الكنايةُ تعودُ إلى الظَّلُ الذي سَبَق ذِكْرُه، وهو: ظِلُّ الغَداةِ بإجماعِ المَفَسُرينَ). ((البسيط)) (٥٢٣/١٦).

مثّن احتار أذَّ المرادَ بقوله: ﴿ وَهَمَتُهُ لَهُا الطَّقُلُ: مقاتلُ بن سليمان، والسمرقندي، والعملي، والماؤردي، والسمعاني، وابن الجوزي، والقرطي، والخارف، والخارن، وابن عثيم، يُنظر: ((نفسير مقاتل بن سليمان)) (۱۲/ ۲۳)، ((نفسير السمرقندي)) (۲/ ۶۰)، ((نفسير العلمي)) (۱/ ۲/ ۲۶)، ((نفسير الماوردي)) (۱/ ۲۷)، ((نفسير السمعاني)) (۱۲/ ۲۳)، ((نفسير ابن الجوزي)) (۲/ ۲۲)، ((نفسير ابن عثيمن - سورة الفرقان)) (ص: ۱۲۶)، ((نفسير ابن عثيم)) (۱/ ۲/ ۲۱)، ((نفسير ابن عثيمن - سورة الفرقان))

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عَبَّاسٍ، والحسنُ. يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٨/ ٢٧٠٣)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (١/ ٢٦١).

وقيل: المعنى: تَبَشْنا ذلك الدَّلِيلَ مِنَ الشَّمْسِ على الظُّلِّ. ومِمَّن اختاره: ابنُ جرير، ومكّي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢٧ (٦٤٤)، ((الهداية الى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ٥٣٣٢).

وقال البقاعي: (﴿وَإِلَيْنَا ﴾ أي: إلى الجهةِ التي تُريدُها، لا يقدِرُ أَخَدُ غَيُرُنا أن يحوِّلُه إلى جهةٍ غَير ما). ((نظم الدر)) (٣٩٨/١٣).





= مثن اختار في التجملة أنَّ المرادَ بقوله: ﴿ وَلِيهِكُما ﴾ أي: على مَهلٍ، قَبضًا خفيفًا، جُزَّا الخَزْاء المِ وشيئًا بعُدَّ نَبيء لا تَفعة واحدةً: السعرقندي)، (۲/ ۵۰)، ((نفسير الزمخشري)، (۲/ ۲۸/۳۸)، وابن عثيمين. يُنظر: ((نفسير السعرقندي)) (۲/ ۲۰)، ((نفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۸/۳۸)، ((نفسير الخازن)) (۲/ ۲۱۰)، ((نفسير ابن جزي)) (۲/ ۸۶)، ((نفسير القاسمي)) (۷/ ۲۳۶)،

قال ابنُ كَيْئَةَ (وقولُه: ﴿ وَقَصَّا يَعِيرًا ﴾ إنى: حفيًا؛ لأنّ الظلّ بعد غروب الشّمي لا يذهبُ كُلُه دَفعة واحدة، ولا يُقبلُ الظلامُ كُلُّه جملة، وإنما يَقيضُ الله جلَّ وعزَّ ذلك الظلَّ قَبضًا حفيًّا شَيئا بعد شيء، ويُعقبُ كُلَّ جزء من يَقيضُه بجزء من سواد الليل حتى يذهبَ كُلُه. فدلً الله عز وجلً بهذا الوصف على قدرته ولطفه في معاقب بين الشمس والظلَّ واللَّيل؛ لمصالح عباده وبلاوه. وبعضُهم يجعَلُ قِنصَ الظلَّ عندَ نَسخِ الشَّمسِ إنَّاه، ويجعلُ قَولَه: ﴿ قَصَّا يَشِيرًا ﴾ أي: سهلا خفيفًا على وهو وجه، غيرَ أنَّ التفسيرَ الأوَّلُ أَجمَعُ للمعاني، وأشبُه بما أواد). ((تأويل مشكل الذة آن) (هر . 191).

وممَّن اختار أنَّ المرادّ بقولِه: ﴿ يُصِيرُا ﴾: أي: خفيًّا سريمًا: ابنُ جرير، ومكِّي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١/ ٢٤٤)، ((الهداية الى بلوغ النهاية)) لمكي (٢٣٢/٨).

وقال ابنُ جرير: (وقُولُه: ﴿ فَمُ قَضَّتُكُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَمِيرًا ﴾ يقولُ تعالى ذِكُوه: ثَمَّ تَبَشَنا ذلك اللَّلِيلَ مِنَ النَّسَسِ على الظُّلُّ إِلِنا قَبضًا خَفِيًّا سَرِيعًا بالغَيءِ الذي تأتي به بالعَبْشِيُّ. ((تفسير ابن حرد) (١/١٤/١٤).

وقال ابن عنيمين: (إذا قُلُنا: الظَّلُّ مَا بِينَ طُلوعِ النَّجِرِ أَوْ مَا بِينَ وَقَتِ الْاَسْفَارِ إلى وَقَتِ الشَّمسِ، فإنَّه يُقِيَّضُ هذا الظُّلُّ مَينًا فسَينًا، لا يزالُ التُّورُ يُسطَّعُ تدريجيًّا حتى تطلُّعُ الشَّمسُ. هذه واجِدةً.

وإذا قُلْنا: المرادُ به اللَّلُ، فهو أيضًا يُقتَضُ شَيئًا فشَيئًا، يعني: لا يكونُ اللَّيلُ في هذا اليومِ الثَّق عَشْرةَ سَاعَةَ ويكونُ يُسَعَ سَاعاتٍ في اليوم الذي يليه، وإنَّما يُقتَصُ شَيثًا فشيئًا.

كذلك إذا قُلنا: إنَّ العرادَ بالظُلْ ظُلُ الشَّاحِصُ، فهو نفْسُ الشَّيِء؛ إنَّما يتناقَصُ شَيئًا فيها إشكالُ، في الآية إشكالُ سِوى قولِه: ﴿ ثُمُ تَفَشَّتُ إِلَيْنَا فَضَايَدِ بِرًا ﴾، ﴿ إِلْيَنَا ﴾ هذه الغاية فيها إشكالُ، لأنَّه كان مِن المُمكِنِ أن يَقتَصِرَ على قولِه: ﴿ تَقَضَاء فَيضًا يَسِرًا ﴾، فما الحِكمةُ مِن هذه الغاية في قولِه سُبحانَه وتعالى: ﴿ فَتَضَمَّتُهُ إِلْمَنَا قَصَالَيْهِ رَا هِهِ؟





﴿ وَهُوَ الَّذِي جَمَلَ لَكُمُ الَّذِلَ لِمَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَمَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ۞﴾. مُعاسَبُهُ الآية لِما قبلَها:

مُناسَبَةُ الانِقالِ مِن الاستِدلالِ باعتبارِ أحوالِ الظَّلِّ والضَّحاءِ إلى الاعتِبارِ بأحوالِ اللَّيلِ والنَّهارِ: ظاهِرةٌ؛ فاللَّيلُ يُشبِهُ الظَّلَ في أنَّه ظُلمةٌ تَعقُبُ نورَ الشَّمسِ'').

وأيضًا لَمَّا تَضَمَّنتُ هذه الآيَّةُ اللَّيلَ والنهارَ؛ قال مُصَرِّحًا بهما دليلًا على الحَقِّ، وإظهارًا للنَّعمةِ على الخلْق^(٣):

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِيَاسًا ﴾.

= بعضُهم يرى أنَّ الضَّمرَ في قولِه: ﴿ فَهَسَّنَهُ ﴾ أي: الشَّمسَ، باعتبارِها دَليلًا، ﴿ ثُمَّرَ جَمَلَنَا الشَّمْسَ عَلَيْو دَلِيلاَهِ، أي: تَبَضْنا هذا الدَّلِيلَ ﴿ إِلَيْنَا قَشَا يَسِيرًا ﴾.

وعلى كلَّ حالِ يُوجَدُّ احتِمالُ أَنَّه يَجِعَلُ السَّرادَ بِقرلِه: ﴿ فِتَهَسَّمُنَا إِلَيْنَا ﴾ يعني: الذَّليلَ، أي: الشَّمسَ، ويكودُ العرادُ بالقَبِصِ إليه ما آشار إليه النيُّ عليه الصَّلاةُ والشَّلامُ في قولِه في حديث أبي ذرُّ: «فإنَّها تَلَدُبُ حتى تسجُدُ تحت العَرشِ، [البخاري (١٩٩٧) وصلم (٥٥٧].

ويرجَدُ احتِمالُ ثالِثُ ذهب إليه الزمخشريُّ، وقال: إنَّ المرادَ بالقَبْضِ هنا ما ذكرَه اللهُ بقوله: ﴿إِذَا النَّشَرُ كُوْنِدُ * رَبِنَا الشَّرُمُ النَّكَرَدُ ﴾ [التكوير: ١٠ ٢)، وإنَّ العرادَ به قَبْضُ هذه التَّجَابِ

- الشَّمس وغيرها- يوم القيامةِ، ويَحَمَّل السِيرَ ليس صفةً للقبْضِ، يعني: أنَّه يكونُ مُنِنَا فنينًا،

بل هو صِفةٌ للفِعل، يعني أنَّه يميرٌ عليه، تقوله تعالى: ﴿ وَلَانَ حَدَّرُ مَنْكَ عَلَيْكَ اللَّهِ اللَّهُ على اللَّهُ عليه وسلَّم، ((انشير ابن عليمن سودة المرقون) (ص: ١٩٥٥) (ص: ١٩٦٥).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٤).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٣٩٩).





أي: واللهُ هو الذي جعَلَ لكم اللَّيلَ -أَيُّهَا النَّاسُ- غِطاءً وسِترًا يَستُركم ويُغشِّيكم بظَلامِه''⁽⁾.

كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا أَيُّلَ لِبَاسًا ﴾ [النبأ: ١٠].

وقال سُبحانَه: ﴿وَالَّتِلِ إِذَا يَنْشَىٰ ﴾ [الليل: ١].

﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾.

أي: وجعَل اللهُ لكم النَّومَ قاطِعًا لحركتِكم وأشغالِكم، فتستريحُ به أبدانُكم(٢).

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۶۵)، ((تفسير القرطبي)) (۳۸/ ۳۸)، ((تفسير ابن عاشور)) (۹/ ۶٤، ۶٥)، ((أصواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ۲۰).

قال ابنُ عثيمين: (وهل هو لباسٌ للأرضي أو لباسٌ لئا؟ للجميع؛ لأنّه يكسو الأرضَ، ويكسو الانسانَ في الواقع، فهو كاسٍ للأرضي، وكاسٍ أيضًا للإنسانِ). ((نفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: 194).

(۲) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) ((۲) ((تفسير القرطمي)) (۳۸/۱۳)، ((نفسير ابن كثير)) (۱۱٤/۱)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۸۵۵)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ۲۵)، ((نفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ۲۹۱، ۲۹۰.

قال التَّسْتَعِيشَ: (وأَمَّا جَسَلُهُ لِهُمْ التَّوَّ مُسِنَّا، فاتَحَرُّ العَفْسُرِينَ على أَنَّ العرادَ بالشباتِ: الزَّاسَةُ مِن تَعَبِ العَمْلُ بِالنَّهَارِ و لاَنَّ التَّوَمُ يَعَطُّمُ العَمْلُ النَّهَارِيَّ، فِينَقَطِعُ بِهِ الثَّعْبُ، وتحصُّلُ الاستراحةُ كما هو معروفٌ...). ((أضواء البيان)) (1/ ۲۰)،

معنّ اختار أنّ المرادّ بالسّبات: الراحةُ: ابنُ جرير، والسموتنديُّ، والثعانيُّ، والثعانيُّ، والواحديُّ، والواحديُّ، والسمانيُّ، والنخارُّ، وابنُ كثير، وجلالُ الدينِ المحانيُّ، وابنُ عاشور. يُنظر: ((نفسير السموقدي)) المحانيُّ، وابنُ عاشور. يُنظر: ((نفسير السموقدي)) (١٤٠٤)، ((نفلية الى بلوغ النهاية)) لمركز ((نفسير السموقدي)) ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٧٨١)، ((نفسير السماني)) (٢٣/٤)، ((نفسير البنوي)) (٤٣/٤)، ((نفسير النمير)) (٤٣/٤)، ((نفسير السمير)) (٤٣/٤)، ((نفسير السمير)) (٤/١٤)، ((نفسير السمير)) (٤/١٤)، ((نفسير السمير)) (٤/١٤)، ((نفسير الجلالين))





كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُرُ سُبَانًا ﴾ [النبأ: ٩].

﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾.

أي: وجعَل اللهُ لكم النَّهارَ حَياةً بغدَ نَومِكم الذي يُشبِهُ الموتَ، ويَقَظَةً تَنتَشِرون في ضيائِه لطَلَبِ الأرزاقِ''.

كما قال تعالى: ﴿ رَجَعَلُنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَثَيّنِ ۗ فَمَحَوْنَا عَايَةَ النَّيلِ وَجَعَلُنّا عَايَةَ النَّهَارِ شُعِيرَةً لِنَتَغُواْ فَضَلا مِن نَرِيكُمْ ﴾ [الإسراء: ١٣].

وقال سُبحانَه: ﴿ لَقُهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُّ الْبَلَ لِتَسْتُكُولُ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُتَّصِدًاً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلِ عَلَى النَّاسِ وَلَدِينَ أَكَثَمُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر: 11].

= ومثّن قال في الجملة: إنَّ المرادّ: بَسُبُّ النائمُ حَثّى لا يَمِقِلَ كَانَّه مِنِّدٌ: مقاتلُ بن سليمان، ويحيى بنُ سلام، يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٣٣٦/٣)، ((تفسير يحيى بن سلام)) (١/ ٤٨٤).

قال الزمخشريُّ: (والسُّباتُ: الموتُ. والمَسيوتُ: الميتُ؛ لآنَّه مقطوعُ الحياةِ). ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٣).

وقال الشنقيطيُّ: (وإيضاعُ كلامِه: أنَّ الشَّورَ هو الحياةُ بعد الموتِ...، وعليه فقولُه: ﴿ وَبَهَمَلُ الْهَارَ تَشُورًا ﴾، أي: حياةً بعد الموت، وعليه فالموتُ هو المعبَّرُ عنه بالشَّباتِ في قوله: ﴿ وَزَالْتَهُمُ سُبَاتًا ﴾، وإطلاقُ الموتِ على النَّوم معروفٌ في القرآنِ العظيمِ. ((أضواء البيان)) (1/ 17) وقال ابن عاشور: (وفشر الزمختريُّ الشُباتَ بالموتِ على طريقة الشَّسية البليغ، ناظرًا في ذلك إلى مُقاتِلِه بقوله: ﴿ وَمِتَعَلَ الثَّهَارُ تَشُورًا ﴾). ((فسير ابن عالم وزي) ((/ / 1))

وقال البقاعي: (هُؤَوَالَّتُوَمُّ شَيَّاتًا ﴾ أي: نومًا وسكونًا وراحةً، عبارة عن كويْه مونًا أصغرَ طاويًا ليما كان مِن الإحساس، قطمًا عمَّا كان مِن الشَّعورِ والتقلَّبِ، دليلًا لأهلِ البصائرِ على المعوتِ). ((نظم الدرر)) (۲۹۹/۱۳).

(۱)يُنظر: ((نفسير ابن جرير)/(۲/۱۱)، ((الوسيط)) للواحدي (۳/ ۴۶۲)، ((نفسير الفرطبي)) (۳۹/۱۳)، ((نفسير ابن کثير)) (۲/ ۱۱٤)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۵۸٤)، ((نفسير ابن عاشور)) (۲/ ۵).





وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبأ: ١١].

وعن حُديفةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا أراد أن ينامَ قال: باسمِك اللَّهمَّ أموتُ وأَخْيَا. وإذا استيقَظَ مِن مَنامِه قال: الحمدُ لله الذي أحيانا بعْدَ ما أماتَنا، وإليه النَّشورُ))().

﴿ وَهُوَ الَّذِينَ أَرْسَلَ الْإِيْحُ بُشَرًا بَتِكَ يَدَى رَحْمَتِهُ. وَأَرْلَنَا مِنَ السَّمَآ مَآهَ طَهُورًا ﴿ ﴾. مُناسَبُهُ الذِينَ لِما قَبْلَها:

لَمَّا دلَّ على عظَمتِه بتصَرُّفه في المعاني بالإيجادِ والإعدامِ، وخَمَّه بالإمانةِ والإحياءِ بأسبابٍ قريبةِ الْبَهَه التصرُّفُ في الأعيانِ بوشلٍ ذلك؛ دالًّا على الإمانةِ والإحياءِ بأسبابٍ بعيدةٍ، وبدأه بما هو قريبٌّ لِلطافةِه مِن المعاني، فقال؟:

﴿ وَهُوَ الَّذِي ٓ أَرْسَلَ الرِّينَعَ لِمُثْرًا بَيْنِ كَ يَدَى رَحْمَتِهِ ، ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسيرِ:

١ - قراءة ﴿ بُثَرًّا ﴾ أي: تُبشَّرُ بالمطَرِ (٣).

٢- قراءةً ﴿ نَشْرًا ﴾، قيل: المرادُ: يُرسِلُ الرَّياحَ حياةً، أي: تحيا بها البلادُ الممينةُ. وقيل: أي: تهبُّ مِن كُلُّ وجهِ لجمعِ السَّحابِ الممطيرةِ. وقيل: النَّشُرُ مِن الرَّياح: الطَيِّةُ اللَّيَةُ النِي تُنشئُ السَّحابَ ٤٠٠.

⁽١) رواه البخاري (٦٣٢٤).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٠٠).

⁽٣) قرأ بها عاصم. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٢٦٩، ٢٧٠).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (٤٩/١)، ((الحجة)) لأبي علي الفارسي (٥/٥٤).

⁽٤) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٢٦٩، ٢٧٠).





٣- قراءة ﴿ نُشْرًا ﴾ جمعُ نُشُور، قيل: العرادُ: تنشرُ السَّحابَ وتَبسُطُها في السَّماء، وقيل: نُلُو المنقرَّقة، وهي الرّياعُ التي تهبُّ مِن كُلِّ ناحية (١٠).

٤ - قراءة ﴿ نُشُرًا ﴾ جمعُ نُشُورٍ، قيل: المرادُ: تنشرُ السحابَ، وتبسطُها في السماءِ. وقيل: متغرقة (٢).

﴿ وَهُوَ الَّذِي َ أَرْسَلَ الرِّينَعَ ابْشَرَّا بَيْكَ يَدَى رَحْمَتِهِ ، ﴾.

أي: واللهُ وحْدَه الذي أرسَلَ الرَّياحَ فَتَبَشَّرُ النَّاسَ بِمَجِيءِ السَّحابِ ونُزولِ المطَر قبلَ أن يفجَأَهم بنُزولهِ^(٣).

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٌ طَهُوزًا ﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

لَمَّا كان السَّحابُ قريبًا مِن الرَّبِحِ في اللَّطافةِ، والماءُ قريبًا منهما، ومُسَبَّبًا عمَّا تحمِلُه الريحُ مِن السَّحاب؛ أتَبَعَهما به، فقال(أ):

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٌ طَهُورًا ﴾.

= ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: ٥٥١)، ((الحجة)) لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٤٥)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٣٨٥).

(١) قرأ بها ابن عامر. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٢٦٩، ٢٧٠).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (٩٩/١)، ((تفسير البغوي)) (٩٩/٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٩/ ٣٤٦).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٢٦٩، ٢٧٠).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (۹/۱،)، ((تفسير البغوي)) (۲/۹۹)، ((الدر المصون)) للسمين الحلي (۴۶۹،).

 (٣) يُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (٤/١٧)، ((البسيط)) للواحدي (١٨٧/٩)، ((تفسير ابن كثير)) (١/١١٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٥٥)، ((تفسير ابن عاشور)) ((٢/١٩٤).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٠٠).





أي: وأنزَلْنا مِن السَّحابِ ماءَ المطَرِ، الطَّاهِرَ في نفْسِه، المطَّهِّرَ لِغَيرِه(١).

﴿ لِنُحْدِي هِهِ ، بَلْدَهُ مَيْنَا وَنُسْقِيَهُ. مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَنَمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ١٠٠٠ ﴾.

﴿ لِنُحْدِي بِهِ. بَلْدَةُ مَّيْنَا ﴾.

أي: لِنُحييَ بالمطَرِ أرضًا مُجدِبةً لا نباتَ فيها(١).

كما قال تعالى: ﴿ وَقَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِنَّا أَزَلْنَا عَلَيْهَ ٱلْمَاتَّ ٱهْتَزَتْ وَيَبْتُ وَأَشْبَتُتْ مِن كُلِّ زَنْجَ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥].

وقال سُبحانَه: ﴿ وَمِنْ مَايَنِيهِ أَنَكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَيْشِمَةً فِإِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاتَة الْمَأَرَّتُ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ آخَيَاهَا لَمُشِي ٱلْمَوْقَ إِنَّهُم عَلِي كُلِّ مَتْيَو فِيرِّ ﴾ [فصلت: ٣٩].

﴿ وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَنَمُا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾.

أي: ونُسقِيَ بالمطَرِ كثيرًا مِمَّا خلَقْنا مِن الأنعامِ والنَّاسِ، فيَشرَبون مِن ماءِ المطَرِ، ويَسقُونَ به زُروعَهم".

كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي ٓ أَنْزِكَ مِنَ ٱلسَّمَآ مَأَةٌ لَكُمْ يَنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ شِيمُونَ ﴾ [النحل: ١٠].

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَتُهُ يَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَنَّ أَكْنَ أَلْنَاسِ إِلَّا كُفُورًا ۞﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٦٧/١٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٤٠١/١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٤٧/١٩).

(۲) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۱۷/۲۱)، ((نفسير القرطبي)) (۲/۱۳)، ((نفسير ابن كثير)) (۱/ ۱۱)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱۸ (۱۸).

(٣) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٦٧)، ((نفسير البيضاوي)) (٤/ ١٢٧)، ((نفسير ابن كثير)) (٦/ ١٥٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢/ ٢/ ٤٠٤، ٣٠٤)، (زفسير ابن عاشور)) (٩/ ٨/٤٩).





مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاةِ مَلْهُولًا ﴾، وعلَّه بحياةِ البَلدةِ المَيْنَةِ، وسَفْيِ بعضِ الأنعامِ وَبَعضِ الأَناسيِّ، عُرِف أَنَّ ذلك كان بقَدْرِ الاحتياجِ، ولا بدَّ مِن قادرٍ مُختارٍ عالِم بجُزئيَّاتِ أحوالِ المَخلوقِينَ، حتَّى يُحوَّلَ إلى كُلُّ مِن ذلك ما يَحتاجُ إليه''؛ فقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَنَهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ﴾.

أي: ولقد قسَّمْنا ماءَ المطَرِ بيْن النَّاسِ؛ لأجْلِ أن يتذكَّروا ويعتَبِروا(٢٠.

(١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٥٩).

(۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) ((۲۸/۸۱۶)، ((تفسير السمعاني)) (۲۰/۶)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۱۰، ۱۱۱)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۹۶، ۵۰)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۲/۲، ۲۲).

قال أبو حيان: (والضّميرُ في ﴿ صَرَّقَتُ ﴾ عائلٌ على الماء المتزّلِ بن السَّماءِ، أي: جتَلَنا إنزال الماءِ
تَذَكِرةَ بَانَ يُسرِقَهُ عَن بعضِ المواضِع إلى بعض، وهو في كلَّ عام بمقدارِ واحدِ، قاله الجمهورُ ؛
منهم: ابنُ مسعود، وابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، نعلى هذا التأويل ﴿ اللَّ كَثْمُورًا ﴾ هم قرقُهم بالانواءِ
والكواكِّبِ، قاله عِكْرهُ. وقبل: ﴿ كَثَنَا فَعَلَى عَلَى الأطلاقِ لَشَا تَزَكُوا النَّذَّكُرَ. وقال ابنُ عبَّاسٍ
إيضًا: عائدٌ على القرآنِ وإن لم يتقدَّمُ لِهِر. ﴾ للقرآنِ، ((فسير أبي حيات)) (١٦/٨/ ١١٨)هـ الوافَقِ

ممَّن اخَدار أنَّ الفسميرَ هَي قولهِ: ﴿ وَصُرَّقَتُ ﴾ يعودُ على المطْر: مقاتلُ بن سليمان، ويحيى بنُ سلام، وابنُ جوير، والزَجَّاجُ والتعليُّ، وتكُّيِّ، والواحليُّ، والرازيُّ، وأبو حَيَّان، وأبنُ كثير، والشتيطيُّ، يُنظِّر: ((نفسير مقاتل بن سليمان)) (۲۲ / ۲۳۷)، ((نفسير يحيى بن سلام)) (۱/ ۱۵۵)، ((نفسير ابن جوير)) (۲۲ / ۱۵۹)، ((نامياتي القرآن وإعرابه)) للزجاج (۴/ ۲۷)، ((نفسير التعليي)) (۲/ ۱۶۰)، ((الهذاية الى بلوغ النهاية)) لمكني (۲/ ۲۳۲ه)، ((الوسيط)) للواحدي كثير)) (7/ ۱۵)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (7/ ۲۲)،

ونسَب السمعانيُّ هذا القولَ إلى أكثرِ أهل التفسيرِ. يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٢٥/٤). =





﴿ فَأَنَّ أَكَثُرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾.

أي: فلمْ يتذَكَّرْ أكثَرُ النَّاسِ بتَصريفِ اللهِ للمطَّرِ، وأَصَرُّوا على الكُفرِ باللهِ، وجُحودِ نِعَيه، وإنكارِ قُدرتِه وحِكمتِه'').

= ومئمن قال بهذا القول بن السلفي: عبدُ الله بنُ مسعودِه وابنُ عبَّاسِ، ومجاهدٌ، وابنُ زَبِيه. ويحُكِمهُ: يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (٤٦٨/١٧)، ((نفسير ابن أبي حاتم)) (٢٧٠٦/٨)، ((الدر المنثور)) للمسيوطي (٢٦٤/٢).

قال الشنقيطيُّ: (المعنى: ولقد صوَّقنا ماه المطرين الناس؛ فأنزَلُنا مطرًا كثيرًا في بعض الشينَ على بعض البلاد، ومَنْنا المطرّ في بعض السِّينَ عن بعض البلاد، فيَكثُرُ الخِصِبُ في بعضِها، والجدبُ في بعضها الآخر. وقولُه: ﴿فِلْقَلَّمُوا ﴾، أي: صوَّفناه يشَهم لأَجْل أن يَتذكُروا، أي: يتذكّر الذين أخصبَتُ أرضُهم لكرة المطرِّ نعمة الله عليهم، فيَشكُروا له، ويتذكّر الذين أجدبت أرضُهم ما نزّل بهم مِن البلاء، شِادِروا بالنَّويةِ إلى الله جلَّ وعلا؛ لِير حمّهم ويَسقيهم). ((أضواء البيان)) (راسر).

وقيل: المرادُ بقولِه: ﴿ مُرَقَّتُهُ ﴾: أي: القرآنَ. وممَّن اختاره: القرطبيُّ، والثعالبُّ. يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (۷/۵۷)، ((تفسير الثعالبي)) (۲۲۲۶).

وممَّن قال بهذا القول من السلف. عطاءً الخُراسانيُّ يُنظر: ((فقسير ابن أيي حاتم)) (۲۰۷۷). وقيل: ﴿وَمَرَقَتُهُ ﴾ أي: هذا القولَ، وهو ذكرُ إنشاء السَّحابِ، وإنزالِ المطر. ومَّن اختاره: الزمخشريُّ، والقاسميُّ، يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۳ (۲۸ه)، ((نفسير القاسمي)) (۲/ ۲۵ه). ((نايُنظر: ((نفسير ابن جوير)) (۲/ ۲۵۵)، ((نفسير الماتريدي)) (۸/ ۳۲)، ((نفسير ابن کير)) =





كما قال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ بَرُواْ أَنَّ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ ٱلسَّنَوُنِ وَٱلْأَرْضَ صَاوِرٌ عَلَىّ أَن يَخْلُقَ مِثْلُهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجُلَا لَارْبَ فِيهِ فَأَن ٱلظَّلِمُونَ إِلَّا كُمُورًا ﴾ [الإسراء: ٩٩].

وقال سُبحانَه: ﴿ وَجَعْمَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ ثَكَلَّةِ بُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٦].

وعن زَيدِ بنِ خالدِ الجُهَنَيِّ رَضِيَ الله عنه، قال: ((صلَّى بنا رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم صلاةَ الصُّبعِ بالحُدَنْيِيَةِ في إثرِ السَّماءِ(`` كانت من اللَّيلِ، فلمَّا انصرفَ أقبَلَ على النَّاسِ، فقال: هل تَدرُونَ ماذا قال رَبُّحَم؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ، قال: قال: أصبَحَ مِن عِبادي مؤمِنٌ بي وكافِرٌ؛ فأمَّا مَن قال: مُطِرْنا بفَضلِ اللهِ ورحمتِه، فذلك مؤمِنٌ بي كافِرٌ بالكوكَبِ، وأمَّا مَن قال: مُطِرْنا بنَوءِ '` كذا

= (١١٦/٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٠)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١٦٣٦).

قال النحاسُ: (لا يُعلَمُ بِينَ أهلِ التَّنسِيرِ اخْتِلاتُ أنَّ الكُفَرَ هاهنا فُولُهم: مُطِيِّزنا بَنُوهِ كذا وكذا، وأنَّ نظيرَ، قُولُ السنجَّم: فقلَ التَّجمُ كذا وكذا، وأنَّ كُلِّ مَن نَسَبَ إليها فعلًا، فهو كافرًّ). ((إعراب الله آد)) (٢/١٤/٣).

قال ابنُ عشيسَنَ: (ومِن الكُفرِ بهذا المطَّرِ... أن يجعَلُ ذلك سببًا للاَشْرِ والبطَّرِ، وشُما يحصُّلُ مِن بعض الناسِ: إذا نزلَتِ الأمطارُ وكثُرت الأبيارُ صارت سببًا لأشّرِه وبطَّره وفُسوقِه، فهذا من أسبابه. ومِن أسبابِ الكُفرَ إيضًا: أنَّه إذا استَّم المطَّرُ صار استناعُه سببًا لفَّنو لِح الإنسان مِن رحمةِ الله سبحانه وتعالى، والفُّنوطُ مِن رحمةِ الله مِن كبائرِ الذنوبِ، وليس بالأمرِ الهَيِّرَ؛ فلا يجوزُ للإنسانِ أن يَفَطُ مِن رحمةِ الله، ولا أن يأمَنَ مَكرَ الله، لا هذا ولا هذا). ((نفسير ابن عثيمين – صورة الفرقان)) (ص: ٢١٦).

 (١) إثر الشّماء أي: بغد تُزول مطر. والأثرُ: هو ما ينقُبُ الشيءَ، والسماءُ: المطرُ، وأطلِق عليه سماءُ لكونه ينزلُ مِن جهة السماء، وكلُّ جهةٍ علو تُسمَّى سماءً، يُنظر: ((المفاتيح في شرح المصابيح)) للمظهري (٩٩/٥)، ((فتح الباري)) لإبن حجر (٢٣/٥٣).

(٧) مُطِرنا بَنَوه كذا: أي: يُمُقوطِ نَجم وطُلوعِ نظيرِه، (والأنواءُ): ظهورُ الكواكب، أو منازل الفَمَر في الشّماء، وكانت العربُ تزعُمُ أنَّ بسقوطِ المنزلةِ وطلوعِ رقبيها يكونُ مطرُّ، ويُنسبونه إليها، فيقولون: مُطِوّنا بَنَوهِ كذا. وإنَّما شُمْعيَ نَومًا؛ لأَنَّه إذَا سقَطَ السَّاقِطُ منها بالمَعْرب ناه الطَّالم





وكذا، فذلك كافِرٌ بي مؤمِنٌ بالكوكَب))(١).

﴿ وَلَوْ شِنْمَنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّي قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۞﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا عَلِمَ تعالى ما كابَدَه الرَّسولُ مِن أَذَى قَومِه! أَعْلَمُه أَنَّه تعالى لو أراد لَبَعثَ في كلَّ قرية نذيرًا فيُخفَّفُ عنك الأمرَ، ولكنَّه أعظَمَ أجرَك وأجَلَّك؛ إذْ جمَلَ إنذارَك عامًّا للنَّاسِ كلِّهم، وخَصَّك بذلك؛ لِيَكثُرُ ثوابُك؛ لأنَّه على كثرةِ المجاهَدةِ يكونُ النَّوابُ، ولِيَجمعَ لك حَسَناتِ مَن آمَزَ بك؛ إذْ أنت مُؤَسِّسُها^{(١٠}).

وأيضًا فهذه الآيةُ مَتَصِلةٌ بقَولِهِ تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّيْنَ كَفَوْا لَوْلَا ثَيْلَ عَلَيْهِ الْفُرْانُ جُنْلَةً وَعِيدَةً ﴾ [الفرقان: ٣٦] الآية، فبقد أن بيّن إيطال طَعنهم، فقال: ﴿ كَنَاكُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وَأَشَار إلى السَّفَهم، ثم انتقلَ إلى استهزاء المُشرِكين بالنبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّم، وأشار إلى تحرَّج النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّم، وأشار إلى تحرَّج النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وأشار إلى تحرُّج النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وأشار إلى

وقال ابن باديس: (للّمَا تِينُ مِن الآياتِ المتقدِّمةِ ما كان يُكايِدُه النَّجِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم مِن اذَيَّة قَوْمِه، وما كان يُلقاء مِن مُكابريقهم للحقِّ، وتعتَّهم بالباطل، وما كان يُعانهِ مِن الجَهدِ الجَهدِد في إنفارِهم، وتبليغ وين اللهِ تعالى إليهم، وهو في ذلك كلَّه جاهدٌ في القبام بتبليغ الأمانة، ناهِضَّ بأعباء الرُّسالةِ، ماضى في تلك السيل، وليس معه بن نذيرٍ، وقد كان ذلك مما تَفَشَّعُ له القُوى البشريَّةُ لولا تأيدُ مِن اللهِ- قَراد تعالى في هذه الآيةِ أن يُبْتِحَ في مقامِه، ويُؤيِّته في انفراوه، فيُسِّنُ له أَنَّ تخصيصَه بالقيام هذا المقامَ العظيمَ هو لأَجْلِ تعظيمِه وتكريمِه، وتخصيصِه بالأجرِ الكثيرَةِ، والثواب الذي ليس له مِن ميل). ((نفسر ابن باديس)) (ص: ١٥٥٥).

⁼ بالمشرِقِ، أي: نهضَ وطلَعَ. يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٦/ ٢٤١٥) (٧/ ٢٩٠٦).

⁽١) رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١) واللفظ له.

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١١٧).





مَنِ أَتَغَدَ إِلَيْهَ أَهُ هُوَنُهُ أَفَأَتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣]. وتسلسَلَ الكلامُ بضَربِ المثلِ بمدً الظُلُ وقبضِه، وبحالِ اللَّيلِ والنَّهارِ، وبإرسالِ الرَّياحِ، أمارةً على رحمةٍ غَيثه الذي تحيا به المَواتُ، حتى انتهى إلى قولِه: ﴿ وَلَوْ سَلْنَا أَمَانَ فِي حَلِي وَلَيْهِ سَلْنَا فِي حَلِي اللهِ الذي تحيا به المَواتُ، حتى انتهى إلى قوله: ﴿ وَلَوْ سَلْنَا فَهُمُ اللهِ وَلَوْ سَلْنَا فَي مِلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُولِ اللهُ ا

﴿ وَلَوْ شِنْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّي قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿ ﴾.

أي: ولو شِنْنا لجعَلْنا في كُلِّ مدينةٍ رَسولًا يُنِذِرُ النَّاسَ عَذابَ اللهِ ويَدْعوهم إليه، ولكِنَنا خَصَصْناك -يا محمَّدُ- بالرِّسالةِ إلى جميع النَّاس'''.

كما قال تعالى: ﴿ وَلُوحِيَ إِنَّ هَنَا ٱلْقُرَّمَانُ لِأَنْدِرَكُمْ بِدِ. وَمَنْ بَلَهُ ﴾ [الأنعام: 19]. وقال سُبحانَه: ﴿ وَلِنُسْذِرُ أُمَّ ٱلْفُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَىٰ ﴾ [الأنعام: 97].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وعن جابِر بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ رَضِيَ الله عنهما، أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليه وسكَّم قال: ((أُعطِيتُ خَمسًا لم يُعطَهنَّ أَحَدٌ قَبلينِ... وكان النبُّيُ يُبعَثُ إلى

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥١، ٥١).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٧٠)، ((تفسير القرطبي)) ((١٨/ ٥٥/)، ((تفسير ابن كثير)) (١٦٢/١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٨٥٥)، ((أصواء البيان)) للشقيطي (١/ ١٤٤).





قَومِه خاصَّةً، وبُعِثتُ إلى النَّاس عامَّةً))(١).

﴿ فَلَا تُعِلِعِ ٱلْكَنْفِرِينَ وَجَنْهِدْهُم بِدِء حِهَادًا كَبِيرًا ۞﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبِلَها:

لَمَّا بَيَّنَ سبحانَه لنبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم ما خَصَّصَه به مِن الكرامةِ؛ دعاه إلى مُقابَلةِ ذلك بعدَم طاعةِ أهل الكُفرِ، والنَّباتِ على جهادِهم بالقُرآنِ(").

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَنْفِرِينَ ﴾.

أي: فلا تُطِع الكافرينَ -يا محمَّدُ- فيما يَدْعونَك إليه مِن عبادةِ آلهِتِهم، أو في تَركِ شَيْءٍ مِمَّا أُرْسِلْتَ به ٣٠.

كما قال تعالى: ﴿ وَلَا نُطِعْ مَنْ أَغَفَلْنَا قَلْبُهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَنهُ وَكَاتَ أَمُرُهُ, فُولًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال سُبحانَه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَلْنَا عَلِيَكَ ٱلْقُرْيَانَ تَنزِيلًا * فَاصْبِرْ لِيشَكِّم رَبِكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ عَايشًا أَوْ كَشُورًا ﴾ [الإنسان: ٣٣، ٢٤].

﴿ وَجَنهِ دُهُم بِهِ ، جِهَادًا كَبِيرًا ﴾.

أي: وجاهِدِ الكافرينَ -يا محمَّدُ- بالقُرآنِ جِهادًا شَديدًا بكُلِّ طاقتِك بلا فُتورِ؛ نُصرةً للحَقِّ، وقمعًا للباطِل(1).

⁽١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٧).

 ⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٧٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٥٨)، ((تفسير السعدي))
 (ص: ٨٤٥).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ٤٧٠)، ((الوسيط)) للواحدي (۳۲ ٣٤٣)، ((تفسير القرطبي)) (۵۸/۱۳)، ((تفسير ابن کثير)) (٦١٦/١، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٤)، ((أضواء =





﴿ وَهُو ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحَرَيْنِ هَلَنَا عَلَٰتُ قُرَاتٌ وَهَلَنَا مِلْحُ لَٰجُحٌ وَجَعَلَ يَنَهُمَا بَرَهَا وَجِجْرًا تَحَجُّرًا ۞ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

هذه الآيةُ عَودٌ إلى الاستِدلالِ على تفرُّدِه تعالى بالخَلق (١).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾.

أي: واللهُ وحْدَه هو الذي أرسَل البَحرينِ وخلَّاهما، لا يَختلِطُ أحدُهما بالآخَو^(۱).

⁼ البيان)) للشنقيطي (٦/ ٦٤).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير البغري)) (٣/ ٢٥٤)، ((تفسير القرطبي)) (٨/ ٢٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٣/ ٢٠ ٤)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٩٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٢/ ٢٥).

قال الشنقيطيُّ: (اعلمُ أنَّ لفظةَ: مرَج، تُطلَقُ في اللُّغةِ إطلاقين:

الأوَّل: مرَج بمعنى: أرسَلَ وخلَّى، ... وعلَّى هذا، فالمعنَّى: أرسَل البحرينِ وخلَّاهما، لا يختِلطُ أَحَدُهما بالآخَر.

والإطلاقُ النَّابي: مرَّج بمعنى: خلقه ومنه قولُه تعالى: ﴿ فَأَثَرَ مَرِيجٍ ﴾ [ق: 8]، أي: مختلِط. فعلى القول الأوَّل: فالمرادُ بالبحرين: الماهُ القنبُ في جميع النَّبا، والعامُ البطاعُ في جميعِها. وقولُه: ﴿ فَكُنَّا عَلَىٰ الْوَاتِي المَّيْفِ المَّالِمِيْ والأنهارِ والعيونِ في أقطارِ النَّبا. وقولُه: ﴿ وَفَكَا عِلَّمُ كُلِّحَ اللهِ المَّالَةِ المِلْمُ كَالبحرِ المُحجِلِ وغَيره مِنَّ البحارِ أَتَّي هي مِلمَّ أُجاجً، وعلى هذا النَّفَ اللهُ المُكالَ.

وائمًا على القول الثّاني -بانَّ مرّ - بمعنى خلَط - فالمعنى: أنَّه يوجَدُ في بعض المواضع إختلاطُ الماء العلج والماء المَذبِ في مجرَى واحدِ، ولا يَمتلِطُ أحدُهما بالأخرِ، بل يكوذُ بينهما حاجزٌ مِن تُدرة الله تعالى، وهذا محقَّقُ الرَّجودِ في بعضِ البلادِ... فسبحانَه جلَّ وعلا ما أغظمَه، وما أكمَلَ تُعرتُه!). ((أضواء البيان)) (1/ 70)

ممَّن اختار في الجملةِ المعنى الأوَّلَ، أي: أرسَلَهما وخلَّاهما مُتجاورينِ مُتلاصقينِ: =





﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحُ أَجَاجٌ ﴾.

أي: أحدُهما شَديدُ الحَلاوةِ، والآخَرُ شَديدُ الملوحةِ والمرارةِ(١).

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَنَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَالِغٌ شَمَرُالِهُ, وَهَذَا مِلْحُ أَجَاجٌ ﴾ [فاطر: ١٧].

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَنَا وَجِجْرًا تَخْجُورًا ﴾.

أي: وجعَلَ اللهُ بقُدرتِه بيُّنهما حاجِزًا، ومانِعًا حصينًا يمنَعُهما منعًا شديدًا مِن

= الزمخشريُّ، والرازيُّ، والبيضاويُّ، والنسفيُّ، وأبو السعود، وجلالُ الدين المحليُّ، والقاسميُّ، يُنظرُ : ((تفسير الزمخشري)) (۲۸/۲۳)، ((تفسير الرازي)) (۲۲/ ۲۶٤)، ((تفسير البيضاوي)) (۱۲/۲۶)، ((تفسير النسفي)) (۲/ ۲۶۵)، ((تفسير أبي السعود)) (۲/ ۲۳۵). ((تفسير الجلالين)) (ص: ۷۷۷)، ((تفسير القاسمي)) (۲/ ۳۳۵). ويُنظر أيضًا: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (۲/۲۷).

ومتَّن اختار المعنى الثَّاتِيّ -أنَّ مَرَّع بمعنى خلَطْ-: ابنُ جرير، ومكَّى، والسعائيُّ، والبغريُّ، والخازنُ. يُنظر: ((نفسير الن جرير)) (٤٧١/١٧)، ((الهداية الى بلوغ النهاية)) لمكي (٨/ ٥٣٢٥)، ((نفسير السعاني)) (٤/ ٢٦)، ((نفسير البغوي)) (٣/ ٤٥٢)، ((نفسير الخازن)) (٣/ ٣١١).

قال ابن عطية: (والذي أقولُ به في الآية: إنَّ المقصدَّ بها التَّنييُّ على قدرةِ الله تعالى، وإنقانِ خَلقِه للاشياءِ في أَنْ بَتُّ في الأرضِ بِيامًا عَذِيةً كَثِيرةً مِن أنهارٍ وعُيونِ وآبارٍ، وجعَلَها جِلالَ الأُجاحِ وجعَل الأُجاحِ جِلالَها، فتُلقَى البحرَّ قد اكتنتُتُ السائدُ المَذَيةُ في صَفَّيَه، وتُلْفى الساءً المَذَبُ في الجزائرِ ونَحوِها قد اكتنتُه الساءُ الأُجاحِ، فَيَنَّها هَكذا في الأرضِ هو خلطُها، وهو قولُه: ﴿هَرَيّمُ﴾]. ((نفسير ابن عطية) (٤/ ٢١٤).

وقال القرطبيُّ: (مرّج: خلَّى وخلَط وأرسَل). ((نفسير القرطبي)) (٥٨/١٣). ويُنظر: ((نفسير الشوكاني)) (٥/٤).

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ۷۷٪ ۵۶۰)، ((تفسير ابن کثير)) (1/ ۱۱۲)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (۲/۱۷)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۰)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ۵۵). ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۲/ ۲۵).





الامتِزاج والاختِلاطِ ببَعضِهما(١).

كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَكُ بَيْنِ ۖ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ [النمل: ٦١].

وقال سُبحانَه: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلَفِيَانِ * يَنْهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَغِيَانِ ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠].

> ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَلَهِ بَشَرَا فَجَعَلَهُ شَبًّا وَمِيهَزٌّ وَكَانَ رَبُّكَ فَذِيرًا ۞ ﴾. مُعاسَبُهُ الآيةِ لِما قَبِلَها:

لَمَّا ذَكَر تعالى قُدرتَه في مُنعِ الماءِ مِن الاختيلاطِ؛ أثبَمَه القُدرةَ على خَلطِه؛ لئلًا يُظنَّ أَنَّه مُمتَنِيًّ؛ تقريرًا للفِعلِ بالاختيارِ، وإبطالًا للقرلِ بالطَّبائع''.

وأيضًا فمُناسَبُهُ مَوقعِ هذا الاستِدلالِ بعْدَ ما قبلَه أنّه استِدلالٌ بدَقيقِ آثارِ القُدرةِ في تكوينِ المياهِ وجغلِها سببَ حياةٍ مُختلِفةِ الأشكالِ والأوضاعِ، ومِن أعظَيها دقائقُ الماءِ الذي خُلِقَ منه أشرفُ الأنواع التي على الأرضِ، وهو نطفةُ

(۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) ((۱۷ (۲۷، ۲۵)). ((نفسير الفرطمي)) (۹/۱۳) ه)، ((نفسير ابن کثير)) (۱۷/۲)، ((نفسير السمدي)) (ص: ۸۵٥)، ((افسواء البيان)) للشنقيطي (۱۲٫۲). قال ابن کثير: (وقولهُ: ﴿وَهَمُنَكُ يَنْتُهَا يُرْتَفَا وَيَجْرُكُ أَيْ: بِينَ العَذْبِ والعَالِحِ ﴿رَبَيْنَا﴾ أي: حاجزًا، وهو اليّشُ مِن الأرضي). ((نفسير ابن کثير)) (۱۷/۲).

وقالَ الشوكاني: (وقيلَ: معنَى فَحِجْرًا مَحْجُوراً ... أَنَهَا كلمةٌ يقولُها المُتَمَوَّذُهَ كَانُ كَلَ واحدِ من البحرَيْنِ يَتَمَوَّدُ مِن صاحِيه، ويقولُ له هذا القولَ. وقيلَ: حَدًا محدودًا. وقيلَ: السرادُ مِن البحرِ الدُّنبِ: الانهارُ العظامُ؛ كالنَّيلِ والفُراتِ وجَيْحودَ، ومِن البحرِ الأُجاجِ: البحالُ المشهورةُ، والبرزُجُ بينَهما: الحائلُ مِن الأرضِ, وقيلَ: معنَى حِجْرًا مَحْجُورًا، حَرَامًا مُحَوِّنًا أنْ يَمَدُّبُ هذا المالِحُ بالمذْبِ، أو يُمَكِّمَ هذا العذْبُ بالعالِح). ((تفسير الشركاني)) (ع/ 8/).

وتقدَّم ذِكْرُ المعنى النَّاني وهو اختلاطُ الماءِ الولحِ والماءِ العلبِ في مجرَى واحدٍ، دونَ امتزاجِ أحدِهما بالآخرِ.

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٠٨).





الإنسان؛ بأنَّها سببُ تكوينِ النَّسلِ للبشرِ؛ فإنَّه يكونُ أوَّلَ أمرِه ماءً، ثم يتخلَّقُ منه البّشرُ العظيمُ(١).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَلَّةِ بَشَرًا ﴾.

أي: واللهُ وحْدَه هو الذي خلَقَ مِن المَنيِّ إنسانًا ذكرًا أو أُنثى(٢).

﴿ فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾.

أي: فجعَلَ اللهُ الإنسانَ ذا نَسَبٍ، وذا صِهرٍ (٣).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/٥٥).

(۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۷۷۱)، ((تفسير القرطبي)) (۹/ ۹۹/ ۵۹)، ((تفسير ابن كبير)) (۱۷۷/۱)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۸۵۰)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ۵۰).

(٣) يُنظر: ((تفسير العاوردي)) (٤/ ١٥١)، ((تفسير البغوي)) (٢/ ٥٣)، ((تفسير ابن كثير)) (١١٧/١)، ((تفسير السعدى)) (ص: ٥٨٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٥).

مثن احتار أنَّ العرادَ بالنَّسِ سَبعةُ أصنافِ بن القرابةِ بجدمُها قولُه: ﴿ هُوَمَتَ عَلَيْتُ عُمْ الْمَنَا الْحَقْفِ ﴾ [النساه: ٢٣]،
الْمُكَندُ فَكُمْ وَمَنْ الْحَقْفِ وَمَنْ الْحَقْفِ ﴾ [النساه: ٢٣]،
وإنَّ العرادَ بالصهرِ حَسَّ، بجمعُها قولُه تعالى: ﴿ وَأَمْتَ يَشَكُمْ الْفَيْ الْمَنْ الْمَنْ اللهِ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ اللهُ اللّهِ فَي مُمُورِكُمْ مِن يُسَالِّكُمْ اللّهِ فَي مُمُورِكُمْ مِن يُسَالِّكُمْ اللّهِ فَي مُعُورِكُمْ مِن يُسَالِكُمْ اللّهِ فَي مُعُورِكُمْ مِن يُسَالِكُمْ اللّهِ فَي مَنْ اللّهِ فَي مُعُورِكُمْ مِن يُسَالِكُمْ اللّهِ فَي مَنْ اللّهِ فَي مُعْرَوِكُمْ مِن اللّهَ فِي مَنْ اللّهِ فَي اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللّهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ عَلَيْهِ اللّهُ اللّهِ اللهُ اللهِ عَلَيْهِ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

وقيل: المرادُ بالنّسي: الذي لا يحِلَّ يَحَامُه، والمرادُ بالصهور: الذي يحِلُّ نكامُه؛ وممَّن ذهب إلى ذلك في الجعلة: الفَرَاهُ - وقصَر الصَّهرَ على النَّسبِ الذي يحلُّ نكامُه، كبناتِ الممَّ والخالِ وأشباهِهنَّ - والكرماني، وابن الجوزي، يُنظر: ((معاني القرآن)) للقرَّاه (۲۷۰/۲)، ((تفسير الكرماني)) (۸۱/۲) ((تذكرة الأريب)) لإبن الجوزي (ص: ۲۵).

وقيل: المعنى: فقسَّم البَشَرَ قِسمَين: ذَوِي نَسَبٍ ذُكُورًا يُسَبُ إليهم، فيقال: فلانُ بنُ فلان، وفلانةُ بنتُ فلان. وذواتِ صِهرٍ، أي: إنانًا يُصاهَرُ بهنَّ. وممَّن ذهب إلى هذا المعنى في =





﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾.

أي: ولم يَزَلْ رَبُّك - يا محمَّدُ- مُتَّصِفًا بكَمالِ القُدرةِ، ومِن ذلك قُدرتُه البالِغةُ على خَلق ما يشاءُ (١٠).

= الجملة: الزمخشريُّ، والرازيُّ، والبيضاويُّ، والسفيُّ، والقاسمِيُّ، والألوسيُّ، يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٧)، ((نفسير الرازي)) (٤٣/ ٤٧٥)، ((نفسير البيضاوي)) (٢٨/ ٤٣٥)، ((نفسير السفي)) (٤/ ٤٥٤)، ((نفسير القاسمي)) (/ ٤٣٣)، ((نفسير الألوسي)) (٥/ ٢٥٠). وقيل: النَّسُّ أن يجتمعُ إنسانُ مع آخَرَ في أَبِ أَو أَمَّ، قُرْبَ ذلك أَو بعَدَ، والشَّهرُ هو الاختِلاطُ بالنكاحِ، ومثَّن اختاره: ابنُ عطية، وابنُ جُزي، يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٤/ ٢١٤)، ((تفسير ابن جزي)) (٢/ ٨٥).

وقال القرطبي: (النَّسَبُّ والصَّهرُ مَعنيانِ يعُمَّانِ كُلَّ قُرِين تكونُ بِينَ آدميَّينِ). ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٥٩).

وقال ابن عاشور: (﴿ لِلنَّبُمُ وَسِهُمُ ﴾ مصدران سمّي بهما صِنفانِ بن القرابة، على تقدير: ذا نسّب وصهى، وشاع ذلك في الكلام. والنسّبُ: لا يخلو مِن أَبُوّة ويُنوة وأخوة لأولئك، ويُنُوَّة المُولئك، ويُنُوَّة التلك الأخوّة. وأثنا الصّهرُ فهو: اسمّ لما بين العرو وبين قرابة زوجه وأقاربه مِن المَلاقق، ويُسمَّى النِّفاك أيضاً مُصاهرةً الآن يكن أمن جهتين، وهو آصرةً اعتباريَّة تتقرمُ بالإضافة إلى ما نُضاك إليه، فصهمُ الرجل قرابة أمرأته، وصهرُ العراقة قرابةً زوجها، ولذلك يقال: صاهرَ فَلانُ فَلاَنْ إذا تروَّجَ رض قرابته ولو قرابةً بعيدةً، كقرابة القبيلة. وهذا لا يخلو عنه البَشرُ المتروِّجُ وغيرُ المتروِّجِ). ((نضير بين عاشور)) (١٩/ ٥٥).

وقال ابن عليمين: (مِن كمالِ قُدرةِ الله سُبحانه وتعالى أَنْ عَلَقَ من الماءِ بَشُرًا، وقشّمه إلى قسمين؛ هما: النَّسبُ، والصَّهُو، أي الزوجيَّةُ، وهذه أسبابُ الصَّلةِ بين الناس؛ إمَّا صلةٌ بالولادة: النَّسبُ، أو بالنَّكاحٍ: وهو المصاهَرةُ). (انقسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٣٢٤) نصف ف س.

(۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲۷ (۷۷) ، ((نفسير ابن جزي)) (۲۱ / ٤٢)، ((نفسير أبي السعود)) (۲۲ / ۲۲)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۸۵۰)، ((نفسير ابن عاشور)) (۲۲ / ۵۰).

قال ابن عاضور: (هؤوَّكَانَ رَقِّكَ قَوْيَرُ ﴾، أي: عظيمَ القُدرة، إذ أوجَد بن هذا الماءِ خَلقًا عَظيمًا صاجبَ عَقلِ وتَفكير، فاختَصَ باتُصالِ أواصِرِ النَّسَبِ وأواصِر الصَّهِر، وكان ذلك أصلَ نظامِ الاجتِماع البَّدرِيُّ لتكوينِ القبائِل والشعوبِ وتعاريُنهم مثّا جاء بهذه الحضارةِ المرتقيةِ مع =







الغُوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- في قَولِهِ تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاةَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ أنّه ينبغي للإنسان ألّا يَجعَلَ النَّعَمَ أُمورًا عاديَّة لا يُدَّ منها، بل يُقدَّرُها بضِدَّها، فمتَلَلًا: طُلوعُ الشّمسِ على هذه الأخصِ وعُروبُها أمرٌ مُعتادٌ، ومِن أَجْلٍ كَونِه مُعتادًا لا يُجعَلُ الإنسانُ بأنّه نِفمةٌ، لكِنْ قَدْرْ هذا الشَّيءَ بضِدَّه ﴿ وَلَوْ شَاتَهَ لَجَعَلُهُ سَلَكًا ﴾، كذلك فإنَّ خُروجَ النَّفَسِ مِن جسمِ الإنسانِ أمرٌ مُعتادٌ؛ ولهذا لا يُحِسُّ الإنسانُ بقَدْرِ هذه النَّعْمةِ، لكِنْ قَدْرُ أَنَّه اللهَ تعالى لو شاءَ لكَبَسَه، وحينَيْذِ يَنَيْنُ قَدْرُ النَّعْمةِ (١٠).

٧- قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلصَّنْفِينَ وَمَنْهِدُهُمْ بِهِ حِهَاذًا صَيِّبِكَ ﴾ هذه الآيةُ نصِّ صريحٌ في أنَّ الجهادَ في الدعوةِ إلى الله وإحقاقِ الحقَّ: هو مِن الدَّين، وأنَّ إبطالَ الباطلِ مِن شُبَهِ المشْيِّهِين، وضلالاتِ الضالَّين، وإنكارِ الجاحدِين: هو بالقرآنِ العظيم؛ ففيه بيانُ العقائدِ وأدلَّتِها، ورُدُّ الشُّبَهِ عنها، وفيه بيانُ الأخلاقِ محاسنِها ومساويها، وطُرُق الوصولِ إلى التحلي بالأولى، والتخلُّي عن الثانيةِ ومعالجتِها، وفيه أصولُ الأحكام وعِللُها، وهكذا فيه كلُّ ما يَحتاحُ إليه المجاهِدُ به في دينِ الله، فيُستفادُ منها -كما يُستفادُ مِن آياتٍ أخرى غيرِها- أنَّ على الدعاةِ والمرشدين أنْ تكونَ دعوتُهم وإرشادُهم بالقرآنِ العظيم".

⁼ العصور والأقطار). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٦).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١٩٧).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٨).





للنِّيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في دعويّه وجهادِه بالقرآنِ، والمُتمثَّلُ لِمَا دلَّتْ عليه أمثالُ هذه الآية الكريمةِ مِن آياتِ القرآنِ^(۱).

الغُوائدُ العلميَّةُ واللَّطائفُ:

١- قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَنْ إِلَىٰ رَبِكَ كَثَى مَدَّ الطِّلَّ وَلَوْ شَادَ لَجَعَلَهُ سَإِكَا ثُمَّ جَعَلَنَا الشَّمَسَ شَلَيهِ وَلِيلاً * ثُمَّ قَيْضَتُهُ إِلَّتَا فَشَا يَسِيرًا ﴾ في منذ الظُلُّ وقبضه بعمة مُعرفة أوقات النَّهار للصَّلوات وأعمال النَّاس، ونعمة التناوي في انتفاع الجماعات والاقطار بفوائيد شُعاع الشَّمسي وفوائيد الفَيء، ووراء ذلك عبرة عِلميةٌ كُبرى توضَّحُها قواعِدُ النَّظامِ الشَّمسيّ، وحَركةُ الأرضِ حولَ الشَّمس، وظهورُ الظُّلمةِ والشَّياء والشَّياء والشَّياء والنَّهار، وعن ذلك نظامُ اللَّيل والتَّرض عرف الطَّلاق المراوق الطولِ والعَرض للكُرةِ الأرضيّة، وبها عُرِفت مناطِقُ الحراوةِ والبَود.

ومِن وراءِ ذلك إشارةٌ إلى أصلِ المخلوقاتِ كيف طَراَ عليها الإيجادُ بغدَ أنْ كانت عَدَمًا، وكيف يَمتذُّ وُجودُها في طَورِ نَمايُها، ثمَّ كيف تعودُ إلى العدَمِ تدريجًا في طَورِ انحطاطِها إلى أنْ تصبرَ إلى العدم؟ فذلك ممّا يشبرُ إليه ﴿ ثُمَّ فَهَشْنَهُ إِلَيْنَا فَبْضَا يَسِيرًا ﴾، فيكونُ قد حصلَ مِن التَّذكيرِ بأحوالِ الظَّلُ في هذه الأَيةِ -مع المِنَّةِ والدَّلالةِ على نظامِ القدرة - تقريبُ لحالةٍ إيجادِ النَّاسِ، وأحوالِ الشَّبابِ، وتقدُّم السَّنَ، وأنَّهم عَقِبَ ذلك صافرونَ إلى ربَّهم يومَ البعثِ مَصيرًا لا إحالةً فيه ولا بُعْدَ -كما يزعمون -، فلمَّ صار قَبضُ الظَّلِ مثلًا لمصيرِ النَّاسِ إلى اللهِ بالبَعثِ، وصَفَ القَبضَ بـ ﴿ يَمِيرًا ﴾؛ تلميحًا إلى قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ حَتْرُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٩).







إلى أنَّ الحياةَ في اللَّنيا كظلَّ يَمتدُّ ويَنقَبضُ، وما هو إلَّا ظِلَّ، فهذان المحمَلانِ في الآيةِ مِن مُعجِزاتِ القُرآنِ العلميَّةِ (١٠).

٢- قولُه تعالى: ﴿ ثُمَّ جَمَلْنَا النَّمْسَ عَلَيْو رَلِيلاً ﴾ فيه الاستِدلالُ بالشَّيءِ على ضِدَّه (ويضِدَّه ا تنبيَّنُ الانشياءُ) (() ويضِدَّه ا تنبيَّنُ الانشياءُ) (() والمرادُ بالاستِدلالِ بالشَّيءِ على ضِدَّه: النَّمَاءُ ففيه مَعرِفةٌ قدْرِ النَّمَ بِمَعرفة ضِدَّه، وأذَّ الإنسانَ يستَبَلُ على ضِدًا، وأذَّ الإنسانَ يستَبَلُ على مِقدار هذه النَّعمةِ بضِدَّها.".

٣- جمعَتِ الآيةُ الكريمةُ: ﴿ وَهُوَ اللّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْيَلَ لِمَاسًا وَالْتَوْمُ سُبَاتًا وَمِعَمَلَ الشّهَارَ الشّهَارَ الشّهَارَ الشّهَارِ النّهَارِ النّهَارِ اللّهَ الحدالقِ، ومي أيضًا تذكيرٌ بيَعَمِه؛ فإنَّ في اختِلافِ اللَّهِلِ والنَّهَارِ آياتِ جَمَّةً لِما يُللُ عليه حُصولُ الظَّلمةِ مِن وقَّةِ نظامٍ وَوَرانِ الأرضِ حولَ الشَّمسِ، ومِن وقَّةِ نظامٍ حَلقِ الشَّمسِ، ولمِن وقَّةِ نظامٍ حَلقِ الشَّمسِ، ولمِن وقَّةِ نظامٍ حَلقِ الشَّمسِ، ولمِن وقَّةِ نظامٍ حَلقِ الشَّمسِ، ولما يتوقَّفُ عليه وُجودُ النَّهارِ مِن نغيرُ دورانِ الأرضِ، ومِن فوائِد نو الشَّمسِ الشَّمسِ المَّالِسِ للظَّلمةِ عين ترتخي أعصابُ النَّاسِ فيحصُلُ لهم بالنَّومِ تجَدُّدُ الشَّاطِهم، ومِن الاستعانةِ على السَتَّرِ بَعْلمةِ النَّيلِ، ومِن نظامِ النَّهرِ مِن تَجَدُّدِ النَّسَاطِ وانبِعاثِ النَّاسِ للمَمَلِ وسَامَتِهم مِنْ اللَّمَا والمَّهارِ مِن تَجَدُّدِ النَّسَاطِ وانبِعاثِ النَّاسِ للمَمَلِ وسامَتِهم مِنْ النَّعْوِ المَالِونَ الذَي مِن النَّورِ الذي به إلمالُو ما يقصِدُه العالمِلونُ (٤٠).

٤ - قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِيَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٣).

⁽٢) هذا عجُزُ بيت للمتنبي، وهو:

ونَذِيمُهُم وبهُم عَرَفْنا فَضْلَه ... ويضِدُها تَتَيَيَّنُ الأشياءُ

يُنظر: ((شرح ديوان المتنبي)) للعكبري (١/ ٢٢).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ١٩٧). (٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٥).

⁽۱) ينظر. ((نانسير ابن عاسور





نْشُورًا ﴾، وقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَنتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَـَارُ ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُّ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِدًا ﴾ [يونس: ٦٧]، وهذا كثيرٌ في القُرآنِ، فانظُرْ إلى هاتين الآيتين وما تضَمَّنتاه مِن العِبرِ والدَّلالاتِ على ربوبيَّةِ اللهِ وحِكمتِه؛ كيف جعل اللَّيلَ سَكنًا ولِباسًا يغشي العالَمَ فتَسكُنُ فيه الحَرَكاتُ، وتأوي الحيواناتُ إلى بيوتِها، والطيرُ إلى أوكارِها، وتستجِمُّ فيه النُّفوسُ وتستريحُ مِن كَدِّ السَّعي والتَّعَب؟! حتى إذا أخَذَت منه النُّفوسُ راحتَها وسُباتَها، وتطَلَّعَت إلى معايشِها وتصَرُّفِها، جاء فالِقُ الإصباح سُبحانَه وتعالى بالنَّهارِ يَقدُمُ جَيشَه بشيرُ الصَّباح، فهزَم تلك الظَّلمةَ، ومَزَّقَها كُلَّ مُمَزَّقِ، وكشَّفَها عن العالَم، فإذا هم مُبصِرون، فانتشر الحيوانُ، وتصَرَّف في معاشِه ومصالحِه، وخرجت الطيورُ مِن أوكارِها، فيا له مِن مَعادٍ ونشأةٍ دالُّ على قدرةِ الله سُبحانَه على المعادِ الأكبرِ! وتكَرُّرُه ودوامُ مُشاهَدةِ النُّفوسِ له بحيثُ صار عادةً ومألَّفًا منَعَها مِن الاعتِبارِ به والاستِدلالِ به على النَّشأةِ الثَّانيةِ وإحياءِ الخَلق بعْدَ موتِهم، ولا ضَعْفَ في قدرةِ القادِرِ التَّامِّ القُدرةِ، ولا قُصورَ في حكمتِه ولا في عِلمِه يوجِبُ تخلُّفَ ذلك، ولكِنَّ اللهَ يَهدي مَن يشاءُ، ويُضِلُّ مَن يشاءُ، وهذا أيضًا مِن آياتِه الباهرةِ: أن يُعمىَ عن هذه الآياتِ الواضحةِ البَيِّنةِ مَن شاء مِن خَلقِه، فلا يهتدي بها ولا يُبصِرَها، وبهذا وأمثالِه يُعرَفُ اللهُ عزَّ وجَلَّ، ويُشكَرُ ويُحمَدُ، ويُتضَرَّعُ إليه ويُسألُ(١).

ه - في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَمَلَ لَكُمُ ٱلَّذِلَ لِيَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَانًا وَجَمَلَ ٱلنَّهَارَ لَمُورَ ﴾ [اللَّهُ ورائة والنَّفور").

⁽١) يُنظر: ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (١/ ٢٠٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٢/ ٦٦٤).





٦- في قولِه تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّذِي آرْسَلَ الرَّبَيْحَ ﴾ قُدرةُ اللهِ عزَّ وجلَّ في إرسالِ الرّياحِ؛ لأنَّ هذه الرّياحِ الأنَّ هذه الرّياحِ الأنَّ هذه الرّياحِ اللهِ عنون الرّعادِ منها، ما استطاعوا إلى ذلك سَبيلًا، مع أنَّ هذه الرّياحَ في بعضِ الأحيانِ تقتَلِعُ الأشجار، وتُدمَّرُ المنازِلَ، هذه القرَّةُ العظيمةُ لو أتيتَ بمولِّداتِ الدُّنيا كلَّها لِتَخلُقَ مِثلَ هذا الهواء، ما حَصَلَ هذا (١٠).

٧- إرسالُ المُتِشَّراتِ والمُقَدِّماتِ بين يدَيِ الأشياءِ لقوَّةِ الرَّجاءِ؛ لقولِه
 تعالى: ﴿وَهُوَ النِّرَةِ أَرْسُلُ الرِّيَّحَ إِنْدُرْأَ بَتِكَ يَرْحَدَيْهِ ﴾".

٨- قَولُه تعالى: ﴿ وَلَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاةِ مَا هُ طَهُورًا ﴾ هو أصلٌ في الطَّهارةِ بالماءِ ٣٠)،
 وفيه ذلالةٌ على أنَّ الماء يُطهِّرُ مِن الحَدَثِ والنَّجاسةِ ٤٠٠).

9- في قوله تعالى: ﴿مَآهَ طَهُولِا ﴾ أنَّ الأصلَ في الماءِ الطَّهارةُ، ونحن نَعرفُ أنَّ الماءَ المعودِ وَفي الأرضِ كلَّه مِن السماء؛ لِقُولهِ تعالى: ﴿ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَنَ فَاسَقَيْنَكُمُّوهُ ﴾ [الحجر: ٢٢]، فإذا كان مِن السَّماءِ فإنَّ الأصلَ فيما تَبَعَ مِن الرَّضِ، أو فيما نَزَلَ مِن السَّماءِ الْرضِ، أو فيما نَزَلَ مِن السَّماءِ أنْ يكونَ طَهورًا (٥٠) فكلُّ ماءِ نزَلَ مِن السَّماءِ فهو طَهورً (٥٠).

١٠ - في قَولِه تعالى: ﴿ وَأَلْزَلْنَا مِنَ السَّمَاةِ مَانَهُ ﴾ حِكمةُ اللهِ سُبحانَه وتعالى
 بكونِ المطرِ يَنزِلُ مِن السَّماءِ، لو كان هذا المطرُ -الذي تحيا به الأرضُ- يأتي

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ۲۱۱).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١٩٧).

⁽٤) يُنظر: ((شرح العمدة - كتاب الطهارة)) لابن تيمية (ص: ٦٠).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٢١١). (٦) يُنظر: ((لقاء الباب المفتوح)) لابن عثيمين (اللقاء رقْم: ٢٠٦).





جريًا على سَطحِ الأرضِ ما كان فيه هذا النَّفُعُ؛ لأنَّه لا يَصِلُ إلى قِمَمِ الجبالِ إلَّا بعدَ أَنْ يُعْرِقَ ما تحتَها، لكنَّه إذا نَزَلَ مِن فوقِ أَتَى على قِمَمِ الجبالِ، وأَتَى على ما هو أسفَلَ منها، وهذا مِن حِكمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ بذلك''.

11 - قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاةِ مَانَهُ طَهُونَا * لِتَضْفِى مِهِ، بَلْمَهُ مَّنَا وَتُشْفِيهُ. مِمَّا خَلَقْنَا أَشْمَنَا وَأَنَامِى كَثِيرًا ﴾ لهاء المطرِ خاصيَّة الإحياء لكل أرضٍ؛ لأنّه لخُلوِّ مِن الجراثيم ومِن بعضِ الأجزاء المعدينيَّة والترابيَّة التي تشتَمِلُ عليها مياهُ الكُمونِ ومياهُ الأنهارِ والأوديةِ، كان صالحًا بكُلِّ أرضٍ وبكلٌ نباتٍ على اختِلاني طِباع الأرضينَ والمنابِتِ".

ا في قَولِه تعالى: ﴿ وَأَلْزَلْنَا مِنْ السَّمَاةِ مَلَهُ طَهُورًا * لِتُمْثِئَ مِهِ ، بَلَدَةً مَّنتًا ﴾ إخبارٌ أنَّه سُبحانه يَجعُلُ حياةً بعض مخلوقاته بتَعض (").

١٣- في قَولِه تعالى: ﴿ لِتُشْغِينَ بِهِ. بَلْدَةً تَشِنًا ﴾ إيماءً إلى تقريبِ إمكانِ البَعثِ ١٠٠٠. ١٤- قَولُه تعالى: ﴿ لِتُشْغِينَ بِهِ. بَلْدَةً تَشِنًا ﴾ فيه إثباتُ الأسباب (٥٠.

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٢١١).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٨).

⁽٣) يُنظر: ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (٣٥/ ١٦٧).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٨).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٢١١).





فِعُلَ اللهِ لمجرَّدِ المشيئةِ ليس لعلَّةٍ، فإنَّه لا يُرَجِّحُ شيئًا على شَيَءِ لحِكمةٍ، إنَّما لمجرَّدِ المشيئةِ، ولا يَفعَلُ شيئًا إلَّا لمجرَّدِ المشيئةِ"؟!!

11- في قوله تعالى: ﴿ لِتَحْتَى هِهِ بَلْدَهُ تَيْنَا وَشُقِيَهُ مِثَا خَلَقْنَا أَقَدَمُا وَأَنَامِى كَيْرِكُ ﴾ جوازُ ذِكْرِ بَعضِ الفوائد، وأنَّ الاقتصارَ على البَعضِ لا يُعدُّ نقصًا، فهنا ذَكَرَ اللهُ سُبحانَه وتعالى مِن فوائد المطرِ فائدتين فقط: إحياء الأرضِ، وسَقْيَ الأنعام والأناسيّ، مع أنَّ للمَطرِ فوائد أُخرى؛ كالتطهُّرِ به مثلًا، فالتطهُّرُ به ليس سَقبًا، وليس إحياء للأرضِ، وغير ذلك أيضًا مِن الفوائد، لكنَّه لَمَّا كان أشدُّ ما يكونُ ضرورةً للمَطرِ هو إحياء الأرضِ بالنبات؛ ليأكلَ الناسُ والانعام، وكذلك السَّقيُّ؛ فالطعامُ والشرابُ ضرورةٌ مِن ضرورياتِ الحياةِ بالنَّسبةِ للأنعام، وبالنَّسبةِ للناسِ، فاقتصرَ اللهُ عزَّ وجلَّ على ذِكرِ هاتينِ الفائدتينِ فقط؛ لأنَّهما هما الفائدتان الضروريَّانِ الحاصِلتان بنزولِ المطرِ^(۱).

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٢١٢).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) أخرجه ابن جرير في ((تفسيره)/ (٢/ ٢٨٤)، والحاكم (٢٥٢٠)، واليهقي (٢٧٢٧) واللفظ له. صحَّحه الحاكم على شرط الشيخين، وصحَّحه الألباني على شرط الشيخين في ((سلسلة الأحادث الصححة)) (٢٤٦١).





الحاضِرِ، فهو من معجزاتِ القُرآنِ العلميَّةِ(١).

١٨ - ثبوتُ الحكمةِ للهِ عزَّ وجلًّ؛ لِقَولِه تعالى: ﴿لِيَذَكَّرُوا ﴾، فـ «اللامُ»
 التَّعليل'''.

١٩ - إبطالُ مذهَبِ الجبريَّة؛ لِقَولِهِ سُبحانَه وتعالى: ﴿ فَأَنَّى آَكُمُ ٱلنَّاسِ إِلَّا صُحْمُ ٱلنَّاسِ إِلَا صَحْمُونَا ﴾، فجعَلَ هذا باختيارهم؛ أبوا إلَّا أن يكفُروا بذلك").

• ٢ - قال عزَّ وجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَقَتُهُ يَنْهُمْ إِللَّهُ كُولًا فَأَيْنَ أَحَدُّرُ النَّاسِ إِلاَّ حَمُورًا ﴾ يدخُلُ فيه قولُه تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ فَأَيْنَ أَحَدُرُ النَّاسِ إِلاَّ حَمُورًا ﴾ يدخُلُ فيه مَن قال: مُطِرْنا بالبُخارِ، يعني: أنَّ البحر يتصاعدُ منه بُخارُ الماء ثمَّ يتجَمَّعُ، ثمَّ يَنزِلُ على الأرضِ بمُقتضى الطبيعةِ لا بفِعلِ فاعلٍ، وأنَّ المطرَّ منه (1)!

٢١ - في قَولِه تعالى: ﴿ وَلَوْ شِنْتَ الْمَشَنَا فِي كُلِ قَرْيَةٍ قَفِيزًا ﴾ أنَّ مِن إكرامِ اللهِ
 تعالى عبده تحميله أعباء الرَّسالة وحُده (*).

٢٦ - قولُه تعالى: ﴿ وَلَوْ شِثْنَا لَبَعْنَا فِي كُلِّ فَرَيْهِ نَلْيِرًا ﴾ المرادُ مِن ذلك
 تعظيمُ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ وذلك لوُجوهِ:

أحدُها: كأنَّه تعالى بيَّن له أنَّه مع القُدرةِ على بَعثةِ رَسولِ ونَذيرِ في كُلِّ قَريةٍ، خَصَّه بالرَّسالةِ وفضَّله بها على الكُلِّ؛ ولذلك أثبَتَه بقُولِه: ﴿ فَلاَ يُطْلِع

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٢١٦).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢١٧).

⁽٤) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٦٣).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٥).





ٱلْكَنْفِرِينَ ﴾، أي: لا تُوافقُهم.

وثانيها: المرادُ: ولو شِثْنا لحَفَّفْنا عنك أعباءَ الرِّسالةِ إلى كُلِّ العالَمينَ، ولَبَعَثْنا في كُلِّ قَرِيةٍ نَذيرًا، ولكِنَّا فِصَرْنا الأمرَ عليك، وأجلَلناك وفضَّلْناك على ساترِ الرُّشُل، فقابُلُ هذا الإجلالَ بالقوَّةِ في الدِّين.

وثالثها: أنَّ الآيةَ تقتضي مَزْجَ اللَّطفِ بالمُعْفِ؛ لأَنَّها تَدُلُّ على القُدرةِ على أنْ يَبَعَثَ في كُلَّ قرية نَذيرًا مِثلَ محمَّد، وقَولُه: ﴿وَلَلَى ﴾ يدُلُّ على أنَّه سُبحانَه لا يفعَلُ ذلك، فبالنَّظَرِ إلى الأَوَّلِ يحصُّلُ التأديبُ، وبالنظرِ إلى الثاني يحصُلُ الاعزازُ^(۱).

٣٣ - قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِع ٱلصَّنفِرِين وَ وَمَنْ هِنْهُم بِهِ جِهَادًا صَبِيرًا ﴾ كما لا تجوزُ طاعةُ الكافرين في شيء ممّا يُعليه عليهم كُفرُهم؛ كذلك لا تجوزُ طاعةُ العصاةِ في شيء ممّا تُعليه عليهم معصيتُهم؛ لأنَّ الجميع فيه مخالفةٌ لدينِ الله، وكما يُجاهدُ أهلُ الكُفرِ بالقرآنِ العظيم الجهادَ الكبيرَ، كذلك يُجاهدُ به أهلُ المعصية؛ لأنَّه كتابُ الهدايةِ لكلَّ ضالً، والنَّعوةِ لكل مُرشدٍ، وفي ذِكرِ الكافرين تنبية على العصاةِ مِن بابِ التَنبيهِ بالأعلى على الأدنى؛ لاشتِراكِهم في العلق، وهي المخالفةُ ٢٠٠.

٢٤ - قال الله تعالى: ﴿ فَلاَ تُطِلِع ٱلْكَنْفِرِينَ ﴾ دلَّت هذه الآيةُ على أنَّ النهي عن الشَّيء لا يقتضى كونَ المنهى عنه مُشتَغِلًا به".

٢٥- في قَولِه تعالى: ﴿ وَجَـٰهِ دُهُم هِم حِهَادًا كَبِيرًا ﴾ أنَّه قد سمَّى اللهُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٧٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٧٤).





تعالى الجهادَ بالقرآنِ جهادًا كبيرًا، وفي هذا مَنفةٌ كبرى للقائمين بالدَّعوةِ إلى اللهِ عليهم حيثُ يَشَرَهم لهذا اللهِ بالقُرآنِ العظيم، وفي ذلك نِعمةٌ عظيمةٌ مِن اللهِ عليهم حيثُ يَشَرَهم لهذا الجهادِ، حتى لَيَصِحُ أن يُستَوا بهذا الاسمِ الشَّريفِ "مجاهدون"؛ فحقَّ عليهم أن يُقدَروا هذه التَّعمة، ويُؤدُّوا شُكرَها بالقُولِ والعَمَلِ والإخلاصِ، والصَّبرِ والبَّينِ".

٢٦ - قولُه تعالى: ﴿ وَهُو ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلدَّلَةِ بَشَرًا فَجَمَلَهُۥ تَسَبًا وَسِهْرًا ﴾ يدُلُ
 على أنَّ الله شبحانة جعل العاء صَبَبَ الاجتِماع والتألفو⁽¹⁾.

- قولُه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلنَّمَا وَبَشَرًا فَجَعَلَهُ مُسَبًا وَمِيهًا ﴾ فيه إشارةً
 إلى المحرَّماتِ بالسَّبَتِ والنَّسَبِ، وأنَّ كُلَّ ذلك تولَّد مِن الماء

٨٠- في قوله تعالى: ﴿ وَهُو اللَّهِى خَلَقَ مِن الْمَلَّةِ بَشَرُ فَجَمَلَهُ شَبّا وَصِهْلِ ﴾ بيانُ خطأ من يُسمّي أقارب الرَّوج أو الرَّوجة «انسابي» لأنه تزوّج منهم، وهذا خطأ على اللُّغة؛ فإنَّ الانساب هم القرابة مِن قِبلِ الأبّ أو مِن قِبلِ الأبّ والأرحام كذلك هم القرابة مِن قِبلِ الأبّ أو مِن قِبلِ الأبّ، وأمَّا أقاربُ الرَّوجينِ فإنهم يُسمَّون أصهارًا لا أنسابًا؛ فقد جَعَلَ اللهُ تعالى الصَّلة بَيْن البشرِ بهذينِ الأمْرينِ: النَّسب، والصَّهر، وهما قسيمانٍ، أي: أنَّ بعضهما قسيمٌ للآخر، ومباينٌ له*).

بلاغةُ الآيات:

١ - قوله تعالى: ﴿ أَلُمْ نَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلُّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلُهُۥ سَاكِنَا ثُمَّ جَعَلْنَا

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٩).

⁽٢) يُنظر: ((أحكام القرآن)) للكيا الهراسي (٤/ ٣٣١).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٤) يُنظر: ((فتاوي نور على الدرب)) لابن عثيمين (١٦/١٠).





النّه مَن عَلَيْه دَلِلاً ﴾ اسبتناف ابيدائيٌ، فيه انتقالٌ مِن إثباتِ صِدْقِ الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وإثباتِ أنَّ القُرآنَ مِن عِندِ اللهِ أَنزَلَه على رَسولِه، وصِفاتِ الرُّسلِ وما تَحَلَّلُ ذلك مِنَ الرَّعيدِ، وهو مِن هذا الاعتبار متَّصِلٌ بقولِه: ﴿ وَقَالَ اللَّيْنِ كَمُورُا لَيْنَ كَمُورُا لَهُ اللهِ الاستِدلالِ لَيَكُ النَّرِيَ عَلَيْهِ النِّقَالُ إلى الاستِدلالِ على بُطلانِ شِرْكِهم، وإثباتِ الوَحدائيَّة لله، وهو مِن هذه الجهةِ متَّصِلٌ بقولِه في أول الشُّورة: ﴿ وَلَقَدَدُونَ مَذَوَة عَلِهَةٌ لَا يَعَلَّمُونَ مَنْنَا ﴾ [الفرقان: ٣] الآيةٌ ().

- قولُه: ﴿ أَلَمْ مَنَ إِلَىٰ رَبِكَ كَيْفَ مَذَّ ٱلظِّلَّ ﴾ الاستِفهامُ في قَولِه: ﴿ أَلَمْ تَرَ ... ﴾ استِفهامٌ تَقريريُّ ".

- وأصْلُ النَّظمِ: (الله تَنظُرُ إلى الظَّلَّ كيف مَدَّه ربُّك؟)، فغُيْر النَّظمُ فقال:

﴿ أَلَمْ مَرَ إِلَى رَكِكَكِنَ مَدَّ الظَلَّ ﴾؛ إشعارًا بإنَّه المعقولُ مِن هذا الكلام، الرُضوحِ

بُرهانِه، وهو دَلالةُ حُدوثِه وتصرُّفِه على الوجهِ النَّافعِ بأسبابِ مُمكِنةٍ، على

اذَّ ذلك فِعلُ الخالِقِ المُحكيمِ كالمُشاهَدِ المَرْتِيُّ، فكيف بالمَحسوسِ منه؟!

ولو قيل: (اللهُ مَرَ إلى الظَّلَ كيف مَدَّه؟) كان الانتقالُ مِنَ الأثرِ إلى المؤثَّر، والذّني

عليه الثلاوةُ عَكْمُ، والمَقامُ يقتضِيه؛ لأنَّ الكلامُ في تقريع القوم، وتجهيلهم

في اتَّخاذِهمُ الهوَى إلها مع وُصوحِ هذه الدَّلائل؛ ولذلك جَعَل ما يكلُّ

على ذاتِه مُقدَّمًا على أفعالِه في سائرِ آياتِه: ﴿ وَهُو اللّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنِّلَ ﴾

[الفرقان: ٤٧]، ﴿ وَهُو النَّذِي مَا لَعْلَ المَوْتَا اللهُ عَالَى مَعَل المُعَلِي هِلَيْكَ الْمُؤْوِقِ اللهِ سبحانه وتعالى مع

[الفرقان: ٢٤]، ﴿ وَقُو الْقِيَّةَ أَنْسَلَ الْإِينَةِ ﴾ [الفرقان: ٤٨]، ﴿ وَلَوْ مِئْلَ المِنْ مَوجِيا المُوقِقِ إليه سبحانه وتعالى مع

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩ / ٣٨).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٢ / ٢٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٢ / ٢٨، ٣٩). (٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤ / ٢٦٦، ((حاشية الطبيع على الكشاف)) (١ / ٢٤٤)، ٢٤٥).





أنَّ المرادَ تَقريرُ رؤْيَتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لكيفَيَّةِ مَدَّ الظَّلِّ؛ للتَّنبِيهِ على أنَّ نظَرَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ غَيرُ مَقصورٍ على ما يُطالِعُه مِنَ الآثارِ والصَّنائعِ، بل مَطمَحُ أنظارِه مَعرِفةُ شُؤونِ الصَّانِع المَجيدِ^(۱).

- والتّعرُّضُ لعُنوانِ الرُّبوبيّةِ معَ الإضافةِ إلى ضَميرِه صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ ﴿ رَبِّكَ ﴾؛ لتشريفه صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وللإيذانِ بأنَّ ما يَعقُبُه مِن آثارِ
رُبُوبيّتِه ورحمته تعالى ").

وقُولِلَ قُولُهِ: ﴿ مَثَّ اَلظِلَ ﴾ بقوله: ﴿ مَنَكَا ﴾ ومقابِلُ الشّكون الحركة؛ فيكونُ إطلاقُ مَدَّ ظِلَّ وبَسْطِه على الحركةِ مِن بابِ تسمية الشّيء باسم مُلابِسه أو سبيه. وعَدَل عن (متحرَّكا) إلى (مَدَّ)، وهو أَظهَرُ مِن (مَدَّ)، في تناوُله الانبِساطُ والامتِداد؛ للنَّهِ عَنه الانتفاع المقصودِ بالذَّاتِ، وهو معرفة أُوقاتِ الصَّلَواتِ؛ فإنَّ اعتِبارَ الظَّلِ فيها بالامتِداد دُونَ الانبِساطِ، وتَمَّم معنى الانتفاع المقصودِ بالذَّاتِ، وهو معرفة أُوقاتِ الصَّلَواتِ؛ فإنَّ اعتِبارَ الظَّلُ فيها بالامتِداد دُونَ الانبِساطِ، وتَمَّم معنى الانتفاع الإماحِد وقل الانساطِ، وتَمَّم معنى الانتفاع المتاعاتِ والأوقاتِ، وفيه لَمحة مِن معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْكُونَكَ عَنِ التَّلُوكِ فَلَمَّا كان مَدُّ الظَّلُ المَّولِ المَقْولِة فَوْلِهِ: ﴿ المَقْلَولَ الطَّلُ المَّلُ المَّلُ على انتِفاءِ الامتِدادِ اسمَ الشّكونِ بأنْ يُلازِمَ مِقْدارًا المَّلُ واحدًا لا يَتَقُولُهُ وَلَوْلَ المَنْ على انتِفاءِ الامتِدادِ اسمَ الشّكونِ بأنْ يُلازِمَ مِقْدارًا واحدًا لا يَتَقُصُ ولا يَزِيدُ ودلَتْ مُقابَلةً قُولِه: ﴿ وَمَعَلَمُ عَمُولِهِ مَنْ الطَلُّ جميعَ وجِهِ على النَّهُ عَلَيْ المَّلُ عَمومِ الظَّلُ جميعَ وجِهِ المَرْضِ (١٠) على حالةِ مَطُويَةِ مِنَ الكلامِ؛ وهي حالة عُمومِ الظَّلُ جميعَ وجِهِ الأرضِ (١٠).

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٢). (٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٤٥).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤١).





- وجُملةُ ﴿ وَلَوْ مَنَاةَ لَجَعَلَهُ، سَاكِنًا ﴾ جملةٌ معترِضةٌ للتَّذكيرِ بأنَّ في الظَّلِّ مِنَّةُ (١) وأيضًا قد اعترضتُ بين المعطوفينِ؛ للتَّنبيهِ مِن أوَّلِ الأمرِ على أنَّه لا مَدخَلَ فيما ذُكِر مِنَ المَدِّ للاسبابِ العاديَّةِ، وإنَّما المؤثَّرُ فيه المَشيئةُ والقُدرةُ. ومَفعولُ المشيئةِ مَحذوفٌ، أي: ولو شاء سُكونَه لجَعَله ساكنًا، أي: ثابتًا على حالِه مِنَ الطُّولِ والامتِدادِ، وإنَّما عُبَّر عن ذلك بالسُّكونِ؛ لِما أنَّ مُقالِلهَ الَّذي هو تَعَيُّرُ حالِه حسَبَ تَغيُّرِ الأوضاعِ بين الظلَّ وبين الشَّمسِ يُرى رأيَ العَينِ حرّكةً وانتِقالًا، وحاصِلُه: أنَّه لا يَعتَريهِ اختِلافُ حالٍ بألًا تَسَخَه الشَّمسُ (١).

- وجُولِ امتِدادُ الظُّلِّ لاختِلافِ مَقاديرِه كامتِدادِ الطَّرِيقِ، وعلاماتُ مقاديرِه مَلَ صُوى الطَّرِيقِ (أي: الأعلامِ المنصوبةِ التي يُستدلُّ بها عليه)، وجُعِلَتِ الشَّمسُ -مِن حيثُ كانتُ- سببًا في ظهورِ مَقاديرِ الظَّلَ كالهادي إلى مَرَاحِلَ، بطريقةِ التَّشِيهِ البَلغِ؛ فكما أنَّ الهادي يُخبِرُ السَّائرَ أينَ يَتَزِلُ مِنَ الطَّريقِ، كذلك الشَّمسُ بَسَبُّها في مَقاديرِ امتِدادِ الظَّلُ تُعرَّفُ المُستدِلَّ بِالظَّلِّ بِأَوقاتِ أعمالِه لِيَشرَبُ فيها. وتَعديةً ﴿وَلِيلاكِ بحرف (على) تُفيدُ أنَّ بالظَّلِ الشَّمسِ على الظَّلِ هذا وَلالةً تَسِيع على شَيءَ قد يَخفَى ؟..

- وفي قوله: ﴿ ثُمَّرَ جَمَلَنَا الشَّمْسَ عَلَهِ دَلِيلًا ﴾ الالتِفاتُ إلى نُونِ العظمةِ؛ لِمَا في الجَعْلِ المَذَكُورِ العاري عنِ التَّأْتِيرِ مع ما يُشاهَدُ بِيْنَ الشَّمسِ والظَّلُّ مِنَ الدَّورانِ المُطَّرِدِ المُنْبِيُّ عنِ السَّبِيَّةِ: مِن مَزيدِ ذَلالةٍ على عِظَمِ القُدرةِ، ودِقَّةٍ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٢).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٢).





الحكمة، وهو السُّرُّ في إيرادِ كلمةِ التَّراخي"، وقبل: الالتِفاتُ مِنَ الغَيبةِ إلى التَّكلُّم في ﴿ثُمَّرَجَمُلنَا ﴾؛ لأنَّ ضمير المتكلَّم أَدخَلُ في الامتِنانِ مِن ضَميرِ الفَّكِيَّم أَدخَلُ في الامتِنانِ مِن ضَميرِ الفَّاتِ، فهو مُشْيِرٌ بأنَّ هذا الجَعْلَ يُعمَّةٌ وهي نعمةُ التُّورِ الذِّي به تَمييزُ أُحوالِ المَرتِيَّاتِ؛ وعليه فقولُه تعالى: ﴿ثُمَّرَجَمَلنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾ ارتفاءٌ في المِنَّةً (").

- وأيضًا قولُه: ﴿ ثُمَّ جَمَلَنَا النَّمَسَ عَتَهِ دَلِلاً ﴾ عطفٌ على جُملة ﴿ مَنَاظِلَ ﴾ ، وأفادَتْ (نُمُّ) أنَّ مَدلول المعطوفِ بها مُتَراخٍ في الرُّتَيَةِ عن مَدلول المعطوفِ عليه شأن (نُمَّ) إذا عَطَفَتِ الجملةَ. ومعنى تَراخي الرُّتِيةِ أَنْها أبعَدُ اعتِبارًا، أي: أنَّها أرفَعُ في التَّاثِيرِ أو في الوُجودِ؛ فإنَّ وُجودَ الشَّمسِ هو عِلَّة وُجودِ الظَّلِ للاجسامِ التي على الأرضِ، والسَّببُ أرفَعُ رُبَّةً مِنَ المُسبَّبِ، أي: أنَّ اللهَ مَنَّ الطَّلِّ للاجسامِ التي على الأرضِ، والسَّببُ أرفَعُ رُبَّةً مِنَ المُسبَّبِ، أي: أنَّ اللهَ مَنَّ المَاسبَبِ، أي: أنَّ اللهَ مَنَّ المُسبَّبِ، أي: أنَّ

- وموقعُ (نُمُّ) في هذَينِ المَوضَمَينِ: ﴿ ثُمَّ جَمَلَنَا النَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمُّ فَهَنَّمَنَهُ إِلَيْنَا فَضَمَّا النَّمْسِ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمُّ فَهَضَاءُ النَّالَةِ النَّلِ وَسُكونه، وَقَبْضه): كأن النَّانِي أعظمُ مِنَ الأوَّلِ، والنَّالَتُ أعظمُ منهما - لأنَّ في إزالةِ الظَّلِّ النَّمْسُ ما عُرِفَ الظَّلُ -؛ تشبيها لتَبَاعُدِ ما بينَ الحَوادثِ في الوقتِ، أو لتَفاضُلِ تَبَاعُدِ ما بينَ الحَوادثِ في الوقتِ، أو لتَفاضُلِ مَبَادِي أَوْاتِ ظُهورِها. أو أَنَّ اثمَّ اثْهَدُ التَّراحِي في الوقتِ، أو لتَفاضُلِ مَبَادِئ أَوْلَ المَّامِّ عَنِي الوقتِ، أو لتَفاضُلِ مَبَادِئ أَوْلَ اثمَّ اثْهَا لُمُنْ المَوادثِ في الوقتِ، أو لتَفاضُلِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٢).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۱۹، ٤٢).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/١٤).

 ⁽٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) ((۳/ ۲۸۳)، ((تفسير البيضاوي)) (۱۲۲/۶)، ((حاشية الطبيي على الكشاف)) (۱/ ۲۶۱)، ((تقسير أبي حيان)) (۱۱۳/۸).





٢- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضُا يَسِيرًا ﴾

- قولُه: ﴿ ثُمَّ قَيْضَنَهُ ﴾ (نمُ) للتَّراخي الزَّمانيُّ؛ لِما أنَّ في بيانِ كَونِ القبضِ والمدِّ مُرتَّبِنِ دائِرَينِ على قُطبِ مَصالِحِ المَخلوقاتِ مَزيدَ دَلالةِ على الحكمةِ الرَّبَّائِيَّةِ. ويَجوزُ أَنْ تَكُونَ للتَّراخي الرَّبْتِيُّ، أي: أزَلْناه بغدَ ما أَنشَأْناهُ مُمَتَلًا، ومَحَوْناه بِمَحْضِ قُدرِتنا ومَشيئِتنا عِندَ إيقاعٍ شُعاعِ الشَّمسِ مَوقعَه، مِن غَيرِ أن يكونَ له تأثيرٌ في ذلك أصلًا، وإنَّما عَبَّر عنه بالقَبضِ المُنيئِ عن جغعِ المُنسِطِ وَطَيَّه؛ لِمَا أنَّه قد عَبَّر عن إحداثِه بالمَدَّ الذي هو البَسْطُ طُولًا".

- وجُملة ﴿ ثُمَّ قَنَصْنَكُ إِلَّتَا ... ﴾ إلخ علف على جُملة ﴿ مَدَّ الطِّلَ مِن الوَّرِ جَعْلِ أو على جُملة ﴿ حَمَلْنَا الشَّسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾؛ لأنَّ قَبضَ الظَّلُ مِن آثارِ جَعْلِ الشَّمسِ دليلاً على الظَّلِّ. و(ثمُّ) الثَّانيةُ مِثلُ الأُولى مُعْيدةٌ التَّراخيَ الرُّبيَّ؛ لأنَّ مَضمونَ جملة ﴿ فَيَضَنَّهُ إِلْمِنَا فَصَّا يَسِيرًا ﴾ أمَّم في الاعتبار بمضمونها مِن مَضمونِ ﴿ جَمَلْنَا الشَّسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾؛ إذْ في قَبضِ الظَّلِّ دَلالةٌ مِن دَلالةٍ الشَّمسِ هي عَكُم دَلالتِها على امتِدادِه؛ فكانت أَعجَب؛ إذْ هي عمل ضِدِّ للعملِ الأوَّلِ، وصُدورُ الضَّدِينِ مِنَ السَّبِ الواحدِ أَعجَبُ مِن صُدورِ أحدِهما السَّابِق في الذُّكور ''.

- قولُه: ﴿إِلَيْنَا﴾ للتَّنصيصِ على كُونِ مَرجعِه إليه تعالى، كما أنَّ حُدونَه منه عزَّ وجلَّ‴.

- قولُه: ﴿ قَبَضْنَكُ إِلِّنَنَا ﴾ أفادَ قولُه: ﴿ إِلِّنَّنَا ﴾ وصِيغةُ الجَمعِ: القَبضَ التَّامَّ،

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٢).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٢٢٣/٦).





كقَولِه تعالى: ﴿ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنْ بَعْدِهِ. ﴾(١) [فاطر: ٢].

- ومَوقعُ وصْفِ الفَبَضِ بـ (يَسيرٍ) هنا أنَّه أُريدَ أنَّ هذا الفَبضَ يَحصُّلُ بَبُطْءِ دُونَ طَفْرَةٍ؛ فِإنَّ فِي التَّرِيُّثِ تَسهيلًا لَفَبضِه؛ لأنَّ العملَ المُجَرَّأَ أَيسَرُ على التُفوسِ مِنَ المُجتمِعِ عَالِيًا، فأُطلِقَ البُسرُ، وأُريدَ به لازِمُ معناهُ عُرْفًا، وهو النَّدرِيحُ بَهُلْءٍ، على طريقةِ الكِتابةِ⁽¹⁾.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّذِلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ
 شُثُورًا ﴾

- قولُه: ﴿ وَهُوَ اللَّذِي جَمَلَ لَكُمُ ٱلْكِلَ لِيَاسًا ﴾ بيانٌ لبعضِ بَدائعِ آثارِ قُدرتِه تعالى وجكمتِه ورَوائعِ أحكامِ رحمتِه ويَعَمِه الفائضةِ على الخَلْقِ. وتَلوينُ الخِطابِ لتَوفيةِ مَقامِ الامتِنانِ حَقَّه، واللَّامُ مُتعلّقةً بـ ﴿ جَمَلَ ﴾، وتَقديمُها على مَفعولَيه؛ للاعتِناءِ بيَيانِ كَونِ ما يَعْقَبُه مِن مَنافِعِهم، وفي تَعقيبِ بَيانِ أحوالِ الظُّلُ بِيَانِ أحكامِ اللَّيلِ -الَّذي هو ظِلُّ الأرضِ- مِن لُطْفِ المُسلَكِ ما لا مَزيدَ عليه ''

- وفي قولِه: ﴿ وَهُواَلَنِّى جَعَلَ لَكُمُّ ٱلْيَّلَ لِيَاسًا ﴾ اليفاتٌ؛ حيث رَجَع أسلوبُ الكلام مِنَ المُتكلِّم إلى الغَبيةِ⁽¹⁾.

- والقَصرُ المُستفادُ مِن تَعريفِ جُزْاَيِ الجُملةِ في قولِه: ﴿ وَهُوَ اللَّهِا يَ جَعَلَ لَكُمُ الْتَلَل ﴾ قَصْرُ إفرادٍ، أي: لا يَشْركُه غَيرُه في جَعْلِ اللَّيل والنَّهارِ، أمَّا كونُ

⁽١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٢٤٨/١١).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٣).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٣).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٤).





الجَملِ المذكورِ بِخَلْقِ اللهِ فَهُم يُقِرُّون به، ولكنَّهم لَمَّا جَمَلوا له شُركاءَ على اللجمالِ أُبطِلَتْ شُركَتُهم بقصرِ النَّصرُّفِ في الأزمانِ على اللهِ تعالى؛ لأنَّه إذا بَطَل تصرُّفهم في بعضِ الموجوداتِ اختَلَّتْ حقيقةُ الإلهيَّةِ عنهم؛ إذِ الإلهَيُّةُ لا تَقتِلُ التَّجزيَةُ اللهِ

- قولُه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡتِلَ لِلسَّا ﴾ شُبَّه ما يَستُو مِن ظَلامِ اللَّيلِ باللَّباسِ السَّاتِي، على طريقة التّشبيه البّلغ (").

- قولُه: ﴿ وَالنَّوْمَ سَبَاتًا ﴾ قبل: عبّر عنِ النّوم بالسُّباتِ الّذي هو الموتُ -على أحدِ الأقوالِ في التفسيرِ -؛ لِما بينهما مِنَ المُشابَهةِ التّأمّرِ في انقطاعِ أحكامِ الحياةِ ".

- قولُه: ﴿ وَيَجَمَلَ النَّهَارَ نَشُورًا ﴾، أيْ: جمّل النَّهارَ زمانَ بَعثِ ونُشُورِ مِن ذلك الشُّباتِ كَبَعثِ الموتَى؛ على حَذفِ المُضافِ وإقامةِ المُضافِ إليه مقامَه، أو: جمّل النَّهارَ نَشْسَ البَعثِ على طَرِيقِ المبالغةِ "، والنَّشُورُ هنا الإحياءُ؛ شَبّة البَقظةَ به؛ لِيَتطابَقَ الإحياءُ مع الإماتةِ اللَّذِين يَتضمَّتُهما النَّومُ والسُّباتُ"،

- وإعادةُ فِعلِ (جَعَل) في قَولِه: ﴿وَجَمَلَ النَّهَارَ نَشُورًا ﴾ دُونَ أَن يُعادَ في قَولِه: ﴿وَالنَّمَ سُهَاتًا ﴾ مُشعِرةٌ بأنَّه تَنبيهٌ إلى أنَّه جَعْلٌ مُخالِفٌ لجَعلِ اللَّيلِ لِياسًا؛ وذلك أنَّه أخبَرَ عنه بقوله: ﴿شُمُورًا ﴾، والنَّشورُ: بَعثُ الأمواتِ، وهو

أينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/٤٤).

⁽۲) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۲۸۳/۳) ، ((نفسير البيضاوي)) (۲۲۱/٤)، ((نفسير أبي حيان)) (۸/ ۱۱۵، ۱۱۵)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ٤٤، ٤٥).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٣).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١١٤).





إدماجٌ () للتَذكيرِ بالبَعثِ، وتَعريضٌ بالاستِدلالِ على مَن أَحالُوه بتَقريبِه بالهُبوبِ في النَّهارِ. والنَّشورُ: الحياةُ بفدَ المَوتِ، وهو هنا يَحتولُ مَعنيَينِ: أن يكونَ مُرادًا به البُرورُ والانتِشارُ؛ فيكونَ ضِدَّ اللَّباسَ في قولِه: ﴿ وَهُو اللَّيى جَمَلَ لَكُمُّ اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴾، فيكونَ الإخبارُ به عنِ النَّهارِ حقيقيًّا، والمِنَّةُ في أنَّ النَّهارَ يَنشِرُ فيه النَّاسُ لحَواتجِهم واكتِسابِهم. ويحتولُ أن يكونَ مرادًا به بَعْثُ الأجسادِ بغدَ مَرتِها؛ فيكونَ الإخبارُ على طريقةِ التَّشبِيو البَليغِ ().

- وفيه مُناسَبَةٌ حَسَنَةٌ حَيْثُ قُدِّمَ الاعتِبَارُ بِحالةِ سَرِ اللَّيلِ على الاعتِبارِ بحالةِ النَّوم؛ لرَّعي مناسَبةِ اللَّيلِ بالظَّلِّ، بخِلافِ قولِه في سُورةِ النَّبَا: ﴿ وَمَلَقَنَكُو لَوْزَكِا * وَبَمَلَنَا وَمَكُمْ سُبَانًا * وَبَعَلَنَا الْيَلَ لِبَاسًا ﴾ [النبأ: ٨- ١]؛ فإنَّ يعمة النَّوم أهمُّهُ مِن يْعمةِ السَّتِر، ولأنَّ المناسَبة بِيْنَ يَعمةٍ خلقٍ الأزواج وبينَ النَّوم أَشَدُّ^{اً}".

- قولُه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلِّيلَ لِيَاسًا وَالنَّوْمَ شُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نَشُورًا ﴾ فيه احتِباكُ ٤٠؛ حيثُ ذَكَر السُّباتَ أوّلًا دليلًا على الحركةِ ثانيًا، والنُّشورَ ثانيًا

⁽١) الإدماع لُفة: الإدحالُه؛ يقال: أدّمَج النَّيّ في تَوبِ إِذَا لَقَّه في، واصطلاحًا: أنْ يُلحجَ المتكلّمُ عرضا في غَرَضِ، إذَ اللّه عَلَيْ المَّالِمُ اللّه الله المتكلّمُ عرضا في غَرَضٍ، أو احدَّ التبديينِ، بمعنى: أن يَجعلُ المتكلّمُ الكلامُ الذي سِيق لمعنى "من مُدح أو غيره- مُتفشّنًا معنى آخَرَه كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ الْمَنْدُ إِنَّ الْمُرْضَ فَي غَرَضٍ الله عَلَى " لا فيلام إلى المِنْ عَرْضٍ في غَرَضٍ الله في المقصص: " لا فيلام المنافقة إلى البحث والجزاء. وقبل: أُومِجِت المبالغة في المطابقة الأن القرادَه بالحدد في الآخِرَة - وهي الوقتُ الذي لا يُحمَدُ فيه سُوه- مبالغة في المطابقة الأن القرادَه بالحدد في الآخِرة - وهي الوقتُ الذي لا يُحمَدُ فيه البلاغة اليان المعاني البليغ)) للمراغي (ص: ٤٤٣)، ((البلاغة العربية)) لعبد الرحمن حَبَّكَة الميداني (٢٧٨) عبد الرحمن حَبَّكَة

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٦،٤٥).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/٥٤).

⁽٤) الاحتِباك: هو الحذفُ مِن الأوائلِ لدَلالةِ الأواخِرِ، والحذفُ مِن الأواخرِ لدَلالةِ الأوائل، =





دليلًا على الطِّيِّ والسُّكونِ أوَّلًا(١).

٤ - قولُه تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّذِي الْرَيْنَ الْرَيْنَ إِنْتُرَا بَيْنِ يَدَى يَدَى يَحْمَدِهُ وَالْزَلْنَا بِنَ السَّحِبِ السَّحِبِ والسُّحبِ والسُّحبِ والمستوبِ ومَردودُ الاستِدلال على الانفراد بالزّياح وما عُطِف عليه على اللهِ تعالى؛ إبطالًا لا ذَعاء الشُّركاء له في الإلهيَّةِ بنفي الشَّرِكَةِ في التَّصرُف في هذه الكائنات، وذلك ما لا يُنكِرُه المشركونَ، ولكنَّهم لَمَّا جَعَلوا له شُركاءَ على الإجمالِ أُبطِلَت شَرِكتُهم بقصرِ التَّصرُف في هذه الكائنات، شَرِكتُهم بقصرِ التَّصرُف في هل الرَّياحِ على اللهِ تعالى؛ لأنّه إذا بَعَل تَصرُفُهم في بعض الموجوداتِ اختلَتْ حقيقةُ الإلهيَّةِ عنهم؛ إذِ الإلهَّةُ لا تَقَالُ النَّجِزِئةَ "!!

- وجملةً ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءَ مَا لَهُ طَهُوزًا ﴾ عطفٌ على جملةِ ﴿ أَصَلَ الْزِيْحَ ﴾؛ فهي داخلةٌ في حَيْزِ القصرِ، أي: وهو الّذي أنزَل مِنَ السَّماءِ ماءً طَهورًا ٣٠.

- وفي قوله: ﴿ وَأَنْرَثَنَا مِنْ السَّمَاءَ مَلْهُ مَلُهُولًا ﴾ البغات إلى نون العَظَية؛ لإبرازِ كمالِ العناية بالإنزالِ؛ لأنَّه نتيجةً ما ذُكِر مِن إرسالِ الرَّياحِ (''). وأيضًا الالبغاث مِنْ الغَيبة إلى التَّكلُّمِ في قَولِه: ﴿ وَلَنْزَلْنَا ﴾، ﴿ لَتُشْعَى ﴾، ﴿ وَتُشْقِيمُ ﴾، ﴿ وَلَفَلَا صَرَّفَتُهُ ﴾؛ لِمَا في إنزالِ الماء مِنَ السَّماء، وإحياء البلدِ المَيْتِ به، وسقْفِ للنَّاسِ والدَّوابُ، وتَصريفِ الماء: مِن مَزيدِ ذَلالةٍ على عِظَم القُدرة، ودِقَّة الحِكمة،

⁼ إذا اجتمّع الحذفانِ ممّا، وله في القرآنِ نظائرٌ، وهو مِن إبداعاتِ القرآنِ وعناصر إعجازِه، وهو مِن ألطّفِ الأنواعِ. يُنظر: ((الإنقان)) للسيوطي (٣/ ٢٠٤)، ((البلاغة العربية)) لعبد الرحمن حَيْثُكُة المبداني (١/ ٣٤٧).

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٠٠).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۱۹).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/٧٤).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٤).





ولأنَّ ضَميرَ المُتكلِّمِ أَدخلُ في الامتِنانِ مِن ضَميرِ الغائبِ؛ فهو مُشعِرٌ بأنَّ (الإنزالَ، والإحياءَ، والسَّقَى، والتصريفَ) يعمةُ ''.

- وأيضًا في قولِه: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٌ طَهُوزًا ﴾ وصَفَ الماءَ بالطُّهارةِ، وعلَّلَ إنزالَه بالإحياءِ والسَّقْي؛ لأنَّه لَمَّا كان سَقْيُ الأناسيِّ مِن جملةِ ما أنزَلَ له الماءَ، وصَفَه بالطُّهور إكرامًا لهم، وتَثْميمًا للمِنَّةِ عليهم، وبيانًا أنَّ مِن حقِّهم حينَ أرادَ اللهُ لهمُ الطُّهارةَ، وأُرادَهم عليها أن يؤيُّرُوها في بَواطِنِهم ثمَّ في ظَواهِرهم، وأنَّ يَرْبَؤوا بأنفُسِهم عن مُخالَطةِ القاذُوراتِ كلِّها، كما رَبَأ بهم ربُّهُم. وقيل: الظَّاهرُ في قَولِه: ﴿مَآهُ طَهُورًا ﴾ أن يكونَ للمُبالَغةِ في طَهارتِه، وجِهةُ المُبالَغةِ: كَونُه لم يَشُبُهُ شَيٌّ بخِلافِ ما نَبَع مِنَ الأرض ونَحوه؛ فإنَّه تَشوبُه أجزاءٌ أرْضيَّةٌ مِن مَقرَّه أو مَمَرَّه أو مَمَّا يُطرَحُ فيه، ويَجوزُ أن يوصَفَ بالاسم وبالمَصدر (٢). والطُّهورُ -بفَتح الطَّاءِ- مِن أمثلةِ المُبالَغةِ في الوَصفِ بالمصدرِ، ووصْفُ الماءِ بالطَّهورِ يَقتَضي أنَّه مُطهِّرٌ لغَيره؛ إذِ العُدولُ عن صيغةِ (فاعِل) إلى صيغةِ (فَعولٍ) لزِيادةِ معنَّى في الوَصفِ، فاقتِضاؤُه في هذه الآيةِ أنَّه مُطهِّرٌ لغَيره اقتِضاءٌ التِزاميُّ؛ ليَكونَ مُستكمِلًا وصْفَ الطُّهارةِ القاصِرةِ والمُتعدِّيةِ، فيكونَ ذِكرُ هذا الوَصفِ إدماجًا لمِنَّةٍ في أثناءِ المِنَن المَقصودةِ، ويكونَ كقَولِه تعالى: ﴿ وَيُزَلِّكُ عَلَيْكُمُ مِنَ ٱلسَّكَاآهِ مَّاهُ لِيُطْهَرَكُمْ بِهِۦ ﴾ [الأنفال: ١١]، وصَفَ الطَّهارةَ الذَّاتيَّةَ وتَطهيرَه، فيكونُ هذا الوَصفُ إدماجًا، ولولا ذلك لكان الأحَقُّ بمَقام الامتِنانِ وصْفُ الماءِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤١- ٤٢،٤٧).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۸) ((تفسير البيضاوي)) (۲۷/ ۱) ((حائبة الطبيي على الكشاف)) (۲۰ (۲۰۲)، ((تفسير أبي حيان)) (۸/ ۱۱۲)، ((تفسير أبي السعود)) (۱/ ۲۲۶).





بالصَّفاءِ أو نَحو ذلك(١).

وله تعالى: ﴿ لِتُحْفِئ هِهِ، بَلْدَة تَبَنّا وَلَشْقِينُهُ مِمّا خَلْقَنَا أَلْمَنَا وَأَنَائِيَ كَثِيرًا ﴾
 وله: ﴿ لِتُعْفِئ هِهِ، بَلَدَة مَبْنَا ﴾ لَمّا كان المقصودُ بإحياءِ الأرضِ بالنّباتِ إحياءَ البلادِ لإحياءِ أهْلِها؛ قال: ﴿ بَلْدَةٌ ﴾، ولو كان مِلْحًا أو مُرَّا أو مُكَبرتًا لم تكن فيه قوَّةُ الإحياءِ. ولَمَّا كُرِه أن يُهْهَم تَخصيصُ البلادِ، أُجريَ الوصفُ باعتِدارِ المَوضع؛ لِيُعُمَّ كلَّ مكانٍ، فقال: ﴿ فَيْنَا ﴾ (").

- وقيل: ذكّر الصَّفة ﴿ يَنَتَا ﴾ مع أنَّ المَوصوفَ ﴿ يَلَدَهُ ﴾ مؤنَّتُ؛ لأنَّه أُريدَ به اسمُ المَيتِ، ووضفُ البَلدةِ به وضفٌ على معنى التَّشبيو البَليغ ". وقيل: ذَكَّره نظرًا إلى معنى البلدةِ وهو المكانُ، لا إلى لفظها، والسَّرُّ فيه تَخفيفُ اللَّفظ. وقيل: التَّذكيرُ لأنَّ البَلدةَ بمعنى البلدِ، ولأنَّه غَيرُ جارٍ على الفعلِ كسائر أَبنيةِ المُبالَغةِ؛ فأُجريَ مَجرَى الجامدِ ".

- قولُه: ﴿ وَثَنْفِيَهُ مِثَا خَلَقَنَا أَشَنَا وَأَنَابِيّ كَثِيرًا ﴾ المُوصولُ (ما) للإيماءِ إلى علَّةِ الخَبِرِ، أي: نُسْقِيَهم؛ لأَنَّهم مَخلوقاتٌ؛ ففائدةُ هذا الحالِ الإشارةُ إلى رحمةِ اللهِ بها؛ لأنَّها خَلْقُهُ (°).

- وفي قولِه: ﴿ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَنَمَا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ أنواعًا أُخرى

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٨،٤٧).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٢٠٤، ٢٠٤).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/٨٤).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٤؛ (٢٥٥)، ((تفسير اليضاوي)) (٤/ ١٢٧)، ((تفسير أبي حيان)) (١٣/ ١٤)، ((تفسير أبي السعود)) (١/ ٢٢٤)، ((تتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٤). (٤٠٤).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٨، ٤٩).





مِنَ الخَلاتِ تُسقَى بماءِ السَّماءِ، ولكنَّ الاقتصارَ على ذِكرِ الانعامِ والأناسيُّ؛

لأَنَهما مَرقِعُ العِنَّةِ؛ فالأنعامُ بها صَلاحُ حالِ البادينَ بالْبانِها وأَصوافِها وأَسوافِها وأَسوافِها المُعلَّمِ اللَّنعامِ؛ للأَنعامُ اللَّنعامِ؛ لأَنعامِ؛ لأن أهلَ القُرى ولا بين ما خَلق مِن الحَيوانِ الشَّارِ ببخلافِ وبما لهم مِنَ الأنعامِ فلقَّم والأمصارِ يُقِيمون بقُربِ الأنهارِ والمَنابِع، فبهم وبما لهم مِنَ الأنعامُ عليهم بسقي أنعابِهم كالإنعامُ عليهم بسقي أنعابهم كالإنعام بمَنقيهم، والطَّيرُ والوَّحْشُ وسائرُ الحيواناتِ بخلافِ ذلك؛ إذ تُبعِدُ في طلّبِ الماءِ فلا يُعرِزُها الشُّربُ غالبًا، مع أنَّ مَساقَى الآياتِ الكريمةِ كما هو للذَّلاثِ على عِظْمِ القُدرةِ فهو لتَعدادِ أنواعِ النَّعمةِ، والأنعامُ الكُريةِ فهو لتَعدادِ أنواعِ النَّعمةِ، والأنعامُ الكُريةِ فهو لتَعدادِ أنواعِ النَّعمةِ، والأنعامُ المَدرةِ فهو لتَعدادِ أنواعِ النَّعمةِ اللهُ اللَّذِي المَدرةِ فهو لتَعدادِ أنواعِ النَّعمةِ، والأنعامُ المَدرةِ فهو لتَعدادِ أنواعِ النَّعمةِ اللهُ اللهُ اللَّذِي اللهِ اللهُ الذَّهُ الْفَاعِلَةُ الْعِلْمَةِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المَّذِي اللهُ الله

- وتَنكيرُ الأنعامِ والأَناسيِّ ووصْفُها بالكَثرةِ في قولِه: ﴿وَيَنْتَقِيَهُ مِنَا خَلَقْنَا أَشْنَكَا وَأَنَالِينَّ كَيْبِرًا ﴾؛ لأنَّ عِلْيةَ النَّاسِ وجُلَّهم فَريبونَ مِنَ الأوديةِ والأنهارِ وتنابع الماء؛ ففيهم غُنْيةٌ عن سَقيِ الشّماءِ، وأعقابُهم -وهُم كثيرٌ منهم- لا يُعَيِّشُهم إلَّا ما يُنزلُ اللهُ مِن رَحمتِه، وسُقْيًا سَمائِه. أنَّ

- وفي قوليه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَالَهُ طَهُورًا * لِتُنْخِيَى بِهِ. بَلْدَهُ مَّيْنَا وَنُسْقِيهُ,مِتَا خَلَقْنَا أَلْمَنَكَا وَلَنَامِعَ كَنِيرًا ﴾ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ فقد قَدَّمَ حَياةَ الأرضِ وإسقاءَ الأنعام على إسفاء النَّاسِ، وإنْ كانوا أَشرَفَ محلًا؛ لأنَّ حياةَ الأرضِ هي

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤٩، ٤٩).

 ⁽۲) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۳/ ۲۸۰)، ((تفسير البيضاوي)) (۱۲۷/٤)، ((تفسير أبي حيان)) (۱/۱۲/۱)، ((تفسير أبي السعود)) (۲/ ۲۲٤).

 ⁽٣) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٥)، ((نفسير البيضاوي)) (١٢٧/٤)، ((نفسير أبي حيان)) (١٢٧/٤)، ((نفسير أبي السعود)) (٢/ ٢٤٤)، ((نفسير ابن عاشور)) (٢/ ٢٤٤).





سبّ لحياة الأنعام والنّاس؛ فلمّا كانت بهذه المثابة جُولَتُ مُقلَّمة في الذّكر، ولَمّا كانت الأنعامُ مِن أسبابِ التَعْيُشِ والحياة للنّاسِ قلْمَها في الذّكر على النّاسِ، لأنَّ حياة النّاسِ بحياة أرْضِهم وأنعامِهم، فقُدَّم سَفْيُ ما هو سبّبُ نَمائِهم ومَعاشِهم على سَفْيهم، وهذا الوَجهُ مَبنَّ على تقلُم الضهم ومواشيهم على المُسبّاب. ووجهٌ آخرُ: أنّهم إذا وجَدوا ما يَسقي أرضَهم ومواشيهم وجَدوا من يَشتدُ فيه الاحتياجُ إلى المُعالمُه، سُقيا المُعامِ من يَشتدُ فيه الاحتياجُ إلى المهاب ويكثرُ به الانتِفاع؛ فإنّ انتِفاع الإنسانِ بحياة الأرضِ أكثرُ، واهتِماته لأنهم إذا الوجهُ مَبنَّ على تقديم ما يَشتدُ فيه الاحتياجُ إلى لأنهم إذا ظفِروا بما يكونُ شُقيًا أرْضِهم ومواشيهم لمْ يَعدَموا سُقيا نفيها وهذا الوجهُ أحسَنُ، ولمعنى الإيغالِ (الشّميمِ "أجمَعُهُ إذْ ليس اهتِمامُ مَن هو بعيدٌ منها؛ فعلى هذا المرادُ بالأناسيِّ: أصحابُ البَوادي والمُتبدّدونَ مِن مَظانُ الماء (").

- وأيضًا قولُه: ﴿ وَتُشْقِيَهُ مِنْنَا خَلَقْنَا أَنْدُمَا وَلَنَابِى صَحْثِيرًا ﴾ فيه مُناسبةٌ حَسَنةٌ ؛ حيث قَدَّم ذِكْرَ الأنعامِ على الأناسيّ؛ لأنّه اقتضاهُ نَسْجُ الكلامِ على طريقةِ الإحكامِ في تعقيبِه بقَولِه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَتُهُ يَنْتُمْ لِيَدُّكُولًا ﴾ [الفرقان: ٥٠]، ولو قُدُّمَ ذِكْرُ (أَنَاسِيَّ) لَتَفَكُّكُ الظَّفْرُ، ولم يُقدَّم ذِكْرَ النَّاسِ في قَولِهِ تعالى: ﴿ مَنْكَا لَكُرُّ وَلِأَنْفِيكُمْ ﴾ [النازعات: ٣٣، عبس: ٣٣]؛ لانتِفاءِ الدَّاعى للتَّقديم؛ فجاءً

⁽۱) سبق تعریفه (ص: ۱۲٦).

⁽۲) سبق تعریفه (ص: ۱۲٦).

⁽٣) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٥٥)، ((نفسير اليضاوي)) (١٩٧/٤)، ((حاشية الطبيي على الكشاف)) (٢/ ٢٥٧، ٢٥٨)، ((نفسير أيي حيان)) (٨/ ١٦١)، ((نجع الرحين)) للأنصاري (ص: ٢٠٥)، ((نفسير أيي السعود)) (٢/ ٢٤٤)، ((أجراب القرآن وينانه)) لدرويش (٧/ ٢٥٠).





على أصل التَّرتيب(١).

- قولُه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّقَتُهُ يَتَهُمْ لِيَدُّكُوا فَأَقَ أَحَثَرُ ٱلتَّاسِ إِلَا حَثُورًا ﴾
 - قولُه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّقَتُهُ ﴾ جيءَ بالجملةِ القَسَميَّةِ، لإبطالِ زَعمٍ مَن يَرعُمُ أَنَّ بسبب الأنواءِ ''.

- قولُه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّوْتُهُ يَنَتُهُمْ لِنَدَّكُوا فَأَنَّهُ آكَثُرُ النَّاسِ إِلَّا صَّمُولًا ﴾ فيه توكيدُ الجُملةِ بلام القَسمِ و(قد) لتَحقيقِ التَّعليلِ؛ لأنَّ تَصرُّفَ المطرِ مُحقَّقٌ لا يَحتاجُ إلى النَّاكِيدِ، وإنَّما الشِّيُّ اللَّذي لم يَكُنْ لهم عِلمٌ به هو أنَّ مِن حِكمةٍ تَصريفِه بَيْنِ النَّاسِ أَن يَذْكُروا نِعمةَ اللهِ تعالى عليهم مع نُزولِه عليهم، وفي حالةٍ إمساكِه عنهم؛ لأنَّ كثيرًا مِنَ النَّاسِ لا يَقدُرُ قَدْرَ النَّعمةَ إِلَّا عِندَ فَقدِها، قِعلَموا أنَّ الله هو الرَّبُّ الواحِدُ المُختارُ في خلْقِ الأسبابِ والمُسبَبابِ ""

- ولَمَّا كان التَّذَكُّرُ شاملًا لشُكرِ المُنتَمِ عليهم بإصابةِ العطرِ، ولتَعَطُّنِ المَحرومينَ إلى سببِ حِرمانِهم إيَّاه لعلَّهم يَستَغفِرون، جيءَ في التَّعليلِ يفعلِ ﴿لِلذَّكُرُوا ﴾؛ لِيَكونَ علَّة لحالتي التَّصريف بينهم'''.

- وقوله: ﴿ فَأَقَّةَ آَصَةُ مُ النَّاسِ إِلَّا صَعُمْواً ﴾ تَركيبٌ جزى بماذَّتِه وهَبَتِه مَجرَى المَثْلِ في الإخبارِ عن تَصميم المُخبَرِ عنه على ما بغُدَ حَرْفِ الاستِثناء، وذلك يَعْتَضِي وُجودَ الصَّاوِفِ عن المُستنى، أي: فصَمَّموا على الكُفورِ لا يَرجِعون عنه! لاَنَّ الاستِثناء مِن عُموم أشباء مُبهمَة جُعِلْتُ كُلُّها ممَّا تَعلَقَ به الإباء،

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٥٩).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٤، ٥٠).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٥٠).





كانَّ الأَبِينَ قد عُرضَتْ عليهم -مِنَ النَّاسِ أو مِن خَواطِرِهم- أمورٌ وراجَعوا فلمْ يَقبَلوا منها إلَّا الكُفُورَ، وإنْ لم يَكُنْ هنالك عَرْضٌ ولا إياءٌ''.

٧- قولُه تعالى: ﴿ وَلَوْ شِنْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾

- الأصلُ في (بَعَث) و (أرسل) وأمثالهما أنْ يَتعدَّى بـ (إلى)، وهنا قال: ﴿ لَمِنَتَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ قَدِيرًا ﴾؛ فجُعِلتِ القريةُ موضعًا للإرسالِ؛ فلم يُعَدَّب (في) كما عُدِّي بـ (إلى)، ولم يُجعَلْ صِلةً مِثلَه، يعني: أنَّ «في» هنا لبستُ للتَّعديةِ، مِثل (إلى»، لكنها: ظرفُ له، اقتطع «بَعَثْنا» مِن صِلتِه، وجُعِلَ مطلقًا (ال

٨- قولُه تعالى: ﴿ فَلاَ تُطِعِ ٱلْكَنْفِرِينَ وَمَنْهِنَهُمْ بِهِ. حِهَادًا كَيْرِنًا ﴾ هذا النهي مرادٌ به تهييجُه صلى الله عليه وسلَّم، وتَهييجُ المؤْمنينَ وتَحريكهم على عَدمٍ طاعةِ الكافِرينَ فيما يُريدونَهم عليه؛ والخِطابُ وإنْ كان له فالحُكمُ شاملٌ لِأُمّتِه٬٠٠.

- ونفريغ قَولِه: ﴿ وَلَا تَظِيم آكَنْجِينَ ﴾ على جُملة ﴿ وَلَوْ شِنْمَالْهَمْنَا فِنْ كُلِّ وَقِيَهِ نَذِيرًا ﴾؛ لأنّها تتضمَّنُ أنَّه مُرسَلٌ إلى المشركينَ مِن أهلِ مكَّة، وهُم يَطلُبُون منه الكَفَّ عن دَعرَتِهم، وعن تَنقُّصِ أصنايهم. والنَّهيُ مُستعمَلٌ في التَّحذيرِ والتَّذكيرِ، وفِعلُ ﴿ ثَطِع ﴾ في سِباقي النَّهيِ يُفيدُ مُحمومَ التَّحذيرِ مِن أَذْنَى طاعةٍ لهم '''.

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٠).

⁽٢) يُنظرَ ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ١٨٧)، ((حاشية الطبيي على الكشاف)) (٧٠ / ٧٠٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٧/ ٥٠٥).

⁽٣) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٦)، ((نفسير البيضاوي)) (٤/ ١٢٧)، ((نفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٨).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٣).





- قولُه: ﴿ وَكَنهِ نَدُمُم بِهِ مِهِ مَاكَ كَيْرِكَ ﴾ قبل: إنَّه أُمِر بالجرسِ على الدَّعوة والمُبالَغة فيها، وعُبَرَ عن ذلك بالجهاد - وهو الاسمُ الجامعُ لمُستهى الطَّاقة - وصِيغةِ المُفاعَلةِ فيه؛ ليُفيدَ مُقابلة مَجهودِهم بمَجهودِه فلا يَضعُفُ، ولذلك وصِيغةِ المُفاعلةِ الكَيرِ، أي: الجامع لكلَّ مُجاهَدةٍ (١٠. قبل: الأنَّ مُجاهَدة الشّفهاءِ بالحُجَجِ أَكبَرُ مِن مُجاهَدةِ الأعداءِ بالسَّيفِ، أو الأنَّ مُخالفتهم ومُعاداتِهم فيما يُن أظهرهم مع عُتُوهم وظُهورِهم (١٠)، أو جعلَه جهادًا كبيرًا لما يُحتملُ فيه مِنَ المَشاقُ العِظامِ، أو الآنه جِهادٌ مع كلَّ الكَفرةِ؛ الآنه مَبعوتُ إلى القُرى كاقَة (١٠).

٩- قولُه تعالى: ﴿ وَهُو اللّذِى مَرَجَ الْبَحَرَيْنِ هَذَا عَلَبٌ فَرَكُ وَفَنَا مِلْمُ أَلْبُحُ وَمَعَلَ اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٢٨).

 ⁽٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٦)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٢٨)، ((تفسير أبي حيان))
 (٨/ ١١٧).





كِنائيٌّ بأنَّ اللهَ ناصِرٌ لهذا الدَّينِ مِن أن يُكدِّرُه الشِّركُ؛ ولأَجْلِ ما فيها مِنَ التَّمثيلِ والتَّبيتِ والوعدِ كان لِمَوقِهها عَقِبَ جملةِ ﴿ فَلاَ قُطِع ٱلْكَنْمِينِ ﴾ وَهَنَها لْهُمُّ مُنْهُ لَهُمُ يِمِ جِهَادًا كَيْرِكُ ﴾ [الفرقان: 27] أَكمَلُ حُسن ''.

- قولُه: ﴿ وَهُو اللَّذِى مَرَجَ الْبَصْرَةِينَ ﴾ الفَصرُ المُستفادُ هنا مِن تَعريفِ جُزاَيِ الجُملةِ، هو قصرُ إفرادٍ، أي: لا يَشرَكُه غَيْرُه في مَرْج البَحرينِ؛ لَمَّا جَعَلوا له شُركاءَ على الإجمالِ أُبطِلَتْ شَرِكتُهم بقصرِ النَّصرُّفِ في مَرْج البَحرينِ على اللهِ تعالى؛ لأنَّه إذا بَعَل تَصرُّفُهم في بعضِ الموجوداتِ اختلَتْ حَقيقةُ الإلهيَّةِ عنهم؛ إذ الإلهيَّةُ لا تَقبَلُ التَّجزئةُ "!

- قولُه: ﴿ رَحَمُلَ بِيَنْهَمُا بَرَنَهَا وَجِجْرًا تَعْجُرُلا ﴾ ﴿ تَعْجُرُلا ﴾ وضفٌ لـ ﴿ حِجْرًا ﴾ مُشتَقٌ مِن مادَّتِه؛ للذَّلالةِ على تَمكُنِ المعنى المُشتَقُ منه، كما قالوا: لَيْلُ أَلْيُلُ أَلَيُكُ ''،

١٠ - قولُه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلُهُۥ نَسَبًا وَمِيهُمَّ وَكَانَ رَبُّكَ فَلِيزًا ﴾

- عَبَّر بالضَّميرِ ﴿ وَهُرَ ﴾ - كما تقدَّمه - حَثًّا على استِحضارِ الأفعالِ والصَّفاتِ التي تَقَدَّمتُ؛ لِتُعرفَ الحيثيَّةُ التي كُرَّرَ الضَّميرُ لأجلِها^نُا.

- قولهُ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَلِّهِ ... ﴾ القَصرُ المُستفادُ مِن تعريفِ الجُز أَينِ قَصرُ إفراؤ؛ لإبطالِ دَعُوى شَرِكةِ الأصنام للهِ في الإلهيّةِ (١٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٣، ٥٤).

وهذا المذكورُ مِن قبيل التفسيرِ الإشاريِّ، وهو مِن بابِ الاعتبارِ والقياسِ.

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٠٨). (٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٥).

الجزء ١٨ الحزب ٣٧





- والماءُ في قوله: ﴿ غَلَقَ مِينَ الْمَاهِ مَثَكَلَ ﴾ مُطلَقٌ دَلَّ على شائع في جِنسِ الماء؛ فَتَعْبَيدُه بِقُوله: ﴿ يَشَكُرُ ﴾ دَلَّ على أَنَّ المرادَ منه النَّطفةُ الواحدةُ، ثَمَّ تَقسيمُه بقوله: ﴿ نَشَبًا وَعِبْهُ لَل ﴾ دَلَّ على نَوعَينِ: ذكرِ وأُنثى، وإنَّما عَدَل عنِ الذَّكرِ والأُنثى؛ ليؤذِنَ بالانشِعابِ نَصًّا؛ فالنَّطفةُ الواحدةُ نُطفةُ آدَمَ عليه السَّلامُ؛ فإذَن الآبةُ على وِزانِ قُولِهِ تعالى: ﴿ غَلَقَكُمْ مِن تَقْيِن وَخِوَ وَخَلَقَ يَثُهُ زَوْجَهَا وَئَكَ يَشْهَا يَجَالًا كَثِيرًا وَشَلَة ﴾ " [النساء: ١].

- والتَّنوينُ في قَولِه: ﴿ بَشَرًا ﴾ للتَّعظيمِ (٦).

- وفي تركيبِ ﴿ كُانَا دَنِيْكَ قَلِيرًا ﴾ مِن دَقيقِ الإيذانِ بانَّ قُدرتَه راسِخةٌ واجِبةٌ له، مُتَّصِفٌ بها في الأزّلِ بما اقتضاهُ فِعلُ (كان)، وما في صِيغةِ (قدير) مِنَ الدَّلالةِ على قرَّةِ القُدرةِ المُقتضيةِ تمامَ الإرادةِ والعِلمِ^(٣).



⁽١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/٢٦٧).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٥).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٥٦).





الآيات (٥٥-٦٢)

﴿ وَيَسْدُونَ مِن دُوبِ اللّهِ مَا لاَ يَنْعَمُهُمْ وَلا يَشَرُّهُمُّ وَكَا اَلْكَافِرُ عَلَى رَهِهِ طَهِيرًا ﴿ اللّهِ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهِ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

غُريبُ الكُلمات:

﴿ ظَهِيرًا ﴾: أي: مُظاهِرًا ومُعادِنًا، وأصلُ (ظهر): يدُلُّ على قُوَّةٍ وبُروزٍ (١٠٠.

﴿ يَبِيرًا ﴾: أي: عالِمًا، والخُبُرُ: العِلمُ بالشِّيء، أو: هو العِلمُ بكُنُهِ المُعلوماتِ على حقائقها، والخبيرُ في أسماء الله: الَّذي انتهَى عِلمُه إلى الإحاطَةِ ببَواطِنِ الأشياء وخَفاياها، كما أحاط بظَواهِرِها، وأصلُ (خبر) هنا: يذُلُّ على عِلم"ً.

﴿ نَفُورًا ﴾: أي: هَرَبًا، وذَهابًا عن الحَقِّ، وأصلُ (نفر): يدُلُّ على تَجافٍ وتَباعُدٍ (٣٠).

⁽۱) يُنظر: ((غرب القرآن)) لابن قنية (ص: ٢٦١)، ((غنسير ابن جرير)) (٥/٥)، ((مقايس اللغة)) لابن قارس (٣/ ٧٤١)، ((المقردات)) للراغب (ص: ٤٠٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٥٠)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ١٦)، ((الكلبات)) للكفوي (ص: ٩٢٠).

⁽٢) يُنظر: (تفسير ابن جرير)) (١/ ١٩٠٥)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٢٣٩)، ((الفروق اللغوية)) للعسكري (ص: ٩٣)، ((مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم)) للبعلي (ص: ٩٤)، (((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٤٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٤/ ٦٠٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٥٩)، =





﴿ رُبُوكِم ﴾: أي: مَنازِلَ للشَّمسِ والقَمْرِ (١١)، وقيل: البُرومُ: الكواكبُ العِظامُ، وأصلُ البرجِ: القَصرُ والحِصْنُ، وبه سُمِّي برومُ السماءِ لمنازلِها المختصةِ الها (١٠٠٠).

﴿ فِلْفَةَ ﴾: أي: مُتعاقِبَينِ؛ يخلُفُ أحدُهما الآخَرَ، وأصلُ (خلف): يدُلُّ على

= ((المفردات)) للراغب (ص: ۸۱۷)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ۹۱٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۵/۹۲).

(١) قال الخازن: (هي برومُج الفَلَك الاثنا عشرَ بُرجَا، وهي: الحمَلُ، والثورُ، والجوزاهُ، والسرطانُ، والأسدُه، والسنبلةُ، والمدونُ، والمخدِّ، والمدونُ، ومداه البرومُج مَعْده البرومُ مقسومةٌ على مقسومةٌ على ثانون ثماني ثمانية وعشرين منزِلا، لكلَّ برج منزلان وثلثُ منزل... وهذه البرومُ مفسومةٌ على ثلاث منة وستَيْن درجة، لكلَّ برج منها ثلاثونَ درجة تقطَعُها الشَّمسُ في كلَّ سنةٍ مرَّةً، وبها تبثُم دورةُ الفَلَك، ويقطَعُها القسرُ مِنْ ثمانيةٍ وعشرينَ يومًا). ((تفسير الخازن)) (٣٠/ ٥٠). ويُنظر: ((نفسير القرطي)) (٣٠/ ٥٠).

وقال ابن عاشور: (أطلق البُرجُ على بقعة معينة من سَعْت طائفة مِن النجوم غير السيّارة وتُسمَّى النجوم التوابيّ التعين بعض على أبعاد ينبّها، لا تتغيَّر فيما يُشاهَدُ من الجوّ، فتلك المعافقة تكونُ بشكل واحد يشابهُ تُعطّا لو خُطَطْت بينها عطرطً لخرَج منها يُشاهدُ مورة فتلا المعافقة أكونُ مشكل البحوء المشابهة لهيتها، وهي واقعة في خط سَر الشمس... تعينوا أنّها منازل للشمس بالأنهم وقوا بجهنها المشابهة لهيتها، ومي والقم من من قبة الجرّ نهارا أنها يعين من قبة الجرّ نهارا فيما السنة الشمس من قبة الجرّ نهارا فيما السنة السنسية. في المناز في شبه قوس الدائرة، وجعلوها التي عشرَ مكانًا بعدد شهور السنة السنة الشمسية. في الغيل عان لها من النظام المناز عالم المناز المناز النجوم جعلوا لها أسماء الأشياء التي شبّهوها بها، وأضافوا البرخ إليها، ((تفسير ابن عاشور)) (١٨ مـ١٥) (١٨ مـ١٥) ((الخريس في القرآن والحديث)) للهروي (١/ ١٣١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٠٥). ((انخريت الأرب)) للكفوي (ص: ٢٥٠). ((نذكرة الأرب)) للكفوي (ص: ٢٥٠). ((نذكرة الأرب)) للكفوي (ص: ٢٥٠).





مَجيءِ شَيءٍ بغْدَ شَيءٍ (١).

المعنى الإجماليِّ:

يقولُ تعالى مبيئًا موقف المشركينَ مِن هذه النّعمِ العظيمةِ: ويعبُدُ هؤلاء المُشرِكون آلهةً مِن دونِ اللهِ لا تنفّعُهم ولا تضُرُهم، وكان الكافِرُ مُظاهِرًا ومُعاوِنًا للشّيطانِ وجزبِه على عداوةِ الله؛ يُشرِكُ به ويعصيه، ويُوالي أعداءَه، ويُحارِبُ أولياءَه.

ثمَّ يُبيِّنُ الله تعالى الوظيفة التي مِن أَجْلِها أرسَل رسولَه صلَّى الله عليه وسلَّم، فيقول تعالى: وما أرسَلناك -يا محمَّدُ إلى النَّاسِ إلَّا لتبشَّرَهم بثوابِ الله إذا آمنوا بالله، ولِتُنذِرَهم عِقابَه وغَضَبه إنْ كَفَروا وكذَّبوا. ويأمرُ الله نبيَّه أن يقولَ لمَن أُرسِل إليهم: لا أسألُكم على تبليغ رِسالةِ الله إليكم مالًا، لكِنْ مَن شاء منكم أن يتَّخِذَ إلى مَرضاةِ رَبَّه سَبيلًا، كالصَّلَةِ في سبيل الله، فليفعلُ.

ثمَّ يأمُّرُ الله تعالى نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم أن يتوكَّلَ عليه، ويستعينَ به، فيقول: واعتَمِدُ على اللهِ الحيِّ الباقي الذي لا يموتُ، ونزَّهْ عن كلَّ نَقصٍ مُثنيًا عليه بصِفاتِ كَمالِه، وكفي برَبِّك خبيرًا عَليمًا بذُنوبِ عِبادِه، وسيُجازيهم عليها.

الذي خلق السَّمَواتِ والأرضَ وما بيَنَهما مِن المخلوقاتِ في ستَّةِ آيَّام، ثُمَّ علا على العَرشِ علُوًّا يليقُ بجَلالِه : الرَّحمنُ؛ فاسألُ -يا محمَّدُ- عن الرَّحمنِ عالِمًا يخبرُك عنه.

ثمَّ يخبرُ الله تعالى عن جهالاتِ المشركينَ وسخافاتِهم، فيقول: وإذا قيل

⁽۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ۳۱۶)، ((نفسير ابن جوير)) (۲۸/ ۴۵۷)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ۲۱۲)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (۲۱۰ / ۲۱)، ((المفردات)) للراغب (ص: ۲۹۶)، ((نفسير القرطمي)) (۲۱/ ۱۳).





لهؤلاء المُشْرِكِين: اسجُدوا للرَّحمنِ، قالوا: لا نَعرِفُ الرَّحمنَ! أنسجُدُ لِما اتَّامُرُنا انت أن نسجُدَ له مِن غيرِ أن نُوبَى به؟ وزادهم الأمرُ بالشّجودِ للرَّحمنِ نُفورًا عن الإيمانِ. ثمَّ يرُدُّ الله سبحانه عليهم بما يدُلُّ على عظيم قدرتِه، فيقولُ: تعاظَمُ اللهُ وجلَّ شأنُه وكثُرتُ خيراتُه؛ فهو الذي جعَل في السَّماء مَنازِلَ للشَّمسِ والقَمَرِ، وخلق فيها شَمسًا مُشرِقةٌ وقَمرًا مُضيئًا، وهو الذي جعل اللَّيلَ والنَّهارَ مُعاقِبَين يخلُفُ أحدُهما الآخَرَ، لِمَن أراد أن يتَعِظَ ويعتبرَ، أو أراد شُكرَ اللهِ على يَعَهِه الني لا تُحصى.

تُغسيرُ الآيات:

﴿ وَيَسْتُدُونَ مِن دُوبِ اللَّهِ مَا لَا يَنَعَمُهُمْ وَلَا يَشَرُّهُمُّ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَا رَقِهِ طَهِ بِلَا ﴿ ﴾. مُناسَبُهُ الآية لِما قَبِلَها:

لَمَّا عَدَّدَ النِّعْمَ، وبِيَّنَ كمالَ قُدرتِه؛ عَجَّبِ مِن المشرِكين في إشراكِهم به مَن لا يقدِرُ على نَفعِ ولا ضرِّ، أي: إنَّ اللهَ هو الذي خلَقَ ما ذكرَه، ثمَّ هؤلاء لجَهلِهم يعبُّدونَ مِن دونِه أمواتًا جماداتِ لا تفعُّم ولا تشُرُّ^(۱)!

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾.

أي: ويَعْبُدُ المُشْرِكون مِن دونِ اللهِ آلهةً لا تَنفَعُهم بشَيءٍ، ولا تضُرُّهم أبدًا، ويتركونَ عِبادةَ اللهِ الذي خلَقَهم، وأنعَمَ عليهم، ويَملِكُ نَفعَهم وضُرَّهم(٢٠.

﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ، ظَهِيرًا ﴾.

أي: وكان الكافِرُ مُعينًا للشَّيطانِ وحِزبِه على عداوةِ اللهِ؛ يُشرِكُ به ويعصيه،

⁽۱) يُنظر: ((تفسير القرطمي)) (۱۳/۱۳)، ويُنظر أيضًا: ((نظم الدرر)) للبقاعي (۱۳/۹۹). (۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) ((۱۷/۲۷۹، ۷۷۷)، ((تفسير القرطمي)) (۱۳/۱۲)، ((تفسير الترطمي)) كثير)) (۱/۲۸۱)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (۱/۹۰۹)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۰۵).





ويُوالى أعداءَه، ويُحارِبُ أولياءَه(١)!

كما قال تعالى: ﴿ اَلَٰذِِنَ مَامُواْ يَعْنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاَلَّذِينَ كَفَرُواْ يُعْنِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّلُوْتِ فَعَنِلُواْ أَوْلِيَّةَ الشَّيْطِيِّ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطِينِ كَانَ صَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلَّا مُبَيْثُمُ لَ وَيَذِيرًا ۞ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

تملَّقُ ذلك بما تقدَّم هو أنَّ الكَفَّارَ يطلُبونَ العَونَ على اللهِ تعالى وعلى رَسولِه، واللهُ تعالى بعَثَ رسولَه، واللهُ تعالى بَمَثَ رسولَه يَفْفِهم؛ لأنَّه بعَثَه لِيُنشِّرَهم على الطاعق، ويُنلِزَهم على المعصية، فيستحقُّوا الثواب، ويَحترِزوا عن العقابِ، فلا جهلَ أعظَمُ مِن جهلِ مَن استفرغَ جُهلَده في إصلاحِ مهمَّاتِه دينًا ودُنيا، ولا يسالُهم على ذلك البَّقَة أجرًا (۱۳)!

وأيضًا لَمَّا أفضى الكلامُ بأفانين انتقالاتِه إلى التَّعجيبِ مِن استمرادِهم على الْ يعبُدوا ما لا يَضُرُهم ولا ينفَعُهم؛ أعقبَ بما يُرمِئُ إلى استمرادِهم على تكذيبِهم محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم في دعوى الرَّسالةِ، بنِسبةِ ما بَلَغَه إليهم إلى الإفكِ، وأنَّه بِسحرٌ، فأبطِلتُ دعاويهم كلُّها بوَصفِ النَّبيُ بأنَّه مُرسَلٌ مِن الله، وقَضْره على صفتى النَّبيْ بأنَّه مُرسَلٌ مِن الله، وقَضْره على صفتى النَّبيْ بأنَّه مُرسَلٌ مِن الله، وقَضْره على صفتى النَّبيْ والنَّذارةِ (٣).

﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَكَ إِلَّا مُبَشِّرُا وَيَذِيرًا ۞ ﴾.

أي: وما أرسَلْناك -يا محمَّدُ- إلى النَّاسِ إلَّا لتبشُّرَ مَن آمنَ بك واتَّبعَك

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۷۷/۷۷)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۸۸۸)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۱/۵، ۵۷)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (۲۸/۱).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢٧٦).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٧).





بالخَيرِ والنَّوابِ في الدُّنيا والآخرةِ، وتُنذِرَ مَن كفَرَ بك وكذَّبَك وعصاك بالشَّقاءِ والعذاب في الدُّنيا والآخرةِ^(١).

﴿ قُلْ مَا أَسْتُلُكُمْ مَلْمُدِينَ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَكَة أَن يَنَخِذَ إِلَى رَفِي سَبِيلًا ﴿ ﴿ ﴾. مُناسَبُهُ الزَّيْزِ لِما قَبِلُها:

لَمُنَا وَقَعَ جوابُهم عن قَولِهم: ﴿ لَاَلَاۤ أَنْزِلَآ إِنَّكِ مَلَكُ ﴾ [الفرقان: ٧]، وكان قد بقيّ قولُهم: ﴿ أَزَّ يُلْقَلَ إِلَيُوكَئِنَّ ﴾ [الفرقان: ١٨، أُشيرَ إلى مَزيدِ الاهتِمامِ بجوابِه بلبرازِه في صورةِ الجوابِ لِمَن كانَّه قال: ماذا يُقالُ لهم إذا تظاهَروا وطَمَنوا في الرَّسالةِ بما تقدَّم وغَيره؟ فقال''':

﴿ قُلْ مَا أَسْتُلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾.

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- لِمَن أرسلتُك إليهم: أنا لا أسألُكم على تبليغِ رسالةِ اللهِ إليكم مالاً^(٣).

كما قال تعالى: ﴿قُلُ لَا آَشَتُلُكُمْ عَلَيْتِهِ أَجْرًا ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْمَاكِدِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال سُبحانه: ﴿ أَمَّ نَسْئَلُهُمْ آلِمُوا فَهُم مِن مَّفْرَمِ مُّثْقَلُونَ ﴾ [الطور: ٤٠].

﴿ إِلَّا مَن شَكَّاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ ، سَبِيلًا ﴾.

أي: لكنْ مَن شاء مِنكم أن يتَّخِذَ طَريقًا يقَرِّبُه إلى اللهِ، فليفعَلْ، ومِن ذلك أن

 ⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) ((۱/ ٤٧٩))، ((تفسير القرطبي)) (٦٢/١٣)، ((تفسير ابن كثير))
 (٦/ ١١)، ((تفسير السعدي)) (صري: ٥٨٥).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ١١).

⁽٣) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٧٩)، ((نفسير القرطبي)) (٦٢/ ٦٢)، ((نفسير ابن كثير)) (١١٨/٦)، ((نفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥).





يُنفِقَ مِن مالِه في سبيل اللهِ(١).

﴿ وَقُوَكَٰلَ عَلَى ٱلْمَيِّ ٱلَّذِى لَا يَعُوتُ وَسَجَّعَ بِحَمَّدِهِۥ وَكَغَلَى هِهِ. بِلْتُوْبِ عِبَادِهِ. خَبِيرًا ﴿ ﴾ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا بَيْنَ سُبِحانَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مُتظاهِرونَ على إيذائِه، فأمَرَه بالَّا يطلُبَ منهم أجرًا البُّقَة - أمَرَه بأنْ يتوكَّلَ عليه في دفْع جَميعِ المَضارَّ، وفي جَلْبٍ جميعِ المنافعِ". وأيضًا لمَّا أخبرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه فَطَمَ فَضَه عن سؤالِهم شَيئًا؛

و وايصا نما احمر النبي صلى الله عليه واسلم اله فقم نفسه عن سوايهم سيبه؛ أَمَرُه تعالى بتفويضٍ أمرِه إليه، ويُقَتِه به، والاعتِمادِ عليه؛ فهو المتكفَّلُ بنَصرِه وإظهارِ دينِه"؟.

وأيضًا لَمَّا كان المقصودُ رَدَّهم عن عِنادِهم، وكان ذلك في غايةِ الصُّعوبةِ،

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٧٩)، ((تفسير القرطبي)) (٦٢/ ٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥).

ومئن ذهب إلى هذا المعنى: ابنُ جرير، والقرطيُّ، والسعديُّ، يُنظر: المصادر السابقة. وقال ابنُ كتير: (﴿وَلِلَا مِن مُسَلَّمَا أَنْ يَشْهِدُ إِلَّى رَبُوم سُبِيلًا ﴾ أي: طريقًا ومُسلَكًا ومُنهجًا يُقتدى فيها بعا چنتُ به). ((تفسير ابن كثير)) (/ ١١٨/٨).

وقال البقاعي: (هؤلاً من ﴾ أي: إلاّ أجرَّ من هؤكمتاً أن يتَشَيدٌ ﴾ أي: يكُلُف نفَت ويخالفَ هواه، ويجعَلَ له هؤانَ رَبِّو. سَيِيلًا ﴾ فإنَّه إذا اهندى بهداية رَبَّه، كان أنه لا يشلُ أجرِه، لا نفَعَ لمي من جهيتِكم إلاّ هذا، فإنْ سَيِّتِم هذا أجرًا فهو مطلوبي، ولا بريةً في أنه لا يَنْفُصُ أحدًا شيئًا مِن دنياه، فلا ضررَ على أحدِ في ظَيِّ النَّبْاء عنِّي فأفاد هذا فائدتين؛ إحداهما: أنَّه لا طممَ له أصلاً في شيء يَنْقُصُهم، والثانيةً: إظهارُ الشَّفَقةِ البالِفةِ بأنَّه يَعتُذُ بمنفعتِهم الموصلةِ لهم إلى ربُّهم ثوابًا لنَّفِيهُ. ((نظم الدور)) (١٣/ ٤١٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢٧٦).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٢٠).





وكان هذا الكلامُ لا يُرُدُّ مُتعنَّيهم -وهم الأغلبُ- الذين تُخشَى غائلتُهم؛ عطَفَ على ﴿ قُلْ﴾ قولَه (١٠:

﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾.

أي: واعتَمِدْ -يا محمَّدُ- في دينِك ودُنياك على اللهِ الذي له الحياةُ الكامِلةُ الدَّائِمةُ التي لا موتَ معها أبدًا، وفوضْ أمورَك كُلَّها إليه وحُدَه لا إلى غيرِه، لا سبَّما في مُواجهةِ المُشركين بالإنذار، وتبليغِهم رسالةَ الله إليهم").

كما قال تعالى: ﴿ فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَنَبْتُلْ إِلَيهِ بَنْتِيلًا * رَبُّ ٱللَّهْرِي وَٱلْغَرِبِ لَا إِلَهُ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذُهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: ٨، ٩].

﴿ وَسَيْحَ بِحَنْدِهِ ﴾.

أي: ونزَّهُ -يا محمَّدُ- ربَّك عن النَّقائِصِ والأندادِ والشُّرَكاءِ، مُثنيًا عليه بصِفاتِ كَمالِه، شاكرًا له على نِعَيهه".

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ١٢).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) ((۱۷ / ۱۹۷۹)، ((تفسير القرطبي)) (۱۳ / ۱۳)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۱۸/۱، ((نظم الدور)) للبقاعي (۱۳/۱۳)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۰)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۱۹).

قال البقاعي: (هَاآلُويَ لَا يَمُوتُ ﴾ أي: فلا ضياعً لِمَن تَوكُلُ عليه أصلًا، بل هو المتولِّي لمصالحه في حياته ويغذ مماته، ولا تلقيف إلى ما سواه يوجوه فإنَّه هالِكًا). ((نظم الدر)) (۱۳/۳۱ع). (۲) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲/۸۰هـ)، ((نفسير القرطي)) (۱۳/۳۲)، ((نفسير ابن كثير)) (۱/۹/۱)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (۲/۳۱هـ)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱/۹۰هـ).

قال ابن جُزَي: (هُوْرَمَتَعَ مِحْسَدِيهِ ﴾ أي: قُلُ: سُبحانَ اللهِ ويحَمْدِه. والشَّبِيعُ: الشَّرِيهُ عن كُلُّ ما لا بَلِينُ به، ومعنى بحَمْدِه: أي: بحَمْدِه أقولُ ذلك. ويحقولُ أن يكونَ المعنى: سَبِّعُه مُتَلَبَّسًا بحَمْدِه؛ فهو أمرُّ بان يَجمَعَ بينَ الشَّبِيعِ والحَمِدِي. ((قَسِير ابن جزي)) (٢/ ٨).





﴿ وَكَفَىٰ بِهِ، بِنُنُوبِ عِبَادِهِ، خَبِيرًا ﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

لَمَّا كان الشُسَلَّى ربَّما وقَعَ في فِكرِه أَنَّ مَن سَلَّاه إِمَّا غيرُ قادرٍ على نَصرِه، أو غيرُ عالِم بذُنوبِ خَصمِه، وكان السَّياقُ للشَّكايةِ مِن إعراضِ المبلَّغِينَ عن الفُرآنِ، وما يَنتُمُ ذلك مِن الأذى- أشار بالعَطفِ على غيرِ مذكورٍ إلى أنَّ التقديرُ:

= ممَّن اختار أنَّ المرادَ أن يقولَ: سُبحانَ اللهِ وبحَمْدِه: ابنُ عطية، وابنُ جزي. يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (۲۱۲/۶) ((نفسير ابن جزي)) (۲/ ۸۵).

وممَّن اختار أنَّ المرادَ: سَبِّحْه مُتَلِّسًا بِحَمْدِه -أي أن يقولُ: سُبِّحانَ اللهِ، والحمدُ لِلو-: جلالُ الدين المحلقُ، يُنظر: ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٧٧).

وقال ابن كثير: (اقرنْ بيْنَ حمدِه وتسبيحِه). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١١٩).

وممَّن اختار أنَّ المعنى: نُرَّهُ، عن صفاتِ التَّقصانِ، مُشيًا عليه بنعوتِ الكمالِ: البيضاويُّ، وأبو السعود. يُنظر: ((نفسير البيضاوي)) (٤٢٥/٤)، ((نفسير أبي السعود)) (٢٢٦/١). ويُنظر أيضًا: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٤١٣/١٣)، (زفسير الألوسي)) (٢٧/١٠).

وممَّن فسَّر التَّسبيعَ بالتَّتريهِ أيضًا: القرطيُّ والشوكانيُّ وابنُ عاشور. يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٢٧)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٩٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٩/ ٩٩).

وممَّن اختار أنَّ المعنى: اعبُّدُهُ شُكرًا منك له على نِعَمِه: ابنُ جرير، ومكِّي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۱۶۰)، ((الهداية الى بلوغ النهاية)) لمكى (۲۵/ ۵۲٪۳).

وممَّن اختار أنَّ المعنى: صَلَّ له شكرًا على يَعَهِ: البغويُّ، والخازنُ. يُنظر: ((تفسير البغوي)) (٣/٣٥٤)، ((تفسير الخازن)) (٣/ ٣١٧).

وقال الثعلبي: (اعبُدُه وصَلَّ له شكرًا منك له على يَعَوه). ((تفسير الثعلبي)) (٧/ ١٤٢). ويُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥).

وقال العليمي: ﴿﴿وَسَمَعٌ بِحَمَّدُوهِ ﴾ صلَّ له شكرًا، ونَزَّهُه عن صفات النقصان). ((تفسير العليمي)) (٣٦/٥).

وقال ابن عاشور: (واتّما أمّرُه بالتَّسيِّع فهو تنزيهُ الله عمَّا لا يليقُ به، وأوّلُ ذلك الشَّرِيّهُ في الإلهيَّة، أي: إذا أممَّك أمرُ إعراض المشركينَ عن دعوةِ الإسلام، فعليك نفْسَك، فنزُّه اللهَ). ((تفسير ابن عاشور)) (19/4ه).





«فكفي به لك نصيرًا»، وعطَفَ عليه (١):

﴿ وَكَفَىٰ بِهِ، بِذُنُوبِ عِبَادِهِ، خَبِيرًا ﴾.

أي: وحَسْبُك -يا محمَّدُ- ربُّك الخَبيرُ بِذُنوبِ عِبادِه، فلا يخفى عليه شَيِّ منها، وسيُجازيهم عليها يومَ القيامةِ؛ فليس عليك هُداهم، ولا حِفظُ أعمالِهم، فذلك كلُّه بيّدِ اللهِ وحْدَه''.

﴿ اَلَٰذِى خَلَقَ السَّنَوُنِ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمُنَا فِي سِنَّةِ أَيْنَامِرِ ثُمَّ اَلْسَنَوَىٰ عَلَ الْعَرْشِ الرِّحْمَانُ فَسَنَّلَ مِهِ. خَيِمِرًا ۞﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا أَمْرَ سُبحانَه نبيَّه بالتوكُّلِ والتَّسبيح، وذكَرَ صفةَ الحياةِ الدَّائمةِ؛ ذَكَرَ ما دلَّ على القدرةِ التامَّةِ، وهو إيجادُ هذا العالَمِ"، وأنَّه جديرٌ بأن يُخَصَّ بالتوكُّلِ، تبارَك وتعالى'⁽¹⁾.

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَيْنَهُمَا فِي سِنَّةِ أَيَّامٍ ﴾.

أي: توكَّلْ على الحيِّ الذي خلَقَ السَّمواتِ السَّبْعَ والأرضَ وما بيَنَهما مِن المخلوقاتِ في سِنَّةِ أيام⁽⁶⁾.

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/١٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٨٠)، ((تفسير القرطبي)) (٦٢/ ٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٢٠).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٢٣٤).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٨٠)، ((تفسير ابن كثير)) (١١٩/٦)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٩٧).

قال ابن كثير: (والسَّتُّهُ الأيام هي: الأحدُ، والاثنينُ، والثُّلاثاءُ، والأربِعاءُ، والحميسُ، والجُمُعةُ =





= - وفيه اجتمع الخَفَلُقُ كُلُه، وفيه خُلِق آدَمُ عليه السلام. واختلقوا في هذه الآيام: هل كلُّ يَوْمِ منها كهذه الآيام على ذلك مجاهِدٌ، منها كهذه الآيام كلم والدي منها كهذه الآيام على ذلك مجاهِدٌ، والإمامُ أحمدُ بنُّ حَمِيل، ويُروى ذلك مِن رواية الضَّخَالُ عن ابن عَلَيْ وَلا الله الله الله يَقْ عَلَيْ الله الله الله ويُروى ذلك مِن رواية الضَّخَالُ عن ابن عَلَيْ الله تَقْلَى الالله الله ومت سُمِّق السبت، وهو القطعُ). ((تفسير ابن كثير)) ((۲۲/۲)). ممَّن الخمهور ما الخيار الله الله على الله على الله على الله الله على الله

قال الألوسي عن هذا القول: (وهو الأنشبُ بالمقامِ؛ لِما فيه مِن الدَّلالةِ على القُدرة الباهرةِ بخلقِ هذه الأجرامِ العظيمةِ في مِثلِ تلك المُدَّةِ السِيرَة، ولأنَّه تعريفٌ لنا بِما نعرِفُهُ). ((تفسير الألوسي)) (1/ 17.

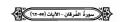
وقال ابرُّ عنيمين عن القول بانَّ الأبام السَّقَ هي بن أيام الذُنبا: (هذا هو القولُ المشهورُ، وهو الراجِعُ، وأنَّا مَن قال: في سنة آيَّام بن آيَّام الآخرة، وإنَّ اليومَ كالُّفِ سَنَّه، أو مَن قال: إنَّ المرادَ بالآيَّام مُطلقُ الزَّمْنِ، أي: في لحظاتٍ- فلك أيضًا قولٌ مرجِعُ، لأنَّ القرآنَ إنَّما يخاطِبُ النَّمَسُ بِما يَعْرِفُونَ، فالصَّحِبُّ أنَّ العرادَ سِتَّهُ أيَامٍ مِن أيامٍ النَّنِيا). ((فضير ابن عنيمين - سورة الفرقان) (صر: ۲۲۵،۲۳۵).

وقال الشنقيطي: (العلماء يقولون: إنَّ هذه الاَّيَامَ؛ المرادَّ بها أوقائهًا؛ لأنَّه في ذلك الوقتِ لم يُكُنُ هنالك يومُّ؛ لأنَّ اليومَ بِن طُلوعِ الشَّمسِ إلى عُرويِها، وإن لم يكُنُ هنالك شَمسُ لا يُعرَفُ اليومُ؛ إذَّ أنَّ اللهَ قِبَلَ أن يخلُقُ الشَّمسَ والقَمَرَ يعلمُ زَمَنَ الاَّيَّامِ قِبَلُ وُجودِ الشَّمسِ). ((العذب النعب) (٣٤٤/٣/ ١٤٤٥)

وقال الزمخشري: (أمَّا الشَّاهي إلى هذا المَدَدِ -أعني: الشُّقُة دونَّ سايْرِ الأعدادِ- فلا نشُكُّ أنَّه داعي حِكْمةِ لعِلْمَانا أنَّه لا يُمَدُّر تقديرًا الأِ بداعي حِكمةِ، وإن كنَّا لا نطَّلعُ عليه، ولا نهندي إلى معرفِه). ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٨).

وقال البيضاوي: (ولملَّ ذِكْرَه زيادةُ تقريرِ؛ لكويَه حقبقًا بان يُبرِكُلَ عليه؛ من حيثُ إِنَّه الخَالِقُ للكُلُّ والمتصَرِّفُ فيه، وتحريضٌ على النياتِ والتأتِّي في الأمرِ؛ فإنَّه تعالى حمع كمالِ قدرتِه، وسرعةِ نفاذِ أمرِه في كلِّ مُرادِ- خَلَقَ الاشباءُ على تُؤدةٍ وتَدَرُّجٍ). ((تفسير البيضاوي)) (۲۹/۶).





﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَانُ ﴾.

أي: ثمَّ علا اللهُ الرَّحمنُ على عرشِه بعْدَ خَلْقِه السَّمواتِ والأرضَ عُلُوَّا يلينُ بجلاله (۱۰.

﴿ فَسَنَلْ مِهِ خَبِيرًا ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا كان العِلمُ لازمًا للمُلْكِ؛ سَبَّبَ عن ذلك قولَه (٢):

﴿ فَسَنَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾.

أي: فاسأل^{ْ(٣)}.....

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۸۰۶)، ((تفسير الشوكاني)) (۲/ ۲۶۰)، ((تفسير القاسمي)) (۷/ ۲۶۶)، ((تفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ۲۶۰).

قال السعدي: (﴿ ثُمَّرَ أَسْتَوَىٰ ﴾ بعد ذلك ﴿ عَلَى ٱلْمَرْشِ ﴾ الذي هو سَقفُ المخلوقاتِ وأعلاها، وأوسَمُها وأجمَلُها). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥).

وقال أبو عمرو الداني: (﴿ فُمُ ٱسْتَمَرِّينَ عَلَى الْمَدِّينِ ﴾ تأمّ إذا رتفع ﴿ الرَّمَسُنُ ﴾ بالابيناء، وجُبل الخبر فيما بغدَه، فإنْ رُفع بتغدير: هو الرَّحمرُ؛ كان الوقفُ على ﴿ الْمَرْيِنِ ﴾ كافيًا. وإن جُبل بدَلًا مِنَ المُصْمَرِ الذي في ﴿ السِّمَةِ فَي الْمَرَاتِينَ ﴾ لهم يَكفِ الوقفُ على ﴿ الْمُرْيِنِ ﴾، وكفي على ﴿ الرَّمَيْنُ ﴾). ((المكتفى في الوقف والإندان) (صر: ٤٤).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ١٥).

 (٣) قبل: الخطابُ لمحمّد عليه الصّلاةُ والسلامُ. وممّن قال بذلك: ابنُ جرير. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٩/ (٤٨).

وقال الواحديُّ: (هذا الخِطابُ ظاهرُه للنيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، والمرادُبه غيرُه). ((الوسيط)) (٣/ ٤٤٣).

وقال أيضًا: (﴿ فَتَشَكُّلُ بِهِ خَسِيرًا ﴾ فاسأَلُ -أيُّها الإنسانُ الذي لا تَعلَمُ صِفتَه- خَبيرًا يُخبِرُك بصِفاتِه). ((الوجيز)) (ص: ٧٨٨).

وقال أبو السعود: (وما قيل مِن أنَّ التَّقديرَ: إنْ شككتَ فيه فاسألْ به خَبيرًا، على أنَّ الخطابَ =





عن(١) الرَّحمنِ عالِمًا(١) يُخبِرُك عنه وعن عَظَمتِه، وعن خَلقِه وسُلطانِه، وأفعالِه

= له صلَّى الله عليه وسلَّم والمرادَ غيرُه؛ بمعزلِ مِن السَّدادِ، بل التَّقديرُ: إنْ شنتَ تحقيقَ ما ذُكِر أو تفصيلَ ما ذُكر، فاسألْ معنيًا به ﴿ خَيرِكُ ﴾ . ((تفسير أبي السعود)) (77 / ٢٧).

(١) قال ابنُ عثيمين في بيان أوجُه التَّعُدية بالباء:

(الوَجهُ الأوَّلُ: أن تكونَ «الباءُ» بمعنى «عن»، وهذا واضِحٌ: فاسألْ عنه خَبيرًا.

الرَّجهُ النَّانِي: أن تكونَ «الباء» متعلقة بمحدوب تقديرُه: "مُفتيّا أو مُهتَّنا به، حالٌ بن الشَّميرِ المُستر المُستر في قوله: ﴿ فَتَكُلُ ﴾. وعندي أيضًا أنه يوجدُ احيمالُ أنَّ المعنى: فاسألُ تُجَبِّه مَيرًا، يعني كانَّ مُشتَّر الشُّوالُ ما يلُلُ على الجوابِ، مِثلُ ما قبلَ في: ﴿ مَالَ عَلَى المَهامِن وَقِيهِ ﴾ [المعارج: ١٦]: سأل سايلُ وأجيب بعَدَابٍ واقع، ويكونُ عَدَل عن عوى والى «الباء» لأنَّ معره إنّا نتلُلُ على الإجابة إنشًا. وعلى كلَّ حالٍ فالمعنى أنَّ الرحمنَ الذي على معرود الشواتِ والأرض واستوى على المَرْشِ إسالُ عنه خيرًا يُخيرُك). ((تفسير ابن عليمين حيمين حيمين عليمين المَرودة الفرقان) (ص: ٢٤٣).

(٢) قيل: العرادُ بالخبير: اللهُ تعالى. ومَثَنَ قال بذلك: السمعانيُّ، وأبو السعود، والسعديُّ، وابنُ عتيمين. يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٢/٧٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٢٧٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥)، ((نفسير ابن عتيمين – سورة الفرقان)) (ص: ٢٤٤).

وممَّن قال بهذا القَولِ مِن السَّلَفِ: مجاهدٌ، وابنُ جُرَيجٍ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٨١)، ((تفسير ابن أبر حاتم)) (٨/ ٢٧١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٢٠).

قال أبو السعود: (هِ تَشِيعِ؟ كه عظيمَ الشَّانِ، محيطًا بظواهِرِ الأمورِ وبواطنِها، وهو اللهُ سبحانه؛ يُطلِقك على جليَّة الأمرِ. وقيل: فاسألُّ به مَن وَجَدَه هي الكُتُبِ المتقَدِّدةِ لِيَصُدُقُك فِيه). ((نفسير أمر السعود)) ((/ ۲۷۷).

وقال السعدي: (﴿ فَتَكُلُ بِهِـ، خَيِـبِكُ ﴾ يعني بذلك: نُفْسَه الكريمةَ؛ فهو الذي يعلَمُ أوصانه وعَظَنته وجَلاله، وقد أخبَرَكم بذلك، وأبانَ لكم مِن عظمتِه ما تَستَمدونَ به مِن معرفِيم، فعَرْفه العارفون وخضَموا لجلالِه، واستكبّرَ عن عبادتِه الكافِرونَ واستنكفُوا عن ذلك). ((تفسير السعدي))(ص: ۸۵ه).

وقيل: العرادُ به: محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلم. وممَّن قال بذلك: ابنُ كثير. يُنظر: ((نفسير ابن كثير)) (١١٩/٦).

قال ابن كثير: (أي: استعلِمْ عنه مَن هو خبيرٌ به عالمٌ به، فاتَّبِعْه واقتَدِ به، وقد عُلِم أنَّه لا أحدَ =





وصفات كَمالِه(١).

كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُنَبِّنُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٤].

﴿ وَلِمَا فِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّعْنِي قَالُواْ وَمَا الرَّعْنَىُ أَنْسَجُدُ لِمَا قَالُمُونَا وَوَدَمُمْ تَقُولُ ۩ ۞﴾. مُعاسَبُهُ الآيةِ لِما فَبِلَها:

لَمَّا ذَكَرَ إحسانَه إليهم، وإنعامَه عليهم؛ ذَكَرَ ما أبدَوْهُ مِن كَفْرِهم في مَوضِع

= أعلَمُ بالله ولا أخيرُ به بن عبده ورسوله محمدٍ -صلواتُ الله وسلامُه على سيّد ولدِ آدمَ-على الإطلاقِ في الذَّبَا والأخرَة، الذي لا ينطقُ عن الهوى، إنْ هو إلا وحيَّ يُوحَى؛ فمن قاله فهو حيَّ وما أخبَر به فهو صِدقٌ، وهو الإمامُ المحكَّمُ الذي إذا تنازَع الناسُ في تَسيء وجب ردُّ نزاعهم إليه، فما يوافقُ أقوالَه وأفعالُه فهو الحيُّ وما يخالِفُها فهو مردودٌ على قالِيْه وفاعلِه، كانتًا مَن كانهُ قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعُمْ لِهِ شَيْرٍهُ وَثَوْهُ إِلَى أَتَوْ وَالْرَسُولِ ﴾ [النساء: ٩٥]، ((نفسير ابن كثير) (1/ 19).

وقيل: المرادُ: أهلُ العلمِ. وممَّن قال بذلك: ابنُ الأنباري. يُنظر: ((إيضاح الوقف والابتداء)) (٧/ ٩ - ٨).

قال ابن جُزي: (الأظهرُ أذَّ الدُّوادَ: اسألُ عنه مَن هو خبيرٌ عارفٌ به، وانتصَب هِ خَبِيرًا كه على المفعوليَّة، وهذا الخبيرُ التَسؤولُ هو جِبريلُ عليه الشّلامُ، والعلماءُ، وأهلُ الكتابِ). ((تفسير ابن جزي)) (۲/ ۸۵).

وقال الرسعي: (إنَّا أنْ يُرادَ بِالخِطابِ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ أو غيرُه بِخطابِه، كقولِه تعالى: ﴿ فَوَلَا كُلَّ يَهُ عَلَيْهِ السَّلَمَ ، فَي قولِ ابنِ عَبَّسٍ. وقال مجاهدٌ: هو اللهُ عَلَّ وجلَّ، على معنى: فالخبيرُ هو جبريُّ عليه السَّلامُ، في قولِ ابنِ عَبَّسٍ. وقال مجاهدٌ: هو اللهُ عَزَّ وجلَّ، على معنى: فسَلْني؛ فَإِنِّ الخبيرُ، وإن أُرِيدَ به غَيْرُه فالمعنى: فاسالُ رجُلًا خبيرًا، أي: عالمًا بعا تسألُه عنه. وقبل: الضميرُ في ﴿ يوبِهِ ﴾ يرجمُ إلى ما ذلَّ عليه ﴿ وَسُكَلّ ﴾ وهو السؤالُ... المعنى: فاسالُ

(۱) يُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (۷۳/۶)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ۷۸۲)، ((نفسير القرطبي)) (۲۲/۱۳)، ((تفسير ابن کتير)) (۱۱۹/۱۰)، ((تفسير أبي السعود)) (۲۷/۲۰)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۵۸۰)، ((نفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ۲۶۳).





شُكْرهم، فقال(١٠):

﴿ وَإِذَا فِيلَ لَهُمُ أَسْجُدُواْ لِلرِّحْنَنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرِّحْنَنُ ٱنْسَجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾.

أي: وإذا قيلَ لأولئك المُشرِكين: اسجُدوا للرَّحمنِ الذي أنعَمَ عليكم بالنَّعَم، ودفَعَ عنكم النَّفَمَ دونَ غيرِه؛ قالوا متعَجَّبين وكافرين بالله ومُنكِرين لاسمِه الرَّحمنِ: لا نعرِفُ الرَّحمنَ! أنطيعُك -يا محمَّدُ- فنَسجُدُ لله وخدَه لمجرَّدِ قَولِك وأمْرك بذلك؟؟!

وَذَكَرَ النَّسَفِي أَنَّ العمني: صَلَّوا لله، واختَصَعوا له. يُنظر: ((تفسير النسفي)) (۱۲/80). قال الشتقيطي: (وما ذَكَرَه هنا بين أنَّهم أُمِروا بالشَّجودِ له وحُدَّه -جَلَّ وعلا- مذكورٌ في غيرِ هذا العوضِع؛ تقولِه تعالى: ﴿لاَ تَسْجُكُواْ الشَّبِسُ وَلَا الْفَتَمِينَ وَأَسْجُكُواْ أَفِّهُ الْأَبِي خَلَقَهُكَ إِن كُشَمُّ إِنَّالُهُ تَشْهُرُكِكُ ﴾ [فصلت: ۲۷]، وقولِه تعالى: ﴿ فَأَشْهُواْ فَوَاقْتُمُواْ فِي النجم: ۲۲]، =

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/٢١).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٨١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٢٤)، ((تفسير ابن كثير)) (١٢٠ /١)، ((تفسير السعدي)) (ص. ٥٨٥).

قال ابنُ عشمين: (هذا السجودُ يحتَولُ أن يرادَبه السجودُ الخاصُّ الذي هو خرورُ الإنسانِ على أعضائِه السبعة، ويحتولُ أنَّ العرادَ به السجودُ العامُّ الذي هو الخضرعُ المُطلَّقُ؛ لأنَّ السجودُ يُعلَّقُ بالمعنين: السجودُ العامُّ الذي هو الخضرعُ والذُّلُّ مُطلقًا، أو السجودُ الخاصُ على هذه الأعضاءِ المعروفةِ)، (تفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان) (ص: ٢٤٩).

وقيل: المعنى: صَلُّوا للزَّحمنِ. وبعَّن اختاره: مقاتلُ بن سليمان، والسمرقنديُّ، والثعلبيُّ. يُتطر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٢٣٩/٣)، ((تفسير السمرقندي)) (٢٣/٣)، ((تفسير التعلبي)) (٢٣/٣).

واختار القاسميُّ أنَّ المرادّ بالشَّجورة: الإذعانُ بالإيمان. يُنظر: ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٣٥٥). قال ابن عاشور: (السجودُ الذي أُيروا به شُجودُ الاعتِرافِ له بالوَّحداثيَّة، وهو شِمارُ الإسلام، ولم يكن الشَّجودُ مِن عبادتِهم، وإنَّما كانوا يَطوفون بالأصنام، وأثَّ اسْجودُ الشَّلاةِ التي هي مِن قواعدِ الإسلامِ فليس مُرادًا هنا؛ إذ لم يكونوا مثن يُؤثرُ بالشَّلاةِ، ولا فائدةً في تكليفهم بها قبلَ أن يُشلِموا)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٣٢).





كما قال تعالى: ﴿ وَهُمَّ يَكُفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الرعد: ٣٠].

وقال سُبحانَه: ﴿ قُلِ آدَعُوا اَللَّهَ أَوِ آدَعُوا اَلرَّحَنَّ أَيَّا مَا نَدَعُوا قَلَهُ ٱلأَسْمَآءُ ٱلمُسْتَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٧].

﴿ وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾.

.[٤٦

أي: وزاد المُشرِكينَ أمْرُهم بالسُّجودِ للرَّحمنِ كراهيةً وفرارًا مِن الحَقِّ ١٠٠٠. كما قال تعالى: ﴿ وَلِهَا ذَكُرْتَ رَبُكَ فِي الشَّرَانِ وَعَدَّمُ وَلَوَّا ظَنَ أَرْتَكِهِمْ تَفْوَرًا ﴾ [الإسراء:

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِنَا ثَكِرَاللَّهُ وَمَدَّهُ أَشْمَا أَنَّتَ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِنَا ذَكِرَ الْذِينَ مِن دُونِهِ، إِذَا هُمْ مَسْتَقِيْدُونَ ﴾ [الزمز: ٤٥].

وقال سُبحانَه: ﴿ فَمَا لَمُمْ عَنِ التَّذِكُرُو الشَّرِيفِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُّرٌ شُتَتِفِرَةً * فَرَتْ مِن مَسْوَرَمُ ﴾ [المداد : ٤٩ - ٥].

﴿ نَبَازَكَ ٱلَّذِي جَعَكَ فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِهَا سِرُجًا وَقَـمُوا مُّنِيرًا ١١ ﴾.

= وقد رَبَّخَهم تعالى على عدّم اميتال ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلِنَّا فِيَّ ثَلِيُهُمُ الْفَرُونُ كَا يُسْتَمُونَ [الانشفاق: ٢١] وقوله تعالى: ﴿ وَلِنَا قِيلَ لَمُنَّ أَنْكُوا لَا يَرْتُكُونَ ﴾ [الموسلات: ٤٨]). ((أضواء الممان)) (٢٠٧).

ومثن اقتضر على نفسير السجود في الآية بالسجود: ابنَّ جريره والسمعانيَّ والواحديُّ والراحديُّ والرازي، والخازن والعليمي، والسعدي، والشقيطي، يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٨١)، ((تفسير السمعاني)) (٤/٨١)، ((الوسيط)) للواحدي (٣٤٤)، ((تفسير الرازي)) (٤٧٩/٢٤) ((تفسير الخازن)) (٣/٧١٧)، ((تفسير العليمي)) ((٣٨/)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨١)، ((أضواء البان)) للشقيطي (٢/٧).

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن جوير)) (۱۷/ ۸۹۲)، ((تفسير الفرطبي)) (۱۳/ ۱۲۲)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۱)، ((تفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ۵۲۳).





مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا حكى سُبحانَه عنِ الكُفَّارِ مَزيدَ النُّفرةِ عن السُّجودِ؛ ذكَرَ ما لو تفكَّروا فيه لعَرَفوا وجوبَ السُّجودِ والعبادةِ للرَّحمنِ (١).

وأيضًا لَمَّا سَالَ المُشْرِكون بقَولِهم: ﴿وَمَا الرَّحَنُ ﴾ كما يَسألون عنِ المجهولِ؛ ذكرَ لهم القرآنُ ما يُعَرُّفُهم به مِن عظيم آياتِه، وجلائلِ إنعاماتِه التي هي مِن آثارِ رحمتِه، فذَكرَ لهم بُروجَ السماءِ والشَّمسَ والقمرَ، ثمَّ ذَكرَ لهم تعاقُبَ اللَّيلِ والنهاد ".

وأيضًا لَمَّا ذَكَرَ مبيحانَه حالَ التَّذيرِ الذي ابتدا به السورة في دعائه إلى الرَّحمنِ الذي لو لم يَدُعُ إلى عبادتِه إلَّا رحماتيَّه لكفى، فكيف بكلِّ جمالٍ وجلالٍ-فأنكروه؛ اقتضى الحالُ أن يُوصَلَ به إثباتُه بإثباتِ ما هم عالِمونَ به مِن آثارِ رحمائيَّتِه، ففَصَّلَ ما أُجولَ بغدَ ذِكْرِ حالِ النَّذيرِ، ثمَّ مِن المُلْكِ، مُصَدِّرًا له بوَصفِ الحقَّ الذي جعَلَه مَطلِمَ السورةِ؛ وإفَّا لِمَا تضمَّنَ إنكارُهم مِن نفيه، فقال^(٣):

﴿ نَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَكَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾.

أي: تعاظَمَ اللهُ، وكَمَلَت أوصافُه، وكتُرثُ خَيراتُه، ودامتْ وثبتَتْ بَرَكاتُه، فهو الذي جعَلَ في السَّماءِ منازِلَ للشَّمسِ والقَمَرِ في مَسيرِهما^(١).

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٢٧٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٨٩).

⁽٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ١٦).

⁽غ) يُنظر: ((الرجيز)) للواحدي (ص: ٧٨٣)، ((نفسير الرازي)) (٤٧٩/٢٤)، ((نفسير القرطي)) (١٩/ ١٥)، ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (٢/ ١٩٥٥، ((نفسير ابن كثير)) (٢٠/٦٠)، ((نفسير الشوكاني)) (٤/ ٩٨)، ((نفسير السعدي)) (ص: ٥٨٦)، ((نفسير ابن عثيمين - سورة القرقان)) (ص: ٢٦٢،٢١١).





كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَمَلُنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزُيْنَتُهَا لِلنَّظِرِيرَ ﴾ [الحجر: ١٦].

وقال سُبحانَه: ﴿ وَلَقَدْ رَبَّنَا السَّمَاةَ الدُّنِّا بِمَصْنِيعَ وَجَعَلْتُهَا رُجُومًا لِلشَّيَطِينِ ﴾ [الملك: ٥].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ [البروج: ١].

﴿ وَجَعَلَ فِهَا سِرَجًا وَقَـكُمُوا مُّنِيرًا ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثر في التَّفسير:

١ - قراءةً ﴿ سُرُجًا ﴾ على الجَمع، قيل: العرادُ بها: ما أضاءَ مِن النُّجوم، وقيل:
 العرادُ بها: الشَّمسُ، وإنَّما جاءت بصيغة الجَمع؛ لِتَعظيمها ().

(١) قرآ بها حمزةُ والكسائقُ عَلَفٌ. يُنظرَ ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (٣٤ /٣٣٠). ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبح)) لابن خالويه (ص: ٢٦٦)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢١٥)، ((نظم الدر)) للبقاعي (٢١٧/١١ع).

قال ابن زنجلة: (ومَن قرأ ﴿ سُرُجًا ﴾: الشمسُ والقمرُ والكواكِبُ العِظامُ معها). ((حجة القراءات)) (ص: ١٢٥).

وقال السمعاني: (على هذه القراءة قد دخل القمرُ في الشُّرِي، إلَّا أَتَّهُ حِشَّهُ بِالذُّكِرِ لِنوعٌ فَضِيلةٍ له وهذا مِثلُ قولِهِ تعالى: ﴿ فِيْهِمَا تَتَكِمَةٌ وَعَلَّ وَيُكَادُ ﴾ [الرحمن: ٦٨]). ((تفسير السمعاني)) (٨/٤/٤).

وقال ابن عليمين: (فقطفُ الفقرِ المنيرِ على الشُرحِ بن بابِ عَطفِ المتغابرينِ، لا مِن بابِ عَطفِ الخاصِّ على العامَّةِ فالفقرُ ليس من الشُّرعِ؛ هُوْ يَتَهَلُّ الْفَقَرُ فِيقَ فُوْلَوَيَتَهَلَ اَلْفَترَ [نوح: ٢٦]، فالشَّمسُ -بلا شُكَّ- سراجٌ، ولكنَّ القمرَ نورٌ! فعليه لا يكونُ منها). ((نفسير ابن عشين - سورة الفرقان)) (ص: ٢٣٦).

وقال البِقاعي: (قرأ حمزةُ والكسائيُّ بصيغةِ الجَمعِ؛ للتَّنبِيهِ على عَظَمتِه في ذلك، بحيثُ إنَّه أعظَمُ مِن الوفِ الوفِ مِن الشُرج، فهو قائمٌ مقامَ الوصفِ). ((نظم الدرر)) (١٣/ ٤١٧).





٢- قِراءةُ ﴿ بِينَجًا ﴾ على الإفرادِ، والمرادُ: الشَّمسُ (١).

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَجًا وَقَكَمُزُا مُّنِيرًا ﴾.

أي: وخلَقَ اللهُ في السَّماءِ شَمسًا مُشرِقةً تَبَعَثُ النُّورَ والحرارةَ، وقمرًا مُضيئًا في اللَّيل (").

كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْذِي جَمَلُ ٱلشَّمَتُ ضِيَّةَ وَٱلْقَمَرُ ثُورًا ﴾ [يونس: ٥]. وقال سُبحانه: ﴿ وَجَمَلُ ٱلْقَمَرُ فِينَّ ثُورًا وَجَمَلُ الشَّمْسَ سِرَابًا ﴾ [نوح: ١٦]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَجَمَلُ الْعَمَلُ سِرَابًا وَهَاجًا ﴾ [النبأ: ١٣].

﴿ وَهُوَ اللَّذِي جَمَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْكُرُ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿ ﴾. مُعاسَدُ الآن لما قَمْلُها:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾.

أي: واللهُ هو الذي جعَل اللَّيلَ والنَّهارَ بحيث يَخلُفُ أحدُهما الآخَرَ، فهُما يَتعاقبانِ أبدًا، ولا يجتَمِعانِ⁽¹⁾.

(١) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٤).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: ٣٦٦)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢١٥).

(۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) ((۱۸ عـ ۱۸۵) ((غفسير السمرقندي)) (۲) عَلَّه)، ((غفسير ابن كثير)) (۲ - ۲۲)، ((السراج المير)) للخطيب الشريني (۲/ ۱۷۱)، ((غفسير السعدي)) (ص: ۵۸۱).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ١٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۲۵۷)، ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (۱/ ۲۰۸)، ((تفسير ابن کير)) (۱/ ۲۰۸)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۱).





كما قال تعالى: ﴿ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال سُبحانه: ﴿ وَسَخَرَلَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَآلِيَيْنِ وَسَخَرَ لَكُمُ الْيَلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [براهيم: ٣٣].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ لَا الشَّمْسُ بِثَلِنِي لَمَا اَن ثُدْرِكَ الْفَمَرَ وَلَا الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارُ وَقُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠].

﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يَنَّكَّرُ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾.

القِراءات ذاتُ الأثر في التَّفسير:

١- قراءة ﴿ يَذْكُرُ ﴾ على معنى: الدِّكر لله، وقبل: هي بمعنى ﴿ يَنْكَرُ ﴾ (١٠.
 ٢- قراءة ﴿ يَنْكَرُ ﴾ أي: يَنذكَّر ويتَّعِظَ، ويعتبِرَ ويتفكَّر في اختِلافِ اللَّيلِ والنَّهاد (١٠).

﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾.

أي: جَعَل اللهُ اللَّيلَ والنَّهارَ خِلفةً لِمَن أراد أن يَتَعِظَ ويعتبِرَ ويتفَكَّرَ في اختِلافِهما، أو أراد شُكرَ اللهِ على نِعَمِه، فيَعَبُدُه فيهما، ويَستَدرِكُ ما فاته في

⁼ وقال البقاعي: (﴿ طِلْقَالَةَ ﴾ أي: ذوي حالةٍ معروفةٍ في الاختلاف، فيأتي هذا تخلفُ ذاك، بضِدٌ ما له بن الأوصاف، ويقومُ مقامّه في كثيرٍ من المرادات، والأشياء المقدَّرات، ويُعلَّمُ قدرُ التسامُّحِ فيها، ومَن فاته شَيِّ مِن هذا قضاهُ في ذاك. ((نظم الدرر)/ ٢٥/ ١٨٤).

⁽١) قرأ بها حمزة، وخلَف. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٣٤ /٣٣).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القرآن)) للفراء (٢٧ /٧٧)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٥١٣)، ((الكشف)) لمكّى (٢/ ١٤٧).

⁽٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٣٤).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (٤٨٩/١٧)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ١٣٥٥)، ((نفسير الشوكاني)) (٩٩/٤).





أَحَدِهما فيَعمَلُه في وقتِ الآخَرِ(١).

وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَبسُطُ يَدَه باللَّيلِ لِيَتوبَ مُسيءُ النَّهارِ، ويَبسُطُ يدَه بالنَّهارِ لِيَتوبَ مُسيءُ اللَّيل، حتَّى تَطلُعُ الشَّمسُ مِن مَغرِبِها))".

وعن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ الله عنه، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((مَن نام عن حِزبِه أو عن شَيءِ منه، فقرأَه فيما بيُن صَلاةِ الفَجرِ وصَلاةِ الظُّهرِ؛ كُتِب له كأنَّما قَرأَه مِنَ اللَّيلِ))٣.

وعن عائِشةَ رَضِيَ الله عنها: ((أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان إذا فاتَنه الصَّلاةُ مِن اللَّيلِ مِن وَجَع أو غَيرِه، صلَّى مِنَ النَّهارِ فِتْتَيْ عَشْرةَ ركعةً)(١٤)

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ۸۸۸)، ((تفسير القرطبي)) (۱۳/ ۲۳)، ((تفسير البيضاوي)) (۱۲۹/٤)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۲۱/٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱/ ۲۵، ۲۵).

... قال ابن عاشور: (التذكُّر: تفقُلٌ مِن الذَّكر، أي: تكَلُفُ الذَّكر. والذَّكرُ جاء في القرآن بمعنَى التألُّل في أدلَّةِ الذِّينِ، وجاء بمعنى: تذكِّرِ فائتِ أو مَنسيٍّ، ويجمَّعُ المعنيَينِ استِظهارُ ما احتَجب عن الفِكرِ). ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٦٥).

وقال ابنُ عثيمين: (وامَّا قَولُهُ: ﴿ لَوْ آلَادَ شُكُورًا ﴾ فـ (أو) هنا هل هي للتقسيم والتنويع، بمعنى أن يجعلَ هذا قسيمًا للأوَّلِ، فتكونَ مانعةَ اجتماع، أو هي مانعةُ خُلوٌّ؟

الجوابُ: مانعَهُ خُلُوهُ لاَنَّ مانعَهُ الاجتماع معناها أنَّه إذا وُجِدَ الأول استعَ الثاني. لكنَّ مانعَهُ الخلؤ معناها إنَّما أن يوجَدَ هذا أو هذا، أو هما. ﴿وَلَمَنَّ أَرْدَ لَنَيْلَكُمْ ۖ أَوْ لَوَدَ تُصُحُّونَكَ ﴾ فهل يمكِنُ أن يجتَهما؟ نعَمُ إذَنَّ هي مانعةُ خُلوُّ، ((تقسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ٢٧٦).

⁽٢) رواه مسلم (٢٧٥٩).

⁽٣) رواه مسلم (٧٤٧).

⁽٤) رواه مسلم (٧٤٦).





الغَوائدُ التَّربويَّةُ:

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَلِمَا قِيلَ لَهُمْ أَسْجَلُوا لِرَحْتَنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحْتَنُ أَنَسَجُهُ لِمَا تَأْمُونَا وَخَلَقُ مَا الدَّاعِيةِ أَنْ وَاجَبَ الدَّاعِيةِ أَنْ وَاجَبَ الدَّاعِيةِ أَنْ يَعْدَ إلى اللهِ، سواءٌ امتَللَ المدعوقُ أم نفَر (٣)، و الَّا يربطَ دعوتَه بنتائِجِها، بمعنى: إنَّه لا يقولُ: إنْ وجَدْتُ نتيجةً و إلَّا و قَفْتُ (١).

٣- في قَولِه تعالى: ﴿ وَلَأَدَهُمْ شُؤْولَ ﴾ أنَّ عدَمَ استجابةِ المدعوِّين للدَّاعي لا يدُنُّ على فسادِ قضدِه أو عمَلِه، ولا يدُنُّ أيضًا على تقصيرِه، يعني: إذا دعا الإنسانُ ولكِنَّه لم يَنجَعُ، فلا يجوزُ لنا أن تُقَهِمَه ونقولَ، هذا لو كانت تثبُّه صالحةً لا نتفَعَ الناسُ به! إذنْ هذه فائدةٌ عظيمةٌ ولأنه ربَّما يكونُ مِن بَعضِ النَّاسِ اعتِراضٌ على الدَّاعي، يقولُ: هذا الدَّاعي نتَبُّه باطِلةً، لو أنَّ نتَبَه صحيحةٌ ما نفرَ النَّاسُ منه (١٠)!

٤ - إنَّ حياةَ الإنسانِ مِن بدايتِها إلى نهايتِها مَبنَّةٌ على الأركانِ الكانِة: الإرادةِ،
 والفِكرِ، والعمَلِ، وهي المذكوراتُ في قولِه تعالى: ﴿ لَيْمَنْ أَلْاَدَ أَنْ يَلْكَثَرُ أَنْ أَلَا أَلَادَ شُكُورًا ﴾؛ لأنَّ التذكُّر بالغمَلُ، والشُّكرَ بالعمل، فاستِفادةُ الإنسانِ ممَّا خَلَقَه

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۱۹).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (۲٤/ ۲۷۱).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٢٥٣).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٥٧).

⁽٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).





اللهُ له وجَمَلَه الأجْلِه الا تكونُ إِلَّا بهذه الثَّلاقِة، وهذه الثَّلاثة متوقَّقةٌ على ثلاثةٍ أخرى لا بُدَّ للإنسانِ منها؛ فالعملُ متوقّقٌ على البَدَنِ، والفِكرُ متوقّفٌ على العقلِ، والإرادةُ متوقّفةٌ على الحُلُقِ، فالتَّفكيرُ الصحيحُ مِن العقلِ الصحيح، والإرادةُ القويةُ مِن الحُلُقِ المتينِ، والعملُ المفيدُ مِن البَدنِ السليمِ؛ فلهذا كان الإنسانُ مأمورًا بالمحافظةِ على هذه الثلاثةِ: عقْلِه، وخُلُقِه، وبدنيه؛ ودَفع المضارً عنها، ثَبُققَه عقل بالعلمِ، ويُقوَّمُ أخلاقه بالسلوكِ النبويَ، ويقُوَّي بدنَه بتنظيمِ الغذاءِ، وتوقيً الأذى، والتربُّض على العمل ال".

٥- قولُه تعالى: ﴿ لَمَنْ أَرَادُ أَن يَلْكَثَرُ أَوْ أَلَد شُكُورًا ﴾ أي: لِمن أراد أن يتذكّر باللّيلِ والنّهارِ ويعتبر ويستكر الله على كثيرٍ من المطالبِ الإلهيّة، ويشكّر الله على ذلك، ولِمَن أراد أن يذكر الله ويشكّر الله وردٌ من أحدِهما أدركه في الآخرِ، وأيضًا فإنَّ القُلُوبُ تتقلّبُ و تتقولُ في ساعاتِ اللّيلِ والنّهارِ، فتحدُثُ لها النّشاطُ والكسّلُ، والذّكرُ والفَعلةُ، والقَبضُ والبّسطُ، واللّقالُ والنّهارُ على العبادِ ويتكرّران؛ ليودلُثَ لهم الذّكرُ والنّشارُ والنّهارَ يتوالبانِ على العبادِ ويتكرّران؛ ليحدُثَ لهم الذّكرُ والنّشامُ والنّسكرُ لله في وقتٍ آخرَ، ولأنَّ أورادَ العباداتِ تتكرُّرُ بتكرُّر اللّيلِ والنّهارِ، فكلّما تكرَّرت الأوقاتُ أحدَثَ للعبدِ هِمَّةٌ غَيرَ هِمَّتِه التي كيسلت في الوقتِ المتقدَّم، فزاد في تذكَّرِها وشكرِها، فوظافِفُ الطّاعاتِ بمنزلةٍ سَقى الإيمانِ الذي يمُدُّر، فلولا ذلك لَذُوى غَرسُ الإيمانِ ويَسَنَ (").

الغُوائدُ العلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١ - قُولُه تعالى: ﴿ وَكَانَ أَلْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ عَلَهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ الطَّفِ خِطابِ القرآنِ

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ۱۹۱).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٦).





وأشرفِ معانيه، وأنَّ المؤمنَ دائمًا مع اللهِ على نفيه وهواه وشَيطانِه وعدوِّ ربَّه، وهذا معنى كونِه مِن حزبِ اللهِ وجُندِه وأوليانِه؛ فهو معَ اللهِ على عدوَّه الداخلِ وهذا معنى كونِه مِن حزبِ اللهِ وجُندِه وأوليانِه؛ فهو معَ اللهِ على عدوِّه الداخلِ فيه والخارجِ عنه، يُحاربُهم ويُعاديهم ويُغضِيهم له سُبحانَه، كما يكونُ خَواصُّ الملكِ معه على حَربِ أعدائِه، والبعيدونَ منه فارغونَ مِن ذلك، غيرُ مهتمينَ به، والبعيدونَ منه فارغونَ مِن ذلك، غيرُ مهتمينَ به، وعاراتُ السَّلفِ على هذه تدورُه فمعنى الآيةِ أنَّه يوالي عدُّوة على معصيتِه والشَّركِ به، فيكونُ مع عدوَّه مُعينا له على مساخِط ربِّه، فالمَعرَّةُ الخاصَّةُ التي للمؤمِنِ مع ربَّة وإلهِه قد صارت لهذا الكافِرِ والفاجِر مع الشيطانِ ومع نفيه وهواهُ وقُربانِه؛ ولهذا صدَّر الآيةَ البعبادةُ هي الموالاةُ والمحبَّةُ والرِّضا بمعبوديهم، المتضَّمَّةُ لمعيَّهم الخاصَّة، فظاهَروا أعداءَ الله على معاداتِه وهذا المعنى مِن كنوزِ القُرانِ لِمَن فَهِمَه وعَقَلَه، مع على نفيه وهواه، وهذا المعنى مِن كنوزِ القُرانِ لِمَن فَهِمَه وعَقَلَه، مع على المؤفِنُ ١٠.

٣- في فَولِه تعالى: ﴿ وَمَا الرَّسَلَنَكَ إِلَا مُبْيِئِرا ﴾ لِنَه كنا كان سياقُ السُّورةِ للإندارِ البِه اللهِ عَلَى اللهِ مَن التعبيرُ في البِشارةِ بما يكُلُّ على كثرةِ الفعلِ، ويُعهِمُ كثرةَ المفعلِ، وفي النَّدارةِ بما على كثرةِ الفعلِ، ويُعهِمُ كثرةَ المفعلِ، في النَّذارةِ بما يقتضي أن يكونَ صفة لازمة، فقال: ﴿ إِلَّا مُبْتِئِرا ﴾ أي: لكُلِّ مَن يؤمنُ، ﴿ وَبَنِيرا ﴾ لكلِّ مَن يعصى (").

٣- في قوله تعالى: ﴿ اللَّذِى خَلْقُ السَّمَوٰتِ وَالْأَرْضُ وَمَا يَتَهُمُمَا فِي سِتَّةِ أَلْيَارٍ ﴾
 سؤالٌ: أَنَّ الأَيَّامَ عِبارةٌ عن حركاتِ الشمسِ في السَّمواتِ، فَقَبلَ السَّمواتِ لا

⁽١) يُنظر: ((الفوائد)) لابن القيم (ص: ٧٩).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٢١).





أَيَّامَ، فكيف قال اللهُ: خَلَقَها في ستَّةِ أَيَّام؟

الجوابُ: يعني في مُدَّةٍ مِقدارُها هذه المدَّةُ(١).

\$ - في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خُلَقَ ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَتَنَهُمُ الْي سِتَّةِ ٱلبَّارِ ﴾ سؤالٌ:
 لِمَ لِمَ يُخلُقُها سُبحانَه في لحظة وهو قادِرٌ على ذلك؟

والجوابُ مِن وَجهَينِ:

الأوَّلُ: أَنَّه يَجِبُ على المُكلَّفِ أَن يَقطَعَ الطَّمَعَ عن مِثْلِ هذا؛ فإنَّه بَحرٌ لا ساحِلَ له، مِن ذلك تقديرُ الملائِحةِ الذين هم أصحابُ النَّارِ يَسِعةَ عَشَرَ، وحَملةِ العَرْشِ بَشَانِيةٍ، والشُّهورِ باثني عَشَرَ، والسَّمَواتِ بالسَّبْع، وعَلَدِ الصَّلواتِ، ومَقاديرِ النُّصُّبِ في الزَّكُواتِ، والحُدودِ والكَفَّاراتِ؛ فالإقرارُ بأنَّ كُلَّ ما قاله اللهُ حَقَّ: هو الدَّينُ، والواجبُ تَركُ البَحث عن هذه الأشياء.

الثَّاني: ما جاء عن سَعيد بنِ جُبَيرٍ: (إنَّما خَلَقَها في سِتَّةِ أيَّامٍ، وهو قادرٌ أنْ يُخلَقَها في لَحظة واحدة؛ تَعليمًا لخلَّةِه الرُّفقَ والتَّنبُّتُ)''.

٥- اسمُ الرَّحمنِ هو على وزنِ (فَعلان) الذي يدُلُ على سَعةِ هذا الرَّصفِ، وثبوتِ جَميعِ معناه الموصوفِ به، ألا ترى أنَّهم يقولونَ: (غَضبانُ) للمُمتلئِ غَضَبَا، و: (نَدُمانُ وحَيرانُ وسَكُرانُ ولَهفانُ)، لِمن مُلئَ بذلك، فبناهُ (فَعلانُ) للسَّعةِ والشُّمولِ؛ ولهذا يَقرِنُ استِواءَه على العَرشِ بهذا الاسمِ كثيرًا، كَقَولِه تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَ ٱلْمَرْشُ ٱلرَّحْنُ عَلَ ٱلْمَرْشُ ٱلرَّحْنُ عَلَ الْمَرْشُ المَحْلُوقاتِ قد وَسِعَها، على عرشِه باسم «الرَّحنِ» إلا أن العرش محيطٌ بالمخلوقاتِ قد وَسِعَها، على عرشِه باسم «الرَّحنِ»؛ لأنَّ العرش محيطٌ بالمخلوقاتِ قد وَسِعَها،

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٧٧٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٢/ ٦٦٩). والأثر ذكره الثعلبيُّ في ((تفسيره)) (٢٣٨/٤).





والرَّحمة محيطة بالخَلقِ واسِعة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَحَمَهِي وَسِيعَتَ كُلُّ فَيْرَو ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فاستوى على أوسّعِ المخلوقاتِ بأوسعِ الصَّفاتِ؛ فلذلك وَسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيء، وفي الصَّحيحِ مِن حديثِ أبي هُريرة رَضِيَ الله عنه قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: (((لمَّا فَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَب في كتابٍ فهو عندَه موضوعٌ على العرشِ: إنَّ رحمتي تغلِبُ غَضَبي)) (()، وفي لفظ: ((فهو عندَه على العَرشِ، وطابِقْ بيْنَ ذلك وبيْن قوله: ﴿الرَّحْمَةُ، وَوَضْعِه عندَه على العَرشِ، وطابِقْ بيْنَ ذلك وبيْن قوله: ﴿الرَّحْمَةُ مُ اللَّهُ مِنْ المَرشِ [الفرقان: ٩٥]؛ ينفَتِحْ لك بابٌ عظيمٌ مِن معرفةِ الربَّ تبارك وتعالى إنْ لم يُغلِقهُ عنك التَّعطيلُ والتَجَهُّمُ (().

٣- قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوْتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَتَهَمُّنَا فِي سِتَّعِ أَيَّالِمِ ثُمَّ اسْتَوَىٰ ﴾ أثبتَ الله تعالى بهذه الآية خَلْق للمخلو قات، اسْتَوَىٰ ﴾ بعد ذلك ﴿ عَلَ الْمَرْشِ ﴾ أثبتَ الله تعالى بهذه الآية خَلْق للمخلو قات، واطّلاعَه على ظاهرِهم وباطنِهم، وعُلوَّه فوق العرش، ومباينته إيَّاهم (١٠).

٧- في قَولِه تعالى: ﴿ ثُمَّ أَسْتَرَىٰ عَلَ ٱلْمَرْشِ ﴾ أنَّ الاستِواءَ مِن الصَّفاتِ الفِعليَّةِ ،
 ليس مِن الصَّفاتِ الذاتيَّةِ ؛ لأَنَّه مرتَّبٌ بعد خلق السَّمواتِ ، يعنى: حادِثًا (٥٠).

 ٨- في قَولِه تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ فَسَمَّل مِعِد تَجِيمًا ﴾ أنَّه لا تُطلّبُ معرفةُ اللهِ إلّا مِن اللهِ؛ مِن الخبيرِ به، وهو اللهُ شبحانَه وتعالى -على قولٍ في النفسير -. وهذه

⁽١) أخرجه البخاري (٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٤).

⁽٣) يُنظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/٥٦).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٢٤٦).





الآيةً تَشْهَدُ لِمَا عليه أهلُ الشُّنَةِ والجماعةِ مِن أنَّ أسماءَ اللهِ وصفاتِه توفيقيَّة، لا يجوزُ لأحدِ أن يُشِتَ منها إلَّا ما أثبَتَه اللهُ ورسولُه، يعني: أنَّ وضفَ اللهِ تعالى لا يكونُ إلَّا بحسَبِ ما عَلِمْناه منه، فلا يمكِنُ أن نَصِفَ اللهَ تعالى بما لم يَصِفْ به نفْسه ١٠٠؛

9- في قَولِه تعالى: ﴿ أَسْجُمُكُوا لِلزَّحْنِي ﴾ أنَّ السَّجِودَ مِن أسبابِ الرَّحمةِ، سواءً السجودُ العامُ أو الشَّجودُ الخاصُّ؛ فإنَّه مِن أسبابِ الرَّحمةِ؛ ولهذا لم يَقُلُ: "اسجُدوا لله"، بل قال: ﴿ أَسَجُدُوا لِلرَّحَيْنِ ﴾، يعنى: لِتَصِلوا إلى رحمةِ هذا المسجود له"،

١٠ مِن عادةِ الكُفَّارِ إنكارُ ما لا يَعرفونَ، سواءٌ كان عمليًّا أو اعتقاديًّا! لِقَولِه
 تعالى: ﴿ قَالُوْ أَمِنَا الرَّحْنُ أَنْسَجُهُ لِمَا كَأْمُرْنَا ﴾ ".

١١ - قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ وَهَا الرَّحْنُ أَلْسَجُهُ لِمَا قَالُونَا ﴾ إنَّ تعطيلَ الجَههيَّة وشِيهِهم أعظَمُ بِن تعطيلِ هؤلاء، فإذا كان هؤلاء كُفْرُهم بإنكارِ الرَّحمن، فكيف بمن يُنكِرُ جميع الأسماء، مِن الجهميَّة ونحوهم؟! ومعروفٌ أنَّ المعتزلة لا يُنكِرُ ون الأسماء يُنكِرُ ون الأسماء أعظمُ مِن الذي يُنكِرُ السما واحدًا، والكفَّارُ يُقِرُّون باللهِ ويُقِرُّون بالرَّحيم، لم يُنكِروا إلاَّ الرَّحمنَ الماماءَ "أَعظمُ مِن الذي يُنكِرُ اسما واحدًا، والكفَّارُ يُقِرُّون باللهِ ويُقرُّون بالرَّحيم، لم

١٢ - في قَولِهِ تعالى: ﴿ وَزَادَهُمْ نَفُورًا ﴾ أنَّ المعاصيَ يَجُرُّ بعضُها بعضًا(٥٠).

١٣ - في قَولِه تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَمَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَ ارْخِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكَر أَوْ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٢٤٧).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٥٨).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٥٦).

 ⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).
 (٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٥٨).

الجزء ١٨ الحزب ٣٧





أَوَدَ تُشَكُّورًا ﴾ أَنَّه لَمَّا كان جَعلُ اللَّيلِ والنهارِ خِلفةٌ لأجلِ التذكَّرِ والعمَلِ، كان كلُّ واحدٍ منهما صالحًا للعمَلِ الذي يُعمَلُ في صاحبِه، فمَن فانه عَمَلٌ باللِيلِ أَتَى به في النَّهارِ، ومَن فانه عَمَلٌ بالنَّهارِ أَنَى به في الليلِ، وهذا إذا كان مِن العاداتِ فهو على سبيلِ التدارُكِ، وإذا كان مِن العباداتِ فهو على سبيلِ القضاءِ (١٠) وفيه حجَّةٌ في قضاءِ التَّوافل (١٠).

بلاغةُ الآيات:

- قولُه: ﴿ وَيَسَلُونَ مِن دُوْبِ اللّهِ ﴾ الواوُ للحالِ، وهذا مُستعملٌ في التّعجُبِ
مِن استِمرارِهم في الشَّركِ؛ أُعقِب ذِكرَ ما نَفَع الله به النَّاسَ مِن إلطافِه بهم
في تصاريفِ الكاتناتِ؛ إذْ جَعَل لهمُ اللَّبلُ والنَّهارَ، وخَلَق لهمُ الماءَ، فأنبَت
به الزَّرعَ، وسَفَى به النَّاسَ والأنعام، مع ما قارَنَه مِن ذلائلِ القُدرة، بذِكرِ
عبادتِهم ما لا يَنفَعُ النَّاسَ؛ عَوْدًا إلى حكاية شَيء مِن أحوالِ مُشْرِكي مكَّةُ أَنَّ
- والتَعبيرُ بصِيغةِ المُضارعِ (يَعْبُهُونَ)؛ للذّلالةِ على تَجدُّد عبادتِهمُ الأصناع،
وعدم إجداء الدَّلائلِ (10. فالتعبيرُ بالمضارع فيه إشارةٌ إلى أَنَهم لو فعلوا ذلك
مرَّةً لكان في غاية العجب، فكيفَ وهو على سبيلِ التجديدِ والاستمرارِ؟!
وه مصورٌ لحالِهم زيادةً في تبشيعها(10.

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩١).

⁽٢) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ١٢ ٥).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٠٩).





- قولُه: ﴿ مَا لَا يَنَعَمُهُمْ وَلَا يَشَرُهُمْ ﴾ فيه نَعَيُ الضَّرَّ بَعَدَ نَعَيِ النَّفِعِ النَّقِيعِ على انتِفاء شُبهةٍ عَبَدةِ الأصنامِ في شِركِهم؛ لأنَّ موجبَ العبادةِ إمَّا رَجاءُ النَّفعِ، وإمَّا اتَّمَاءُ ضُرَّ المَعبودِ، وكِلاهما مُتَنَفِ عن الأصنام بالمُشاهَدةِ (١٠).

- وفيه مُناسبةٌ حَسنةٌ؛ حيثُ قُدِّمَ هنا النَّفعُ على الضُّرِّ، فقالَ: ﴿ وَيَعَبُّدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُمُّوهُمْ ﴾، وعكسَ ذلك في سُورةِ (يونسَ) فقالً: ﴿ وَيَصْبُدُونَ مِن دُونِ أَشَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [يونس: ١٨]، وفائِدتُه: أنَّه في سُورةِ (يونسَ) بدَأَ بِما هو أَبلَغُ إذا ابتُدئَ به؛ لأنَّ امتِلاكَ الضُّرِّ أَسهَلُ مِنَ امتِلاكِ النَّفع؛ فالواحدُ منَّا يَقدِرُ لغَيرِه مِنَ الضُّرِّ ما لا يَقدِرُ عليه مِنَ النَّفع، ويتَسهَّلُ عليه ضُرُّه ما لا يَتسهَّلُ عليه نفْعُه، أي: يَعبُدون أصنامًا لا تَقدِرُ على ما يَتسهَّلُ على الفاعِلينَ؛ فكيف ما يَتعذَّرُ؟! ثمَّ ذَكَر بَعدَه: ﴿ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ لاستِيعاب ما في الباب. وأمَّا هنا في سورةِ (الفُرقانِ) فإنَّه تَبعَ على ما قُدِّمَ فيه الأفضلُ على الأَنقصِ؛ لقَولِه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْتُ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحُ أَجَاجٌ ﴾ [الفرقان: ٥٣]، وقولِه بعْدَه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلُهُ مُسَبًا وَصِهْرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤]، فقدَّمَ خِلطةَ النَّسبِ على خِلطةِ السَّببِ -وهي المُصاهَرةُ-، ثمَّ جاءَ بعدَ ذلك: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُوبِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَمُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾؛ فقدَّم النَّفعَ على الضُّرِّ اتِّباعًا لِمَا تقدَّم (١٠).

- وأيضًا لَمَّا كان هذا السياقُ لِتَعدادِ نِعَيه سُبحانَه، وكان الحامِلُ للإنسانِ على الإذعانِ رجاءُ الإحسانِ مُعبِلًا على الإذعانِ رجاءُ الإحسانِ مُعبِلًا به إلى المحسِنِ في السَّرُ والإعلانِ- قَدَّم النعَع فقال: ﴿ مَا لَا يَعَمُهُمُ ﴾ أي:

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٦).

⁽٢) يُنظر: ((دوة التنزيل وغوة التأويل)) للإسكافي (ص: ٩٥٩)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٥).





يوَجهِ، ولَمَّا كان الخوفُ إِنَّما يوجِبُ الإقبالَ ظاهِرًا فقط؛ أَتَبَمَه قولَه: ﴿وَلَا يَشُرُّهُمُ ﴾ أي: أصلًا في إزالةِ نعمةِ مِن يَعَمِ اللهِ عنهم، فلا أسخَفَ عقلًا ممَّن يتُرُكُ مَن بيدِه كلُّ نفعٍ وضرًّ، وهو يتقلَّبُ في يَعَمِه في يقطلِه ونومِه، وأميه ويومِه، ويُقبلُ على مَن لا نَفعَ بَيْدِه ولا ضُرَّ أصلًا ''!

- قولُه: ﴿ وَكُنَا الْكَافِرُ عَلَا رَبِهِ، طَهِيرًا ﴾ تَذْبِيلٌ لِما قبلَه؛ فاللَّامُ في تَعريفِ
الكافرِ للاستِغراقِ، أي: كُلُّ كافرِ على ربَّه ظَهيرٌ، وجُعِل الخَبرُ عنِ الكافرِ
خَبرًا لـ (كان)؛ للدَّلالةِ على أنَّ أَتُصافَ بالخبرِ أَمْرٌ مُتعرَّرٌ مُعتادٌ مِن كلَّ كافرٍ.
وكذلك جُعِل المُشرِكُ في إشراكِه -مع وُضوحٍ ذَلالةِ عَلَمِ استِنهالِ الأصنامِ
للإلهيَّةِ - كانَّه يَنصُرُ الأصنامَ على ربَّه الحقَّ ''،

- قَولُهُ: ﴿ وَكَانَ ٱلكَافِرُ ﴾ فِه إظهارٌ في مقام الإضمارِ، فالسياقُ يقتضي أنْ يقولَ: (وكانوا على ربِّهم)، لكنْ قال: ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ ﴾ إشارةً إلى أنَّ هذه العبادة أوصلتُهم إلى الكُفرِ، وأيضًا لفائدةِ التعميم "".

- وفي ذِكرِ الرَّبِّ تعالى: تَعريضٌ بأنَّ الكافرَ عاقٌّ لمَو لاهُ(١).

٢- قولُه تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلَّا مُبْشِرًا وَنَدِيرًا ﴾ تسليةٌ للنَّبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (٥). وهذا الكلائم الواردُ في الرَّدُ عليهم جامعٌ بين إبطالِ إنكارِهم لرِسالتِه

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٠٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٦، ٥٥).

ريُنظر أيضًا: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٧)، ((تفسير البيضاوي)) (١٢٨/٤)، ((تفسير أبي حيان)) (١١٩/٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٢/ ٢٣٦).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٢٢٧).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٧).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١١٩).





وبين تأنيسِ الرَّسولِ عليه الصَّلاهُ والسَّلامُ بأنَّه ليس بمُضِلَّ، ولكنَّه مُبشَّرٌ ونَذيرٌ. وفيه تَعريضٌ بألَّا يَحرَنُ لتَكذيبِهم إيَّالُاً ! .

- وهاهنا ُنكتَهُ شَرِيفَةٌ؛ وهي أنَّه تعالى لَمَّا خَصَّ ذِكرَ النَّذَيرِ في فاتحةِ السُّورةِ: ﴿ نَهَارَكَ الَّذِى ثَلَّ الشَّرَانَ فَلَ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْمَنْلِيمِ كَ نَيْرًا ﴾ [الفرقان: ١] أَمسَكَ عن ذِكرِ المؤمنينَ، وحين قَرَنه بالبَشيرِ في هذه الآية، أنَّى بذِكرِ الفَريقَينِ -أَعْني: ﴿ فَالْوَارِمَ الرَّجَنَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٦٠]، ﴿ وَعِيمَادُ ٱلرَّحَنِنِ ﴾ [الفرقان: ٦٦]-؛ لتكونَ الخاتِمةُ مُشتمِلةً على ذِكرِ الأولياءِ، فلا تَخْلُو السُّورةُ مِن ذِكرهم").

٣- قولُه تعالى: ﴿ قُلْ مَا أَشْتُلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَخْرٍ إِلَّا مَن شَتَاةَ أَن يَتَخِذَ إِلَى رَقِهِ.
 سَيبلا ﴾

- قولُه: ﴿إِلَّا مَن تَتَآهَ أَن يَتَخِذَ إِلَى رَقِي سَبِيلا ﴾ استِثناءٌ، وهو تأكيدٌ لَنَفِي أَن يَكُونَ يَسالُهم أَجْرًا؛ لأنّه استِثناءٌ مِن أحوالٍ عامَّةٍ مَحذوفِ ما يدُلُّ عليها لقصدِ التَّعميم، والاستِثناءُ معيارُ العُموم؛ فلذلك كثُرُ في كلامِ العربِ أَن يُجعَلَ تأكيدُ المدح بما يُشْبِهُ الذَّمَّ أُو: تأكيدُ المدح بما يُشْبِهُ الذَّمَّ أَو: تأكيدُ المدح بما يُشْبِهُ الذَّمَ أَو: تأكيدُ المدح بما يُشْبِهُ الذَّمَّ مَسِيلاً ﴾ مِن قبيلِ التأكيد في الجُملة؛ لأنَّ الكلامَ على حذَّفِ مُضافِ يُناسِبُ أَجْرًا؛ إِذَ التَّقديرُ: إلَّا عمَلَ مَن شاءَ أَن يَتَّخِذَ إلى ربَّه سبيلا، وذلك هو اتَباعُ فِينِ الإسلام. ولَمَّا كان هذا إجابةً لدَّعوةِ الرسَونياءِ الاستِثناء المُنقطعَ، الأَحوة موقد يُسمَّى مِثلُ هذا الاستِثناء الاستِثناء المُنقطعَ،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٧).

⁽٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٦١، ٢٦١).





ويُقدِّرونه كالاستِدراكِ^(١).

- وقدْ صَوَّرَ ذلك بصُورةِ الأجرِ مِن حيثُ إنَّه مَقصودُ الإتيانِ به، واستَتَنَى منه قلمًا كُلِّيًّا لشَائبةِ الطَّمعِ، وإظهارًا لغايةِ الشَّفقةِ عليهم، حيثُ جَعَل ذلك مع كونِ نَفعِه عائدًا إليهم، عائدًا إليه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ^(١٧).

- وجُولِ السَّبيلُ هنا إلى الله؛ لأنّه وسيلةٌ إلى إجابِته فيما دَعاهُم إليه، وهذا كفّوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآة الْخَذَ إِلَى رَبِّهِ، حَابًا ﴾ [النبأ: ٣٩]. وذِكرُ وصْفِ الرَّبُّ دُونَ الاسمِ المَلَم؛ للإشارة إلى استِحقاقِه السَّيرَ إليه؛ لأنَّ العبدَ مَحقوقٌ بأن يَرجَعَ إلى ربَّه، وإلَّا كان آبقًا ().

3 - قولُه تعالى: ﴿ وَقَرَكَ لَ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُونُ وَسَيِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَخَنى بِهِ.
 إِنْثُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾

- قولُه: ﴿ وَقَرَّكُمْ عَلَى اَلْتِي اللّذِي لا يَمُونُ ﴾ هذا أمرٌ للنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وهو يَشمَلُ الأُمَّةُ ما لم يكنُ ذَلِلٌ على الخُصوصيَّةِ (10. وأصلُ الكلم: تَوكُّلُ علي الله؛ فخصَّ الحَيَّ الَّذِي لا يَمِثُ بالذَّكِرِ التَكِونُ تَعريضًا بانَّ غَيرَه لا يَصِحُّ أن يُتوكَّلُ عليه؛ أمّا الأصنامُ فإنَّها أمواتٌ لا يُكفى أمْرُ مَن يَتوكُلُ عليها، وأمّا الأحياءُ اللَّذِين يَموتون فإنَّهم إذا ماتوا ضاعَ المُدُوكُلُ. أو نقولُ: إنَّ التَّركيبَ مِن بابِ تَرتيبِ الحُكمِ على الوصفِ المُناسِب، وهو أنَّ المتوكَّلُ إذا عَلِم أنَّ المُتوكَّلُ عليه دائِمٌ باقِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٨).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٦).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٨).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٥٩).





يَعتَودُ عليه بشَراشِرِه -أي: بكُلِّيَّه-، ولا يَتوزَّعُ خاطِرُه إلى الغَيرِ بخِلافِه إذا لم يَكنُ كذلك؛ فإذَنْ لا يَصِحُّ التَّوِثُّلُ إِلَّا على الحَيِّ الَّذي لا يَموتُ، وهو اللهُ تعالى؛ فضحَّ الحَصرُ^(١).

- قولُه: ﴿ وَقَرَّكُمْ مَنَ الْمَي اللَّذِي لَا يَمُونُ ﴾ وصَفَ تعالى نفسه بالصَّفة الَّي نَقَتَضي التَّوكُلُ في قولِه: ﴿ النِّي الَّذِي لَا يَمُونُ ﴾؛ لأنَّ هذا المعنى يختصُّ به تعالى دُونُ كلَّ حَيِّ، كما قال: ﴿ فَلَ يَمُونُ ﴾ وصَفَّ بالصَّفة الفِعليَّة بعدَ وصَفِه - قولُه: ﴿ وَقَوَّكُلَ عَيْ الْمَي اللَّي لا يَمُونُ ﴾ وصَفَّ بالصَّفة الفِعليَّة بعدَ وصَفِه بالأبديَّة الَّتي هي مِنَ الصَّفاتِ النَّاتِيَّة والإشارة إلى اتَصافِه بالعِلمِ الشَّاملِ؛ لتقرير وُجوبِ التَّوكُل عليه تعالى وتَأكيده؛ فإنَّ مَن أَنشَا هذه الأجرام العِظامَ على هذا النَّمطِ الفاتقِ، والنَّسَقِ الرَّاقِ، بتَدبيرِ مَتينٍ، وتَرتيبٍ رَصينٍ، في أوقاتِ مُعيَّةٍ، مع كمالِ قُدرتِه على إبداعِها دَفعةً، لجكمِ جليلةٍ، وغاياتٍ جميلةٍ، لا تَقِفُ على تفاصلِها المُقولُ: أَحَقُ مَن يُتوكَلُ عليه، وأَوْلى مَن يُعَوَّضُ الأَمْ إليه "

- قولُه: ﴿ وَقُوَّكُمْ مَلَ الْغَيِّ اللَّذِي لَا يَمُونُ ﴾ الحَيُّ الَّذِي لا يَموتُ هو اللهُ تعالى، وعَدَل عنِ اسم الجلالةِ إلى هذَينِ الوَصفَينِ؛ لِما يؤْذِنُ به مِن تعليلِ الأمرِ بالتَّوكُّلِ عليه؛ لأَثَّه الدَّائم، فَيُعَيدُ ذلك معنى حَصرِ التَّوكُلِ في الكونِ عليه؛ فالتَّعريفُ في الحَيِّ للكاملِ، أي: الكاملِ حياتُه؛ لأنَّها واجبةٌ باقيةٌ مُستمِّةً، وحياةُ غَيرِه مُعرَّضةٌ للزَّوالِ بالكوتِ، ومُعرَّضةٌ لاختِلالِ أَثْرِها

⁽١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٦٩، ٢٧٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٢٠).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٧).





بالذُّهولِ كالنَّومِ ونَحوِه، فإنَّه مِن جِنسِ المَوتِ؛ فالتَّوكُّلُ على غَيرِه مُعرَّضٌ للاختِلالِ وللانخِرامِ. وفي ذِكرِ الوَصفَينِ تَعريضٌ بالمشرِكينَ؛ إذْ ناطُوا آمالَهم بالأصنام، وهي أمواتُ غيرُ أحياءٍ (١٠.

- ولَمَّا كان الوَكيلُ يَحيلُ عن الموكِّلِ ثِقَلَ ما أَطْهَرَ له عَجْزَه فيه، ويَقومُ بأَعبائِه حتَّى يَصيرَ كمَنْ يَحمِلُ عن آخَرَ عَينًا مَحسوسةً لا يَصيرُ له عليه شَيِّ منها أصلًا؛ عَبَّر بحرفِ الاستعلاءِ تَمثيلًا لذلك، فقال: ﴿ فَمَالَا تَهْمِي ﴾ ".

- قولُه: ﴿وَسَيِّحْ بِحَمْدِهِ، ﴾ الباءُ في ﴿ يُحَمْدِهِ، ﴾ للمُصاحَبةِ، أي: سبَّحه تَسبيحًا مُصاحِبًا للثناءِ عليه بما هو أهلُه، وقد جَمَع له في هذا الأمرِ التّخليةُ والتّحلية، مُقلَّمًا التَّخلية؛ لأنَّ شأنَ الإصلاح أن يَبدًا بإزالةِ التَّقصِ ؟ ..

- قولُه: ﴿ وَصَكَمَىٰ بِهِ. بِدُقُوبِ عِبَادِهِ خَيِرًا ﴾ اعتراضٌ في آخِرِ الكلامِ، فيمُيدُ معنى التَّذييلِ؛ لِما فيه مِنَ الدَّلالةِ على عمومٍ عِلمِه تعالى بذُنوبِ الحَلْق، ومِن ذلك أحوالُ المُشركينَ الَّذين هُم عَرَضُ الكلامِ؛ ففي (ذُنوبِ عِبادِهِ) عُمومانِ: عُمومُ ذُنريهِم كلَّها؛ لإفادةِ الجَمعِ المُضافِ عموم إفرادِ المُضافِ، وعمومُ النَّاسِ؛ لإضافةِ (عِبادِ) إلى ضَميرِ الجلالةِ، أي: جميع عِبادِه، مع ما في صيغةِ (خَير) مِن شَلَّةِ العِلمِ، وهو يَستازِمُ المُمومَ؛ فكان كَمُمومٍ ثالثِ⁰⁰. - والعِلمُ بالذَّنوبِ كِنايةٌ عن لازِمِه، وهو أنَّه يُجازيهم على ذُنريهم ⁰⁰.

- وأيضًا في قولِه: ﴿ وَكَفَىٰ بِهِ مِنْتُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ تَعريضٌ بتَسليةِ الرَّسولِ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٩٥).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/١٣).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٥٩، ٦٠).

⁽٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٦٠).





صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على ما يُلاقيهِ مِن أَذاهُم، ووعيدٌ للكفَّارِ (١).

٥- قولُه تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خُلَقَ ٱلسَّدَوْتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا يَتَنَهُمَا فِي سِتَّةِ ٱلْبَامِ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلمَرْشِ الرّبِية زِيادة تَقرير لكونِه حقيقًا بأنْ يُتوكَّل عليه؛ وين حيثُ إنَّه الخالقُ للكلِّ والمُتصرَّفُ فيه، وتَحريضٌ على النَّباتِ والتَّأْتِي في الأمرِ؛ فإنَّه تعالى مع كمالِ قُدرتِه وسرعة نفاذِ أمْرِه في كلَّ مُرادِ خلقَ الأشياء على تؤذةٍ وتَدرُّج (").

- وأُجريَتْ هذه الصَّلةُ ﴿ آلَيْ خَلْقَ السَّكَرَتِ وَالْآَرَضُ وَمَا يَسْتَهَ اَلْهِ سِتَّةِ الْبَاحِ، ﴾ وصْفًا ثانيًا لـ ﴿ آلَتِي اللّهِ اللّهِ اللهِ تعالى اللهِ اللهِ تعالى بالخَلْق ؟ اللهِ تعالى اللهِ الله

- وقولُه: ﴿الرَّحْنَنُ﴾ هو خَبرُ مبتلاً مَحدوفِ، أي: هو الرَّحمنُ - وذلك على قولِ-، وهذا مِن حَذْفِ المُستنَدِ إليه الغالِبِ في الاستِعمالِ عِندَ ما تَتقلَّمُ أَخَيارٌ أَوْ أُوصافٌ لصاحبِها، ثمَّ يُرادُ الإخبارُ عنه بما هو إفصاحٌ عن وضفِ جامعٍ لِما مضَى أو أهمَّ في الغرضِ ممَّا تَقلَّمَه؛ فإنَّ وضفَ الرَّحمنِ أهمُّ في الغرضِ المَسوقِ له الكلامُ، وهو الأمرُ بالتَّوكُّلِ عليه؛ فإنَّه وصفٌ يَقتضي أنَّه يُعبَرُّ أُموزَ مَن تَوكَّلُ عليه؛ فإنَّه وصفٌ يَقتضي أنَّه يُعبُرُّ أُموزَ مَن تَوكَلُ عليه بقَويً الإسعافِ٤).

- وفُرِّعَ على وَصْفِه بالرَّحمنِ قَولُه: ﴿فَشَكُلْ بِهِ. خَبِيرًا ﴾؛ للدَّلالةِ على

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٢٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٦٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٢٩).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٦٠).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).





أنَّ في رَحمتِه مِنَ العَظَمةِ والشُّمولِ ما لا تَفِي فيه العِبارةُ، فَيَعدِلُ عن زِيادةِ التَّوصيفِ إلى الحَوالةِ على عَليمٍ بتَصاريفِ رَحمتِه، مُجرَّبٍ لها، مُتلَقَّ أحاديثُها ممَّن عَلِمَها وجرَّبَها^(۱)، وذلك على قولٍ في التفسيرِ.

- وتَنكيرُ ﴿ خَيِيرًا ﴾؛ للدَّلالةِ على المُعومِ، فلا يَفلنَّ خبيرًا مُعَيَّنَا؛ لأنَّ النَّكِرةَ إذا تَعلَّق بها فِعلُ الأمرِ اقتَضَتْ عُمومًا؛ فقوله: ﴿ فَسَكَلَ بِهِ ، خَيبِرًا ﴾ يَجري مَجرى المَثَل، ولَعلَّه بِن مُبتكراتِ القُرآنِ، نَظيرَ قولِ العرب: «على الخبير سَقَطْتَ»، يَقولُها العارفُ بالشَّيءِ إذا مُبنِ عنه. والمَثلانِ وإنْ تَساوَيَا في عدد الحُروفِ المَنطوقِ بها؛ فالمَثلُ القُرآنيُ أَفصَحُ؛ لسَلامتِه مِن ثِقَلِ تَلاقي القافِ والطَّاءِ والتَّاء في (سقَطْتَ)، وهو أيضًا أشرَفُ؛ لسَلامتِه مِن مَعنى الشُقوطِ. وهو أَبلَمُ مَعنى؛ لِما فيه مِن عُمومٍ كلَّ خبيرٍ، بخِلافِ قولِهم: «على الخبير سقَطْتَ»؛ لأنَّها إنَّما يَقولُها الواحدُ المُعَيَّنُ (").

- والباءُ في قولُه: ﴿ فَتَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا ﴾ يَجوزُ أَنْ تَكُونَ مُتعلَّقةً بـ ﴿ خَبِيرًا ﴾، وتَقديمُ المَجرورِ للرَّعيِ على الفاصِلةِ، وللاهتِعام "".

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۱۹).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٦١، ٦٢).







- قولُه: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْنُ ﴾ استَفَهَامَ كُفّارُ قُريشٍ عنِ الرَّحمنِ استِفهامَ مَن يَجهَلُه وهُم عالِمونَ به؛ فأظهَروا النَّجاهُلَ بهذه الصَّفةِ التي لله؛ مُغالَطَةً منهم ووقاحةً، فقالوا: ﴿وَمَا الرَّحْنُ ﴾، وهُم عارِفونَ به وبصفتِه الرَّحمائيّة، كما قال في عونُ: ﴿وَمَارَبُ الْمَكْلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] حين قال له موسى: ﴿إِنِّي رَسُولٌ قِن رَّبِ الْمُكْلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٠٤] على سبيلِ المُناكرة، وهو عالِمٌ برَبُّ العالَمينَ اللهِ فرما) في قوله: ﴿وَمَا الرَّحَنُ ﴾ استِفهاميَّة، والاستِفهامُ مُستعملً في الاستِغرابِ، يغنونَ تَجاهلَ هذا الاسم؛ ولذلك استَفهَموا عنه بـ (ما) دُونَ (مَن)، باعتِيارِ السُّؤالِ عن معنى هذا الاسم".

- والاستِفهامُ في قَولِه: ﴿ أَنْسَجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ استِفهامُ إنكارٍ وامتِناعٍ ٢٠٠٠.

- ومَفعولُ ﴿ تَأْمُرُنَا ﴾ في قولِه: ﴿ أَنْسَبُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾ مَحذوفٌ؛ لدَلالةِ الكلامِ عليه، تَقديرُه: يَأْمُرُنا سُجودَه، نَحرَ قَولِهم: أَمَرْتُك الخَيرَ ().

قولُه: ﴿وَرَادَهُمْ نَشُورًا ﴾ فيه إسنادُ زيادةِ النَّمورِ إلى القولِ؛ لأنَّه سبَبُ
 تلك الزَّيادة، فهُم كانوا أصحابَ نُفورِ مِن سُجودٍ لله، فلمَّا أُمِروا بالسُّجودِ لله، فلمَّا أُمِروا بالسُّجودِ لله، فلمَّا أَمِن الإيمانِ، وهذا كقولِه في سورةِ (نوح): ﴿ فَلَمْ يَزِهُمُ مَنْ أَمْ يَرْهُمُ
 دُمُؤَةً إِلَّا فِرَازًا ﴾ (أنوح: ٦].

٧- قولُه تعالى: ﴿ نَـٰهَارَكَ الَّذِى جَمَـٰعَلَ فِي السَّمَةِ بُرُوجًا وَجَمَعَلَ فِهَا سِرْبَا وَكَـٰمَرًا
 مُنْهِرًا ﴾ استثنافٌ ابتدائيٌ ؛ جُعِل تمهيدًا لقوله: ﴿ وَعِسَادُ الزَّحْنِ الَّذِينَ اللَّذِينَ المَّذِينَ عَلَى

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٢٢).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ٦٢).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٨٩)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٣٢).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/٦٣).





ٱلأَرْضِ هَوْنَا ... ﴾ الآياتِ(١) [الفرقان: ٦٣].

- قولُه: ﴿ وَجَمَعَلَ فِهَا يِمِزَكُم وَقَمَمُ لَشِيرًا ﴾ على قراءة (سُرَجًا) بالجمع، وهو يَجمَعُ الأنوارَ؛ يكونُ خَصَّ القمرَ بالذَّكِرِ تَشريفًا ''. وقولُه: (سُرَجًا) جَمعُ سِراجٍ * فِيَشمَلُ مع الشَّمسِ النُّجومَ * فيكونُ امتِنانًا بحُسنِ مَنظرِها للنَّاسِ، كقولِه: ﴿ وَلَقَدْ رَبَّنَا النَّكَلَةِ النَّنَا يَهِمَنيِهِ ﴾ [الملك: ٥]. والكلامُ جارٍ على التَّشبيه البَلغِ؛ لأنَّ حقيقةَ السَّراجِ: الوصباحُ الزَّاهِرُ الضَّياءِ. والمقصودُ: أنَّه جَمَل الشَّمسَ مُزِيلةً للظُّلْمةِ كالشَراجِ، أو خَلَقَ النُّجومَ كالسَّراجِ في التَلاَلُمُ و وحُسن المَنظر ''.

٨- قولُه تعالى: ﴿ وَهُو اللَّهِى جَمَلَ النَّمَلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّر أَوْ أَرَادَ
 شُكُونًا ﴾

- اختِيرَتُ لَفظةُ (الخِلْفةِ) هنا؛ لذلالتِها على الهيئةِ، فتكونُ مُنبَّهةٌ على هيئةِ
هذا الاختِلافِ؛ بالطُولِ والقِصَرِ المُختلفينِ في جِهاتٍ مِن الأرضِ، وذلك
مُنبُّ على أسبابِ هذا الاختِلافِ مِن وضْع جِرمِ الأرضِ وجِرمِ الشَّمسِ،
وذلك كلَّه مِن آياتِ اللهِ الدَّالَّةِ عليه، وبتلك الهيئةِ مِنَ الاختلافِ المُقلَّدِ
المُنظَّم عَظُمَت النَّعمةُ على البشرِ، وشَعِلتُهم الرَّحمةُ؛ فكانتُ هذه اللَّفظةُ
الواحدةُ مُنبُهةَ على ما في اختِلافِ اللَّهِلِ والنَّهارِ مِن آيةِ دالَّةٍ، ومِن يَعمةِ
عامَّةٍ؛ وهكذا جميعُ أَلفاظ القرآنِ في انتِقائِها لِمواضِها (اللَّه).

- والجارُّ في ﴿ لِمَنْ أَرَادَ ﴾ يتعلَّقُ بـ ﴿ جَعَلَ ﴾، وكان الجَعلُ لهما؛ لأنَّهما

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٦٣، ٦٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٢٤).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٦٤).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٠).





المُستفيدانِ منه، ولم يُكرِّرِ الاسمَ الموصولَ؛ لأنَّ الشَّخصَ الواحدَّ يُمكِنُ أَنْ يَتَّصِفَ بالصَّفتينِ معًا. وكرَّرَ فِعلَ الإرادةِ؛ لأَنَّها لا بدَّ منها في التَّلكُّرِ وفي الشُّكر''.

- قولُه: ﴿ لِلْمَنْ أَلَانَ أَنْ يَنْكَرْ أَوْ أَلَدَهُ شُكُورًا ﴾ جِيءَ في جانبِ المُنذَ قُرينَ بقَولِه: ﴿ أَنْ يَنْكَرَ ﴾؛ لذَلالةِ المضارع على النَّجَدُّ والحُدوثِ؛ فإنَّ الغَفلةَ مُستوليةٌ على الإنسانِ، والآياتُ المرتبَّةُ ما تَوَالُ تُحدِثُ له التذكُّرُ وتُجدَّدُه له. واقتصر في جانبِ الشَّاكِرينَ على المصدرِ بقوله: ﴿ أَوْ أَزَدَ شُكُورًا ﴾؛ لأنَّ الشُّكرَ يَحصُلُ دَفعةً. ولأَجْلِ الاختِلافِ بين النَّظْمَينِ أُعيدَ فعلُ ﴿ أَرَادَ ﴾؛ إذْ لا يَلتِمْ عَظفُ ﴿ مُكُورًا ﴾ على ﴿ أَن يَنْكَرَ ﴾، وقيل: ﴿ شُكُورًا ﴾؛ لمُناسَبةٍ مُووسِ الآي "٠.

- قولُه: ﴿ لِنَنْ أَرَادَ أَن يَنَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُّورًا ﴾ نَشْرٌ لمعنَى اللَّفِّ ") في قَولِه:

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٦٦).

⁽٣) اللّذُ والشُرُّ؛ هو يَكِرُ شينين أو أشياة، إمّا تفصيلاً "بالنصَّ على كلَّ واحديم أو إجمالاً "بأن يُوتَى بلفظ يشتملُ على معتد ذلك على عقد ذلك على واحد يرجعُ إلى واحد من الستقلم، ويقرَّضُ إلى عقل السلمع ردَّ كل واحد إلى ما يلينَ به. واللَّفُ يُسَارُه إلى الستعدد اللّذي يُوتَى به أوَلَا والسرَّ يُسَارُه بالى الستعدد اللَّوحِ الذي يعمَّلُ عَلَّ واحد من بواحد من بواحد من بواحد الذي يوتَى به أوَلا والسرِّ يُسَارُه بالى الستعدد اللَّوحِ الذي يعمَّلُ عَلَى واحد من بواحد من بواحد إلى الشابِق دونَ تعيين. مثل قوله تعالى: هو وَقَالَت إليه وَدَّ لَن يعمَّلُ عَلَى اللَّه عَلَى اللّه السَّامِي وَقَالَت اليعودُ: لن يعمُلُ السَّبَة إلا البهودُ، واللت الصارى: لن يعمُلُ السِبَة إلاَّ السَّامري، وهذا الشَّرُ على والشَّد المُشَوَّعَ الله عَلَى وَاللَّفُ المُنْعَمَّلُ باتِي الشَّرُ اللَّحتُ له على وَفِي ترتيبِ اللَّف، ويُستَى «اللَّمْ والشَّد والشَّر المَنْتَوَى الرَّحِ اللهِ واللَّفُ والشَّد المُشَوِّعَ، وقد يُعيَرُ عَب واللَّف والشَّد المُشَوِّعَ، أم وقد يُعيَرُ عَب واللَّف والشَّد المُشَوِّعَيْ المُوتَّعِةُ المِينَّعِي (والمَّد المُشَوِّعَيْ على وَاللَّم والمُنَّد والمِعةُ اللمُوتَّعَ المُوتَّعِةُ والمُعلَّلُ عَلَيْ وَاللَّمُ والمُنْ والمُنْ والمَنْ المُنتَّعِي (صرة ٢٠١٥) ((الإنتان في علوم الفرآن)) للسيطى وقد يُعيَّزُ عَد إلى والمَنْ المَنْوان؟ المعالى (صرة ٢٠٤) ((الإنتان في علوم الفرآن)) للسيطى (٢/ ٢٠٠)، ((الإخة العربية)) لعبد الرحمن جَيَّكَةُ المبداني (٣/ ٢٠٠). ((الإخاء العربية)) لعبد الرحمن جَيَّكَةً المبداني (٢/ ٢٠٠). ((الإخاء العربية)) لعبد الرحمن جَيَّكَةً المبداني (٢/ ٢٠٠).





﴿ وَهُوَ اللَّهِى جَمَلَ التَّبَلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾؛ فإنَّ مجرَّد الانتِقالِ والتَّغييرِ يدُلُّ على ناقِلِ ومُغيِّرِ عظيم القُدرة، وكونَ ذلك الانتِقالِ مؤدِّيًا إلى النَّفعِ العظيمِ يدُلُّ على مُنجِم واسعِ النَّعمةِ، وهُمَا يوجِيانِ المعرفةَ واليبادةَ "[المرسلات: ٦]. و﴿ أَوَ ﴾ للتنويعِ على معنى الاشتمالِ على هذينِ المعنيينِ، أو للتخييرِ على معنى الاستقلالِ بكلَّ ، ولا منعَ مِن الاجتماعِ . وفائدةُ هذا الأسلوبِ إفادةُ الاستقلالِ، ولو ذكر الواوَ بدلَها لتُوهُمَّ المعيةُ ".

- وقوله: ﴿ لِنَمْنَ أَرَادَ أَن يَلَكُمُ أَنُو أَلَدُ شُكُورًا ﴾ تَعريضٌ بأنَّ الَّذِين قالوا: ﴿ وَمَا الرَّمَّنُ أَنسَتُهُ لِهَا تَأْمُرُنا ﴾ أَبُوا التَّفكُّر في آياتِ اللهِ جُحودًا وعِنادًا، وامتنعوا عن الشُّكرِ لآلانِه عُنُوًّا واستِكبارًا، وتَصريحُ بأنَّ اللَّذِن تَوسَّموا بعِبادِ الرَّحمنِ على خِلافِ ذلك؛ ولذلك قال: ﴿ اللَّيْتَ يَسَثُونَ عَلَى الْأَرْضِهُونَ كَا ﴾، وقال: ﴿ وَاللَّذِينَ بَسِيتُونَ لِرَبِهِمْ مُشَجَّدًا وَهِيمَا ﴾ الْقابِلَ قُولَهم: ﴿ أَلْسَبُهُ ﴾، وقول: ﴿ وَالْذِينَ بَسِيتُونَ لِرَبِهِمْ مُشَجَّدًا وَهِيمًا ﴾ القابِلَ قُولَهم: ﴿ أَلْسَبُهُ ﴾،



⁽١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٧٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (١٠/ ٤٢).

وتقدَّمت الإشارةُ إلى أنَّ (أو) مانعةُ خلوَّ؛ فإمَّا أنْ يوجدَ هذا أو يُوجِدَ هذا، ويمكنُ أنْ يجتمِعا. يُنظر: ((نفسير القنوجي)) (48.3°)، ((نفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص ٢٦٦).

⁽٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٧٩).





الآيات (١٧-٦٢)

﴿ زَمِيكَادُ الرَّحْنِ الَّذِيكَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَنْفِ هَوْنَا وَإِنَا خَاطَبُهُمُ الْجَدَهِلُوكَ قَالُواْ سَلَنَا ۞ وَالَّذِينَ بَيْسِتُوكَ لِرَبِّهِمْ شَجَّكَا وَقِينَا ۞ وَالَّذِيكَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آصَٰ فِ عَنَّا هَذَابَ جَهَنَمٌ ۚ إِنِّكَ هَذَائِهَا كَانَ غَدَرْتًا ۞ إِنَّهَا سَآمَتْ مُشْتَقَزُّا وَمُقَامًا ۞ وَالَّذِيكِ إِنَّا اَمْقُواْ لَمْ يُشْرِقُواْ وَلَمْ يَقْتُمُواْ وَكَانَ يَبْكِ وَالِكَ فَوَامًا ۞ ﴾.

غريبُ الكلمات:

﴿ مَوْنَكَا ﴾: أي: بالرَّفْقِ والسَّكينةِ والوَقارِ، وأصلُ (هون): يدُلُّ على سُكونٍ أو سَكينةِ أو ذُلَّ".

﴿ سَلَكُمَّا ﴾: أي: سَدادًا مِن القَولِ ومَعروفًا، وأصلُ (سلم): يدُلُّ على صِمَّةٍ وعافية ".

﴿ غَرَامًا ﴾: أي: دائِمًا لازِمًا، وأصلُ (غرم): يدُلُّ على مُلازَمةٍ (٣٠).

﴿ وَمُقَامًا ﴾: أي: إقامةً، ويُعبَّرُ بالإقامةِ عن الدَّوامِ، وأصلُ (قوم): يدُلُّ على

(۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ٢٥)، ((نفسير ابن جرير) (٢٧,٩) ((٢٧,٩)). ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٩٤)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٢١/٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٥)، ((تفسير القرطعي)) (١٩/١٣)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٦٤).

(۲) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ۱۳۵ه، (تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۴۹۳)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (۳/ ۹۰)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٣٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٣٥).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ٣١٥)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٤٩٥)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٥١)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (١٩/٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزى (ص: ٣٦٠).





انتِصاب أو عَزم(١).

﴿ يَشَرُّواً ﴾: يُضَيِّقُوا ويَبخَلوا، والقَتْرُ: تقليلُ النَّفَقةِ، وأصلُ (قتر): يدُلُّ على تجميع وتضييقِ^(١).

> ﴿ قُوَامَا ﴾: أي: وسَطًا وعَدلًا، والقَوامُ هو الشِّيءُ بينَ الشَّيئينِ "". المعنى الإجمالية:

يقولُ تعالى مبينًا صفاتِ عِبادِه المؤمنينَ: وعِبادُ الرَّحمنِ هم الذين يَمشونَ على الأرضِ بسَكينةِ ووقارِ ولينِ، وإذا خاطَبَهم الشَّفَهاءُ بالسَّيِّ عِمِن القَولِ لم يُقالِلوهم بالوثلِ، بل قابَلوهم بالقولِ الطيِّب، وهم الذين يُصَلُّون لله في اللَّيلِ ساجِدينَ وقائمينَ، والذين يقولونَ خَوفًا مِن عِقابٍ رَبَّهم: ربَّنا أَبعِدُ عنَّا عذابَ جهنَّم؛ إنَّ عذابَها كان مُهلِكًا ومُلازِمًا لأهلِ النَّارِ لا يُفارِقُهم، إنَّها قَبَحَت مَنزِلاً ومُقامًا لهن يُعْدَم فها.

والذين إذا أنفَقوا لم يُبذِّروا ولم يُضيِّقوا ويَبخَلوا، وكان إنفاقُهم وسَطًا بيْن الإسرافِ والتَّقتير.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّمْنَنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلأَرْضِ هَوْنَا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَدَهِلُونَ قَالُواْ

- (۱)يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (٤٩٦/١٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤٣/٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٩٣).
- (۲)يُنظر: (تفسيرابنجرير)/١٧/(٤٩٤)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٥-٥٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٥٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ١٥٨).
- (٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢/٩-٥، ٥٠٤)، ((مقايس اللغة)) لابن قارس (٣/٤). ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦٥)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٧٤)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٧٢٨).





سَلَنمًا ∰ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا تجاهَلَ المشرِكون الرحمنَ، واستكبّروا عن السجودِ له؛ عَرَّفَهم القرآنُ بالرحمنِ: بخُلْقِه، وتدبيرِه وإنعامِه -كما مضى في الآباتِ المتقدمةِ - ثم عَرَّفَهم بعباده الذين عَرَفوه بذلك فامنوا به وخضَعوا له، بما اشتملتُ عليه هذه الآياتُ مِن صفاتِهم، وكما كانت مخلوقاتُ الله المذكورةُ سابقًا دالَّة عليه، ومعَرَّفةَ به، بما فيها مِن آثارِ قدرتِه وآثارِ رحمتِه، كذلك كان عِبادُه المذكورون أولَّة عليه ومعَرِّفين به؛ بأقوالهم وأفعالِهم، وهَديهم وسلوكِهم، ومَظاهِر آثارِ رحمةِ الله عليهم، فذكروا بعد ذلك تلك المخلوقاتِ، وذُكِرت هي قبلَهم؛ لأنها كانت أولَّة لهم، والدليلُ سابقٌ على المستيلً سَبْقَ المُستفادِ منه على المستفيدِ".

وأيضًا لَمَّا ذَكَرَ سبحانه التذكُّرَ والشُّكرَ في اللَّيلِ والنهارِ في الآيةِ المتقدَّمةِ؛ ذَكَرَ صفاتِ المتذكَّرينَ الشاكرينَ، وما أثمَرَه لهم تَذكُّرُهم وشُكرُهم؛ ترغيبًا في التذكُّرِ والشُّكرِ^{(١٧}).

وأيضًا لَمَّا وَصَفَ الله سُبحانه الكَفَّارَ في هذه السُّورةِ بما وَصَفَهم به مِن الفَظاظةِ والفِلظةِ على النَّيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وعداوتهم له، ومُظاهَرتهم على خالِقهم، ونحو ذلك مِن جلافيهم، وخَتَمَ بالتذكُّر والشُّكرِ، وكان التقديرُ: فهبَادُ الشَّيطانِ لا يتذكَّرون و لا يشكُرون؛ لِما لهم مِن القسوة - عَظفَ على هذا المُقَلَّرِ أَضْدادَهم، واصفًا لهم بأضدادِ أوصافِهم، مُنشَّرًا لهم فِضَدٌ جزائِهم، فقال تعالى "النَّ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٢).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٩٣).

⁽٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٢٠٤).





﴿ وَعِكَادُ ٱلرَّحْمَنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنَا ﴾.

أي: وعِبادُ الرَّحمنِ هم الذين يَمشون بحِلْمٍ وسَكينةٍ، ووَقارٍ وتواضُعٍ، ورِفقٍ ولينٍ، مِن غَيرِ مَرَحٍ وتكثُّرِ وتجبُّرٍ، وسَعي للإنسادِ وارتكابِ المعاصي(١٠).

كما قال تعالى: ﴿ وَلَا نَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَمًا ۗ إِنَّكَ لَن تَغْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَر تَبْلُغُ ٱلْجِبَالَ

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ۱۹۸3)، ((تفسير ابن عطية)) (۲۱۸/۱۶)، ((تفسير القرطبي)) (۱۸/۱۳)، ((مجموع الفتاوی)) لابن تبعية (۲۲/ ۲۵۰)، ((مدارج السالکين)) لابن القيم (۲/ ۲۱۰)، ((تفسير ابن کثير)) (۱۲۱/۱)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۱)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۸/۱۸).

قال ابن كثير: (السوادُ بالهَويْ هاهنا السُّكِينَةُ والرقارُ، كما قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: •إذا أتينُمُ الصَّلاَةُ فلا تأثُّرُها وأنّمَ تَسْتَوْرَنَ، وأَثُرُها وعليكم السَّكِيثَةُ فعا أدركُمُ فصَلُّوا، وما فاتكم فاتِتُمُواه[البخاري (٣٦٥)، وسلم (٣٠٠]). ((تفسير ابن كثير)) ((۲۱/ ١٢١، ١٢٢). ويُنظر: ((زاد المعاد)) لابن القيم (١/ ١٦١).

وقال ابنُّ جُزي: (هَوْيَنَشُونَ هَوْيَا الْقَرْنِهِ هَوْنَا)هِ، أَيْ اقْطَا ولِينَا بِجلم ووقارٍ، ويحيلُ أن يكون ذلك وُضفَّ مَشْهِم على الأرضِ، أو وصْفَ أخلاقِهم في جميع أحوالِهم، وعَبَّر بالمَشْيِ على الأرضِ عن جميع تَصَرُّقِهم مُذَّةً حِاتِهم). ((تفسير ابن جزي)) (١/ ٨٦/٨).

وقال ابن عاشور: (ظاهرُ قُولِه ﴿ يَشَتُونَ هَا اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَدَّ لَهِ شَيْعَ بِالأرجُلِ، وهو الذي حمّل عليه جمهورُ المفشرينَ... [و] تقيدُ المشيِ بأنّه على الأرضِ؛ ليُحَونَ في وَصِفِهِ بالهَورِنِ ما يقتضي أنّهم يَمشون كذلك اختيارًا، وليس ذلك عندَ المشيِ في الشُّمُداتِ أو على الجناولِ). ((نفسير ابن عاشور)) (4/ 18).

وقيل: إذْ قولَه: هِيَنشُونَ ﴾ عبارةً عن تصرُّفاتِهم في معاشرةِ النَّاسِ، وأنَّه ذَكَر مِن ذلك المعظم، لاسيَّما وفي ذلك الانتقالِ في الأرضي معاشرةُ الناس وخلطتُّهم. وممَّن اختار هذا القولَ: ابنُّ عطية، والقرطيُّ، يُنظرُ: ((تفسير ابن عطية)) (٢١٨/٤)، ((تفسير القرطي)) (٢٨/١٣). وقال ابن عثيمين: (ثمُّ إلَّهُ هذا النَّمْتِي، هل هو العشيُّ الحِيثُّي، أو يُمُّمُّ العشيِّ الحسِّيِّ والمعتريُّ؛ الجوابُ: يَثْمُهُما جميمًا، حتَّى العشيُّ المعتريُّ؛ بلذلِ قولِه عَزَ جِزَّ : هِوَ يُلْعَاطَبُهُمُ الْجَدُولُوك المَّالُّ النَّكنا ﴾، وهذا بن هونِ العشي المعتريُّ؛ أنْهم إذا خاطَبُهم الجاهلون لا يسترَّعون فقابلونَه بوئل جَهلِه، ولجَنَّهم يقولون: ساحمًا). ((قصير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ٢٧١).





طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقال سُبحانَه: ﴿ وَلَا تُصَمِّرُ خَذَكَ لِلَّاسِ وَلَا تَشْنِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَمًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْالِ فَخُورٍ * وَلَقْصِدْ فِي شَيِّكَ ﴾ [لقمان: ١٩،١٨].

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَدِهِلُونَ قَالُواْ سَلَنَمًا ﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

أنّها بيانٌ لحالِ عِبادِ الرحمنِ في المُعامَلةِ مع غَيرِهم إِثْرَ بَيانِ حالِهم في نُصُهم(').

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَنْهِلُونَ قَالُواْ سَلَنْمًا ﴾.

أي: وإذا خاطَبَ الشُّفَهاءُ عِبادَ الرَّحمنِ بما يَكرَهونَه، أجابوهم بقَولِ سَدادٍ وصَوابٍ، ويَعفُون عنهم ويَصفَحون، فيَسْلَمون مِن الأثم، ومِن مُقابَلةِ جَهلِهم بالإساءةِ إليهم، ومِن تطاوُلهم في أذيَّتِهم".

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٢ ٢٢٨).

(۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ۹۳۶)، ((معاني القرآن)) للزجاج (۶/ ۶۷)، ((تفسير الفرطبي)) (۱۹/ ۹۱)، ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (۱۸/ ۱۸)، ((تفسير ابن کثير)) (۱۲ ۲۲)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۸۵۱)، ((تفسير ابن عثينين – سورة الفرقان)) (ص: ۲۷۱).

قال ابنُ باديس: (﴿وَسَكَنَا﴾ ... مفعولُ مطلقٌ، والتقديرُ: قالوا قولًا سلامًا، أي: ذا سلامً، فيشملُ كلَّ قولِ فيه سلامةٌ مِن الأذى والمكرور؛ كسلام عليكم، ويغفرُ الله لكم، وسلمحكم الله، ونحوذ ذلك. أو... مفعولُ به، أي: قالوا هذا اللفظَ ﴿سَكَنَا ﴾ نفُشه). ((تفسير ابن باديس)) (ص: 140).

مثن اختار في الجملة أنَّ المعنى: زُدُّوا معروفًا، وأجابوا بالشّدادِ مِن الخِطابِ ولم يقولوا إلَّا خيرًا: مقاتلُ بن سليمان، وابنُ جرير والسمر قنديُّ، والواحديُّ، وابنُ جُزي، والنّسفيُّ، والخازنُ، وابنُّ كثير ـ يُنظر: ((نفسير مقاتل بن سليمان)) (۲۲/۲۳)، ((نفسير ابن جرير)) (۲۷/۲۳)، ((نفسير السمرقندي)) (۲/۴۶)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ۲۸۲)، ((نفسير ابن جزي))





﴿ وَٱلَّذِينَ بَيِيتُوكَ لِرَبِّهِ مْ سُجَّدًا وَقِيكُمَّا اللهِ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَر سُبحانَه وصْفَهم بالنَّهارِ مِن وَجهَينِ؛ أحدُهما: ترَّكُ الإيذاءِ، بقَولِه: ﴿يَشْوُنَ كَمُ ٱلْأَنْفِيهَوْنَا ﴾، والنَّانِي: تحمُّلُ الإيذاءِ، بقولِه: ﴿ وَإِنَّ عَالْمَبُهُمُ ٱلْجَدِهِلُون

= (۲/ ۸۸)، ((تفسير النسفي)) (۲/ ۶۷)، ((تفسير الخازن)) (۳۱ (۲۸)، ((تفسير ابن کثير)) (۲/ ۱۲۲).

قال السعدي: (﴿ وَقَالُواْ مَلَكُنَا ﴾ أي: خاطَبوهم خِطابًا يَسْلُمون فيه مِنَ الأنهم، ويَسلُمون مِن مُقابَلَةِ الجاهلِ بِجَهِلِه. وهذا مدَّ لهم بالجلم الكثيرِ، ومُقابَلَة المُسيءِ بالإحسانِ، والعفو عن الجاهلِ، ورَزانةِ العقل الذي أوصَلَهم إلى هذه الحالِ). (زغسير السعدي)) (ص: ٥٨٦).

وممَّن اختار أنَّهم قالُوا هذا اللَّفظَ -أي: سلامًا-: ابنُ عطية، والثعاليُّ. يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (١٨/٤)، ((تفسير الثعالبي)) (٢١٧/٤).

وقال القاسمي: (هُوَيَهَا عَلَمَيْهُمُ ٱلْجَرَعِوُّونَ قَالْوَالِسَلَكُمَا ﴾ أي: إذا حاطَبِهم السُّفياءُ بالقولِ السَّيِّي لم يُقابِلوهم بعثِله، بل قالوا كلامًا فيه سلامٌ بن الإيذاء والإثهاء سواء كان بصيغة السلام، كقولهم: • سلامٌ عليكم؟، أو غيرِها ممَّا فيه لُطفَّ في القولِ، أو عفقٌ أو صفحٌ، وكَظَلَمُ للغَيْظِ). ((تفسير القاسمي)) (7/ ٣٤).

وممّن اختار في الجملة أذَّ معنى ﴿ سَلَنَكُ ﴾ آي: تسلَّمًا منكم لا نُجاهِلُكم، ومُشاركةٌ لا خَرِيتُنا ولا خَرَّ: المُبَرِّدُ، والرَّجَاعُ، والرَّمخسريُّ، وأبو السعود، والشربيني، يُنظر: ((المقتضب)) للميرّد (۲۱۹۳)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاح (٤/٤٧)، ((تفسير الزمخشري)) (۲۹/۳). ((تفسير أبي السعود)) (۱/۲۸۳)، ((تفسير الشربيني)) (۲۷۳/۳).

وقال ابنُ عاشور: («الشّلامُ» يجوزُ أن يكونَ مصدرًا بمعنى الشّلامةِ، أي: لا حَبَرَ بَيْننا ولا شَرَّهُ فنحن مُسلَّمون منكم. ويجوزُ أن يكونَ مرادًا به لفظُ التحيَّة، فيكونَ مُستعمَلًا في لازِمِه، وهو المتاركةُ؛ لأنَّ أصلَ استعمالِ لفظِ الشّلامِ في التحيَّة أنَّه يؤُونُ بالتأمين، أي: عَنَم الإهاجةِ. والتأمينُ: أوَّلُ ما يُلقَى به المرءُ مَن يريدُ إكرامَه؛ فتكون الآيةُ في معنى قَولِهَ: ﴿ وَلِهَا سَيْمُواْ الفَّنَقُ أَعْرَشُواْ عَنَهُ وَقَالُواْ تَمَا أَصَلَكُمْ أَصَلَكُمْ لَمَنَّ عَلَيْكُمُ لاَ يَنْتَى الْجَعِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥]). ((نفسرِ ابنِ عاشور)) (٩/ ١٩/ ٢٩).





قَالُواْ سَلَنَمًا ﴾؛ شرَحَ صِفتَهم في اللَّيلِ(١).

وأيضًا لَمَّا ذَكَرَ سُبحانه فيما تقدَّمَ سلوكَهم مع الخَلقِ؛ ذَكَر في هذه الآية سلوكَهم في القيامِ بعبادةِ الحقِّ، وفيما تَقَدَّمَ بيانُ حالِهم عندَ اختلاطِهم بالعِبادِ، وفي هذه بيانُ حالِهم عندَ تَفَرُّوهم لربِّ العبادِ".

﴿ وَالَّذِينَ مِبِيتُوكَ لِرَبِّهِ مَ سُجَّدًا وَقِيكُمَّا اللهَ ﴾.

أي: وعِبادُ الرَّحمنِ هُمُ الذين يُصَلُّونَ في اللَّيلِ مُخلِصينَ لرَبِّهم، وهم في ذلك بيْنَ سُجودٍ وقِيام^٣٠.

كما قال تعالى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَنَعُونَ رَبُّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦].

وقال سُبحانَه: ﴿ أَمَنْ هُوَ فَنَيْتُ ءَانَآءَ الَّتِلِ سَلِيدًا وَفَآ إِمَّا يَحْذُرُ ٱلْآيِرَةَ وَرَبُّوا رَحْمَة رَبِّهِ. ﴾ [الزمر: ٩].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَلَ دَلِكَ مُسِينَ * كَانُواْ قِلْلِلَا مِنَ الَّيْلِ مَا يَهَجَمُونَ * وَوَالْأَسَارِ هُمْ يَمْنَغَوْرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٦ - ١٨].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمْ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ١٠٠٠ ﴾.

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (۱٤/ ٥٦٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٨).

⁽٣) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (٩٧/ ٩٥)، ((نفسير ابن كثير)) (١٣٣/٦)، ((نفسير السعدي)) (ص: ٨٦٥)، ((نفسير ابن عاشور)) (٩٩/ ٧٠).

قال الزجاج: (كلُّ مَن أدركه اللَّيلُ فقد بات بييتُ، نام أو لم يَنَمْ... إِنَّمَا المَبيتُ إدراكُ اللَّيلِ). ((معاني القرآن)) (٤/ ٧٥).





مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَرَ سبحانه حُسنَ سلوكِهم مع الخَلقِ، واجتهادَهم في عبادةِ الحقُّ؛ ذَكَر خَوفَهم مِن ربَّهم، واعتمادَهم عليه في نجاتِهم، وعلَمَ اعتزازِهم بأعمالِهم، فهُم يَأتون ما يَأتون مِن مَحاسِن الأعمالِ، ولا يَعتمدون إلَّا على الكبيرِ المُتعالِ^(٧).

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾.

أي: والذين يقولونَ خَوفًا وحَذَرًا مِن عَذابِ اللهِ: ربَّنا ادفَعُ عنَّا عذابَ جَهَنَّمَ، بتَوفِيقِنا للطَّاعاتِ، واجتِناب المعاصى، وتكفير السَّيِّئاتِ".

كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِقُونَ بِيَّوْمِ الَّذِينِ * وَالَّذِينَ ثُمُ مِنْ عَذَكِ رَبِّهِم مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَكَ رَبِّهِمَ عَثْرُ مَاتُونِ ﴾ [المعارج: ٢٦ - ٢٨].

﴿ إِنَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾.

أي: إنَّ عذابَ جهنَّمَ مُلازِمٌ لأهل النَّارِ لا يُفارِقُهم، مُهلِكٌ لهم ٣٠٠.

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ۲۰۰).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۹۵۱)، ((تفسير القرطبي)) (۱۳/ ۷۲)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۱)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ۷۰)

⁽٣) يُنظر: ((مجاز القرآن)) لأبي عيدة (٢/ ٨٥)، ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص. ٣٥٥)، ((نفسير ابن جرير)) (٧/ ٩٥٩)، ((نفسير الزمخشري)) (٣٧٢/١٣)، ((نفسير القرطي)) (٣٧٢/١٧)، ((نفسار القرطي)) (ص. ٨٥٦)، ((نفسير السعدي)) (ص. ٨٥٦)، ((أضواء البيان)) للشنقطيل (٢/ ٤٧).

قال ابن الجوزي: (قولُه تعالى: ﴿ كَانَ عَرَامًا﴾ فيه خمسةُ أقوالِ تقارَبُ معانيها: أحدُها: دائمًا،... والثاني: موجِعًا، رواه الضَّمَّاكُ عن ابن عَبَّاسٍ. والثالث: مُلِحًا، قاله ابنُ السائب، وقال ابنُ جُريع: لا يفارقُ، والرابعُ: هلاكًا، قاله أبو عُنيدة. والخاسُ: أنَّ القرامُ في اللَّغةِ: اثَنَّذُ العذابِ... قاله الزَّجَاجُ). ((قصير ابن الجوزي)) (٣٢٧٣). ويُنظر: ((مجاز القرآن)) لأبي عيدة (٢/ ٨٠)، ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/ ٧).





كما قال تعالى: ﴿ يُوبِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّادِ وَمَا هُمْ بِخَنْرِجِينَ مِنْهَا ۗ وَلَهُرُ عَذَاتُ مُقِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٧].

وقال سُبحانَه: ﴿ مَٰٓأُونَهُمْ جَهَمَّ صُّلَمًا خَبَتْ زِدَنَهُمْ سَمِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ فَقَدَ كَذَبْتُهُ فَسَوْقَ يَكُونُ لِزَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٧].

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ١٠٠٠ ﴾.

أي: إنَّ جَهِنَّمَ قَبَحَت مَنزِلًا يَستقِرُّ فيه أهلُها، ويِئسَت موضِعَ إقامةٍ يَمكُثونَ بها''.

- مثن اختار في الجعلة أن ﴿ عَرَامُ) أي: ملازمًا كملازَمةِ الغَريمِ لغريمه، مُلِحًا، لازمًا، دائمًا، لا يفارقُ صاحبة، مقاتلُ بن سليمان، والسموتنديُّ، والسمعانيُّ، وإلى معلية، وابنُ عطية، والغرطيُّ، والسمين الحلييُّ، وابنُ كثير، وجلالُ الدينِ المحليُّ، والسمين الحلييُّ، وابنُ كثير، وجلالُ الدينِ المحليُّ، والسمدتُّي، والشعيلُّ، (٢٤٠)، ((تفسير السموتي)) (٢٠/٤)، ((تفسير السموتي)) (٢٠/٤)، ((تفسير النعليي)) (٢١/٩)، ((تفسير الشعابي)) (٢٠/٤)، ((تفسير النوليي)) (٢٠/٤)، ((تفسير النوليي)) (٢٠/٤)، ((تفسير الخليقيطي (٢٠/٤))، ((تفسير الجلالين)) المنتقبطي (٢٠/٤)، ((تفسير الجلالين)) المنتقبطي (٢٠/٤)، ((تفسير اسموتي) المعالمين (٢٠/٤)، ((تفسير العبدين صورة الفرقان)) (ص: ٢٥٠).

ومعَن احتار أنَّ ﴿ عَرَامًا ﴾ أي: هلاكًا وخسرانًا مُلِحًا لازمًا: الزمخشريُّ، والرازيُّ. يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩٢)، ((تفسير الرازي)) (٤٨/ ٤٨١).

وقال ابن جرير: (﴿ غَـَرُهَا ﴾ مُلِحًا دائمًا لازمًا، غيرَ مفارقِ مَن عُذَّب به مِن الكَفَّارِ، ومُهلِكًا له). ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٩٩٤).

قال ابن عاشور: (وجملة: ﴿إِلَكَ عَلَابَهَا كَأَنَ مُرَكَامُها يجوزُ أن تكونَ حكايةً بن كلامِ القائلينَ، ويجوزُ أن تكونَ بن كلامِ اللهِ تعالى مُعترضةً بين اسمي الموصولِ. وعلى كلَّ فهي تعليلٌ لسوالِ صَرْفِ عَذابِها عنهم. والغرامُ: الهلاكُ المُللِّخُ الدَّائِم، وعَلَبَ إطلاقُه على الشرَّ المستورُّ). ((نضير ابن عاشور)) ((/ ۷۷).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٤٩٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٢٨)، ((تفسير ابن كثير)) =





﴿ وَالَّذِينَ إِذَا اَفَقُواْ لَمْ يُسْرِقُواْ وَلَمْ يَقَثُمُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿ ﴾. مُعاسَبُهُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لَمَّا ذَكَرَ تعالى أفعالَهم وأقوالَهم؛ أتبَعَ ذلك بذِكرِ إنفاقِهم(١).

وأيضًا لَمَّا ذَكَرَ سُبحانَه أفعالَهم وأقوالَهم فيما بيُنهم وبيُن الخَلْقِ والخالقِ؛ ذَكَرَ أحوالَهم في أموالهم نظرًا إلى قول الكفرةِ ﴿ أَثَرُلُغَةَ إِلَيْهِ كَنَا لَهُ اللهِ قال: ^]، وهدايةً إلى طريق الغنى؛ لأنَّه ما عالَ مَن اقتصدَ، فقال''':

﴿ وَٱلَّذِيكَ إِنَّا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِقُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ﴾.

أي: والذين إذا أنفقوا أموالَهم على أنفُسِهم وأهليهم وغَيرِهم، لم يُجاوِزوا الحَدَّ في إنفاقها فيُبَدُّروا، ولم يُقصِّروا في التَّفقةِ عن قَدرِ الحاجةِ فيَبَخلوا^{٣)}.

^{= (}١٦٣/١)، ((البحر المديد)) لابن عجية (١٦٢/٤)، ((تفسير ابن باديس)) (ص ٢٠٠٠). قال أبو حيان: (والظّاهرُ أن التَّمليني غيرُ مترادفينِ ، ذكر أوَّلا أُرومَ عذابِها، وثانيًا مَساءةً مكانِها، وهما متغايران، وإن كان يلزمُ بِن لزومِ المذابِ في مكانٍ ذَمُّ ذلك المكانِ. وقيل: هما متراوفان، والظَّاهِرُ أنَّه مِن كلامِ الداعينَ وحكايةً لقولِهم. وقيل: هو مِن كلامٍ الله). ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٨).

وقال ابن عاشور: (جملة: ﴿ إِنَّهَا سَاتَتَ شُسَتَقَرِّكُونَكُمَا ﴾ يجوزُ أن تكونَ جكايةً لكلام القاتلينَ؟ فتكونَ تعليلًا ثانيًا مؤخّدًا لتعليلهم الأوَّل، وأن تكونَ بن جانب الله تعالى دونَ التي يَتَلَها؛ فتكونَ تأيينًا لتعليل القاتلينَ، وأن تكونَ بن كلام الله مع التي يَتَلَها؛ فتكونَ تكريرًا للاعتراضي). ((نفسير ابن عاشور) (١/٩/ ٧١). ويُنظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (١/٩٠٥)، ((نفسير أبي السعود)) (١/ ٢٩٤).

⁽١) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٢/ ٦٧٣).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٢٣).

 ⁽۳) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۱۹/۹۷، ۰۰۱). ((نفسير ابن عطية)) (۲۲۰/۶). ((مجموع الفتاري)) لابن تيمية (۲۲۳/۲۳، ۱۳۴، ۱۳۶). ((تفسير ابن کثير)) (۱۲،۱۲۳/۱۲). ((تفسير =





كما قال تعالى: ﴿ وَكُولًا وَالنَّهُوا وَلَا نُشْرِقُواْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْسُرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

= السعدي)) (ص: ٥٨٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧١)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٧٥، ٧١).

قال ابن عطية: (الوجهُ أن يُقال: إنَّ الثَّفَقَ في المعصيةِ أمرُّ قد حظَّرت الشريعةُ قليلَه وكيرَّه، وكذلك التعدَّي على مالِ الغيرِ، وهؤلاء الموصوفون متزَّهون عن ذلك، وإنَّما التأديبُ بهذه الآية هو في نفقةِ الطاعاتِ وفي المباحات، فأدّبُ الشَّرِع فيها ألَّا يُفْرَطُ الإنسانُ حتى يضيّعٌ حَقًّا آخَرَ أو عبالًا ونحوَ هذا، وألَّ يضَيِّقُ أيضًا ويفترُّ حتى يُجيعَ العبال، ويُفرِطَ في الشُّعِ). ((تفسير ابن عليك) (٢٤/ ٢٤).

وقال السعدي: (﴿ وَاَلْتِيكِ إِنَّا أَنْفَقَلُ ﴾ النقابِ الواجنَّ والمستحثُّ ﴿ لِلَّمْ يُسْبِقُوا ﴾ بان يُزيدوا على الحدُّ تَدَخلوا في قسم التبذير، وإهمالي الحقوق الواجبَه، ﴿ وَلَمْ يَقَثُّمُوا ﴾ فيدخلوا في بابِ البخل والشُّخُ). ((تفسير المعدي)) (ص: ٩٨٦).

وقال ابن عاشور: (أُريدُ بالإنفاق هذا الإنفاقُ غيرُ الواجبِ، وذلك إنفاقُ المرءِ على أهلِ بيبِه وأصحابِه؛ لأنَّ الإنفاقَ الواجِبَ لا يُلَمَّ الإسرافُ فِيه، والإنفاقَ الحرامُ لا يُصتَدُ مُطلقًا بَلَّهُ ان يُلَمَّ الإنتارُ فِيه، على أنَّ فِي قولِه: ﴿ وَلِمَا الْفَقُلُ﴾ إشعارًا باتَّهِم اختاروا أن يُقِقوا ولم يُكُنُ واجِبًا عليهم. والإسرافُ: تجاوُزُ الحَدُّ الذي يقتضيه الإنفاقُ بحسّبِ حالِ المنفِقِ وحالِ المنفَقِ عليه). ((نفسير ابن عاشور)) (4 / / ۷).

وقال الشنقيطي: (واعلَمُ أنَّ أظهَرَ الأقوالِ في هذه الآيةِ الكريمةِ أنَّ اللهَ مَدَّع عبادَه الصالحينَ بتوسُّطهم في إنفاقهم، فلا يجاوِزون الحدَّ بالإسرافِ في الإنفاق، ولا يَقتُرون، أي: لا يُضَيَّقون فيَخَلون بإنفاق القَدْوِ اللازم. وقال بعضُ أهلِ العلمِ: الإسرافُ في الآيةِ: الإنفاقُ في الحرام والباطلِ، والإقتارُ: منمُ الحقَّ الواجبِ. وهذا المعنى وإن كان حقًّا فالأظهرُ في الآيةِ هو القَولُ الأوَّدُ... والظَّاهِرُ أنَّ الرَّشُطَ في الإنفاقِ الذي مدَّحهم به شارِكٌ لإنفاقِهم على أهليهم، وإنفاقِهم العالَ في أوجُه الخير). ((أصواء البيان)) (٦/ ٢/ ٢٠).

وذكر ابرُّ عنيمين أنَّ الإنفاق شايلٌ للإنفاق على العيالِ والإنفاق في سبيلِ الله، وفي الزَّكُواتِ والصَّدَفَات، والإنفاق في وجوهِ الخيرِ، وفي كُلِّ ما يكونُ إنفاقاً، قال: (لأنَّه لم ييُّنِ المتمَلَّق، لم يقُلِ اللهُ: «أَنفَقوا على عيالِهم»، بل أطَلَق: فيشمَلُ كُلِّ ما أنفقوه؛ على العيالِ وعلى غيرِهم). ((نضير ابن عنيمين- سورة الفرقان) (ص. ١٧٩٩، ٨٨).





وقال سُبحانَه: ﴿وَلَا لَبُنَدِّرَ بَيْنِرًا * إِنَّ ٱلْثَبَيْنِينَ كَانُوَّا إِخْوَنَ ٱلشَّيَطِينِّ وَكَانَ ٱلشَّيَطَانُ لِرَبِّهِ. كَفُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا جَمْعَلْ يَدَكَ مَعْلُولَةٌ إِلَىٰ عُنُوكَ وَلَا بَسُطُهَمَا كُلُّ ٱلْبَسْطِ فَنَقَمُدَ مَلُومًا تَعْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وعن عمَّارِ بنِ ياسرٍ رَضِيَ الله عنهما، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال في دعائه: ((وأسألُك القَصدَ ١٠٠ في الفَقر والغِني)) ١٠٠.

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((كُلوا واشرَبوا وتصَدَّقوا والبَسُوا، في غيرِ مَخِيلةٍ^(٢)، ولا سَرَف)(^{١)}،

﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾.

أي: وكان إنفاقُهم مُعتَدِلًا وسَطًّا بيْنَ الإسرافِ والتَّقتير (··).

(١) أي: الاقتصادَ والتوسُّطَ. يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٥/ ١٧٣٥).

(٢) أخرجه النسائي (١٣٠٥) واللفظ له، وأحمد (١٨٣٥)، وإبن حبَّان في ((صحيحه)) (١٩٧١). وتُق رجالًا إسنادِه الشوكائيَّ في ((نيل الأوطار)) (٣٣٣/٢)، وصَحَّح الحديثَ الألبانيُّ في ((صحيح سنن النسائي)) (١٣٠٠).

(٣) مَخيلة: أي: كِبر. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٢/ ٩٣).

(٤) أخرجه البخاريُّ معلَّقًا بصيغة الجزم قبلَ حديث (٥٧٨٣)، وأخرجه موصولًا النَّسانيُّ (٢٥٥٩) واللفظ له، وابن ماجه (٣٦٠٥)، وأحمد (١٦٩٥).

حسَّه ابنُ حجر في ((الأمالي المطلقة)) (٣٣)، وصحَّحه الهيتميُّ المكُّيُّ في ((الزواجر)) (٢/ ٣٥)، والصنعائيُّ في ((سيل السلام)) (٤/ ٢٢٧).

(ه) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱/ ۲۰ ه - ٤ ه)، ((تفسير ابن کثير)) (۲/ ۱۲٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (۲/ ۲۶٪)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲/ ۲/۱۷)، ((أضواء البيان)) للشتقيطي (۲/ ۲۰ ۲۷).





الغَوائِدُ التَّربويَّةُ:

١ - قَولُه تعالى: ﴿ وَعِيمَادُ ٱلرَّحْنِ الَّذِيرَ كَيْسُمُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنَـا ﴾ قال:
 ﴿ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ تذكيرًا بهما هم منه وما يَصيرون إليه، وحثًا على السَّعي في معالي
 الاُخلاقِ للترقَّى عنه(١٠).

٣- في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْنِ ٱلَّذِيكَ يَشْدُنَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنَا ﴾ استحباب الرُّفْقِ في المَشيِ، وكراهية المُنفِ والاضطرابِ، ومِن العُنفِ الضَّرِبُ بالرَّجلِ والمَخفِّ بالنَّعبِ الفَاه كانا بمُجْبِ وخُتِلاءَ فهو حرامٌ (١٠) والمَشيُ الهَودُ مخالفٌ لمَشْيِ المتجبِّرينَ المُعجَبِين بنفوسِهم وقوَّتِهم. وهذا الهَودُ ناشئٌ عن التواضيع لله تعالى، والتخلُّق بآدابِ النفْسِ العالمية، وزوالِ بطَرٍ أهلِ الجاهليَّة، فكانت هذه المِشيةُ مِن خلالِ الذين آمنوا على الضَّدِّ مِن مَشيِ أهلِ الجاهليَّةِ... والتخلُّق بهذا الخَلقِ من خطهرٌ مِن مَظهرٌ مِن مَظهرٌ مِن مَظهرٌ مِن مَظهرٍ التخلُّق بالرَّحمةِ المناسِبُ لعبادِ الرَّحمنِ؛ لأنَّ الرَّحمةِ للشَّقِة، فالهَودُ يناسِبُ ماهيَّتِها، وفيه سلامةٌ مِن صَدم المازِّينَ (١٠).

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَعِيادُ الرَّحْنِ اللَّهِينَ يَنْشُونَ عَلَى ٱلأَرْضِ هُونًا ﴾ ليس مِن الهَونِ في المشي التثاقلُ والتماوُتُ فيه (٤٠) تَصَنُّعًا ورياءً، فقد كان سَيَّدُ وَلَدِ آدمَ

⁼ قال ابنُّ عطية: (القَوَامُّ أَيْ: المعتَّدِلُ، والقُوامُّ فِي كُلُّ واحدٍ بحسَّبٍ عيالِهِ وحِالِه، وخِفَّةٍ ظَهُوه، وصَيره وجَلَدِه على الكَسَبِ، أو ضِدَّ هذه الخصالِ، وخيرُ الأمورِ أوسَطُها). ((تفسير ابن عطية)) (٢٢٠/٤).

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٢٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٥).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/١٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٥).





صَلَى الله عليه وسَلَم إذا مشى كأنَّما يَنحَطُّ مِن صَبَبِ (١) وقد كَرِه بعضُ السَّلَفِ المشي بَتَضعُّفِ وتصَنِّع، حتى رُويِ عن عُمَرَ أَنَّه رأى شابًا يَمشي رُويدًا، فقال: ما بالُك؟! أأنت مَريضٌ؟ قال: لا يا أميرَ المؤمِنينَ، فعلاه بالدَّرَّةِ، وأمَرَه أن يَمشيَ نُمُّةً (١):

٤ - في قولِه تعالى: ﴿ وَلِهَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَدَهِلُونَ قَالُواْ سَلَمَنَا ﴾ الإغضاء عن الجاهل، ومُقابَلة كلمتِه السيئةِ بالكلامِ الحسنِ، وكراهة مجاراتِه في خِطابِه ومُماثلتِه، وإذا كان في ذلك فِئتةٌ أو مُفسَدةٌ محقَّقةٌ كان حرامًا "".

٥- قال الله تعالى: ﴿ وَلِهَا خَاطَبَهُمُ الْجَدْهِلُونَ قَالُواْ سَلَمَا ﴾ اشتملت الآية على بيانِ الأدبِ في معاملةِ الجاهلينَ مِن أفرادِ النَّاسِ، سواءٌ أكانوا مسلمينَ أم غيرهم، وما اشتملت عليه مِن الأدبِ قد جاء في آياتٍ كثيرةٍ، مِشْ قَولِه تعالى: ﴿ وَأَلِمَ اللَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْمَنْ عَن لَلْتَهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقولِه تعالى: ﴿ وَإِلَا سَيْحُوا اللَّهُ وَ اللَّعْرافِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الاَ بَنْنَيْ الْجَعِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥]؛ فهو أدبٌ مشروعٌ مؤكّد، وحُكمٌ دائمٌ محكّمٌ، وهو في معاملاتِ الأفرادِ كما ترى، فلا ينافي ما شُرعٌ مِن الحربِ عنذ وجودِ أسبابِها، وتوقُر شروطِها بينَ كما ترى، فلا ينافي ما شُرعٌ مِن الحربِ عنذ وجودِ أسبابِها، وتوقُر شروطِها بينَ

⁽۱) أخرجه الرمذي (٣٦٣٧)، وأحمد (٧٤١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال الترمذي: (حسنٌ صحيحٌ)، وصبّح إسنادَه الحاكمُ في ((المستدرك)) (٤٩٤٤)، وأحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (٢/١٧١)، وصبّحه البَعْويُّ في ((شرح السنة)) (٢/١٧١)، وصبّحه البَعْويُّ في ((شرح السنة)) (٢/١٧١)، والألبائيُّ في ((صحيح سنن الترمذي)) (٣٦٢٧)، وحبّن اللحديثَ لغيرِه شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (٧٤٦).

وقوله: يَنحَطُّ مِن صَبَبٍ أي: مِن مَوضِع مُنحَدِرِه والمعنى: يمشي مشيًا قويًّا سريعًا. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (// ۳)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٩/ ٣٠٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٢١، ١٢٢).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٥).





الأُمَمِ والجماعاتِ، وهي مِن الأمورِ العامَّةِ كما ترى(١٠).

3 وَلُهُ تعالى: ﴿ وَإِنَا خَاطَبُهُمُ ٱلْجَرْهِلُونَ كَالْوَاسَلَامًا ﴾ استُدِلَّ به على جَوازِ أَنْ
 4 يُسَلَّمَ على الجاهلِ إذا كان كافرًا، كما قال إبراهيمُ لأبيه: ﴿ سَلَمُ عَنَيْكُ ﴾ [مريم: لاكمًا أَنْوَةً حَسَنَةً فِي الرَّحِيدَ ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿ وَتَدْ كَانَتْ لَكُمُّ النَّوَةً حَسَنَةً فِي الرِّحِيدَ ﴾ [الممتحنة: ٤]، وهو سلامُ مُوادَعةٍ ومُناركةٍ؛ لا سلامُ تحيَّةٍ وكرامةً ")، وذلك على قولٍ في النفسير.

٧- قال الله تعالى: ﴿ وَلَهِنَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَنْهِلُونَ كَالَّوْا سَلَنَكَا ﴾ القولُ السَّلامُ مَحمودٌ ومطلوبٌ في كلَّ حالٍ، وإنما خُصَّتْ حالةُ الخِطابِ بالجاهلِ؛ لأنَّها الحالةُ التي تَقورُ فيها ثائِرةُ الغضبِ بما يكونُ مِن سَفَهِه ومهاترته، فعلى المؤمنِ أن يكونَ حاضِرَ البالِ بهذه الآية عندما تسوقُ إليه الأقدارُ جاهلًا ثينخاطبُه بما لا يُرضِه؛ حتى يَسلَمَ مِن شَرَّةٍ، ويَكِسرَ مِن شِرَّتِه، فيَسلَمَ له عِرْضُه ومروءتُه ودينُه،

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٦).

ثم قال بعد ذلك: (فبطَلُ قُولُ مَن زعمَ أَنَّ هذه الآيةَ بِالنَّسِيةِ لغيرِ المسلمِ مَنسوخةٌ بَايَّةِ السيفِ؛ لأنَّ هذه الآيةَ ثابتٌ مُحكُمها في حالٍ، وإنَّةَ السيفِ ثابتٌ مُحكُمُها في حالٍ أخرى، فلا تَنسَحُ إحداهما الاخرى، وما أكثرَ ما تُتِلَّتُ أحكامٌ بِآيةِ السيفِ هذه، وهي عندُ التحقيقِ غيرُ معارِضةٍ لها؛ لشبايَةِ حالِها لحالِها).

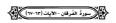
⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٧).

وذلك بِناءُ على الوجهِ الثاني في الآيةِ، وهو أنَّه يقولُ للجاهلِ هذا اللَّفظَ نفْسَه ﴿ سَلَنَمَا ﴾، على أنّه مفعولٌ به. ويُنظر المصدر السابق أيضًا (ص. ١٩٥).

قال ابنُ عثيمين: (وليس المرادُ هِ آسَدُنهَا هي يعني: السلامُ عليكم، كما يقُلُّ بعضُ العامَّةِ: ولذلك تسلَّط الفعلُ عليها فتصَبها، ولو كان المرادُ بالسلامِ الجعلةَ السلاميَّةُ لقال: ﴿قالوا: سلامٌ﴾). ((تفسير ابن عثيمين-سورة الفرقان)) (ص: ٧٣٧).

وقال السمين: (ورَجَّح سيبويه أنَّ العرادَ بالسَّلام السَّلامةُ لا التسليمُ؛ لأنَّ المؤمنين لم يُؤْمَروا قَطُّ بالتسليم على الكفرة، وإنما أُمِروا بالمُسالَمةِ). ((الدر المصون)) (ص: ٣٧١٦).





ويَسلَمَ ذلك الجاهلُ أيضًا مِن اللَّجاجِ في الشَّرِّ والتمادي فيه، فيكونُ المؤمِنُ بقولِه "السَّلام» وتأدُّبِه بأدبِ القرآنِ قد حَصَّلَ السَّلامةَ للجَميعِ^(١).

٨- في قَولِه تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّه اللَّه ويضُ على قيام اللَّه إنَّ اللَّه اللَّهُ اللَّاللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّاللَّاللَّا اللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ ا

9- قولُه تعالى: ﴿ وَاللَّذِيكِ يَقُولُونَ رَبَّنَا آصْرِفَ عَنَّا عَذَابَ جَهَمَّ إِن عَذَابَهَا كَانَ عَرَامًا﴾ المُوادُ مِن قولِهم ذلك: فزعُهم منها، ووَجَلُهم الشديدُ المُستتبعُ إِنَّ صَحْبُهم بالتّقوى، واعتصاوهم بالسّببِ الأقوى، لا مجرَّدُ قلقلة اللّسان، بلا تأثّرِ مِن الجَنانِ؛ فإنَّهم لم يَنتَهلوا إلى المولى ويَتعَوَّذوا به مِن سَعيرِها، إلَّا لعِلهم بسوء حالِها. ومُقتضى العلم بالشّيء إيفاؤه حقّه، والعملُ بموجَبِه ؟.

١٠ - قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهَا سَآمَت مُسَمَّقَرًا وَمُقَامًا ﴾ إنَّ جهنَّم هي أقبتُ مُستقرَّ، وأقبَّمُ مُستقرَّ، وأقبَّمُ مُستقرَّه ومُقامًه في اللّخرة، ومَن ساء مُستقرَّه ومُقامًه في الآخرة، وإنَّ مُلازَمة العذابِ في الآخرة على قَدْدٍ مُلازَمة العذابِ في الأخرة على قَدْدٍ مُلازَمة العذابِ في الأُنيا؛ فمن لازَمها بالكفرِ ومات عليه دامتْ له تلك الملازَمة، ومن لازَمها بالإصرارِ على الكبائرِ كانت له على حسّبِ تلك الملازَمة؛ فعلى الفاقلِ أن يُحسنَ مَقَرَّه ومُقامَه، وأن يَجتنبَ كلَّ موطنِ تَلتَقهُ فيه المُلامة، وأن يَجتنبَ كلَّ موطنِ تَلتَقهُ فيه المُلامة، وأن يَجتنبَ مجالسَ الطاعةِ والسُّنَّة، وأن يُحتنبَ ما الشوء والبدعة، ويلازِم مجالسَ الطاعةِ والسُّنَة، وأن يُحرَّ على شَيءٍ مِن القبائحِ والمُيوبِ، وألَّ يُصِرَّ على شَيءٍ مِن القبائحِ والمُيوبِ، وأن يُحرَّ على شَيءٍ مِن القبائحِ والمُيوبِ، وأن يكونَ مريعَ الرُّجوع إلى اللهِ، ولو عَظْمَ ذَنْهُ وبَلُواه؛ فاللهُ يحِبُّ التَوْالِينَ المَالِي ولو عَظْمَ ذَنْهُ وبَلُواه؛ فاللهُ يحِبُّ التَوْالِينَ المَالِية والمُؤتِينَ المَالِي ولو عَظْمَ ذَنْهُ وبَلُواه؛ فاللهُ يحِبُّ التَوْالِينَ المَّالِية المَّالِية التَقْرِيةِ المَالِيةِ المَاللهُ عليه الله اللهُ عَلْمَ وَنَهُ واللهُ يعبُّ التَوْلِهِ المَالِيةِ والمُنْادِيةِ المَوْلِةِ المَالِيةِ والمَنْ المَّهِ والمَنْ عَلْمُ وَلَا المَّاهِ والْوَ عَظْمَ ذَنْهُ وبَلُواه؛ فاللهُ يحبُّ التَوْلِيةِ المَالِيةِ والمَنْ لِي اللهِ المَّهُ والمَنْ عَلَيْهِ والمَالِيةِ والمَنْ المَنْ المَنْ عَلَيْهُ والْمَالِيةِ المَنْ المُنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المُنْ المَنْ المَنْ المُنْ المَنْ المُنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المُنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المُنْ المَنْ المَنْ المَنْ المُنْ المَنْ المُنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المَنْ المُنْ المَنْ ا

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٧).

⁽٢) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١٩٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير القاسمي)) (٧/ ٤٣٧).





ويَغفِرُ للأوَّابينَ(١).

١١ - في قَولِه تعالى: ﴿ وَالَّذِيكَ إِنَّا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِقُواْ وَلَمْ يَفَثُّرُواْ ﴾ دُمُّ الإسراف والإقتار في النَّفَقةِ، ومدحُ التوسُّطِ(٢)، فلَمَّا كان المالُ هو أعزَّ شيءٍ في هذه الدنيا، وهو أعظَمُ سبب لِنَيل مُبتغياتِها؛ وُصِفوا بأنَّهم في تصرُّفاتِهم فيه على أكمَل حالٍ، وهي حالةُ العَدلِ التي أثمرَتْها لهم الصَّلاةُ؛ فلا يُمسِكونَه عن حقٌّ، ولا يَبذُلُونَه في باطل(٣)، وكان التوسُّطُ في الإنفاقِ هو حالَ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، فكان مُقتَصِدًا في حالٍ فَقره وغِناهُ؛ فإن كان فقيرًا لم يقتِّرُ خوفًا مِن نَفادِ الرِّزقِ، ولم يُسرفُ فيَحمِل ما لا طاقةَ له به، كما أدَّب اللهُ تعالى نبيَّه بذلك في قَولِه تعالى: ﴿ وَلَا يَجْعَلْ يَدَكَ مَعْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا نَبْسُطُهِ كَا كُلُّ ٱلْبَسْطِ فَنَقْعُدَ مَلُومًا تَحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وإن كان غنيًّا لم يحمِلْه غِناهُ على السَّرَفِ والطُّغيانِ، بل يكونُ مقتَصِدًا أيضًا، وإن كان المؤمِنُ في حالِ غِناهُ يَزيدُ على نفَقتِه في حالٍ فَقره، كما قال بعضُ السَّلفِ: (إنَّ المؤمِنَ يأخُذُ عن الله أدبًا حَسَنًا؛ إذا وسَّع الله عليه وسَّعَ على نفْسِه، وإذا ضيَّقَ عليه ضَيَّق على نفْسِه، ثمَّ تلا قَولَه تعالى: ﴿ لِينَفِقَ ذُوسَعَةِ مِن سَعَتِهِ ۗ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلَيْنِقَ مِمَّا عَالَنهُ اللّهُ ﴾ [الطلاق: ٧]). لكِنْ يكونُ في حال غِناهُ مقتَصِدًا غيرَ مُسرفٍ، كما يفعلَهُ أكثَرُ أهل الغني الذين يُخرِجُهم الغِني إلى الطَّغيانِ، كما قال تعالى: ﴿ كُلَّا إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيْظُغَى * أَن رَّمَاهُ أَسْتَغْنَى ﴾ (١) [العلق: ٦، ٧].

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٠١).

⁽٢) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١٩٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢١٦).

⁽٤) يُنظر: ((مجموع رسائل ابن رجب)) (١/ ١٦٧، ١٦٨).





الغَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَلِهَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَدَهِ أُوتِكَ قَالُواْ سَكِنَكُم ﴾ فأنتى على عِبادِه بالإعراضِ عن الجاهلينَ ومُتارَكتِهم، وهذا ممّّا يدُلُّ على قُبحِ الجَهلِ عندَه عزَّ وجَلَّ، وبُغضِه للجَهلِ وأهلِه، وهو كذلك عندَ النَّاسِ؛ فإنَّ كُلَّ أحدِ يتبرَّأُ منه، وإن كان فه (١).

٢- في قَولِه تعالى: ﴿ وَاللَّهِ يَنْسِحُونَ لِرَبْهِمْ سُجَدًا وَقِينَا ﴾ بيانُ أنَّ هؤلاء يُطيلون القيام والشجود، فما دام بياتُهم على هذا الوَصفِ فمعناه أنَّهم يُطيلون القيام والسُّجود".

٣- في قَولِه تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ بَيْسِتُونَ لِرَبِّهِ مِ سُجَّدًا وَقِينَمًا ﴾ دليلٌ على
 أنَّ البيتونة هو ضِدُّ الظُّلُولِ بالنّهارِ، لا أنَّه النومُ، وكيف يكونُ نومًا وهو يقولُ: (سُجِّدًا وقيامًا)
 ٣٠٠جُدًا وقيامًا)

٤- قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّذِي يَقُولُونَ رَبّنا آصْرِفَ عَنّا عَذَابَ جَهَمّ ﴾ ذعم قرم الله تعالى الله تعالى الاطمع في جنبه، ولا خوفًا مِن نارٍه! وهذه الآية فيرها أحوالي العابد أن يعبُد الله تعالى الاطمع في جنبه، ولا خوفًا مِن نارٍه! والسلامُ: ﴿ وَاللَّهِ الشَّعراء: ١٨]، وفي نصوص لا تُحصى كثرة، وزعموا أنَّ كمالَ التعظيم لله ينافيه أن تكونَ العبادةُ معها خوفٌ مِن عقابِه، أو طمّع في ثوابِه! وأخطؤوا فيما زعموا؛ فإنَّ العبادة منها خوفٌ مِن عقابِه، أو والمتعرف الماجاحة والاضطرار، وإظهارُ العبد

⁽١) يُنظر: ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (١/ ٥٣).

⁽٢) يُنظر: ((اللقاء الشهري)) لابن عثيمين (اللقاء رقْم: ٥٩).

⁽٣) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ١٣ ٥) وسبَق نحوُه مِن كلام الزَّجَّاج.





هذه العبودية باتمَّها، ومِن أنمَّ مَظهرِ لها أن يخافَ ويطمَعَ، كما يَذِلُّ ويخضَعُ؛ ففي إظهارِ كَمالِ نَقصِ العبوديَّةِ القيامُ بحقَّ الإجلالِ والتعظيمِ للربوبيَّةِ؛ ولهذا كان الأنبياءُ -عليهم وآلِهم الصلاةُ والسلامُ- هم أشَدَّ الخلقِ تعظيمًا لله، وأكثَرُهم خوفًا مِن الله، وتعوُّذًا مِن عذابِ الله، وسؤالًا لِما عندَ الله، وكفَى بهم حُحَّةً وقدهةً!

وإنَّ هذه المقالةَ تكادُّ تُفضي إلى طرحِ الرجاءِ والخَوفِ، وعليهما مبنى الأعمالِ؛ لِما فيهما مِن ظهورِ العبوديَّةِ بالذُّلُّ والاحتياج، ومِثْلُ هذه المقالةِ إنما يجُرُّ إليها الغُلُوُّ وقلَّةُ الفقهِ في الدينِ، وفي الكتابِ والشُّنةِ، وما كان عليه هَدْيُ السابقينَ الاَّوَلِينَ^(۱).

٥- في قولِه تعالى: ﴿ وَاللَّذِيكَ يَقُولُونَ رَبِّنَا أَضِيفَ عَنَا عَذَابَ جَهَنّم إِن عَنَا عَذَابَ جَهَنّم إِن أَنْ الدُّعاءَ عادة يُثابُ عليه الدَّاعي، ألا ترى أنَّ الله تعالى جعَله في جملةِ ما مدّحَ به عِبادَه في هذا المدحِ؟! ويؤيدُه قولُه تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ أَدَعُونَ أَسْتَحِبُ لَكُم إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكَمْرُونَ عَنْ عِبَادَقِ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَمَ وَالْجِرِينَ ﴾ [خافز: ٢]؛ فسَمًاه عبادةً".

٦- هذه الآيةُ الكريمةُ -التي هي قولُه تعالى: ﴿ وَاللَّهِكَ إِذَا الْفَقْوَالَمْ يُسْرِقُواْ وَلَمْ يَشْتُرُواْ ... ﴾ الآية - بيَّت أحد رُكني ما يسمَّى الآنَ بالاقتصادِ، وإيضاحُ ذلك أنَّه لا خِلافَ بيْن الْمُقَلاءِ أنَّ جميعَ مسائِلِ الاقتصادِ على كَثرتِها واختِلافِ أنواعِها راجِعةٌ بالتَّفسيمِ الآوَّلِ إلى أصلينِ لا ثالثَ لهما؛ الأوَّلُ منهما: اكتِسابُ المال. والثَّانى منهما: صَرفُه في مَصارِفِه".

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٠١).

⁽٢) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ١٤٥).

⁽٣) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٧٦).





بلاغةُ الآيات:

 ١ - قولُه تعالى: ﴿ وَعِيَادُ ٱلرَّحْدَنِ ٱلَّذِينَ يَسْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِنَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَدِيدُونَ عَالَوْا سَلَمًا ﴾

- قولُه تعالى: ﴿ وَعِيَكَ الرَّقَنَى الَّذِينَ مِنْ مُنَ مَنَ الْأَنْوِيةَ قَوْنَا ﴾ كَلامٌ مُستانَفُ مَسوقٌ لبيانِ أوصافي خُلَص عِبادِ الرَّحمنِ وأحوالِهمُ النَّنبويَّة والأُخرويَّة بغدَ بيانِ حالِ النَّافِرينَ عن عبادتِه والسَّجودِ له ''. وقيل: إنَّه عطفُ جُملةٍ على جملةٍ ؛ فالجملةُ المعطوفةُ هي: (عِبَادُ الرَّحْمَنِ) إلى والجملةُ المعطوف عليها جُملةً ﴿ وَهُو اللَّي جَمَلَ النَّل وَالنَّهَارَ خِلْمَةٌ … ﴾ [الفرقان: ٢٦] فيمُناسَبةٍ ذِكرِ مَن أوادَ أَنْ يَذَكَّرَ تُخلِّصَ إلى خِصالِ المؤمنينَ أثباعِ النَّبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حَتَى تَستكمِلَ السُّورةُ أغراضَ التَّنويةِ بالقُرآنِ ومَن صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حَتَى تَستكولَ الشُّورةُ أغراضَ التَّنويةِ بالقُرآنِ ومَن أنَّه استِطرادٌ عارِضٌ كسَوابِقِه؛ حَتَى يُفاجِنَه ما يؤذِنُ بالخِتامِ، وهو: ﴿ قُلْ مَا يَشَيِّ يَهُ وَلَا مَا النِّذِيامِ، وهو: ﴿ قُلْ مَا يَشَيِّ اللَّهُ وهو: ﴿ قُلْ مَا يَشْرَاوُ وَمَن يَسَاهِ اللَّهُ وَاللهِ عَاللَّهُ اللَّهُ الإِنْ وهو: ﴿ قُلْ مَا يَقِيْنُ بالخِتامِ، وهو: ﴿ قُلْ مَا يَشْرَكُونَ مُنْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللهُ عَلَيْ ومَن يَشْبُولُ عَلَى السَّورةُ المِنْ كَاللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَى الْمُؤْمِنَ النَّهُ الْمَامِعِ مُنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُؤْمِنَا لِللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنَا لِينَامِ النَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ الْمُؤْمِنَا لِهُ الْمَنْ الْمُؤْمِنَا لَيْكُونُ الْمُؤْمِنَا اللَّهُ الْمَامِعَ المَّهُ الْمُؤْمِنَا وَلَا عَلَى الْمُؤْمِنَا لِهُونَ الْمُؤْمِنَانَ الْمَامِعُ الْمَلْمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَا لَيْسَامِعِ اللْمُؤْمِنَا وَلَا عَلَى الْمُؤْمِنَا لِمُؤْمِنَا اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنَا اللَّهُ الْمُؤْمِنَا اللَّهُ الْمِنْ الْمُؤْمِنَا الْمُعْلِمُ الْمُؤْمِنَا الْمَامِعُمَا الْمُؤْمِنَا الْمُنْ الْمُؤْمِنَا وَلَى الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا اللَّهُ الْمُؤْمِنَا اللْمُؤْمِنَا اللْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَانَ الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا الللَّهُ الْمُؤْمُنَا الْمُؤْمِنَا الْمُؤْمِنَا اللْمُؤْمِنِ

- وقيل: وُصِلَتِ الجُملةُ بِما قبّلَها بالواوِ؛ لاشتِر اكِهما في القَصدِ، وهو التّعريفُ بالرّحمن وبعِبادِه".

- قولُه: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ...﴾ أضافَهم إلى الرَّحمنِ؛ تَخصيصًا وتَشريفًا وتَفضيلًا وتَقريبًا، أو لأنَّهمُ الرَّالبِخونَ في عِبادتِه، على أنَّ (عِبَاد) جَمعُ عابدٍ،

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٨).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ٦٦، ٦٧).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٣، ١٩٤).





كتاجِرٍ وتِجَارٍ. وفيه تعريضٌ بأُولِئكَ المُتجاهِلينَ المُتكبِّرِينَ المُبعَدِينَ ''). وأضافهم إلى وصفي الرَّحمةِ الأبلغِ الذي أنكرَه أولئك؛ تبشيرًا لهم '')، وإشارةً إلى أنَّهم إنَّها وصَلوا إلى هذه الحالِ بسببِ رحمتِه '')، فعبادتُهم للهِ كانت مِن مفتضياتِ رحمتِه، ومِن ناحيةٍ أُخرَى أنَّهم يَرجونَ بهذه العبادةِ رحمةً ربَّهم، لا يرجونَ بهذله العبادةِ رحمةً الله ''). ثمَّ يرجونَ بذلك دُنيا، ولا دفعَ مَذمَةٍ عنهم، وإنَّما يرجونَ بهذا رحمةَ الله ''). ثمَّ وصفَهم بضِدً ما وصفه به المتكبِّرين عن الشُجودِ؛ إشارةً إلى أنَهم تخلَّقوا مِن هذا الصَّفيةِ التي أَنْهم تخلَّقوا مِن

- وأيضًا في تَعريفِ القرآنِ لعِبادِ الرَّحمنِ بعْدَ تَعريفِه بالرَّحمنِ: تَشريفٌ كبيرٌ لهم، وتَبكيثُ لأولئك المُتجاهِلين المُتكبِّرين^(١).

- قولُه: ﴿ اللَّذِيكَ يَشُونَ عَلَمَ الْأَرْضِ مَرْفَا ﴾ ﴿ هَوْنَا ﴾ حالٌ، أو صِفةٌ للمَشي، بمعنى: هَيْنِنَ. أو: مَشْيًا مُيِّنَا، إِلَّا أَنَّ في وضع المَصدرِ مَوضِعَ الصَّفةِ مُبالَغةُ (الْ

- وإذا كان المرادُ مِن عِبادِ الرَّحمنِ أصحابَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ كان الخَبرُ في قَولِه: ﴿ أَلَّيْكِ كَيَسَّونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنَا ﴾ إلى آخِرِ المَعطوفاتِ، وكان قَولُه الآتِي: ﴿ أُولَّتِكَ يُجَنِّرُكَ الْشُرْكَةَ بِعَاسَرَمُكَا ﴾ [الفرقان: ٧٥]

⁽۱) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۹۱)، ((نفسير اليضادي)) (۱۶ - ۱۳۳)، ((نفسير أبي حيان)) (۸/ ۲۱۰)، ((نفسير أبي السعود)) (۲۲۸/۲)، ((نفسير ابن باديس)) (ص: ۱۹۹).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٢٠٤).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير السعدى)) (ص: ٥٨٦).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٢٧٠).

⁽٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٢٠).

⁽٦) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٣).

⁽٧) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩١).





استِتنافًا لتيانِ كَونِهم أَخْرِياءَ بما بغد اسمِ الإشارة. وإذا كان المرادُ مِن عِبادِ الرَّحمنِ جميعَ المؤمنينَ المتَّصِفينَ بمَضمونِ تلك الصَّلاتِ؛ كانتْ تلك المَوصولاتُ وصِلاتُها نُعوتًا لـ ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾، وكان الخبرُ اسمَ الإشارةِ في قولِه: ﴿ أَوْلَتِهَاكَ بُجْرَوْتِ ٱلشُّرْفَةَ ﴾ [الفرقان: ٧٥] إلخ (١٠.

- قوله: ﴿ يَسْفُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ هَوْنَا ﴾ تركيبٌ كِنائيٌّ، أُويدَ به معناه، ولا إِنْ معناه، ولا إِنْ معناه، ولا إِنْ معناه، ولا إِنْ معناه، ولا يَخفِقون بيعالِهم في يَمْشُون هيئينَ برِقْق وتثبُّت، لا يَضْرِبون باقدامهم ولا يَخفِقون بيعالِهم شهولتُهم، وتوفَّقُهم في الأمور، ويُعدُهم عن الإنساد. ومُرادٌ لازم آخَرُ أَيضًا: وهو سَيْرُهم في الحياة، وتصرُّقهم في جميع الأمور، ومُعامَلتُهم للنَّاسي، فإذا كانوا أهل رِفْق وسُهولة في مشيبَهم في الأرض، فكذلك هم أهل رِفْق وسُهولة في الأمور الأخرى ممّا ذكرتا؛ لأنَّ الرُفق والسُهولة خي غيره. وكانتِ الصَّلة الرُفق والسُهولة خيُقيه، فكما هو في المشي هو في غيره. وكانتِ الصَّلة الرَفق والسُهورة للإنسانِ ".

وفي الإطنابِ بصِفاتِهمُ الطَّيْبةِ تَعريضٌ بأنَّ الَّذِين أَبُوا السُّجودَ للرَّحمنِ
 وزادَهُم نُفورًا هُم على الضَّدِّ مِن تِلك المَحامِدِ؛ تعريضًا تُشعِرُ به إضافةً
 (عِبَاد) إلى (الرَّحْمَن)^(۱).

- قولُه: ﴿ وَلِنَا خَاطَبُهُمُ ٱلْجَدْهِلُونَ قَالُواْ سَلَنَا ﴾ ذِكْرُهم بِصِفةِ الجاهِلينَ دُونَ غَيرِها مَنا هو أَشَدُّ مَلَمَةً -مِثلَ الكافِرينَ-؛ لأنَّ هذا الوَصفَ يُشعِرُ بأنَّ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٦٦، ٦٧).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٤).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٦٧).





الخِطابَ الصَّادرَ منهم خِطابُ الجَهالةِ والجَفْوةِ(١).

- ولأجْلِ المناسَبةِ بين الصَّيغتينِ -﴿ يَسْتُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنَا ﴾، ﴿ خَاطَبَهُمُ الْجَدِهُرُونَ عَالَمُ اللَّهِ الْجَمَالُةُ ﴿ وَلِهَا خَاطَبَهُمُ الْجَدِهِلُونَ عَالَمُ اللَّهِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللَّهُ الللْ

- وكان المعطوفُ على الصَّلةِ -﴿ اَلَّذِينَ يَمْشُونَ ﴾- بصُورةِ الشَّرطِ ﴿ وَلِهَا خَاضَبَهُمُ ﴾؛ لأنَّ خِطابَ الجاهلينَ لهم ليس معًا يكونُ دائمًا. وكان التَّمليقُ بـ (إذا)؛ لأنَّ مُخاطَبة الجاهلينَ إلى بالسُّوءِ أَمْرٌ مُحقَّقٌ. ومنى سلِمَ أَهْلُ العلْم والدِّينِ مِن الجاهلينَ؟! ولم يَذكُرُ ما يُخاطِبُهم به الجاهلونَ؛ للعلْم بأنَّ خِطابَ الجاهلِ -أي: السَّفيهِ- لا يكونُ إلَّا سوءًا ممَّا يُمْلِيه عليه جهْلُهُ وسفَهُهُ*.

٢- قولُه تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ بَيِيتُونَ لِرُيِّهِ مِّ شُجَّدًا وَقِينَمًا ﴾ بيانٌ لحالهم في مُعامَلتِهم مع ربِّهم (°).

- وإعادةُ لفُظُ الموصولِ ﴿ الَّذِينَ ﴾؛ لتأكيدِ أنَّهم يُعرَفون بهذه الصُّلةِ، ولاستقلالِ الحالةِ النَّانيةِ عن الأُولى''.

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۱۹). .

⁽۲) يُنظر: ((المصدر السابق)) (۱۹/ ۷۰).

 ⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٣).
 (٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ١٩٤، ١٩٥).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٨).

⁽٦) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧٠)، ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٨).





- وتَخصيصُ البَيْتوتةِ؛ لأنَّ العبادةَ باللَّيل أَبعَدُ عنِ الرِّياءِ(١).

- وقُدَّمَ الجازُّ ﴿لَرَبِهِمْ ﴾؛ لِيُفِيدَ تَخصيصَ عِبادتِهم بربَّهم، ويُفِيدَ الكلامُ عِبادتَهم وإخلاصَهم''، وأنَّهم لا يقومون رياءً ولا سُمعةً، وإنما يقومون لله وخدَه''.

- قولُه: ﴿ سُجَدَكَا وَقِيْكَا ﴾ قُدِّم الشَّجودُ وإنْ كان مُناتِّرًا في الفِعلِ؛ لأَجْلِ مُناسَبةِ الفَواصلِ، مع الإشارةِ إلى الاهتمامِ بالشَّجودِ، وأيضًا لفَضلِ الشُجودِ؛ لأنَّ الشُّجودَ أقرَبُ أحوالِ العَبدِ للربَّ، وأقرَبُ ما يَكونُ العبدُ فيها مِنَ اللهِ وهو ساجدٌ".

- وأيضًا لَمَّا كان الشُجودُ أشَدَّ أركانِ الصَّلاةِ تقريبًا إلى اللهِ، لكَونِه أَنْهى اللَّهُ الْجَائِمَةُ أَنهى اللَّهُ الْجَاهِلُونَ؛ قلَّمَه لذلك، فقال: ﴿ سُجَّكًا ﴾، وأَتُبَعَه ما هو تِلُوهُ في المَشْقَةِ تحقيقًا، فقال: ﴿ وَتَبْعَهُما ﴾ (٠).

- وفي الإطنابُ في التَّعبيرِ عنِ الصَّلاةِ برُكْنَيْها في قولِه: ﴿ مُجَدَّدًا وَهِنَكَا ﴾: تَنويةٌ بِكِلَيْهما(١٠).

- ولم يَذكِرِ اللهُ الرُّكوعَ، ولم يَذكُرِ القُعودَ؛ لأنَّ القيامَ أَشَرَفُ ما في الصَّلاةِ مِن حيث ذِكْرُه، أي: مِن حيث الذَّكُرُ الَّذي هو القُرآنُ، والسُّجودُ أَشَرَفُ ما

⁽۱) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٠).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ١٩٨).

⁽٣) يُنظر: ((اللقاء الشهرى)) لابن عثيمين (اللقاء رقم: ٥٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير البيضاري)) (٤/ ١٣٠)، ((تفسير أبي حيان) (٨/ ١٣٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٩/ / ٧٠)، ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٩٩٨).

⁽٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٢٢٤).

⁽٦) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧٠).





في الصَّلاةِ مِن حيث الحالُ والهَيْنَةُ، قال صَّلَى اللهُ عليه وسَلَمَ: ((أَقَرَبُ ما يَكونُ العبدُ مِن ربَّه وهو ساجدٌ))''، فذَكَر القيامَ لشَرَفِه بذِكرِه، أي: بما يُقالُ فيه، وذَكَر الشَّجودَ لشَرَفِه بهَيْئِتِه؛ فذَلَّ لذلك على أنَّ هذا أَفضَلُ حالاتِ الصَّلاةِ، وهو كذلك'''.

٣- قولُه تعالى: ﴿ وَٱللَّذِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آصْرِفَ عَنَا عَذَابَ جَهَمَّ إِلَى عَدَابَهَا كَانَ عَرَابَهَا كَانَ عَرَابُهَا * إِنْهَا سَاتَةَ مُسْتَقَرُ وَمُقَامًا ﴾ عَقَب وضفَهم بإحياء اللَّيلِ ساجِدينَ وقائِمينَ بَذِكِرِ دَعوتِهم هذه! إيذانًا بأنَّهم مع اجتِهادِهم خاتِفونَ مُبتِهلونَ إلى اللهِ في صَرفِ العذابِ عنهم؛ لعدَمٍ اعتِدادِهم بأعمالِهم ووُثوقِهم على استِمرادِ أحوالِهم، كقرلِه تعالى: ﴿ وَاللَّينَ يُؤْتُنَ مَا عَانُواْ وَقُوثُهُمْ مَوَيَّةٌ ﴾ " [المؤمنون: ٢٠].

- والتَّعليلانِ: قيل: يَصِحُّ أن يَكُونَا مُتَناجَلَيْنِ -أي: يكونَ قُولُه: ﴿ إِلَّهَ عَلَابَهَمَا ﴾ تَعليلًا لقُوله: ﴿ إِنَّهَا سَآتَتْ ﴾ وقولُه: ﴿ إِنَّهَا سَآتَتْ ﴾ تَعليلًا لقُوله: ﴿ إِنِّهَا سَآتَتْ ﴾ تَعليلًا لقُوله: ﴿ إِنِّكَ عَلَابَهَا كَانَ غَرَائًا﴾- أو مُترادِقَينِ؛ أي: يكونَا تَعليلَينِ لقُوله: ﴿ وَرَبَّنَا اَصْرِفَ عَنَا عَذَابَ جَهَمْ مُنَا ﴾ (ال

- وجُملةً ﴿إِنَّ عَدَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ تَعليلٌ للجُملةِ النَّعائيَّةِ، وَفُصِلَت عنها لكمالِ الانقطاعِ بينهما، وجُملةً ﴿ إِنَّهَا سَآمَتُ مُسْمَقَرُّ وَمُقَامًا ﴾ مُؤكِّدةٌ لمَضمونِ الجُملةِ قبْلُها مع اختلافِ في المعنى؛ فإنَّ ما أفادَتُه الأولى مِن

⁽١) أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين-سورة الفرقان)) (ص: ٢٧٤، ٢٧٥).

 ⁽٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (۲۹ / ۱۹۲)، ((تفسير البيضاوي)) (۲۰ / ۱۳۰)، ((تفسير أبي حيان))
 (۱۲۸/۸)، ((تفسير أبي السعود)) (۲۱ / ۲۲).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) ((۲۲/۳۲)، ((تفسير البيضاوي)) (١٣٠/٤)، ((حاشية الطبيي على الكشاف)) ((١١/ ٢٨٥، ٢٨٦)، ((تفسير أبي حيان)) (١٢٨/٨).





فَذَاحَةِ عَذَابِهِا ومُلازَمَتِه، أَكَّدتُه النَّانِيةُ بِما أَفَادَتُهُ مِن مُقَامِه ومُستقرَّها، فَفُصِلَت عنها؛ لِمَا بينهما مِن كَمالِ الأنَّصَالِ، نَظِيرُ: ﴿ ذَلِكَ اللَّحِتُ لَا رَبَّ فَفُصِلَت عنها؛ لِمَا بينهما مِن كَمالِ الأنَّصَالِ، نَظِيرُ: ﴿ ذَلِكَ اللَّحِتَ مُ اللَّمِيرَ فِي الكلامِ السَّبْرِ إلى هذا الخبرِ، وشأَنُ السَّامعِ لهذا أَنْ يَستشرِفَ له استشرافَ المُتردِّدِ اللَّمَالِ، فَيُتزَلُّ مَنْزِلَةَ المُتردِّدِ، فَيُؤكَّدُ له الخبرُ، ووجُهُ التَّلوبِع بهذا الخبرِ: أَنَّه لَمَّ المُثلِ صَوْفَ عَذَابٍ جهنَّم، كَانَ هذا مُشيرًا إلى قُبْعِ هذا العذابِ وشِدَّتِه. فَهٰذا نظيرُ ﴿ وَلَا تَعْفَائِنِي فِي اللَّذِينَ ظَلْمُواً إِنْهُم مُتَمْرُونَ ﴾ [هود: ٣٧].

- وقيل: يَجوزُ أن تكونَ جُملةُ ﴿ إِنَّهَا سَآمَتَ مُسْتَقَرُّ ومُقَامًا ﴾ جكايةً لكلامِ القاتِلينَ؛ فتكونَ تعليلًا ثانيًا مؤكَّدًا لتعليلِهمُ الأوَّلِ. وأن تَكونَ مِن جانبِ اللهِ تعالى دُونَ النِّي تَبْلَها؛ فتكونَ تأييدًا لتعليلِ القاتِلينَ. وأنْ تكونَ مِن كلامِ اللهِ مع النِّي قَبْلَها؛ فتكونَ تكريرًا للاعتِراض".

- قولُه: ﴿إِنَّ عَدَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ إشارةٌ إلى كَوَيْهَا مَضَوَّةُ خَالِصةً عن شَوَائِبِ النَّفعِ. وقوله: ﴿ إِنَّهَاسَآءَتْ مُسْتَقَرَّا وَمُقَامًا ﴾ إشارةٌ إلى كَوَيْها دائمةُ ٣٠.

- ويَظْهُرُ أَنَّ قَولَه: ﴿ وَمُقَامًا ﴾ مَعطوفٌ على سبيلِ التَّوكيدِ؛ لأنَّ الاستِقرارَ والإقامة كأنَّهما مُترادِفانِ⁽¹⁾.

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٠٠).

⁽۲) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۲۹۲۳)، ((نفسير البيضاوي)) (۱۳۰/۶)، ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (۱۱/ ۲۸۵، ۲۸۲)، ((نفسير أبي حيان)) (۱۲۸/۸)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ۷۱).

⁽٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٢٨٦/١١).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٢٨).





٤ - قولُه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِيكِ إِنَّا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِقُوا وَلَمْ يَشْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ
 قَوْامًا ﴾

- أفادَ قَولُه: ﴿إِنَّا أَنْفَقُواۚ﴾ أنَّ الإنفاقَ مِن خِصالِهم؛ فكأنَّه قال: والَّذين يُبغقونَ، وإذا أَنفَقوا... إلخ''[.]

- قولُه: ﴿وَكَانَ بَيْنَ دَلك) لكان كافيًا، ولكن أكّد بـ ﴿ قَوَامًا ﴾ حالٌ مُوقَدَّة، فلو قيل: (وكان بين ذلك) لكان كافيًا، ولكن أكّد بـ ﴿ قَوَامًا ﴾؛ لِمَا فيه مِن صَريح اللَّمْفهِم للعَدْلِ. والإنفاق يكونُ ولا يكونُ، والشَّأنُ أَنْ يكونُ، ولهذا عُلَقَ، وكان التَّعليقُ بـ (إذا). وقدَّمَ نغْيَ الشَّرَفِ على نفْيِ التَّعليرِ؛ لأنَّ الاسراف شرُّهما؛ ففيه مُجاوَزةُ الحدودِ، وضَياعُ المالِ، وفي التَّعليرِ مَفسدتُهُ المالِ، وفي التَّعليرِ مَفسدتُهُ مِعاء المالِ، وفي التَّعليرِ مَفسدتُهُ مع بقاء المالِ، ثينفِهُ في الخير، وقد يَبقى لغيره فيتنفعُ به ٢٠٠٠.



⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ۷۱).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢١٧).





الآيات (١٨-٧١)

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَنْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهُا مَاخَرَ وَلَا يَقَتُلُونَ النَّفَسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْتُونَ كُومَن يَفْعَلَ وَلِهَ يَلَقَ النَّمَا ﴾ شَهْمَاعَهُ لَمُ الْمُصَادَّةُ يُومَ الْفَهُ الْمِنْعَانِهِم ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَمَامَى وَعَمِل عَسَلَا صَلِحًا فَاؤْلُتِهِكَ بُيْتِلُ اللهُ سَيِّنَانِهِمْ حَسَنَدَتْ وَكَانَ اللهُ عَشُولً لَتَّهِمَا ۚ ﴾ وَمَن قابَ وَعَمِلَ عَسَلًا صَلِحًا فَاؤْلُتِهِكَ بُيْتِلُ اللَّهُ سَيِّنَانِهِمْ

غَريبُ الكُلمات:

﴿ أَشَامًا ﴾ أي: عُقوبةً ونَكالًا، وأصلُ (أثم): يدُلُّ على بُطو وتأخُّرٍ، والإثمُ مشتقٌّ مِن ذلك؛ لأنَّ ذا الإثم بطيءٌ عن الخَيرِ، متأخِّرٌ عنه ١٠٠٠.

﴿ مُهَانًا ﴾: أي: ذليلًا مُبعَدًا، وأصلُ (هون): يدُلُّ على ذِلَّةٍ (١٠).

﴿ مَنَابًا ﴾: أي: رجوعًا، وأصلُ (توب): يدُلُّ على الرُّجوع (٢٠٠٠).

مُشكلُ الإعراب:

قُولُه تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَاكِ يَلْقَ أَثَامًا * يُصَنَّعَفْ لَهُ ٱلْمَكَذَابُ ﴾

﴿ يُضَنَّعَفُ ﴾: مضارعٌ مجزومٌ بَدَلُ اشتِمالٍ مِنْ ﴿ يَلْقَ ﴾: إذ كان مِن مَعناه؛ لأنَّ مُضاعَفة العذابِ لُقِيُّ الأثام ('').

⁽۱) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتية (ص: ۳۱٥)، ((نفسير ابن جوير)) (۱۷/ ۵۰۰)، ((غريب القرآن)) للمجيناني (ص: ۷۱)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (۱/ ۲۰)، ((نذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ۲۲۵).

⁽٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٢١)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٧٧).

⁽٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٣٥٧)، ((تفسير الشوكاني)) (٤/ ٢٠٣).

⁽٤) يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/ ٧٦)، ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (٢/ ٢٧٥)، ((الدر المصون)) للسمين الحلي (٨/ ٣-٥).





المعنى الإجماليُّ:

يقولُ تعالى: وعِبادُ الرَّحمنِ هم الذين لا يُشرِكونَ باللهِ غَيرَه، ولا يَقتُلون نفْسًا حرَّم اللهُ قَتَلَها إلَّا بسبَتٍ شَرعيَّ، ولا يقعُون في فاحِشةِ الزَّنا، ومَن يفعَلُ ذلك الذي نَهينا عنه مِمَّا تقدَّمُ، يجِدْ عِقابًا شَديدًا؛ يُضاعَفْ له العذابُ يومَ الفيامةِ، ويَتَى في ذلك العذابِ ذليلًا مُهانًا، إلَّا مَن تاب وآمنَ وعَمِلَ أعمالًا صالِحةً؛ فأولتك يجعَلُ اللهُ مكانَ سَيَّناتِهم حَسَناتٍ بفَضلِه وكَرَمِه، وكان اللهُ تعالى واسِعَ المَغفِرة والرَّحمةِ لِمَن تاب إليه وأناب، ومَن تاب عن المعاصي وداومَ على العملي وحومًا صحيحًا مَفهولًا منه.

تُفسيرُ الآيات:

﴿ وَاَلَّذِينَ لَا يَدْعُوكَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا مَاخَرَ وَلَا يَقَشُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقّ وَلَا يَزْفُوكُ وَمَن يَفَعَلُ ذَلِكَ يَلْقَ أَشَامًا ۞ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَرَ سُبحانَه ما تَحَلَّوا به مِن أصولِ الطَّاعاتِ بما لهم مِن العَدلِ والإحسانِ بالأفعالِ والأقوالِ في الأبدانِ والأموالِ؛ أتبَعَه ما تَخَلَّوا عنه مِن أَمَّهاتِ المعاصي التي هي الفَحشاءُ والمُنكَرُ^(١).

سَبَبُ النُّزولِ:

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما: (أنَّ ناسًا مِن أهلِ الشِّرُكِ كانوا قد قَتَلوا وأكثَروا، وزَنُوا وأكثَروا، فأنّوا محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم فقالوا: إنَّ الذي نقولُ وتدعو إليه لَحَسَنُ لو تخبِرُنا أنَّ لِما عَمِلْنا كَفَّارةً، فنزل: ﴿وَإَلَيْنِيَا لَابِيَمْضُ

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٢٥).





مَعَ أَلَّهِ إِلَنَهَا ءَاخَرَ وَلَا يَقَتْلُونَ النَّفَسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزَوُّونَ وَ وَمَن يَفْعَلَ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾، ونزلت: ﴿ فَلْ يَعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسَرَقُوا عَلَىّ الْفُسِهِمُ لَا نَقَـنُطُواْ مِن تَحَدَ اللّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣]) (١.

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ ﴾.

أي: والذين لا يَدْعون مع اللهِ مَعبودًا آخَرَ، بل يُخلِصون العبادةَ للهِ وحُدَه، ولا يُشركون به شَيئًا ١٠٠٠.

عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ الله عنه، قال: ((سالتُ، أو سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهِ عليه وسلَّم: أيُّ الذنبِ عند الله أكبَرُ ؟ قال: أن تجعَلَ لله ندًّا وهو خلقَك. قلتُ: ثمَّ اللهَ عَلَى اللهُ عَلَى: ثمَّ أَنْ تَقَلَّمُ ولَلَكُ خَشْيةً أَنْ يَطْمَمُ معك، قلتُ: ثمَّ أَيُّ ؟ قال: أن تُزانيَ بحَليلةِ جارِك. قال: ونزَلَت هذه الآيةُ تصديقًا لِقَولِ رَسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَمُوكَ عَمَّ اللّهِ إِلنَهَا مَا حَرَ وَلاَيَقَتُمُ اللّهَ اللّهِ عَلَيه وسلَّم: ﴿وَاللّذِينَ لَا يَمُوكَ عَمَّ اللّهِ إِلنَهَا مَا حَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ اللّهَ اللهِ عليه وسلَّم: ﴿وَاللّذِينَ لاَ يَعْمُوكَ عَمَّ اللّهِ إِلنَهَا مَا حَرَ وَلاَ يَرْتُوكَ ﴾ "اللهُ حَرَّعَ اللّهُ إِلاَ بِالْحَقّ وَلاَ يَرْتُوكَ ﴾ "اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ وَلاَ يَرْتُوكَ ﴾ "اللهُ عَلَيْ وَلا يَرْتُوكُ إِلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ اللّهِ عَلَيْهِ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلِيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلِيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُونَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ ال

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

لَمَّا نفى عنهم ما يُوجِبُ قتْلَ أَنفُسِهم بخَسارتِهم إيَّاها؛ أَتْبَعَه نفيَ قتْلِ غَيرِهم (٤).

⁽١) رواه البخاري (٤٨١٠) واللفظ له، ومسلم (١٣٢).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٠٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٤٢/٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٧).

قال ابن عثيمين: (و ﴿لَا يَنْتُونَ ﴾ ... يعني: لا يدُعون دعاءَ مسألةٍ، ولا يَدُعون دعاءَ عبادةٍ). ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٢٨٢).

⁽٣) رواه البخاري (٤٧٦١) واللفظ له، ومسلم (٨٦).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٢/ ١٧٤).





﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾.

أي: ولا يَقتُلون مَن حرَّم اللهُ قَتْلَهم إلَّا بسبَبٍ شَرعيٌّ يخوِّلُ قَتْلَهم(١٠).

عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما، أنَّ رَسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((أُمِرتُ أنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتى يشهَدوا أنْ لا إلهَ إِلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رَسولُ الله، ويُقيموا الصَّلاةَ، ويُؤتوا الزَّكاة، فإذا فعَلوا ذلك عَصَموا منِّي دماءَهم وأموالَهم إِلَّا بحَقَّ الإسلام"، وجِسابُهم على الله))".

﴿ وَلَا يَزَنُونَ ﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَرَ سُبحانَه القتلَ الجليَّ؛ أَتَبَعَه الخفيَّ بتضييع نَسَبِ الوَلَدِ، فقال: ﴿ وَلَا يَرْتُونَ ﴾ أي: رحمةً لِمَا قد يحدُثُ مِن ولَدِ؛ إيقاءً على نَسَبِه، ورحمةً للمَزْنيُّ بها ولاقاربِها أنْ تُنتهَكُ حُرُماتُهم، مع رحمتِه لنَفْسِه، على أنَّ الزَّنا جارٌّ أيضًا إلى القتل والفِتَنِ، وفيه السبُّبُ لإيجادِ نَفْسِ بالباطلِ، كما أنَّ القتلَ تَسَبُّبُ إلى إعدامِها بذلك (1).

﴿ وَلَا يَزَنُونَ ﴾.

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۰۰)، ((تفسير ابن عطية)) (۲۰/۶٪)، ((تفسير النسفي)) (۲/ ۶۹ه)، ((تفسير أبي السعود)) (۲/ ۲۳۹)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۸۷۷).

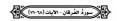
قال ابنُ عثيمين: (والتَّفَّى التي حرَّم اللهُ: أربعة أنْفُينِ: المسلمُ، والنَّمَّيُ، والمعامَّدُ، والمستامِنُ. هذه هي الأنفُسُ التي حرَّم اللهُ، فهذه الأربعةُ أنْفُسٍ مُحرَّمةٌ). ((نفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٢٨٤).

 ⁽٣) إِلَّا بِحَقُّ الإسلام: أي: مِن قَتْلِ نَفْسٍ، أو حَلُّ أو غَرامةٍ بمُثْلَفٍ، أو تَركِ صَلاة. يُنظر: ((شرح الفسطلاني)) ((١٠٨/١).

⁽٣) رواه البخاري (٢٥) واللفظ له، ومسلم (٢٢).

⁽٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٢٦).





أي: ولا يقَعونَ في الزِّنا فيأتونَ الفَرْجَ الحرامَ بلا نِكاحِ ولا مِلكِ يَمينٍ (١٠).

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَاكِ يَلْقَ أَثَامًا ﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

لمًّا ذَكَر في صدرِ الآيةِ نَفْيَ تلك المعاصي عن عبادِ الرحمنِ -الذي يُفيدُ النهيَ عنها-؛ ذَكَرَ هذا الوعيدُ لبيانِ سوءِ عاقبتِها، وقُبح أثرِها^{(١٧}).

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَالِكَ يَلْقَ أَثَـاَمًا ﴾.

أي: ومَن يفعَلْ تلك الأفعالَ؛ مِن الشَّركِ باللهِ، وقَتلِ النَّفسِ التي حرَّم اللهُ، والزَّنا- يجدُّ جزاءً، وعِقابَه في الآخرةِ^(٣).

وممّن قال بأذّ الجزاءَ هنا على المجموع، أي: ما ذُكِّر مِن الشَّركِ بالله، وقتل النَّس بغير حقّ، والزَّنا: مقاتلُ بنُ سليمانَ، وابنُ جرير، والسمرقنديَّ، والتعليُّ، والتعليُّ، والسَفيُّ، وأبو حَبَّان، وابنُ جُزي، والقاسميُّ، والألوسيُّ، وابنُ عثيمين. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (۲۰ /۲۵)، ((تفسير التعليي)) (/٥٤٥)، ((تفسير التعليي)) (/١٤٤/)، ((تفسير التعليي)) (/١٤٤/)، ((تفسير التعليي)) (/١٣٠/)، ((تفسير التعليم ابنُ (تفسير التعليم)) (/٢٠/٨)، ((تفسير الإ٢٠٤)، ((تفسير التعليم))

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷ / ٥٠٥)، ((تفسير القرطبي)) (۲۳ / ۷۹)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۸۷۰).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٢).

 ⁽٣) يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (۴/ ۲۶)، ((تفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۲۰۰)، ((تفسير ابن جزي)) (۲۸٫۲۸)، ((تفسير ابن كثير)) (۱۲۲٫۲۱)، ((تفسير الألوسي)) (۸۱/۲۱).

قال ابنُ عاشور: (المتباورُ مِن الإشارةِ أنّها إلى المجموعِ، أي: مَن يَفَعَلُ مجموعَ الثلاثِ. وَيَعْكُمُ أنَّ جَزاءَ مِن يَفَعَلُ بِعضَها ويتركُ بعضًا عدا الإشراكِ: دونَ جَزاهِ مِن يَفَعَلُ جميعُها، وأنَّ البعضَ أيضًا مراتِبُ، وليس المرادُ: من يفعلُ كُلُّ واحدةٍ مِثَّا ذُكِرٌ يلقَ أثاثًا؛ لأنَّ لَقِيَّ الآثامِ بُيِّن هنا بمُضاعفةِ العدابِ والخلودِ فِي، وقد نَهَضت أولَةٌ مُعظافرةً من الكتابِ والسَّقِ على أنَّ ما عدا الكَثَرُ من المعاصى لا يوجُّ الخلودِ أنه رائعسير إن عاشور)) (١٩/٤/٤).





﴿ يُصَنَّعَفْ لَهُ ٱلْعَكَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ١٠٠٠ ﴾.

﴿ يُضَاعَفُ لَهُ ٱلْعَكَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِينَعَةِ ﴾.

أي: يُغلِّظِ اللهُ له عذابَه يومَ القيامةِ ويُكَرِّرُه(١٠).

= ((تفسير ابن عثيمين-سورة الفرقان)) (ص: ٢٩٢،٢٩١). ويُنظر أيضًا: ((تفسير الماوردي)) (٤/ ١٥٧)، ((مجموع الفتاوي)) لابن تيميَّة (٤/ ٣٠١).

وممن ذمّب إلى أنَّ المرادّ: ومَن يفتلُ شَيَّا مَنا ذُكِر: مكِّي، والماوردي، والبغري، والخازن، وجلال الدين المحلي، والبقاعي، والشوكاني، والسعدي. يُنظر: ((الهداية الى بلوغ النهاية)) لمكي (٢٥٨/٥)، ((نفسير الماوردي)) (غ/١٥٠)، ((نفسير البغوي)) (٣/٤٥)، ((نفسير الخازن)) (٣١/٢)، ((نفسير الجلالين)) (ص: ٤٧٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٢٨/١٣)، ((نفسير الشوكاني)) (٤/٢/١)، ((نفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥).

قال البقاعي: (ولا أيقالُ: إنَّ الإشارة تَرجِحُ إلى المجموع؛ فالتهويلُ خاصٌ بَمَن ارتكَبَ مجموعَ مذه النَّدوب؛ لأنَّا نقول: الشياقُ بالباء؛ لأنَّ تكرارَ الا افاد -كما حقّه الرَّضِيُّ - وُرودَ النَّمِي على وقوعِ الخِصالِ الثلاثِ حالَ الاجتباعِ والانفراو؛ فالمعنى: لا يوقِعون شَيَّا سنها، فكان معنى ﴿وَوَمَرَيْفَكُلْ وَلِكُ فِيَّا وَمِنْ يَفَعَلُ شَيَّا من ذلك؛ لِيَرِدَ الإنباتُ على ما وردَ عليه النَّهُيُّ، فيحصُلَ التأسُّلُ. («نظم الدرر) (۲۲/ ۲۷۸)

(۱) يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (۱۶/۳۳)، ((تفسير القرطبي)) ((۱/۷۱)» ((تفسير ابن كثير))
 (۱۲۱/۱۰)، ((نظم الدرر)) (۱/۲۷/۱۱)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱/۱۶۷).

قال الزمخشري: (إذا ارتكب المُشرِكُ معاصيَ مع الشَّركِ، عُنَّب على الشَّركِ وعلى المعاصي جميعًا؛ فتُضاعَفُ العقوبةُ لمُضاعَفةِ المعاقبِ عليه). ((نفسير الزمخشري)) (٣٩٤/٣).

وقال ابن عتيمين: (إنسا صُوعِفَ له العذابُ لاَتُه فقل ثلاثةُ السُلْبِ للمُدَابِ، وهي: الإشراكُ بالله، وقتل النفسي، والزّناء ومعلومُ إنَّ الإسباتِ إذا اجتمت صدار لكلَّ واحدِ منها أثرَّه، فقن فقل شيئًا واحدًا بن الثلاثةِ فعليه إثمُّه، ومَن فقل اثنين فعليه إثمُّهما، ومَن فقل ثلاثًا فعليه إثمُهن. فهذا وجهُ التضعيفي. ((تضير ابن عنيمن سورة الفرقان)) (ص: ٢٩٢). ويُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٤/ ٢٦١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٤/٤).

وقال البقاعي: (ومُضاعَفةُ العذابِ -والله أعلمُ- إنيانُ بعضِه في إثرِ يَعضٍ بلا انقِطاعٍ، كما كان يُضاعِفُ سيُنتَه كذلك). ((نظم الدرر)) (٢٧/١٧٤).





﴿ وَيَعْلُدُ فِيهِ مُهَكَانًا ﴾.

أي: ويَثِنَّ المُشْرِكُ العاصي في العذابِ المُضاعَفِ إلى الأَبْدِ ذَلِيلًا حَقِيرًا (١٠). ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَمَامَكَ وَعَيلَ مَحَمَّلا صَلِيحًا فَأَوْلَتِهاكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّعَاتِهِمْ حَسَنَت وُكَانَ أَلْهُ شَعْوُرًا رَبِيمًا (١٠) ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا ذَكَرَ تعالى عظائمَ الذنوبِ وأكبرَ كِبائرِها، وتَوَعَّدَ بالوعيدِ الشَّديدِ عليها؛ عَقَّبَها بِذِكْرِ النوبةِ منها، ورَغَّبَ فيها؛ لِيُنَّةَ عِبادَه على طريقِ الرجوعِ إليه، وأنَّ مَن تاب منهم إلى اللهِ تاب اللهُ عليه (").

سَبِبُ النُّزولِ:

عن سَعيدِ بنِ جُبَيرٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: ((نزَلَت هذه الآيةُ بمكَّة: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلنَّهَا ءَاخَرَ وَلَا يَشْتُلُونَ النَّفَسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِ وَلَا يَزْتُونِ ۚ وَمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ بَلَقَ أَلَّمَانًا ۞ يُضَدَعْفُ لَهُ ٱلْصَحَالُ فِنْ الْقِبْسَدِةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ.

⁽۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۱۱/۱۷)، ((نفسير القرطمي)) (۱۳/۷۷)، ((نفسير ابن کثير)) (۱۲٫۲۲)، ((نفسير الشوکاني)) (۲/۲،۱۰۲)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱۰/۱۰۷).

قال السعدي: (الوعيدُ بالخلودِ لمن فعلها كلَّها ثابتٌ لا شكَّ فيه، وكذا لمن أشرَك بالله، وكذلك الوعيدُ بالمذابِ الشديدِ على كلَّ واحدٍ مِن هذه الثلاثةِ؛ لكوزِنها إنَّا شرفُّ وإما مِن أكبِر الكبائرِ، وأمَّا خلودُ القاتلِ والزاني في المذابِ، فإنَّه لا يتناوَلُه الخلودُ؛ لأنَّه قد دلَّت النصوصُ القرآنيةُ والسَّنَّ النبويَّةُ أَنَّ جميعَ المؤمنينَ سيخرجون من النادِ، ولا يخلدُ فيها مؤمنٌ ولو فعَل مِن المعاصي ما فعَل). (تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٧).

وأيضًا قبل: يُرادُ مِن الخُلودِ المُكثُ الطويلُ الصادقُ بالخلودِ الأبَديُ وغيرِه، ويكونُ لِمَن أشرَك باعتبارِ فَردِه الأوَّل، ولِمَن ارتكب إحدى الكبيرتينِ الأخيرتينِ باعتبارِ فَردِه الأخرِ. يُنظر: ((تفسير الألوسي)) (4/19).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٤).





مُهَمَانًا ﴾ فقال المُشرِكون: وما يُغْنِي عنَّا الإسلامُ، وقد عَدَلْنا باللهِ، وقد قتَلْنا النَّفْسَ الني حرَّم اللهُ، وآتَيْنا الفواحِشَ؟! فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ إِلَّا مَن تَابُومَامَرَى وَعَمِلَ عَسَدُلاصَلِهُ اَفَالْقِلِكَ يُبَيِّلُ لَقَهُ مَنِيَاتِهِمْ حَسَنَنتُ وَكَانَ اللهُ عَنْ فُولا تَرْجِمًا ﴾)) (١٠

﴿ إِلَّا مَن نَابَ وَءَامَ } وَعَمِلَ عَكَمُلا صَلِحًا فَأُولَتِها كَ يُبَدِّلُ أَلَّهُ سَتِعَاتِهِم حَسَنَتِ ﴾.

أي: إلَّا مَن تاب مِن الشَّركِ وقتَلِ النَّسِ المحرَّمةِ والزَّا، فنَيمَ على ذلك وأقلَعَ عنه، وآمَنَ بما وجَبَ عليه الإيمانُ به، وعَمِلَ أعمالًا صالِحةً بإخلاصٍ لله ومُتابعة لِرَسولِه- فأولئك يجعَلُ اللهُ مكانَ سَيُّناتِهم حَسَناتِ بفَضِلِه ورَحمتِه ""،

⁽١) رواه البخاري (٣٨٥٥)، ومسلم (٣٠٢٣) واللفظ له.

⁽۲) يُنظر: ((تفسير السمماني)) (۴۶/۶)، ((تفسير القرطبي)) (۷۸/۱۳)، ((تفسير ابن كبير)) (۱۲۹/۱ - ۱۲۸)، ((جامع العلوم والحكم)) لاين رجب (۲۹۸/۱)، ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۲۷، ۷۷)، ((تفسير ابن عشيمين – سورة الفرقان)) (ص: ۳۰۳).

قال ابن جرير: أقَوْلُهُ: ﴿ وَالْأَوْلِيَّاكَ مُتِيَّلًا لَقَامُ مِينَاتِيمٍ مَسَكَنتِ ﴾ اختَف أهلُ التَّاويلِ في تأويلِ ذلك؛ فقالَ بعضُهم: معناد: فأرتك يُبَدِّلُ اللهُ بَعْباعِ أعمالِهم في الشَّركِ محاسِنَ الأعمالِ في الإسلام، فيَتَلَّهُ بالشَّركِ إيمانَا، وبقِيلٍ أهلِ الشَّركِ بالله قِيلَ أهلِ الإيمانِ به، وبالزَّنا عِفَّة وإحصاناً... وقال آخرورَ: بل معنى ذلك: فأوقك يبدُلُ اللهُ سُيَّاتِهم في الشَّيَا حسناتٍ لهم يومَ القيامِيُ. (زضيرِ ابن جرير) (١/١٥٠) ١٩٥٩).

ممَّن اختار أنَّ المرادَد أنَّ اللهَ يبدُلُ سِيَّالِهم حسناتٍ يومَ القيامةِ العليُّ والسمانيُّ والبغريُّ، وابنُّ كثير، وجلال الدين المحليُّ. يُنظر: ((تفسير التعليي)) (٧/ ١٥٠)، ((تفسير السماني)) (٤/ ٢٤)، ((تفسير البغري)) (٣/ ١٥ه)، ((تفسير ابن كثير)) (١٣٧/٦)، ((تفسير الجلالين)) (ص: ٤٧٤).

ومتَّن قال بهذا القولِ بن السلفِ: سَلمانُ الفارسيُّ، وسعيدُ بنُ المسيِّ، ومَكحولُ، وعليُّ ابن الحسين، وعمرُو بنُ مِمونِ، والحسّرُ في رواية. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ١٩٥)، ((الوسيط)) للواحدي (٢/ ٣٤)، ((تقسير ابن الجوزي)) (٢/ ٣٣٠).

قال ابن كثير: (... تلك السيُّناتُ الماضيةُ تنقلِبُ بنفْسِ التَّويةِ النَّصوحِ حسناتِ، وما ذاك إلَّا أنَّه كلُّما تذكّر ما مضى نَدِم واسترجَم واستغفّر، فيَتقلِبُ الذنبُ طاعةً بهذا الاعتيارِ. فيومَ القيامةِ =





= وإنْ وجَدَه مكتوبًا عليه لكنَّه لا يضُرُّه، ويَنقلِبُ حسنةً في صحيفتِه، كما ثبتَت السُّنَّةُ بذلك، وصحَّت به الآثارُ المَرويَّةُ عن السلَفِ رحمهم اللهُ تعالى). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٢٧). وقال السمعاني: (قال الحسَنُ البَصريُّ ومُجاهِدٌ وجماعةٌ: هذا في الدُّنيا. ومعناه: تَبديلُ الكُفر بالإيمانِ، والشَّركِ بالإخلاصِ، والمَعصيةِ بالطَّاعةِ. وقال سعيدُ بنُ المُسيِّب وجماعةٌ: هذا في الآخرةِ، واللهُ تعالى يُبدِّلُ سَيِّئاتِ النَّائبِ بالحَسناتِ في صحيفتِه. وقد ورد في القولِ الثاني خبرٌ صحيحٌ ... عن أبي ذَرٌّ، أن النبيَّ قال: ﴿يؤنَّى بالمؤمِن يومَ القيامة فيُعرَضُ عليه صِغارُ ذنوبه، ويخبَّأُ عنه كِبارُها، فيُسألُ ويعترفُ وهو مشفِقٌ من الكبائر، فيقولُ الله تعالى: أعطوه مكانَ كلِّ سيِّنةٍ حَسنةً، فيقولُ: يا ربِّ، إنَّ لي ذنوبًا ولا أراها هاهنا؟ فضَحِك رسولُ الله حتى بدت نَواجِذُهُ ٩. أخرجه مسلم في صحيحه. وعن أبي هريرة أنه قال: يُعطى المؤمِنُ صَحيفتَه يومَ القيامةِ، فيَقرأُ بَعضَها وإذا هي سيِّناتٌ، فإذا وصَل إلى الحَسَناتِ ينظُرُ نظرةً فيما قبْلَها، فإذا هي كلُّها صارت حسناتٍ. وقد أنكر جماعةٌ مِن المتقدِّمينَ أن تنقَلِبَ السِّيَّةُ حسنةً، منهم الحسنُ البصريُّ وغيرُه، وإذا ثبت الخبَرُ عن النبيِّ لم يَبْقَ لأحدٍ كلامٌ). ((تفسير السمعاني)) (٤٤ /٣). وقال ابن القيم: (فهذا حديثٌ صحيحٌ، ولكينْ في الاستدلالِ به على صِحَّةِ هذا القول نظَرٌ؛ فإنَّ هذا قد عُذَّب بسيِّئاتِه ودخَل بها النارَ، ثمَّ بعْدَ ذلك أُخرجَ منها، وأُعطِيَ مكانَ كلُّ سيِّئةِ حسنةً، صَدقةً تصَدَّقَ الله بها عليه ابتِداءً بعددِ ذنوبِه، وليس في هذا تبديلُ تلك الذنوبِ بحسناتٍ؛ إذ لو كان كذلك لَما عوقِب عليها كما لم يعاقَب التائِبُ، والكلامُ إنَّما هو في تائب أُثبتَ له مكانَ كلِّ سيِّئةٍ حسنةٌ، فزادت حسناتُه، فأين في هذا الحديثِ ما يدُلُّ على ذلك؟

والناسُ استثباوا هذا الحديث مستبلَّن به في تفسير هذه الآية على هذا القول، وقد عَلمِتُ ما فيه، لكن للسَّلَفِ عَوْرٌ ودقَّةً فَهِم لا يُعرِّعُها كثيرٌ مِن المتأخرينَ. فالاستدلالُ به صحيحٌ بغذَ تمهيد قاعدة إذا تُحرِفت عَرِف أهلفُ الاستدلالِ به ودقّت، وهي أنَّ الذنبُ لا بقُّ له مِن أثر، واثرُه يرتغُمُ بالوية تارةً، ويالحسناتِ الماحية تارةً، ويالمصاتِ المتَّقَرُ تارةً، ويدخولِ الثَّارِ لِمتغلَّصَ مِن أثرِه تارةً، وكذلك إذا اشتَدَّ أثرُه، ولم تَقُوْ تلك الأمورُ على مَحوِه، فلا بدَّ إذنُ مِن دخولِ الثارِهِ لأنَّ الجنة لا يكونُ فيها ذَرَّةً بِن الخبيب، ولا يدخلُها إلاَّ مَن طاب مِن كلَّ وجهِ، فإذا يقيّ عليه شيءٌ مِن خَبْثِ الشُّوبِ أَدْخِلَ كِيرُ الامتحال؛ ليَخلُهنَ ذَهُ إِيمالِيه مِن خَبِّتِه، فيصلُخ حِبَّتُو لدارِ

إذا عُلِمَ هذا فزوالُ موجبِ الذنبِ واثرِه تارةً يكونُ بالتوبةِ النصوحِ، وهي أقوى الأسبابِ، وتارةً يكونُ باستيفاءِ الحقَّ منه وتطهيرِه في النارِ، فإذا تطهَّر بالنارِ وزال أثرُ الوسَخ والخَبْثِ عنه، =





= أعطيّ مكانَّ كلَّ سيتِّ حسنَّة، فإذا تطهَّر بالتوبية النصوح وزال عنه بهما أثَّرُ وسَخ الذنوبِ وتُخَيِّها، كانَّ أَوْلَى بَانَّ يُعطى مكانَّ كلَّ سيَّةٍ حسنَّةً؛ لأَنَّ إِزالَةَ الثوبةِ لهذا الرسخِ والخَبَّ من إزالةِ النارِ، وأخبُّ إلى الله، وإزالةُ النَّارِ بَمَنْلُ منها، وهي الأصلُّ؛ فهي أَولى بالتبديلِ ممَّا بغدَ الدخولِ). ((مدارج السالكين)) (٢/ ٢١٠).

ومَن اختار أنَّ التَّبِيلِ في النَّنِيا، وأنَّ المعنى: فارلتك يَتَدُلُ اللهُ سُيَاتِهِم حَسَناتِ، بَعَلِهم عمَّا يَسخَفُه اللهُ بِن الأعمالِ إلى ما يَرضي، ويكونُ ذلك سبًّا لِرَحمتهم: مقاتلُ بن سليمان، وابنُ جرير، السموقنديُّ، وابن أبي زمنين، والواحدي، وابن عطية، يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٢٢٠/٣)، ((تفسير ابن جرير)) (٢٩/١٧)، ((الوسيط)) للواحدي (٣/٧٤٧)، ((الوجيز)) للواحدي (صر: ٨٧٤)، ((تفسير ابن عطية)) (٢١/٤٢).

ومَنَّنَ قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُّ عَبَّاسٍ، وسعية بُنُ جُنِّرٍ، والحسُّ البصريُّ في رواية، وعطاهُ بن أبي رباح، وقادةً، والضَّاكُ، ومجاهدٌ، وابنُّ زَيدٍ. يُنظر: ((نفسير ابن أبي حاتم)) (٨/ ٣٧٣٪) ((نفسير ابن الجوزي)) (٣/ ٣٠٠).

قال البغوي: (ذهَب جماعةً إلى أنَّ هذا النَّبديلَ في النَّبدا. قال ابنُ عَيَاسٍ، وسعيدُ بنُ جُشِرٍ، والحَشَنُ، ومجاهدٌ، والشُّدَقُ، والضَّحَاكُ: يُمَدُّلُهم اللهُ بقبائِح أعمالِهم في الشَّركِ محاسِنَ الأعمالِ في الإسلام؛ فيتَدَلُّهم بالشَّركِ إيمانَا، وبقَلِ المؤمِنينَ قَلَ المُشرِكِينَ، وبالزَّنَا عِقَةً وإحصانًا، وقال قومٌ: يُمَدُّلُ اللهُ سَيِّناتِهم التي عَبلوها في الإسلامِ حَسَناتٍ يومَ القيامةِ. وهو قَولُ سَمِيدِ بن الشَّسِّةِ، ومَكحولٍ). ((فسير البغري)) (8/ 8/4).

وقال ابنرً القيم: (وأصلُ القولَين اذَ هذا التبديل هل هو في الدنيا أو يومَ القيادةِ فَمَن قال: إنَّه في الذّبا؛ قال: هو تبديلُ الأعمال القيحة والإراداتِ الفاسنة بأضدادها، وهي حَسَناتُ، وهذا تبديلٌ حقيقة ... الصوابُ إن شاء الله في هذه المسألةِ أن يُقال: لا ريبَ أنَّ الذَّبُ نَفُته لا يتقلِبُ حَسنةُ والحسنةُ إنَّما هي أمرٌ وجوديٍّ يقتضي ثوابًا؛ ولهذا كان تاركُ المنتياتِ إنَّما يُهابُ على كفُ فَضِه وحَشِيها عن مُواقعة المنتهيُّ، وذلك الكفُّ والعبن أمرٌ وجوديٍّ، وهو متملزُّ القُوابِ ... وإذا كانت الحسنةُ لا بدَّ أن تكونَ أمرًا وجوديًّا فالتَابِيُ مِن الذَّنوبِ التي عَمِلها قد قارَن كلَّ محتب التوبةُ أثرَّ الذَّنبِ، وتَعَلَّقه هذا النَّمُ والعزمُ، وهو حسنةً قد بَذَلت تلك السيِّمةَ حَسنةً... فإذا كانت كلَّ صبيةٍ مِن سيُّاتِه قد تاب سها نعويتُه منها حسنةَ خَلَت مكانَها، فهذا معنى التَّبديلِ، =





- لا أن السبّة نفشها تقليد حسنة. وقال بعض المفسّرين في هذه الآية: يُعطيهم بالنّهم على كلَّ سبّة أساؤوها حسنة، وعلى هذا فقد زال -بحمد الله- الإشكال، واتضح الشوائ، وظهر انَّ كلَّ واحدة مِن الطائفتين ما خرجت عن موجب العلم والمُسْجَة. وأمَّا حديثُ أبي ذرَّ -وإن كان السنديلُ فيه في حَقِّ المُصِرِّ الذي عُمَّدُ على سبّات- فهو يدلُّ بعلرين الأولى على حصول التبديلِ للتانب المقلم الناوم على سبتاته؛ فإنَّ اللَّنوب التي عُمَّب عليها المصِرُّ لَمَّا زال الزُّها بالمقوية بَيْتَ كَانُ لم يَكُن في وقت بِيَتَ كَانُ لم يَكُن عَلى اللَّمَة عَلىها مع المُقوية، اقضى زوالَ أثرِها وتبديلها حسنات، فإنَّ النَّمَ لم يكنُ في وقت بينفَكه، فلمَّا عوقب عليها مع المُقوية الشمور عقلم من زوال أثرِها بالمؤوية والمَّائِية النصوح اعظمُ من زوال أثرِها بالمؤوية حسنات، فزوال أثرِها بالتُوية النصوح اعظمُ من زوال أثرِها بالمؤوية حسنات، فزوال أثرِها بالمؤوية كسنات أولى وأخرى. ((طريق الهجرتين)) (ص: ٥٤٥-٥١). ويُنظر: ((مدارج السالكين))

وممَّن جمّع بين القولينِ: السعديُّ، وابنُ عثيمين. يُنظر: ((نفسير السعدي)) (ص: ٥٨٧)، ((نفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ٣٠٦).

قال السعدي: (تبدّلُ أفعالُهم وأقوالُهم التي كانت مُستَعِفَّة لعملِ السَّيَاتِ، تبدُلُ حَسَاتِ، فِيَبدُلُن يُركُهم إِيمانًا، ومعصيتُهم طاعةً، وتبدَّلُ نفْسُ السِّيَاتِ التي عيلوها ثمَّ أحدَّثوا عن كلُّ ذنبٍ منها تربةً وإنابةً وطاعةً، تُبدَّلُ حسناتٍ كما هو ظاهرُ الآية، وورد في ذلك حديثُ الرُجُلِ الذي حاسبه اللهُ يبعضِ ذنويه فعدَّها عليه، ثم أَيدلُ مكانَ كلَّ سيتِّ حسنةً، فقال: يا ربَّ، إنَّ لي سيتاتٍ لا أراها هاهنا. واللهُ أعليُّ. ((تقسير السعدي)) (ص. ٨٧ه).

وقال ابنُ عثيمين: (التبديل: جَمْلُ شَيءٍ مكانَ شَيءٍ، وهذا التبديلُ هل هو تبديلٌ فَلَريٌّ أو تبديلٌ جزائقٌ؟

احتلف في ذلك أهواً البلم؛ فينهم من قال: إنَّه تبديلٌ فقرَيَّ، ومنهم من قال: إنَّه تبديلٌ جزائِّ، كيف ذلك؟ الذين يقولون: إنَّه تبديلٌ فقرَيُّ يقولون: إنَّ معنى تبديلِ الشَّيَّاتِ حَسَناتِ أَنَّه لَمَّا آمَن وعَمِل عَمَلًا صالحًا صال بِقَلَ الشَّركِ إيمانُ، وصال بِقَلُ الزَّمَا وقَتَلِ النَّمْسِ عَمَلُ صالحُ، معناه: أنَّ هذا الإيمانُ والعَمَلُ الشَّالِحَ صال بِدَلاً عن الكُمْرِ والزَّنا وقَتِلِ النَّمْسِ، فالمعنى أنَّ إيمانَه وعمَلُه الشَّالِحَ الذَّي فَعَلَهُ هو الحَمَسَاتُ التِي أَبِكَ اللَّهُ السِّيَاتِ بِهاءَ لِحِكِنُ هذا البِيمِلُ وقررُكُ.

وقيل: بل هو جزائيٌّ، بمعنى أن هذه المعاصيَ نفُسَها تكونُ حَسَناتٍ، يُبِذُلُ الله السيُّئاتِ السابقةَ يجعَلُها حسَناتٍ، بالإضافةِ إلى حَسَناتِه الأخيرةِ التي قُدِّرت له ففعَلَها، وكيف ذلك؟ يقولون: =





عن أبي ذَرَّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ الله صَّلى الله عليه وستَّلم: ((إنِّي لأعلَمُ آخِرَ أهل الجنَّةِ دُخولًا الجنَّةَ، وآخِرَ أهل النَّارِ خُروجًا منها: رجُلٌ يؤتَى به يومَ القيامةِ، فيُقالُ: اعرِضوا عليه صِغارَ ذُنوبِه، وارفَعوا عنه كِبارَها، فتُعرَضُ عليه صِغارُ ذُنوبِه، فيُقال: عَمِلتَ يومَ كذا وكذا كذا وكذا، وعَمِلتَ يومَ كذا وكذا كذا وكذا، فيقولُ: نَعَمْ، لا يَستطيعُ أن يُنكِرَ، وهو مُشفِقٌ مِن كِبارِ ذُنوبه أن تُعرَضَ عليه، فيُقالُ له: فإنَّ لك مكانَ كُلِّ سَيِّئةٍ حَسَنةً، فيقولُ: ربِّ، قد عَمِلتُ أشياءَ لا أراها هاهنا! فلقد رأيتُ رَسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ضَحِك حتى بَدَت نَواجِذُه))(١٠). وعن أبي طويل شَطبِ الممدودِ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّه أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وسَّلم فقال: ((أرأيتَ رجُلًا عَمِلَ الذُّنوبَ كُلُّها، فلم يترُكُ منها شيئًا، وهو في ذلك لم يترُكُ حاجَةً ولا داجَةً (١) إلَّا أتاها، فهل له مِن توبة؟ قال: فهل أسلَمْتَ؟ قال: أمَّا أنا فأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحْدَه لا شريكَ له، وأنَّك رَسولُ الله، قال: نعَمْ، تفعَلُ الخَيراتِ، وتَترُكُ السيِّئاتِ، فيَجعَلُهنَّ اللهُ لك خيراتٍ كُلُّهنَّ، قال: وغَدَراتي وفَجَراتي؟! قال: نعَمْ، قال: الله أكبَرُ! فما زال يُكبِّر حتى

⁻ لأنَّ هذه السيّاتِ لَمّا تاب منها صار له بكلَّ توبة من هذه السيّاتِ حَسَنَة، فأبدلت السِّبّاتُ حَسَنَاتِ بالتربة منها، ولأنه كلَّما تذكّر ما سبّق مِن أعداله السيّة أحدَث لها توبة فصارت هذه الإعمالُ السابقة حسناتِ بالتربة منها. والصحيح شُمولُ الآية لهذا ولهذا، وأنَّ الآية شاملةً للأمرين؛ فإنَّ مَن تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا تبدَّلت سبتاتُ السابقة فصارت حسناتِ، لكنَّها ليست عي الأولى فنشها، وكذلك إذا تاب منها تجوزيَ على هذه التربة بالتُواب؛ فصارت السيّاتُ بالتّربة بالتواب؛ فصارت السيّاتُ بالتّربة منها حسّناتِ). ((فصير الن عيدين - سورة الفرقان)) (ص: ٣٠٦،٢٠٥).

⁽٢) صابّةُ ولا داجّةُ: أي: ما تركّتُ شَبّا دعتُني إليه نَفْسي إلَّا رَبِّيثُ مِن اللَّذُوبِ. وداجةً: في هذا الموضِع: إِشَاعٌ. وقبل: الشَّاجَةُ: ما لا يُذكّرُه احتِمَارُاله، أي: قد فَقَيتُ الحوائِجَ التي لها مُوقعٌ بن قلبي، وقضَيتُ ما لا يُذكّرُه احتِمَارًا له. يُنظر: ((غريب الحديث)) لا ين قبية ((٤٠٠/١)، ((الزاهر في معاني كلمات الناس)) للاتباري (٢٧/٢)، ((الغربين في القرآن والحديث)) للهروي (٢٧/٢).





تو اري))^(۱).

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَسَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

أي: ولم يَزَلِ اللهُ يستُرُ ذُنوبَ النَّائبينَ مِن عبادِه، ويتجاوَزُ عن مُؤاخَذتِهم بها ويَرحَمُهم".

كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَقُوا عَلَىَ الْشَهِيهِمَ لَا نَصْمَعُوا مِن رَّحَمَةِ اللّهِ إِنّ الْهَ يَغَيْرُ اللّهُوبَ جَيِعًا إِلَيْهُ هُو الْفَقُورُ الرّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٣٣].

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَلِيحًا فَإِنَّهُ ، يَوْبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ١٠٠٠ ١٠٠

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا أفادتِ الآيةُ السابقةُ أنَّ التوبةَ تمحو السيِّئاتِ، جاءتْ هذه الآيةُ إثرَها تُبَيِّنُ ما لأهلِها مِن جزيل الإنعاماتِ، وعظيم الدرجاتِ".

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في ((الأحاد والمثاني)) (٢٧١٨)، والبرَّار كما في ((مجمع الزواند)) للهيشمي (٢٦١)، والطبراني (٢١٤/٣) (٧٢٣٥).

جوَّد إسنادَه وقوَّاه المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (١٣٨٤)، وقال ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (١٤٤): حسنٌ صحيعٌ غريب. وصحَّحه الألباني في ((الترغيب والترهيب)) (١٣٦٤). قال ابن حَجر: (قال البغويُّ: أظنُّ أنَّ الصوابَ عن عبد الرحمن بن جُييرٍ أنَّ رجُكُلا أنَّ الني صلَّى الله عليه وسلَّم طويلًا مَطِيلًا، والشَّطلُّ يعني في اللغة: الممدودَ، يعني: فظنَّه الراوي اسمَّاه فقال فيه: عن شَطلٍ أبي طويلٍّ. ((الإصابة في تمييز الصحابة)) ((١/ ٢٨٣)، ويُنظر: ((معجم الصحابة)) للبغوث (٢/ ٢٣٣)، ((الاستيماب)) لإبن عبد البر (٧٠٤/٠).

(۲) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲۷/۷۷)، ((نفسير السمرقندي)) (۲۲/۶۱)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (۲۹/۲۶، ۶۳۰)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۵۷۷).

وقال السعدي: (﴿ رَحِيمًا ﴾ بعبادِه؛ حيثُ دعاهم إلى التوبةِ بعُدّ مبارزتِه بالعظائمِ، ثم وقَفَهم لها، ثم قَبلها منهم). ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٨).





﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَنْلِمًا فَإِنَّهُۥ بَنُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَنَابًا ﴿ ﴾.

أي: ومَن تاب إلى اللهِ وعَمِلَ بغد تَويتِه الأعمالَ الصَّالحةَ، فإنَّه يَرجِعُ إلى اللهِ رُجوعًا صَحيحًا حَسَنًا، مَقبولًا مَرضِيًا (١٠).

كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُومًا أَوْ يَظْلِمْ فَفَسُهُ ثُمُّ يَسْتَغَفِرِ اللهِ يَجِدِ اللهَ غَـُفُوزًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وقال سُبحانَه: ﴿ أَلَوْ يَصَلَمُواْأَنَّ اللَّهُ هُوَ يَقَبُلُ التَّوَيَّهُ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَأْخُذُ الصَّدَفَنتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّزَابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

الغُوائِدُ التَّربويَّةُ:

١- مَن راضَ نفَسه على الطاعة، ودانتْ نفْسه بالإخباتِ والانقيادِ للأوامرِ الشرعيَّة؛ ضَمُفَتْ منه أو زالتْ دواعي الشَّرَّ والفسادِ؛ فانكفَّ عنِ المعصية، لذا قدَّم الله تعالى إثبات الطاعاتِ في قولِه: ﴿ وَعِيكَ ٱلرَّحِنْي ٱلنَّيِكَ يَسَمُّونَ ... ﴾ تنبها على ذلك، على انتفاء المعاصي في قولِه: ﴿ وَاللَّينَ لَا يَنْعُونَ مَعَ اللهِ على ذلك، ومِن هنا نعلَمُ أنَّ على المسلمِ الذي يعملُ لتزكية نفيه أن يُواظِبَ على الطاعاتِ بأنواعِها، وأن يجتهد في حصولِ الأنسِ بها، والخشوع فيها؛ فإنَّ ذلك -زيادةً على ما يثبَّتُ فيه مِن أصولِ الخَبرِ - يَقلُمُ منه أصولَ الشَّرَ، ويُميتُ منه بواعتُه ! "

٢- في قَولِه تعالى: ﴿ يُعَنَّدُهُ لَهُ ٱلْمُكذَابُ يُومَ الْفِينَدَةِ وَمَعْلَدُ فِدِ شُهَكنانَا ﴾ يُذَكُّرُنا القرآلُ بمضاعَفةِ العذابِ على كبائِرِ الأثام؛ لِنَذكُرَ عندما تُحدّثُنا أنفُسُنا بالمعصيةِ

⁽۱) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) ((۱/ ۲۸)، ((نفسير ابن جزي)) (/۲ /۸)، ((نفسير ابن کثير)) (۱/ ۲۰۰)، ((نفسير الشوکاني)) (۱۰۳/۶)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۵۸۷)، ((نفسير ابن عثيمين– سورة الفرقان)) (ص: ۲۰۰۸، ۲۰۰۹).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢١٩).





سوءَ عاقبتِها، وتَعَدُّدُ شرورِها، وتَشَعُّبَ مفاسِدِها، ومُضاعَفةَ العذابِ بحسَبِ ذلك عليها؛ لِتَرْدِجِرَ ونَتَكَفَّ، فَسَلَمَ مِن الشَّرِّ المتراكمِ، والعذابِ المضاعَف، ونفوزَ بأجر التذكُّر، وثمرةِ التذكير('').

٣- قال الله تعالى: ﴿ وَمِن تَابَ وَعَمِلَ صَلِيمًا فَإِنّهُ بَعُرِثِ إِلَى اللهِ الذي فأيتُهُ بَعُرثِ إِلَى اللهِ الذي فأيعدَم أنَّ توبته في غاية الكمال؛ لأنها رجوعٌ إلى الطريق الموصِلِ إلى اللهِ الذي هو عينُ سعادة العبد وفلاحِه؛ فأيتخلِصْ فيها، وليُخلِّضْها مِن شوائبِ الأغراضِ الفاسدةِ، فالمقصودُ مِن هذا الحَثُّ على تكميلِ التوبةِ، وإيقاعُها على أفضلِ الوجوهِ وأجَلها؛ لِيقدَم على مَن تاب إليه فوقية أجرَه بحسب كمالها".

٤ - في قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَاكِ وَعَيلَ صَنْلِكَا فَإِنَّهُ يُوْكُ إِلَى اللهِ مَتَاباً ﴾ دعا اللهُ بهذا عباده المدنيين حتى لا يَتَسَرَّب القنوطُ إلى قلوبهم - وهو مُحرَّمُ عليهم - ولا يُحول بينهم وبيئن خالقهم ذنبٌ وإنْ عَظَمَ، ورغَبَهم في التوبة بأنها رجوعٌ إليه وكفى، وأنَّ الرجوعٌ إليه فيه بن الخَيرِ والشرفِ فوقَ ما تُصَوَّرُه الألفاظُ، فما أحلمته مِن ربَّ كريم، وما أرحمته بعباده المذنيين! فهذا داعي الله فأجيبوه، وهذا بابُ اللهِ فَلَجُوه؛ فإنَّكم مهما رجعتُم إليه لا تُطردوا، ومهما قصدتُم إليه تُقبَلوا ويُحْمَم اللهِ .

الغُوائدُ العلميَّةُ واللَّطائفُ:

١ - قامتِ الشَّريعةُ على المحافظةِ على حقوقِ اللهِ وحقوقِ عبادِه، وحَقُّ اللهِ
 على عبادِه أَنْ يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا، فَمَن دعا مع اللهِ غيرَه، وأشركَ به سِواه

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٣).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٧).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٩).





فقد أبطَلَ حقَّ اللهِ، وأعدمَ عبادتَه، ومَن قتَلَ النَّفْسَ فقد تعدَّى على أولِ حقِّ جَمَلَه اللهُ لمبادِه بفضلِه -وهو حقِّ الوجودِ- وعَمِلَ على إبطالِ وجودِهم، وفناءِ نوعِهم، وزوالِ عبادتِهم؛ فلهذا قُرنَ قتلُ النَّفس بدعاءِ غير اللهِ معه(١٠).

٣- قولُه تعالى: ﴿ وَاَلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلنَهَا عَاخَرَ وَالْإِقَدُّالُونَ النَّفْسَ الَّقِ حَرَمَ اللهَ إِلَّا إِلَّهَا عَالَمَ وَالْاَيْقِ وَالْمَذُهَا فَسَرَا، واَشَدُّها فسادًا للعالم، وإذا تأمَّل العاقِلُ فسادَ الوجودِ رآه مِن هذه الجِهاتِ الثَّلاثِ (()، وهي: الكفرُ، ثم قتل النَّمْسِ بغيرِ الحقَّ، ثمَّ الزنا، كما رتَّبَها الله (()؛ فالشَّركُ فيه فسادُ الأعراض (()).

٣- أصولُ المعاصي كلّها؛ كبارِها وصغارِها، ثلاثةٌ: تعلَّقُ القلبِ بغيرِ الله، وطاعةُ القوَّةِ الغضبيَّة، والقوَّةِ الشَّهوانيَّة، وهي: الشَّركُ، والظَّلْمُ، والفواجشُ؛ فغايةُ العوَّةِ النفواجشُ؛ القوَّلُم، والفواجشُ؛ العَلْمُ معايةُ طاعةِ القوَّةِ الغضبيَّة القالدَّة بقولِه القوَّة الغضبيَّة القالدَّة في قولِه العَلَى: ﴿وَيَاللَّهُ اللَّهِ وَعَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهِ عَنَمٌ اللَّهُ إِلَّا إِلَيْقَ تَعَلَى: ﴿وَيَاللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ فَي وَلِهِ تعلى: ﴿وَلَا اللَّهِ اللَّهِ عَنَمُ اللَّهُ إِلَّا إِلَيْقَ لَكَ اللَّهُ وَلَا اللَّهِ عَنْ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٠).

⁽٢) يُنظر: ((إعلام الموقعين)) لابن القيم (٢/ ٨٣).

⁽٣) يُنظر: ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (١٥/ ٤٢٨).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٧).





الشرك؛ ولهذا يجمع سُبحانه بينهما: أمَّا الأولَّ، ففي قولِه تعالى: ﴿ سَهَى اَتَهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ ال

٤ - قال الله تعالى: ﴿وَلَلْنِينَ لاَينَهُونَ مَعَ اللهِ إِلَّهُمَا مَاخِرَ وَلاَيَقَتُمُونَ النَّهَى الَّيَ حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلاَ بَرْتُونَ فَ وَمَن يَقْعَلَ وَلِكَ يَلقَ أَشَامًا ﴿ يَصَدَعْتُ لَهُ الْمَكَابُ يَوْمَ الْفِينَدَةِ وَمَخْلَدْ فِيهِ مُهَكَانًا ﴾ ولمّد اللّه على انَّه ليس بغد الكُفر أعظمُ مِن قَتلِ النَّفي بغير الحقّ، ثمَّ الزَّنا؛ ولهذا ثبت في حَدَّ الزِّنا القَتلُ لِمَن كان مُحصَنًا، أو أقضى الجَلدِ لمِن كان مُحصَنًا، أو أقضى الجَلدِ لمِن كان مُحصَنًا، أو

٥- قال الله تعالى: ﴿ يُعْتَنعَفُ لَهُ الْمَكْنَابُ يُومَ الْقِينَدَةِ ﴾ مضاعفة العذابِ: أن يُعذّبَ على كل جُزم ممّا ذُكِرَ عذابًا مُناسبًا؛ ولا يُكتفى بالعذابِ الأكبرِ عن أكبرِ الجرائم، وهو الشَّركَ تنبيهًا على أنَّ الشَّركَ لا يُنجي صاحبَه مِن تَبعةِ ما يَقترفُه مِن الجرائم والمفاسدِ؛ وذلك لأنَّ دعوة الإسلام للناس جاءتْ بالإقلاع عن الشركِ وعن المفاسدِ؛ وذلك لأنَّ دعوة الإسلام للناس جاءتْ بالإقلاع عن الشركِ وعن المفاسدِ؛ كلها، وهذا معنى قولِ مَن قال مِن العلماءِ بأنَّ الكفارَ مخاطبون

⁽١) يُنظر: ((الفوائد)) لابن القيم (ص: ٨١).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (۱۳/ ۲۷).





بفروع الشريعةِ، يَعنون خطابَ المؤاخَذةِ على ما نُهوا عن ارتكابِه، وليس المرادُ أنهم يُظلَّبُ منهم العملُ؛ إذْ لا تُقْبَلُ منهم الصالحاتُ بدونِ الإيمانِ(١٠).

٣- في قولِه تعالى: ﴿ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَقْسَ ﴾ إلى قولِه سُبحانه: ﴿ إِلاّ مَن تَابَ ﴾ ذَلالةٌ على أنَّ التَّوبة تمحو آثام كلَّ ذنبٍ مِن هذه النُّنوبِ المعدودة، ومنها قتلُ النَّف بدونِ حتَّ، وهو المعروف مِن عُموماتِ الكتابِ والسُّتَةِ ")، فالآية فيها النَّف على صحَّة توبةِ القاتلِ، ولا تعارُض بينَ هذه وبينَ آيةِ (النساء): ﴿ وَمَن يَقْتُ لَلْ مُؤْمِثَ الْمُتَعَمِّدُا فَيَهَ كَلِيّا فِيهَا وَعَضِبَ اللّهُ عَلَيْتُهِ وَمَن الله عَلَيْكَ فِيهَا وَعَضِبَ اللّهُ عَلَيْتُهِ وَمَن الله عَلَيْهُ إِنَّ هذه مقيدةٌ بالتوبة، ثم قد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الله عليه وسلّم بصحَّة عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بصحَّة توبة القاتلِ (إذا تاب لا يستحقُّ الوعيد بَعَضَ الله عليه وسلّم بصحَّة توبة القاتلُ (أنا). فالله عليه وسلّم بصحَّة توبة القاتلُ (")، فالقاتلُ إذا تاب لا يستحقُّ الوعيد بَعْضَ الله عليه وسلّم بصحَّة توبة القاتلُ (").

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧٤).

⁽۲) يُنظر: ((المصدر السابق)) (۱۹/۲۷).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٢٦، ١٢٧).

⁽٤) يُنظر: ((شرح العقيدة الواسطية)) لابن عثيمين (١/٢٦٦).

قال ابن تبيئة: (قاتِلُ النَّفسِ بغير حتَّ عليه حقَّان: حقَّ لله بكَويَة تعدَّى حدودَ الله، وانتهَك حُرِّماتِه. فهذا الذَّبُّ يفغُرُه الله بالتوبةِ الصحيحةِ. والحثَّ التاني: حتَّ الاَمثِيَّن، فعلى القاتلِ أن يُعطَّيَ أُولِياةَ المقتولِ حقِّهم، فِيْمُكَنِّهم مِن القِصاصِ، أو يصالحَهم بمالٍ، أو يطلُّبَ منهم العفْرَ، فإذا فعَلَ ذلك فقد أدَّى ما عليه مِن حقِّهم، وذلك مِن تمام التوبةِ.

وهل يبقى للمفتول عليه حتَّى بطالب، به يوم القبادة؟ على تولين للمُلُماء في مذهبِ آحمدَ وغَيره، ومَن قال: يبقى له فإنَّه يستكثرُ القاتلُ من الحَسَناتِ حتى يعطيَ المقتولُ مِن حَسَناتِه بَقَدْرٍ حَفَّه، ويبقى له ما يبقى، فإذا استكثرُ القاتلُ التائبُ مِن الحسناتِ رُجِيَت له رحمةُ الله، وأنجاه مِن التَّارِ). ((الفتاوى الكبرى)) (۲/ ۲/ ۸ ، ۲۰ ، ۲۰).





٧- في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْتُهِكَ يُبْتِلُ أَلَّهُ مُسِيَّاتِهِمْ حَسَنَدَتٍ ﴾ دَلالةٌ على أنَّ المنتقِلَ مِن الضَّلالِ إلى الهُدى يُضاعَفُ له القَّواابُ(١).

٨- في قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَبِلَ صَنْلِحًا فَإِنَّهُ بِنُوبُ إِلَّ الْقُومَتَ إَ ﴾ سؤالًا؛
 ما فائدهُ هذا التّكريرِ مع ما سَبَقَ: ﴿ إِلّا مَن نَابَ وَمَاسَ وَعَبِلَ حَصَلًا صَلَاحًا لِهَا؟

الجوابُ مِن وجهينِ:

الأولُ: أنَّ هذا ليس بتكرير؛ لأنَّ الأولَ لَمَّا كان في تلك الخصالِ بَيَنَ تعالى أنَّ جميمَ الذُّنوب بمنزلتِها في صِحَّةِ التَّوبةِ منها.

الثاني: أنَّ التَّوبةَ الأُولِي رجوعٌ عن الشَّركِ والمعاصي، والتَّوبةَ النَّانيةَ رُجوعٌ

= وأمَّا ما ورد عن ابنِ عبَّاسِ، وزَيدِ بنِ ثابتٍ: أنَّ القاتِلَ لا تَوبةَ له، فقد حُمِلَ على التَّغليظ؛ فقد رُوي عنهما أنَّ له توبةً، أو: أنَّه لا توبة له بالنِّسبةِ لحقُّ المقتول؛ فإنَّه لا يمكنُ استحلالُه.

أمًّا إن مات القاتلُ مِن غير توبة فإنَّ تحتّ مشيخ الله تعالى؛ إنْ شاء غَفَر له، وأرضى خَصْمَه، وإنْ شاء عَنْبه على فِفلِه، ثم يُدخِلُه الجنّةَ بإيمانيه؛ فضلًا منه ورَحمةً. يُنظر: ((فضير الرسعني)) (٩/٩/٥)، ((تفسير القرطي)) (٣٢٦/)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٣٩٦/١)، ((فضير ابن عثيمين - مورة الفرقان)) (ص. ٣٠٠٠).

قال القرطيعي: (ثمَّ إِنَّ الجَمعَ بِينَ آيَةِ «الفَّرِقانِ» وهذه الآية -أي: قوله: فؤ وَتَن يَقَشُل مُؤْوَسَتُ مُتُمَتَمَهُمَا نَجْمَزَآؤُهُ جَهَدَّمُ حَكَيْكَ بِينَ آيَةِ «الفرقان»، فيكونَ معناه: فجزاؤُه كذا إلَّا مَن ناب، لا أن يُسمَلَ مُطلَقَ آيةِ «النساء» على مُقتِّلِه إنَّ «الفرقان»، فيكونَ معناه: فجزاؤُه كذا إلَّا مَن ناب، لا سيَّما وقد أَتَّحَد المُوجِبُ، وهو القَتْلُ، والعرجَّبُ وهو التوغُّه بالعِقاب. وأمَّا الأخبارُ فكثيرةً كمنديتِ عُبادةً بن الصَّالِتِ الذي قال فيه: وتُما يعوني على ألَّا تُشرِكوا باللو مَنيَّا، ولا تَزَنُّوا، ولا تَسرووا، ولا تَقْتُلُوا القَضْل التي حرَّم اللهُ إِلَّ بالحَيِّ، فتن وَقَى منكم فأجرُه على الله، ومَن أصاب شيئاً مِن ذلك فَعُوفِتَ به فهو تَفَارَةً له، ومَن أصاب مِن ذلك شَيَّا فسَتَرَه اللهُ عليه فأمُره إلى الله؛ إنْ شاء مفاعه، وإنْ شاء مَذَّبُه»). ((نفسير الفرطيي)) (ه/ ٣٣٤).

(١) يُنظر: ((المستدرك على مجموع الفتاوي)) (١/ ٢٠٩).





إلى الله تعالى للجَزاءِ والمكافأة، كقَولِه تعالى: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَاكٍ ﴾ [الرعد: ٣٠]، أي: مَرجعي(١).

بلاغةُ الآيات:

١ - قولُه تعالى: ﴿ وَٱلَٰذِينَ لَا يَنْعُونَ مَعْ اللهِ إِلَهُا ءَاخَرَ وَلَا يَقَتُلُونَ النَّفَسَ الَّتِي حَرَّمَ
 القَدُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْفُونَ وَمَن يَفْعَلْ وَالْكَ بِلَقَ أَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهِ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّه

- هذا شروعٌ في نفي أُمَّهاتِ المعاصي عنهم بعدَما أثبت لهم أصولَ الطاعاتِ؛ إظهارًا لكمالِ إيمانِهم، وتنبيهًا على أنَّ الإيمانَ الكاملَ هو ما تثبتُ معه الطاعاتُ، وتنتقي المعاصي، وذلك هو غايةُ الامتثالِ للأوامرِ والنَّواهي، وإشعارًا بأنَّ الأجرَ المذكورَ موعودٌ للجامع بينَ ذلك، وفيه تعريضٌ بما كان عليه المشركونَ مِن الاتصافِ بهذه المعاصي؛ مِن دعائِهم الهتهم مع الله، وقتلِهم النفسَ، وارتكابِهم فاحشةَ الزَّنا. كأنَّه قبل: والذين فِرَاهُم الله وظهَّرهم ممَّا أنتم عليه، ولذلك عَقَّبه بالوعيدِ تهديدًا لهم؛ فقال:

- والتَّصريعُ بوصفِ عباد الرحمن بنَفي الإشراكِ -معَ ظُهورِ إيمانِهم-؛ لإظهارِ كمالِ الاعتِناءِ بالتَّوحيدِ والإخلاصِ، وتَهويلِ أمْرِ الفَتلِ والزَّنا بنظُوهما في سِلْكِه^(۲).

- وقد جُمِع في قولِه: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا اَخَرَ وَلَا يَقَتُلُونَ النَّفْسَ

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٨٥).

⁽۲) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۲/ ۲۹٤)، ((نفسير البيضاوي)) (۴/ ۱۳۰)، ((نفسير أبي السعود)) (۱/ ۲۲۹)، ((نفسير ابن باديس)) (ص: ۲۹۹)

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٩).





الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا فِإِلْكَيْ وَلَا يَزَوْنِكَ ﴾ التَّخلِّي عن هذه الجَرائمِ الثَّلاثِ في صِلَةِ مَوصولِ واحدٍ، ولم يُكرَّر اسمُ المَوصولِ كما كُرَّر في ذِكرِ خِصالِ تَحلَيهم؛ للإشارةِ إلى أنَّهم لَمَّا أَقلَعوا عنِ الشَّركِ، ولمْ يَدُعوا مع اللهِ إلها آخَر؛ فقد أَقلَعوا عن أشدً القبائحِ لُصوقًا بالشَّركِ، وذلك قَتْلُ النَّفْسِ والزَّا. فجُعِل ذلك شَيِهَ خَصلةِ واحدةٍ، وجُعِل في صِلَةِ مَوصولِ واحدٍ. وقد يكونُ نكريرُ (لا) مُجْزِنًا عن إعادة اسمِ المَوصولِ، وكافيًا في الدَّلالةِ على أنَّ كلَّ خَصلةٍ مِن هذه الخِصالِ مُوجِنةٌ لمُضاعَفةِ العذاب''.

- قولُه: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ وَصْفُ النَّفْسِ بـ ﴿ اَلَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ بيانٌ لحُرمةِ النَّفْسِ الَّتِي تَقرَّرَتْ مِن عَهْدِ ادَمَ فِيما حكى اللهُ مِن مُحاورةِ ولَدَيْ ادَمَ بِقَولِهِ: ﴿ قَالَ لِأَقْلُنَكَ ﴾ [المائدة: ٢٧] الآياتِ، فتَعَرَّرَ تحريمُ قَلْ النَّفْسِ مِن أقدَمِ أزمانِ البَشرِ، ولم يَجْهَلُه أَحدٌ مِن ذُرِّيَّةٍ آدَمَ، فذلك معنى وضف النَّفْسِ بالمَوصولِ في قَولِه: ﴿ اللَّي حَرَّمَ الله ﴾ فإنَّه وصف النَّفس بالاسمِ الموصولِ المعروفِ الصَّلةِ؛ لأنَّ تَحريمَ اللهِ لها أمرٌ مَركوزٌ في النُّفوسِ، معروفٌ للبَشرِ بما جاءَهم مِن جَميع الشَّرائع'').

- وكان النَّفيُ للفعلِ بصِيغَةِ المُضارعِ ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ﴾؛ للإشارةِ إلى استمرارِ ذلك النَّفي ".

- قولُه: ﴿ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾، أي: التي حرَّمَها، بمعنى: حَرَّم قتْلَها، فحُذِف

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧٣، ٧٤).

⁽٢) يُنظر: ، ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧٣).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٠).





المُضافُ، وأُقيمَ المُضافُ إليه مقامَه؛ مُبالَغةً في التَّحريم(١).

- قولُه: ﴿ وَمَن يَقْمَلَ دَالِكَ يَلْقَ أَضَامًا ﴾ مِن بَلاغةِ القرآنِ: أَنَّه إذا أَمْرَ بشيء ذكرَ فائدتَه وثمرتَه للعِبادِ في الشَّارِينِ، وكذلك إذا نهَى عن شَيء ذكرَ مضرَّتَه، وسُوءَ عاقبتِه عليهم فيهما؛ فلمَّا ذكرَ في صدْرِ الآيةِ نفْيَ تلك المعاصي عن عِبادِ الرَّحمنِ الَّذي يُقِيدُ النَّهيَ عنها؛ ذَكرَ هذا الوعيدَ؛ لَبَيانِ سُوءِ عاقبتِها، وقُبْح أثْرِها".

- الإشارةُ بأداةِ البُعدِ في قولِه: ﴿ وَمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ ﴾ أي: الفعلَ العظيمَ القُبحِ، مع قُربِ المذكوراتِ؛ دلَّ على أنَّ البعدَ في رُتَبِها "".

- والتَّنوينُ في قَولِه: ﴿ أَثَامًا ﴾ للتَّفخيمِ (١٠).

٢- قولُه تعالى: ﴿ يُصَنَّعَفُ لَهُ ٱلْمَكَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَكَانًا ﴾

- قولُه: ﴿ يُصُنَعَفُ لَهُ ٱلْمَكَنَابُ يَوْمَ الْقِينَدَةِ ﴾ تَضعيفُ العذابِ: مُضاعَفَتُه؛ الانضِمامِ المعصيةِ إلى الكُفرِ، ويَجوزُ أَنْ تَكونَ مضاعَفَةُ العذابِ مُستعمَلةً في معنى قُرَّتِه، أي: يُعَذَّبُ عذابًا شديدًا، وليستُ لتكريرِ عذابٍ مُقدَّرٍ (°).

- قولُه: ﴿ مُهَانًا ﴾ حالٌ قُصِد منها تَشنيعُ حالِهم في الآخِرةِ(١).

٣- قولُه تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَكَلًا صَلِحًا فَأُولَتِهِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٢٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٢).

⁽٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٢٦).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٠).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (١٣١/٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧٤). (٦) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧٥).

الجزء ١٨ الحزب ٣٧





سَيِّعَاتِهِمْ حَسَنَتِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَـ فُولًا رَّحِيمًا ﴾

- قولُه: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَزِ وَعَمِلَ عَكَمَلًا صَلِحًا ﴾ رُوعِيَتِ الحالةُ الأُولِي فذُكِرَتِ التَّوبَةُ، والنَّانيةُ فذُكِر الإيمانُ، والنَّالثةُ فذُكِر العملُ الصَّالحُ؛ لأنَّ العاصيَ يكونُ في غَمَراتِ مَعصيتِه، فإذا ذكرَ اللهَ، ووفَّقَه اللهُ، أُسِفَ على حالِه، ورجَعَ إلى ربِّه، وهذه أوَّلُ الدَّرجاتِ في تَوبِيِّه، فإذا استشعَرَ قلْبُه اليقينَ، واطمأنَّ قلْبُه بذِكْرِ اللهِ؛ صمَّمَ على الإعراضِ عن المعصيةِ، والإقبالِ على الطَّاعةِ، فإذا كان صادقًا في هذا العزم، فلا بُدَّ أن يَظهَرَ أثرُ ذلك على عمَلِه'' - وعَطْفُ ﴿ وَءَامَرَ ﴾ على ﴿ مَن تَابَ ﴾؛ للتَّنويهِ بالإيمانِ، ولِيُبْنَى عليه قَولُه: ﴿ رَعَيلَ عَكَمَلًا صَلِحًا ﴾، وهو شرائعُ الإسلام؛ تحريضًا على الصَّالحاتِ، وإيماءً إلى أنَّها لا يُعتَدُّ بها إلَّا مع الإيمانِ، كما قال تعالى في سورة (البلد): ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البلد: ١٧]، وقال في عكسِه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفُرُواۤ أَعْمَنُهُمْ كَثَرَكِ بِقِيعَةِ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْعَانُ مَلَّهُ حَتَّى إِذَا جَلَّهُ أَلُو يَجِدْهُ شَيْعًا ﴾ (1) [النور: ٣٩]. - وقولُه: ﴿ وَعَمِلَ عَكَمَلًا صَنِيحًا ﴾ فيه ذِكرُ المَوصوفِ مع جرَيانِ الصَّالح والصَّالحاتِ مَجرَى الاسم؛ للاعتِناءِ والتَّنصيصِ على مُغايَرتِه للأعمالِ السَّابقة (٣).

- وفيه مُناسَبةٌ حسَنةٌ؛ حيثُ قال هنا: ﴿ وَمَاسَى وَعَيلَ عَسَمُلَا صَلِحًا ﴾، وقال في سورة (طه): ﴿ وَمَامَنَ وَجَلَ صَلِحًا ﴾ [طه: ٨٦]؛ وذلك لأنَّه في سُورة (طه)

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٣٣٥).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/۲۷).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٠).



أُوَجَرَ فِي ذِكِرِ المعاصي فَأُوجَرَ فِي التَّوِيةِ، وأطالَ فِي الفُرقانِ فأطالَ فِي التَّوِيةِ '''.

- قولُه: ﴿ فَأَوْلَتَهِلَكَ بِبَرِّلُ ... ﴾ كلامٌ مَسوقٌ لبيانِ فضْلِ التَّويةِ المَذكورةِ، واسمُ الإشارةِ أفادَ التَّبيءَ على أنَّهِم أُخرِياهُ بِما أخبَرَ عنهم به بعْدَ اسمِ الإشارةِ؛ لأَجْلِ ما ذُكِر مِنَ الأوصافِ قبَلَ اسمِ الإشارةِ ''. واسمُ الإشارةِ ﴿ فَأَلْتَهِلَكَ ﴾ إشارةٌ إلى المَوصولِ (مَن)، والجَمعُ باعتِبارِ معناهُ، كما أنَّ الإفراد في الأفعالِ الثَّلاثةِ -(تَابَ)، و(اَمَنَ)، و(عَمِلَ)- باعتِبارِ لفْظِهِ ''.

- قولُه: ﴿ فَأَوْلَتُهِكَ يَبَيْلُ أَلَقُهُ ... ﴾ ذكر الاسمَ الأعظمَ؛ تعظيمًا للأمرِ، وإشارةً إلى أنَّه سبحانَه لا منازعَ له ¹⁹.

- ولم تَتعرَّضِ الآيةُ ليقدارِ النَّوابِ، وهو مَوكولٌ إلى فضلِ اللهِ؛ ولذلك عَقَّبَ هذا بقَولِهِ: ﴿وَكَانَ اللهُ عَـشُولَ تَرْجِيمًا ﴾ المُقتضِي أنَّه عظيمُ المعفرةِ (ۖ)

- قولُه: ﴿ وَكَانَ اللهُ عَنْفُولا رَحِيمًا ﴾ اعتراضٌ تَذْييليٌّ مُقرِّرٌ لِما قَبَلَه مِنَ المَحوِ والإثباتِ(١٠).

٤ - قولُه تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَيلَ صَلِيمًا فَإِنَّهُۥ يَثُوبُ إِلَى اللَّهِ مَسَابًا ﴾ تعميمٌ
 بغد تخصيص ١٠٠ فهو تذييلٌ لِما قبلَه ١٠٠٠.

⁽١) يُنظر: ((أسرار التكرار في القرآن)) للكرماني (ص: ١٧٣).

⁽٢) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧٧).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٠).

⁽٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٢٩).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/٧٧).

⁽٦) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٠).

⁽٧) يُنظر: ((نفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣١)، ((نفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٠). (٨) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٩٥).

الجزء ١٨ الحزب ٣٧





- والتَّوكيدُ بـ (إنَّ)؛ لتَحقيق مَضمونِ الخبرِ (١).

- وقد وقعَ الإعبارُ عنِ التَّاتِ بِاللَّهِ تاتِّ، إِذِ المَتابُ مَصدرٌ مِيميِّ بمعنى التَّوِية، فَيَعيَّنُ أَن يُعمرَفَ إِلَى معنَى مُفيدٍ، فَيَجوزُ أَن يكونَ المُقصودُ هو قولَه: ﴿ إِلَى اللَّهِ فِيهَ فِيكَ وَنَ المُقصودُ ما في المُشارِعِ مِنَ اللَّه اللَّهِ على التَّجدُّه، أَي: فإنَّه يَستورُّ على تَويتِه، ولا يَر تَدُّ على عَقِيْتِهِ؛ فيكونَ وعُدًا مِنَ اللهِ تعالى أَن يُثِيَّه على القولِ التَّابِ إِذَا كان قد تابَ وأَيَّد تَوبيّته بالعملِ الصَّالِحِ. ويَجوزُ أَن يكونَ المقصودُ ما للمفعولِ المُطلَقِ مِن معنى التَّكيدِ، أي: مَن تاب وعمِلَ صالحًا فإنَّ تَوبتَه هي التَّوبةُ الكاملةُ النِّائِيةُ للهِ (الْمُ

- وخالفَ جوابُ الشَّرطِ - وهو ﴿ يَثُوبُ ﴾ فِعلَ الشَّرطِ - وهو ﴿ تَابَ ﴾ -بمُتعلَّقِه - وهو ﴿ إِلَى الشَّرِهِ - ومَعمولِه - وهو ﴿ مَثَابًا ﴾ -، وعُبَّرُ بالمُضارعِ في الجوابِ؛ لِيُفيدُ التَّجدُّدُ باعتِبارِ تجدُّدِ المَثوباتِ للرَّاجِينَ إلى اللهِ").

- وتَنوينُ ﴿ مَتَابًا ﴾ تَنوينُ تَفخيمٍ وتَعظيمٍ ﴿ ا



⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧٨/١٩).

 ⁽۲) يُنظر: ((المصدر السابق)) (۱۹/۷۷،۷۷).
 (۳) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ۲۲۸).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).





الآيات (٧٢-٧٧)

﴿ وَالَّذِينَ لَا بَشْهَدُونَ الزُّورُ وَإِنَّا مُهْا ِاللَّهِ مَهُوا كِرَامًا ۞ وَالَّذِينَ إِنَّا دُكُورُوا بِعَائِنَةِ رَبِهِ فِرْ لَرَّ يَخِيرُّوا فَلَيْهَا صَفَّاوَعُمْهَا أَنْ ۞ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَثِنَا هَبَ انسَا وَلَمَ الْوَجَتَ وَوُرْتِنَا فِنَ الْفَرْقَ فَيْهُا فَخِيمَا لَنَالِمُنْفِينِ إِمَا عَالَى اللَّهِ فَكَ بَحْنَ وَمِنَا صَمَرُوا وَيُلْقَرْنَ فِيهَا فَجِيَّةً وَمَلَنَمًا ۞ كَلِينِ فِيهَا خَسْنَدَ مُسْنَقَدًا وَمُقَامًا ۞ كَلِينِ فِيهَا خَسْنَدَ مُسْنَقَدًا وَمُقَامًا

غُريبُ الكُلمات:

﴿ اللَّهُ رَكَمَ ﴾: أي: الدَّرَجَة الرَّفِيعَة في الجنَّةِ، والغرفةُ: كلُّ بناءِ عالٍ مرتفعٍ، وأصلُ (غرف): يذُلُّ على رَفع الشَّىءِ (١٠).

﴿ قُرَّرَةَ أَعْبُوبِ ﴾: أي: ما نَقَرُّ به أغيُّنَا، قيل: أصلُه مِن القُرَّ، أي: البَردِ، فَقَرَّتْ عينُه، قيل: معناه بَرَدَتْ فصَحَّتْ، وقيل: هو مِن القَرادِ، والمعنى: أعطاه اللهُ ما تَسكُنُ به عينُه، فلا يطمَتُ إلى غيره، وقيل: أقرَّ الله عينَه، أي: أنامَها (().

﴿ وَيُقَوِّرَكُ ﴾: أي: يُستقبَلونَ، وتتَلَقَّاهُم الملائِكَةُ، يُقال: تَلَقَّاهُ كذا، أي: لَقِيّه، ولَقِيتُه بكذا: إذا استَقْبلتَه به، وأصلُ (لقي) هنا يدُلُّ على المُلاقاةِ، وتوافي شيئين مقابلَيْن ".

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷ محه)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (۱۸/٤)، ((الوسيط)) للواحدي (۳(۲۹۹)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ۲۲۱)، ((تفسير القرطبي)) (۳۲/۱۳)، ((المغردات)) للراغب (ص: ۲۰۵).

⁽۲) يُنظر: ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٧)، ((نفسير ابن جرير)) (٢٩/ ٢٩٥)، ((الغريبين في القرآن والحديث)) للهوري (٥/ ٤٠٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٦٣)، ((الكليات)) للكفوى (ص: ٣٣٣، ٣٧٩).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٣٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٢٦٠)، =





﴿ يَمْ بَوُّا ﴾: أي: يُبالي، وأصلُ (عبأ): يدُلُّ على اجتِماعٍ في ثِقلِ (١٠.

﴿ لِزَانًا ﴾ : أي: مُلازِمًا، وقيل: جَزاءً، وقيل: هلاكًا، وأصلُ (لزم): يدُلُّ على مُصاحبةِ الشَّيءِ للشَّيءِ دائِمًا (").

المعنى الإجماليُّ:

يقولُ تعالى: ومِن صِفةِ عِبادِ الرَّحمنِ أيضًا أنَّهم لا يَحضُرونَ مواضِمَ الباظِرِ، وإذا مرُّوا باللَّفوِ -مِن غيرِ قَصدِ منهم- أعرَّضوا عنه؛ وهم الذين إذا ذُكْروا بآياتِ رَبَّهم لم يُعرِضوا عنها صامَّينَ آذانَهم وعامِينَ عنها، والذين يَدْعونَ رَبَّهم، ربَّنا هَبْ لنا مِن أزواجِنا وذَرَّيَّاتِنا ما تَقَرُّ به أعيُّتُنا برؤيتهم على طاعتك في اللُّنيا، وبدُّ تولِ جَنِّيْك في الآخرةِ، واجمَلْنا قُدوةً في الخَيرِ للمُتَّفِينَ مِن عبادِك؛ فهؤلاء المتَّصِفونَ بتلك الصَّفاتِ يَجزيهم اللهُ الذُّرَفَ العاليةَ في الجِنانِ بسَبَبٍ صَبرِهم في الدُّنيا، ويُستقبَاون بالتحيَّةِ والسَّلام، ماكثينَ في تلك الغُرُفِ أبدًا، حَسَّنَت لهم قرارًا ومُقامًا.

فُلْ -يا محمَّدُ: لولا دعاؤُكم اللهَ تعالى لَما اكتَرَث بكم، فقد كذَّبتُم -أيُّها المُشرِكون- بالحَقِّ، فسوف يكونُ العذابُ مُلازِمًا لكم في الدُّنيا والآخرةِ؛ جزاءً تكذيبكم.

^{= ((}المفردات في غريب القرآن)) للراغب (ص: ٧٤٥)، ((تفسير العليمي)) (٥/ ٥٥).

⁽١) ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٣٦٠) (ص: ٢٦٦)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٨٥). ((مقايس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٢١٥).

⁽۲) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قبية (ص: ۲۸۳)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ۲۰۰)، ((مقايس اللغة)) لابن فارس (م/ ۲۶۰)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ۲۲٦)، ((تفسير القرطبي)) (۸۲/۱۳)، ((النبيان في تقسير غريب القرآن)) لابن الهاتم (ص: ۲۶۹).





تَفسيرُ الآيات:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِنَّا مُرُّوا بِالنَّفِي مَرُّوا كِرَامًا ١٠٠٠ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

عَشَّبَ شُبحانه ترْكَهم الزِّنا بالإعراضِ أصلًا عن اللَّغوِ الذي هو أعظَمُ مقدِّماتِ الزِّنا^{(١}).

وأيضًا لَمَّا وَصَفَهم سُبحانه بالصَّفاتِ المتقَدِّمةِ الدالَّةِ كلَّها على كَمالِ أخلاقِهم، واستقامةِ أعمالِهم في ظواهرِهم وبواطنِهم بانبنائِها على قرَّة إِيمائِهم، وصحَّة عِلْمِهم؛ فكانوا أهلَ الحقَّ المتَّصِفين به في عِلْمِهم وعَمَلِهم، القائمينَ عليه في جميع أحوالهم- وَصَفَهم هنا بيُعدِهم عن الباطلِ ومَشاهِدِه، ومجانبَتِهم لأهله".

وأيضًا لَمَّا وَصَفَ سُبحانَه وتعالى عبادَه بأنهم تَحَلَّوا بأصولِ الفضائلِ، وتَخَلَّوا عن أمَّهاتِ الرَّذائلِ، ورَغَّبَ في التَّويةِ؛ لأنَّ الإنسانَ لِمَجرِه لا يَنفَكُّ عن التَّقصِ- مَدَحَهم بصفةِ أخرى، وهي الصفةُ المذكورةُ في قولِه تعالى؟؟:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾.

أي: والذين لا يَحضُرون شَيئًا مِن الباطِلِ، ويجتنبونَ جميعَ المجالِسِ المشتمِلةِ على أقوالِ أو أفعالِ محرَّمةٍ⁽⁰⁾.

⁽١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٣١).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٩).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٢/ ٢٧٦).

 ⁽٤) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) ((۲۳/۱۷) ((نفسير القرطي)) (۱۳/۷۹)، ((اقتضاء الصراط المستقيم)) لابن تيمية (۲/۷۱ – ۴۵۶)، ((أحكام أهل الذمة)) لابن تيمية (۲/۷۱ = ۲۸۱۶).





= ١٢٤٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٠، ١٣١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٧).

قال ابن عاشور: (قِيلُ شَهِده يُستعملُ بمعنى حصّره، وهو أصلُ إطلاقه؛ كقوله تعالى: ﴿ فَمَنَى
شَهِدَ مِنكُمُ التَّبَرَ فَلْمَسُمَةُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويُستعملُ بمعنى: أخبَر عن شَيء شَهِدَه وعَلِمَه
كقوله تعالى: ﴿ وَمَنَهِمَدَ شَاهِدَّ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [يوسف: ٢٦]. والزُّورُ: الباطلُ بِن قَولِ أو فعل،
وقد غلب على الكذب... فَيَجوزُ أن يكونَ معنى الآية: أنّهم لا يَحصُرونَ مَحاضرَ الباطلِ النَّي
كان يَحصُرُها المشركون، وهي مَجالسُ اللَّهو والفِياءِ والفِيه وَنَحوِها، وكذلك أعياهُ المشركون
وأنعائهم؛ فيكونَ الزُّور، مَعمولُ به لـ ﴿ فَيَهَمُونَ ﴾. وهذا ثناءً على المؤمنينَ بمُقاطَعة المشركين
وتخيَّهم،. ويجوزُ أن يكونَ فِعلُ ﴿ فَيَهَمُونَ ﴾ وهذا ثناءً على المؤمنينَ بمُقاطَعة المشركين
متصوبًا على نزع الخافضي أي: لا يَشْهدون بالزُّور، أو منعو لا مُطلقًا ليانِ نوعِ الشَّهادِ، أي: لا
يُشهدون شهادة عن رُورُ لا حَقَّى. (رَفْسِي ابن عالمور)) (١٧/ ١٧٨).

وقال ابن الفَرَس: (الزُّورُ: كلُّ الباطلِ، فأعظَّمُه: الشَّركُ، وبه فشَرَ الضَّعَاكُ وابنُ زَيْد. ومنه: الغِناه، وبه فشر مجاهِدٌ. ومنه: الكذِّبُ، وبه فشر ابنُ جُرَيعٍ. و﴿ يَشَهَلُونِكَ ﴾ على القولين الأَذِّلِينِ مِنَ المُشاهَدةِ، وعلى القولِ الثالثِ مِنَّ الشَّهاءةِ لا مِن المشاهَدةِ، فالمُرادُ: الشَّهادةُ بالزُّورِ، وهو قولُ عليَّ بنِ أبي طالبٍ وغيرٍه. ((احكام القرآن)) (٣/ ٤٠٠). ويُنظر: ((الإكليل)) للسوطي (ص: 114).

ممَّن احتار أنَّ المرادَ بالزُّور: الشَّرِكُ: مقاتلُ بنُ سليمان، وابنُّ أبي زمنين، والسمانيُّ، والخازنُ. يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (۲۲۳٪)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (۲۲۸٪)، ((تفسير السمعاني)) (۶/ ۲۵»، ((تقسير الخازن)) (۲۱۹٪).

ونسَبَ الواحديُّ هذا القولَ إلى أكثرِ المفسِّرينَ. يُنظر: ((البسيط)) (١٠١/١٦).

وممَّن اختار أنَّ العرادَ بالزُّورِ: الكذِبُ: أي: لا يَشهدون بالزُّورِ أو شهادةَ الزُّورِ: ابنُ جُزي، وأبو حيان. يُنظر: ((نفسير ابن جزي)) (٢/ ٨٧)، ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ١٣٣).

قال ابن نيميَّة: (قال قومُ: إنَّ المُرادَ: شَهادةُ الزُّورِ النِّي هي الكذبُ وهذا فيه نظرُه فإنَّه تعالى قال: ﴿وَلاَيَشْهَدُورِكَالْزَيْرَ ﴾و، ولم يقُلُ: لا يَشهدون بالزُّورِ. والعربُ تقولُ: شهدتُ كذا: إذا حضَرَّة... وأمَّا: شَهِدتُ بكذا، فمعناه: أخبرتُ به). ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (۸۲/۵۶). وممَّن اختار في الجملةِ أنَّ العرادَ: لا يَشهدون شَيئًا بن الباطل؛ لا شِركًا، ولا غِناءً، ولا كُذِبًا ولا غيرَه مِن الباطلِ: ابنُ جرير، وابنُ عطية، والقرطئُ، والثعاليُّ، يُنظر: ((تفسير ابن جرير))





كما قال تعالى: ﴿ وَلِهَا رَأْتِ الَّذِينَ يَخُوشُونَ فِي َ النِّنَا فَأَعْفِى عَنْهُمْ حَقَّ يَخُوشُوا فِ حَدِيثٍ غَيْرِهُ وَلِمَّا يُسِينَكُ الشَّيْطُنُ فَلَا تَقْعَدُ مَعَدَ الذِّكْرَى مَ القَرْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وعن أبي بكُرة رَضِيَ الله عنه، قال: ((كنَّا عندَ رَسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: ألاَ أَتَتِبُّكم بأكبَرِ الكبائر -ثلاثًا-؟ الإشراكُ باللهِ، وتُعقوقُ الوالِدَينِ، وشهادةُ الزُّورِ أو قولُ الزُّورِ، وكان رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ مُتَّكِنًا فجلَسَ، فما زال يُكرِّرها حتَّى قُلنا: لَيْتُهُ سَكَت)\(١٠).

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

لَمَّا نَهَى عنهم سبحانَه -فيما تَقَدَّم- حضورَ مَشاهِدِ الزُّورِ؛ أخبرَ هنا أنَّهم لا يَهفون عندَ اللَّغوِ عندَما يَمُرُّون عليه؛ تَرَثِّيا في وصْفِهم بالبُعدِ عن الباطلِ والإثم

وقال ابن عشيمين: (فالزُّورُ: كُلُّ مِيلِ قولِيَّ أو فعليَّ ؛ إن كان قولًا رُصِف بالكَذِب، وإن كان يُعلَّد وُصِف بالباطل. فكلُّ قولِ أو فعلَ ماثل عن الطريق فإنَّه زورٌ؛ فالكَذِبُ زورٌ، والشَّمُّ واللَّمنُّ والغِيبَةُ زورٌ أيضًا والغَصبُّ والشَّرِقةُ والزُّنا وغيرُ ذلك: زورٌ أيضًا، لكن قد نُسُمَّهِ باطلًا إذا كان فِعلًا). ((تفسير ابن عشيمين – سورة الغرقان)) (ص: ٣١٥).

وقال السيوطي: (قوله تعالى: ﴿ وَالَمْيَكِ لَيْنَتُهُ مُوكِ اَزُوْرَ فِي هُ مِو شَامِلٌ لَكُوُّ بِاطل؛ فينه الشُركُ، وبه فشره الصحَّاكُ، واللّهُوّ والغناءُ، وبه فسّر ابنُ الحنقيَّة، والكَذِبُ وبه فسّر قَنَادةُ، والنّباحةُ، وبه فسّر الحسّنُ٪. ((الإكليل)) (ص: ١٩٨).

(١) رواه البخاري (٦٩١٩)، ومسلم (٨٧) واللفظ له.

⁼ الثعالبي)) (٤/ ٢٢٠).





والعبث، ومجانبةِ أهلِه(١).

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِأَللَغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾.

أي: وإذا صادَف أنْ مَرُّوا باللَّغوِ(٢) فسَمِعوه أو رَأَوْهُ -مِن غَيرِ قَصدٍ منهم-،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٢).

(۲) قال السمدي: ﴿ ﴿ لِزَلِنَا مُشْرِأً بِاللَّذِي لِللَّهِ وَهِ وَهِ الكلامُ الذي لا خيرٌ فِيهَ ولا فيه فائدةً ككلام السفهاء ونحوهم). ((تضير السعدي)) (ص: ٥٨٧). ويُنظر: ((تضير ابن عاشور)) (٩/ ٩/)، ((أصواء البيان)) للشنقيطي (٢/ ٧).

وقال ابن خُبري: (اللَّغَوَّ: هو الكلامُ القبيعُ على اختِلافِ أنواعِه). ((تفسير ابن جري)) (٢/ ٨٨).
وقال ابن عنيمين: (قولُه: ﴿ وَلَوَا مَثَوَّا اللَّقَدِيّ ﴾ اللَّغَوُ الصوابُ أنَّه ليس الكلامَ القبيعُ؛ لأنَّ الكلامُ
القبيعُ داخِلٌ في الزَّورِ، لكنِ المُراءُ باللَّمْوِ: ما لا فائدةَ فيه، فكلُّ ما لا فائدةَ فيه فهو لَغُوّ؛ وذلك
لاَّه لا يُقصَدُه وما لا يُقصدُ فهو لَغُوّ، ﴿ لا يُوَاخِدُكُمُ اللَّهُ بِالنَّهِ قِلَيْكُمُ وَلَمُ بَاللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ الللِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللل

وقيل في معنى اللّغو إيضا: هو ما كان المشركونَ يقولونَه للمؤمنيَّ، ويُحَلَّمونَهم به مِن الأَذَى، وقيل: اللّغوْ هو ما كان المشركونَ فيه مِن الباطل، وقيل: هو المعاصي كُلُها... إلى غير ذلك. قال ابنُ جربرٍ بعَدُ أن ذكَر الخلافَ في معنى اللَّغوز: (وأولى الأقوال في ذلك بالصَّواب عندي أن يُقالَ: إِنَّ اللّهَ أَخَيْرَ عَن هؤلاءِ المؤمنيَّ اللَّغينَ مَدَّحِهم بأنَّهم إِذَا مُزُوا باللَّغُو مُرُوا كرامًا واللَّغُو في كلام العرب هو كُلُّ كلام أو فِعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يُستقبَّ ... فلا وجَهَ إذْ كان كُلُّ ذلك يُلزَّمُه السَّمُ اللَّمُو أن يُعالَ: غَنْي به بعضُ ذلك دونَ بعضٍ، إذ لم يَكُنْ لخصوصٍ ذلك ولا ين عقل). ((تقسير ابن جرير)) (١٣/ ٣٣٥ - ٢٥).

ومئن اختار في السجملة ألَّ اللَّغَوَ: كلَّ ما يَبَغِي أنْ يُلغِي ويُطُّرَّحَ، وكلَّ سَقَطِ مِن قولِ أو فعلي: الرَّجَاعُ، والرَّمِخْسِرِيُّ، وابنُّ عطية، وابنُ الفَرَس، والرازيُّ، والفرطيُّ، والبيضاويُّ، والسنفيُّ، والخازئُ، والشوكائيُّ، والقاسميُّ، يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (٤/ ٢٧)، ((نفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩٥)، ((نفسير الن عطية)) (٤/ ٢٢٢)، ((أحكام القرآن)) لابن الفرس (٤/ ٢١)، ((نفسير اللسفي)) (٢/ ٥٥)، ((نفسير الفرطبي)) (٣/ ٢٠٠)، ((نفسير الشوكاني)) (٤/ ٢٠)، ((نفسير القاسمي)) (٢/ ٤٤٤).





أعرَضوا عنه، وأكرَموا أنفُسَهم عن الخَوضِ والمشاركةِ فيه(١).

كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَجِعُواْ اللَّغُو أَغْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَّا أَضَلْنَا وَلَكُمْ أَضَلُكُوْ سَلَمُ عَلَيْكُمْ لَا بَنْنِغِي الْجَنْهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥].

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُواْ بِعَايَنتِ رَبِّهِ لَمْ يَحِرُّواْ عَلَيْهَا صُّمَّا وَعُمْيَانًا ٣٠٠).

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا وَصَفَهم سبحانَه -فيما تَقَدَّمَ- بإعراضِهم عن الباطلِ، ومجانبتِهم لأهلِه، وبُعْلِهم عنه؛ وَصَفَهم هنا بإقبالِهم على الحقّ، وإكبابِهم عليه، متفهّمِينَ

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۲۷ (۲۵)» ((تفسير القرطبي)) (۲۳ / ۸۰، ۸۱)، ((إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان)) لابن القيم (۲۱ ۲۱)، ((تفسير ابن كثير)) ((۲۱ ۲۱)، ((تفسير السعدي)) (م. : ۸۷»)، ((تفسير ابن عاشور)) (۲۹ ۷۹)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (۲/ ۷۹).

قال الرسعني: (﴿ وَمُوالَّكِ كُلُ لَكُ إِنَّ مُوا مَّ الكرمانِ، مُعرضينَ عنهم، مُكرمينَ أَنفسَهم عن التوقُّب عليهم، والخوضِ معهم؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا سَكِمُواْ اللَّفَوَ أَعَرْشُواْ عَنَهُ ﴾ [القصص: ٥٠]. ((تفسير الرسعني) ((٥٠ / ٢٥٩).

وقال البقاعي: (هُرَيُّهُ الْحِيَّاكُ ﴾ أي: أبرينَ بالمعروفِ، ناهينَ عن المنكِ -إن تعلَّنَ بهم أمرٌ أو نهيِّ- بإشارةِ أو عبارةِ، على حسّبٍ ما يَرَونَهُ نافها، أو مُعرِضِنَ إن كان لا يصلُّخ تَميهٌ من ذلك؛ لإثارةِ مَفسدةِ اعظمَّ مِن ذلك أو نحوه؛ رحمةً لأنفُّهم وغيرهم). ((نظم الدر)) (١٣٣/٣٤٤). ويُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥١٥)، ((نفسير ابن عيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٣١٦)

وقال ابن جرير: (فتأويلُ الكلام: وإذا تُرُّوا بالباطلِ فتيموه أو رَأَوْه، مُرُّوا بِرامًا؛ مُرورُهم يُرامًا في بعض ذلك بأنَّ لا يُستَموه، وذلك كالغناء. وفي بعض ذلك بأنَّ يُمُوضوا عنه يصفحُوا، وذلك إذا أردُّوا بإسماع القبيح بن القول. وفي بعضه بأنْ يُتُهَوَا عن ذلك، وذلك بأنَّ يَرَوَا مِن المُنكَرِ ما يُعَثِّرُ بالقولِ فَيُغَيِّرُوه بالقول، وفي بعضه بأنْ يُصارِبوا عليه بالشُّيوف، وذلك بأنْ يَرَوا قومًا يُقطّورُنَ الطَّرِيقَ على قوم، فيستَصَرِّحُهم المُرادُّ ذلك منهم، فيُصْرِخونَهم، وكلُّ ذلك مُرورُهم يَرامًا). ((نفسير ابن جرير)) (١/ ١٥ ٥).





مُستبصِرينَ (١).

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُواْ مِنَايَتِ رَبِهِ لَمُ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمَّا وَعُمْيَانًا ٣٠٠).

أي: والذين إذا ذكَّرهم مُذَكَّرُ بآياتِ رَبِّهم '')، لم يُقابِلوها بالإعراضِ عنها، والصَّمَمِ عن سَماعِها، وصَرفِ التَّظَرِ والقلوبِ عنها، كالكُفَّارِ الذين إن ذُكُّروا بها أنكروا وكَنَّبوا، وأقاموا على كُفرهم، كأنَّهم لا يَسمَعونَ ولا يُبصِرونَ ''.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٣).

(۲) قبل: المرادَّ بغوله: وفِي كَانِتِ رَبِّهِمَ فِهَ: القرآنُ، ومثَّن قال بذلك: مقاتلُ بنُ سليمانُ، والسمو قنديُّ، وابنُ أبي زمنين، وابنُ عطية، والقرطيُّ، والسَّعيُّ، يُنظر: ((نقسير مقاتل بن سليمان)) (۲۲۸ ۲۲٪، ((نفسير السمو قندي)) (۲۷ / ۲۵)، ((نفسير ابن أبي زمنين)) (۲۷ / ۲۸)، ((نفسير ابن عطية)) (۲۲ / ۲۷)، ((نفسير القرطي)) (۲۲ / ۸۸)، ((نفسير السَّفي)) (۲۷ / ۸۰).

وقيل: المرادُ بها: عمومُ الآياتِ، شَرعيَّة كانت أو كونيَّةً. وممَّن قال بذلك: ابنُ عثيمين. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة الفرقان)) (ص: ٣٣٢).

وقال الشوكاني: ﴿﴿ وَاللَّهِ مَكَ إِنَا نُصُكِّرُوا بِمَالِئِتِ رَبِهِمْ ﴾ أي: بالقرآنِ، أو بما فيه موعظةٌ وعِبرةٌ). ((تفسير الشوكاني)) (١٠٤/٤).

(٣) يُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۱۷/ ۵۲۷، ۲۵۰)، ((نفسير القرطيي)) (۱/ ۸۱٪)، ((نفسير ابن كثير)) (۱۳۱/ ۱۳۱، ۱۳۲)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۵۸۷)، ((أضواء البيان)) للشنفيطي (۱/ ۸۰ ۸۱).

قال الزمخشري: (﴿ لَمْ يَجَرُّوا عَلَيْهَا صَنْكَاوَعْتَهَا ﴾ ليس بقي للخُرور، وإنَّما هو إثباتُ له، وقدّيُ للصَّمَّم والمَعَمَى، كما تقول: لا يَلقاني زيدٌ مُسَلَّمًا، هو نَفَيِّ للشَّلامِ لا للقاء. والمعنى: أَقهم إذا ذُكُرُّوا بها أَتَثُوا عليها جرصًا على استِماعِها، واقتلوا على المُذُكِّر بها، وهُم في إكبابِهم عليها سايعون بأذائو واعية، مُبصِرونَ بعُونِ راعية، لا كالذين يُذُكُّرونَ بها فتراهم مُكبِّنَ عليها مُعْلِسَ على مَن يُذَكُّرُ بها، مُطْهِرِينَ الجرصَ الشَّديدَ على استِماعِها، وهم كالصُّمَّ المُميانِ؛ حيث لا يَمُونَها، ولا يَبَشَرونَ ما فيها، كالمُنافِقينَ واشباهِهم). ((نفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩٥).

وقال ابن عطية: (قولُه: ﴿ لَرِّ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ يحتَمِلُ تأويلين:

أحدُهما: أن يكونَ المعنى: لم يكُنْ خرورُهم بهذه الصَّفةِ، بل يكون سُجَّدًا ويُكِيَّا، وهذا كما تقولُ: لم يخرجُ زيدٌ للحربِ جَزِعًا، أي: إنما حَرَج جريثًا مُقْدِمًا. وكأنَّ الذي يَجِرُّ أَصَمَّ =





كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤُونُ بِكَالِيَا ٱلَّذِنَ إِذَا ذُكِرُواْ بِهَا خَرُواْ سَجَلًا وَسَبَّهُواْ بِمَدِرْزِهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكَبُّرُونَ ﴾ [السجدة: ١٥].

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَاهَبُ لَنَا مِنْ أَزَوْجِنَا وَذَرِيَّذِنَا قُـرَةَ أَعَالُبٍ وَأَجْمَلَنَا لِلْمُتَّقِيرِكَ إِمَامًا آنًا﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا وَصَفَهم سبحانه في الآياتِ المتقدِّمةِ بما دلَّ على أنَّهم أهلُ خَيرٍ وكمالٍ في أنفُسِهم؛ وَصَفَهم في هذه بما دلَّ على محبَّتِهم الخَيرَ والكمالَ لغَيرِهم مِن قرابتِهم: أزواجِهم، وذُرُيَّهم، ومَن سِواهم(٠٠).

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَجِنَا وَذُرِّينَا نِنَا قُرَّةً أَعَارُبٍ ﴾.

أي: والذين يَدْعُونَ اللهَ قائلينَ: ربَّنا أصلِحْ أزواجَنا وأولادَنا وأحفادَنا، فنُسَرَّ في الدُّنيا برُؤيتِهم على طاعتِك، وفي الآخرةِ بدُخولِ جَتَّلِك").

والتأويلُ الثاني ذهب إليه الطبريُّ، وهو: أنَّ هِوْتَرَ يُشِرُّوا عَلَيْهَا شَمُّنُ وَمُمْيَانًا ﴾ همي صِفةٌ للكابو، وهي عبارةً عن إعراضِهم وجهدهم في ذلك، وقَرَنَ ذلك بقوله: قمّد فلان يشتُمُني، وقام فلانٌ يبكي، وأنت لم تقصدِ الاسبار بقعود و لا قيام، وإنما هي توطئاتٌ في الكلام والعبارة). ((نفسير ابن عطية)) (۲۲۲/؛ ويُنظر: ((نفسير ابن جرير)) (۲۸/۱۷).

وقال ابن عاشور: (يجوزُ أن يكونُ الخرورُ واقِعًا منهم أو بِن بَعضِهم حقيقة؛ لأنَّهم يكونون جلوسًا في مجتمعاتهم ونَواديهم، فإذا دعاهم الرسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الإسلام طأطووا رؤوسَهم وقَرَّيوها بن الأرض؛ لأنَّ ذلك للقاعد يقومُ مقامَ الفرارِ، أو سَترٍ الوجو... وقريبُ بن هذا المعنى قولُه تعالى حكايةً في سورة نوح: ﴿وَلَسَّنَتُمَا يُكَايَّمُ وَأَسْرُواْ وَلَسْتَكُمُواْ وَ أَشَيِكُواكِهُ إِنوح: ١٤]. ((نفسير ابن عاشور)) (١٩/ ١٠٨٠)، ١٨)

⁼ وأعمى هو المنافِقُ أو الشاكُّ.

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٥).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٩٩ه)، ((تفسير السمرقندي)) (٧/ ٥٤٧)، ((تفسير =





﴿ وَأَجْعَكُنَا لِلْمُنَّقِينَ إِمَامًا ﴾.

أي: واجعَلْنا قُدُوةً للذين يمتَّلِونَ أُوامِرَك، ويجتَّنِونَ نواهيَك، فيَقتَدون بنا في الخَير(١٠).

= البيضاوي)) (٤/ ١٣١)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٢).

قال ابن العربي: (معناه: أنَّ النفوسَ تتعنَّى، والعيونَ تعتنَّ إلى ما ترى بن الأزواج والذَّرَيَّة، حتى إذا كانت عنده ذريَّة، وحتى إذا كانت عنده ذريَّة، حتى محافظينَ على الطاعة، معاونينَ له على وظائفِ الدِّينِ والنَّبا؛ لم يلتَّقِتُ إلى زوج أحد، ولا إلى ولَيَّة تشكُّنُ عِنُه عن الملاحظة، وترولُ فقُله عن التعلَّق بغيرها؛ فذلك حينَ قُرُّة العَمِن، ولمُكونِ النَّسينَ. ((أحكم القرآن)) (٣/ ٥٥، ٥٥، ٥٦). ويُنظر: ((تفسير السمعاني)) (٣٤/٣١)، ((تفسير القرطي)) (٣/ ٨٢).

لكن قال الرازي: (لا شُبُهَةَ أنَّ المرادَ أنْ يكونَ قُرَّةَ أعينِ لهم في الدَّينِ لا في الأمورِ الدُّنويَّةِ مِن المال والجمال). ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٨٤٦).

وقال الزمخشري: (﴿ مِنْ ﴾ في قولِه: ﴿ مِنْ أَزَنَجِنَا ﴾ ... يحتمِلُ أن تكونَ بيائيَّة ... وأن تكونَ ابتدائيّةً. ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٩٦٦).

وقال أبو حيان: (قُرَّةُ العينِ فيمَنْ ذكروا رُؤيْتُهم مُطيعينَ لِلَّهِ). ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ١٣٣). ويُنظر: ((نفسير ابن عطية)) (٢٢٢/٤).

وقال الرازي: (فيه وجهان احدُّهما: أنَّهم سألوا أزواجًا ودُرَيَّةً في اللَّنيا يُشارِ كونهم، فأحَثُوا أن يكونوا معهم في التمشُّك بطاعة الله، فيقوى طمّعُهم في أن يَحصُلوا معهم في الجنَّةِ؛ فيتكامَلُ سرورُهم في الشُّنيا بهذا الطمع، وفي الآخرة عند حصولِ الظَّوابِ. والثَّانِي: أَنَّهم سألوا أن يُلحقَ اللهُ أزواجَهم وذريَّهم بهم في الجَنَّةِ اليَّمَّ سرورُهم بهم). ((فسير الرازي)) (٤٨٦ (٨٨) ٤٨٥). ((ا يُنظر: ((فسير ابن جرير)) ((٣٣/١٧)) ((فسير الرحير)) (٢٣/١٣) ((مفتاح دار السعادة))

) ينظر. ارائصير ابن جرير) ۱۱/۱ (۱۱۰) (انصير الفرطعي) ۱۱/۱ (۱۸۸ (افضاح دار انسعا لابن القيم (۱/ ۸۱)، ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ۵۸۷).

مثن احتار أذَّ معنى قوله: ﴿ وَكَفَتَكُمَا لِشَنْقِيمَ إِمَانًا ﴾ أي: يَقتدون بنا في الدَّين، ويأتمون بنا في الخَيرِ: مقاتلٌ بن سليمان، وابنُ جرير، والسمرقنديُّ، وابن أيي زمنين، والثعلبي، والبغوي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وابن جزي، والخازن، والشوكاني، يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان) (۲۲/۲۳)، ((تفسير ابن جرير)) (۲۲/۲۳)، ((تفسير السمرقندي)) (۲/۲۷)، ((تفسير البغوي))





كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَلِمَةً يَهَدُونَ بِأَنْهِنَا لَمَّا صَبُرُواًٞ وَكَانُواْ بِعَلِيْنَا مُوفِئْونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

﴿ أُوْلَتَهِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْفُرْفَةَ بِمَا صَمَبُولًا وَيُلَقَوْنَ فِيهِمَا غَيَّةَ ةُ وَسَلَامًا ١٠٠٠ ﴾.

= (۲/۰۵۹)، ((تفسير القرطبي)) (۸/۳۳)، ((تفسير البيفاوي)) (۱۳۲/۶)، ((تفسير النسفي)) (۲/۳۰ه)، ((تفسير ابن جزي)) (۷/ ۸۷)، ((تفسير الخازن)) (۳۲ - ۳۲)، ((تفسير الشوكاني)) (۱۰۶/۶).

قال ابن كثير: (وقولُه: ﴿وَلَجْمَكَ انَا لِقُنْكَةِ بِكِ إِمَامًا ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ، والحسَنُ، وقتادةُ، والسُّدُيُّ، والربيعُ بنُ أنسٍ: أثمَّة يُقتدى بنا في الخيرِ). ((تفسير ابن كثير)) (١٣٣٦).

قال السعدي: أمن المعلوم أنَّ الدَّعاة بمُصرلِ شَيرِه: دُعاهُ به وبعا لا يَتَمُّ إلَّا به، وهذه الذَّرَجُهُ دَرَجُهُ الإمامةِ فِي الدِّينِ التِي لا تَتِمُّ إِلَّا بِالصَّبِرِ واليَّقِينِ، كما قال تعالى: ﴿ وَيَمَكَلَنَا يَتُهُمْ أَيِّمَهُ يَتُهُوكِ يَأْتُهُا لَنَّا صَمَّرُكُم ۗ وَصَافَرُوا يَقِيَعَنَا يُوفِئِنَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، فهذا الدُّعاءُ بسلزمُ مِن مُصولِ الأعمالِ الصَّالحةِ، والصَّبِرِ على طاعةِ الله، وعن معصيه، وعلى أقدارِه المولِيةِ، ومن العِلمِ النَّافِعِ النَّمُ الرَّاسِةِ الذي يُوصِلُ صاحِبَه إلى درجةِ اليَّقِينِ - خَيرًا كثيرًا، وعَظاءً جزيلًا). ((تِسِيرِ الطَيْفِ المنان) (ص: ١٧).

وقيل: معنى: ﴿ وَلَمُتِمَكُنَا الِشَّكُونِكِ إِمَامًا ﴾ إن اتَّأَمُ بهم، وياتُمُّم بنا مَن بَفَدَنا. وسقَّن قال به مِن السلَفي: مجاهدًا، والحسَّنُ. يُنظر: ((فنسير ابن جرير)) (۲۷/۷)، ((نفسير السمعاني)) (۲۱/۶). وعن مجاهدِ –في رواية أخرى-، قال: (اجمَلُنا مؤتَّمِنَ بهم، مُقَتَّدِينَ بهم). يُنظر: ((نفسير ابن

جرير)) (١/٧ / ٢٣٥). قال ابنُ القبِّم عن نفسير مجاهد المذكور: (أَشْكُلُ هذا التفسيرُ على مَن لم يَعرِفُ قَذَرَ فَهِمِ السَّفَةِ وعُمْنَ عِلْمِهِم، وقال: يجبُّ أن تكونَ الآيةُ على هذا القولِ مِن بابِ المقلوب، على تقدير: واجقلِ المتَّقِينَ لنا أثنَّة، ومَعاذَ اللهِ أن يكونَ شَيِّ مقلوبًا على وَجهه! وهذا بن تمامٍ قهم مجاهدِ رحمه الله؛ فإنَّه لا يكونُ الرجُلُ إمانًا للمَّقِينَ حتى يأتمَّ بالمَّقينَ مِن فَيَّه مجاهدً على هذا الوجو الذي يَنالون به هذا المطلوب، وهو اقتِداؤُهم بالسَّفِ المُتَّقِينَ مِن قَبْلهم، تَتِجمُلُهم إلله أثمَّةً للمتَّقِينَ مِن بَهدِهم. وهذا مِن أحتنِ الفَهمِ في القرآنِ والطَّهِ، ليس بن باب القلبِ في شَهيء فتن انتَمَّ بأهلِ السَّةِ قِبْلَه، التَمَّ به مَن بغنَه ومَن معه). ((رسالة ابن القبم إلى أحد





مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا عَدَدَ شُبحانَه صِفاتِ المتَّقِينَ المخلِصِينَ ؛ بَيَّنَ بعُدَ ذلك أنواعَ إحسانِه إليهم، وهي مجموعة في أهرين: المنافع، والتَّعظيم؛ فالمنافع في قولِه تعالى: ﴿ وَلِلْقَوْلَ فِيهَا يَتَبَكُ يُحْرَوُنَ الْمُشْرَقَةَ يِمَا صَبَرُواْ ﴾، والتعظيمُ في قولِه تعالى: ﴿ وَلِلْقَوْلَ فِيهَا يَبَتَهُ وَمَكَمًا ﴾ (١٠).

﴿ أُوْلَتِهِكَ يَجْزُونَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾.

أي: عِبادُ الرَّحمنِ المتَّصِفونَ بتلك الصَّفاتِ يُثيبُهم اللهُ الغُرَفَ العاليةَ في الحَبَّةِ^(١). الجنَّةِ^(١)؛ بسبّبِ صبرِهم في المُّنيا^(١).

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٨٧).

(۲) قبل: الغرقة: المنزلة الوتونيعة، والدرجة العالية في الجنّة. ومئن قال بذلك: ابنُ جرير، والتعليق، والماليق، والماليق، والماليق، يُنظر: (زنفسير ابن المحالي، والشركائي، والقاسميّ، يُنظر: (زنفسير ابن جرير)) (۳۲ (۳۶)، (زنفسير المجازن)) (۳۲ /۳۶)، (زنفسير المجازن)) (۳۸ /۳۶)، (زنفسير المجازن)) (۳۵ /۳۶)، (زنفسير الشوكاني)) (۲۵ /۳۶)، (زنفسير القاسمي)) (۲۷ /۳۶)،

وقال الزمخشري" (المراة: يُعْرَونَ المُزُقاتِ، وهي القالاليُّ في الجَّبَّ؛ فَرَخَدَ اقتِصارًا على الواحدِ الدالُّ على الجنسِ، والذَّلِلُ على ذلك قولُه: ﴿وَهُمْ إِللَّهُوْتِ كَانِّنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧]). (زنفسير الزمخشري)(٣/ ٢٩٦). ويُنظر: ((فضير اليضاوي))(٤/ ٣٣)، ((نفسير النسفي)) (٣/ ٥٥٠). وقال الشقيطي: (الظاهرُ أنَّ المرادَ بالقُرفة في هذه الآية الكريمةِ جِسُّها الصاوقُ بغُرُفٍ كثيرةٍ). ((أضواء اليان) (٦/ ٨).

وقيل: هي الجنَّةُ. وممَّن قال بذلك: ابنُ كثيرٍ، وقال: (قال أبو جَعفرِ الباقِرُ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، والضَّحَاكُ، والشَّدَّتُّ: سُمَّيْتُ بذلك؛ لارتفاعِها). ((تفسير ابن كثيرٍ)) (١٣٣٨).

قال الماوّرُديُّ: (قُولُه تعالى: ﴿ لُوَلِيَّاكَ يُجْرَوْنِكَ الْشُوْكَ ﴾ فيها وجهان؛ أحدُهما: أنَّ الشُوقة الجنَّهُ، قاله الصَحَّاكُ، الثَّانِي: أنَّها أعلى مَنازِلِ الجنَّةِ وأفضَلُها، كما أنَّ الشُّرقةَ أعلى مَنازِلِ الشُّبا). ((نفس الماور دي)) (4/11).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧/ ٥٣٤)، ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٨٣)، ((تفسير ابن =





كما قال تعالى: ﴿ لَكِنِي اللَّذِينَ الْغَوَّا رَبُّهُم لِمُنْمَ عُرَفٌ مِن فَوْقِهَا غُرُفٌ مَنِينَةٌ تَجَرى مِن تَغَيْمُ ٱلأَنْهَرُ ﴾ [الزمر: ٢٠].

﴿ وَيُلْفَوْنَ فِيهِمَا يَحِيَّنَّهُ وَسَلَامًا ﴾.

مُناسَبتُها لِما قَبلَها:

لَمَّا كان المَنزِلُ لا يَطيبُ إلَّا بالكرامةِ والسَّلامةِ؛ قال تعالى(١):

﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهِ مَا يَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾.

أي: ويُستقبَلُ عِبادُ الرَّحمنِ في الغُرَفِ بالتحيَّةِ والسَّلام عليهم(٢).

= كثير)) (/ ١٣٣/)، (تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥)، ((أضواء البيان)) للشقيطي (١/ ٨٨٠). قال القرطيي: (هر أَوْلَتِكِكَ هُهُ حَبِرُ وَعِبَادُ الرَّحْمَةِ، والحِلْمُ، والتَّهُمُّدُ، والخوفُ، وترفُّ الإسرافِ التحلّي والتخلّي، وهي إحدى عَشْرةَ: التراشعُ، والجلمُ، والتهمُّدُ، والتخوفُ، وترفُّ الإسرافِ والإقتار، والنزامةُ عن الشَّركِ والزَّنا والقتلِ، والتوبُّهُ، وتجنُّبُ الكَيْفِ، والعفوُ عن المسيء، وقَبِلُ المواعظ والإنهالُ إلى الله). ((تفسير القرطي)) (١٣/ ٨٣).

(١) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (٢/ ٦٧٧).

(٢)يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧) ٩٣٤)، ((تفسير البيضاوي)) (١٣٢/٤)، ((تفسير ابن كثير)) (١٣٣/٦)، ((تفسير السعدى)) (ص: ٨٨٥).

قال البغوي: (وقول: ﴿ وَقَيْمَتُمُ ﴾، أي: مُلكًا. وقيل: بقاءً دائمًا، ﴿ وَمَكَنَمُا ﴾ أي: يُسلُمُ بعشُهم على بعض. وقال الكَلْبُّ: يُحتِّى بعشُهم بعشًا بالسلام، ويُريسُّ الرَّبُّ إليهم بالشَّلام. وقيل: سلامًا: أي سلامةً مِنْ الأقابِ. ((فقسير البغوي)) (٣/ ١٩٤).

وقال البقاعي: (﴿ فِيهَكَمَا يَّقِيَّكُ ﴾ أي: دُعاة بالحياةِ مِن بعضهم لبعضي، ومِن الملائكةِ الذين لا يُرَّدُ دعاؤُهم، ولا يُمترَى في إخبارِهم؛ لأنَّهم عن الله يَعظِنون، وذلك على وجو الإكرامِ والإعظامِ مكانَّ ما أهانهم عبادُ الشيطان. ﴿ وَمَكَنَكُ ﴾ أي: مِن الله، ومِن الملائكة وغيرِهم، وسلامةً مِن كلَّ أَنْوَ مَكانَ ما أصابوهم بالعصائب. ((نظم الدرر)) (٢٧/١٣).

وقال السعدي: (هُوْرُلَقُوْرَتَ فِيهَمَا يَقِيَّهُ وَسَكَنَّماً ﴾ بِن رَبِّهم، وبن ملائكيّه الكرام، وبن بعضي على بعضٍ، ويَسلّمونَ بن جميع المنغَّصاتِ والمكَّذَّراتِ). ((نفسير السعدي)) (ص: ۸۸٥). وقال ابرُّ عثيمين: (قولُّ: ﴿ فَيَمَّهُ وَسَكَنَّماً ﴾ هل هما تمرّاوفان أو تُعنايران؟





كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ يَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَمٌ ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُلَكِكُةُ يَدَّخُلُونَ عَلَيْهِم مِن كُلِّ بَابٍ * سَلَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمَ فَيْم الدَّادِ ﴾ [الرعد: ٢٣ ، ٢٤].

وقال سُبحانَه: ﴿ يَحِيَّنُّهُمْ فِيهَا سَلَهُم ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ سَلَنَّمُ قَوْلًا مِن زَبِّ زَجِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨].

وقال جلَّ جلالُه: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ بِيَا لَقُوا وَلَا تَأْتِيمًا * إِلَّا قِلَا سَلَمًا سَلَمًا ﴾ [الواقعة: ١٦، ٢٦].

﴿ حَسَلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَدًّا وَمُقَامًا ۞﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا وَعَدَسُبحانَه بالمنافِع أولًا، وبالتَّعظيمِ ثانيًا؛ بِيَّنَ أَنَّ مِن صفتِهما الدَّوامُ ١٠٠٠. وأيضًا لَمَّا كان ما سبَق ناطِقًا بدوامِ حياتِهم، سالِوين بصَريحِه، وبعَظيمِ شَرَفِهم بلازِمِه؛ دلَّ على أنَّهم لا يَبرَحون عنه، بقَولِد ٢٠٠:

﴿ خَلِدِينَ فِيهَا ﴾.

⁼ النحبَّة أعبَّه فكُلُّ سَلامٍ تحبَّة، ثم أيضًا النحبُّة كما تكونُ بالقولِ تكونُ بالفعلِ، ولهذا بُهالُ: حيَّاه بالتُّخفِ وبطيبِ المنزلِ، وما أشبَّة ذلك. قولُم: ﴿ تَجَيَّةُ وَمَلَدًا ﴾ يعني: أنهم يُلقُونَ بالتحبيّة قولًا، وبالسلامة بقاءً، يعني: يقونَ سالمينَ، وهذه المعاني ثابتُه بالنَّسبةِ لأهلِ الجنة؛ فإنَّهم يُحيِّون بانواع التحياتِ المَرْضِيَّةِ المُمْرِحةِ المسِوَّةِ، وكذلك أيضًا يَسلَمونَ من كل الأفاتِ... يُحيِّون بعشهم بعضًا، ويحيِّهم الله سبحانه وتعالى، وكذلك الملاتكةُ). ((نفسير ابن عثيمين— صورة الفرقان)) (ص: ٣٤٠).

⁽١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٨٨).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٣٧).





أي: ماكِثينَ في الغُرَفِ، لا يموتونَ، ولا يُخرَجونَ منها(١٠).

﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرُّا وَمُقَامًا ﴾.

أي: حَسُنَت تلك الغُرَفُ قرارًا لأهلِها، ومكانَ إقامةٍ لهم(١).

﴿ قُلْ مَا يَمْبُوُّا بِكُوْ رَقِ لَوْلَا دُعَا وَكُمْ مُّ فَقَدْ كُذَّبَتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۞﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها:

لَمَّا استَوعبتِ السورةُ أغراضَ التَّنويهِ بالرَّسالةِ والقرآنِ، وما تضمَّتُهُ مِن توحيدِ اللهِ، ومِن صفةِ كبرياءِ المعانِدِين وتعلُّلاَتِهم، وأحوالِ المؤمنين، وأُقيمتِ

(۱) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (۱۷ / ٥٣٥)، ((تفسير البيضاوي)) (١٣٢/٤)، ((تفسير ابن كثير)) (١٣٣/٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١٧) ٣٥٥)، ((تفسير الماتريدي)) ((٧/ ٤٤)، ((تفسير ابن كثير)) (١٣٣/١)، ((تفسير القاسمي)) (١٣٤/٤).

قال أبو منصور: (﴿ حَسَّتَ مُسْتَقَدُّ وَمُقَدَّامًا ﴾؛ تأويلُه –واللهُ اعلم– أي: حَسُنت لهم الجنَّةُ مُستقرًّا ومُقامًا؛ حتى لا يَمَلُّوا فيها ولا يُشاموا، ولا تأخَذَهم الوحشةُ والكتَّابَّةُ؛ كَتَعِيمِ الذَّبنا يُمُلُّ ويُسلَّمُ عندَ الكثرةِ وطُولِ المُقام). (زغنسير العاتريدي) (٨/٧٤).

وقال ابن كثير: (قوله: ﴿ حَـُمُنَتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أي: حُسُنت منظرًا، وطابت مَقِيلًا ومُنزِلًا). ((تفسير ابن كثير)) (٦/ ١٣٣).

وقال القاسمي: (﴿ حَمَالِينِ فِيهَا مُسَمَّدٌ مُسَمَّدٌ وَمُقَامًا ﴾؛ لسَلامة أهلِها عن الآفاتِ، وخلودِهم أبَدَ الآبادِ). ((نفسير القاسمي)) (٧/ ٤٤٦).

وقال ابن عثيمين: (المستقرَّ باعتيار المكان، والمُقامُ باعتبار ما يحصُّلُ فهم مِن النعمِ والسرورِ والتحيَّرُ وغيرِ ذلك، تقولُ: المُعامِي فيكم سرورٌ، أو مُقامِي في هذا المكان ُحرْثُ، أو ما أشبَّ ذلك. ويمكنُ أيضًا أن يُقالَ: المقامُ بالسَّبةِ للزمن، يعني: أنَّ الله أشى عليها مكانًا وزمنًا، وكَوْثُنا تُحاوِلُ أن يكوذَ بينَ اللفظينِ تغايرٌ أولى مِن الترادُّف؛ الأَثنا إذا قُلنا بالترادُّفِ في هذا وغيره صارفي المسألةِ تكورُكُ، والأصلُ عدمُ التُكرارِ؛ فحاوِلُ ما استطفَّ أن تجعلَ اللَّفظينِ متغايرين إذا أمكنَ في كلُّ آيَةٍ في آياتِ القرآنِ، وغيرِ القرآنِ). (زغسير ابن عثيين – سورة الفرقان) (ص: ٣٤١، ٣٤٢).





الحُجَجُ الدامغةُ للمعرضِينَ؛ خُتِمَتْ بأمرِ اللهِ رسولَه عليه الصلاةُ والسلامُ أَنْ يُخاطِبَ المشركينَ بكلمةِ جامعةِ يُزالُ بها غرورُهم وإعجابُهم بأنفُسِهم؛ فبيَّنَ لهم حقارتَهم عنذ اللهِ تعالى، وأنَّه ما بَعَثَ إليهم رسولَه وخاطبَهم بكتابه إلَّا رحمةً منه بهم لإصلاحِ حالِهم، وقطعًا لمُذْرِهم، فإذا كذَّبوا فسوف يَحُلُّ بهم العذابُ".

وأيضًا لَمَّا كان اللهُ تعالى قد أضاف هؤلاءِ العِبادَ إلى رحمتِه، واختَصَهم بعبوديَّه لِشرَفِهم وفَضلِهم؛ ربَّما توهَّمَ مُتوهِّمٌ أَنَّه: وأيضًا غيرُهم لِمَّ لا يدخُلُ في العبوديَّة؟! فأخبَر تعالى أنَّه لا يُبالي ولا يَعبُّ بغيرِ هؤلاء، وأنَّه لولا دعاؤُكم إيَّاه دُعاءَ العبادةِ ودُعاءَ المسألةِ، ما عباً بكم ولا أحَيِّكم، فقال¹¹:

﴿ قُلْ مَا يَعْبَوُا بِكُوْ رَقِ لَوْلَا دُعَآ وُكُمْ ﴾.

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- لِمَن أُرسِلتَ إليهم: لولا دُعاؤُكم إيَّاه لَمَا بالى، ولا اكتَرَث بكم^{٣٣}.

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٨٥).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير السعدى)) (ص: ٥٨٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (١/ ٥٣٥، ٣٩١ه). ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (٢ / ١٨٣) و (٣/ ٣٣٤). ((بدائع الفوائد)) لابن القيم (٣/٣)، ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (٣/ ٨٨). ((نفسير ابن كثير)) (١/ ١٣٤)، ((تفسير أبي السعود)) (١/ ٢٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٥).

قال الشنفيطي: (العُلماءُ اختلَموا في المصدّدِ في قَولِه: ﴿ وَثَوْلُ دُكَاثُوكُمْ ﴾: هل هو مُصَافُ إلى فاعِلِه أو المُستغطى: (العُلماءُ وعلى أنَّه مُصَافُ إلى مَدْمُؤُونَ، فاعِلِه أو إلى مَعْدِلهِ أَنَّهِ عَلَما أَنَّ المصدرَ مُصَافُ إلى مَعْمولِه أي: عبادتُكم له. وأمَّا على أَنَّ المصدرَ مُصَافُ إلى مَعْمولِه فالمُخاطِّيونَ بالإَنْ مَدْمُؤُونَ لا داعُونَ، أي: ما يَعباً بُكم لولا دعاؤه إيَّاكم إلى توحيدِه وعبادتِه على أَنَّ المَصافِق الصَّلاءُ والسَّلامُ، ((أصواء البيان)) (1/ ۸۸).





= ومثّن اختار أنَّ المصدرَ مُضافٌ إلى فاعِلِه، أي: لولا أنَّكم تَذَعَونُه: ابنُ جرير، وابنُ نِيئَة، وابنُ القَبِّم، وابنُ كثير، وأبو السعود، والسعديُّ. يُنظر: ((نَفسير ابن جرير)) (٥٣٥/١٧) ٣٦٥)، ((مجموع الفتاوی)) لابن تيمية (٢٠/٣٨)، ((نفسير البنا الفوائد)) لابن القيم (٣/٣)، ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (٣/٣/)، ((نفسير ابن كثير)) (١٣٤/،

قال الشنفيطي: (أشهَرُ الاقوالِ وأكثُرُها فايَلاً، وهو أنَّ المعنى: لولا دعاؤكم، أي: عبادتُكم له وخدّه ... واعلَمُ أنَّ قولَ مَن قال: لولا دعاؤكم، أي: دعاؤكم إيَّاي لأغفِرَ لكم، وأُعطيّكم ما سالتُم: راجعٌ إلى القولِ الأوَّلِ؛ لأنَّ دُعاءَ المسألةِ داخِلٌّ في العبادةِ، كما هو معلومٌّ). ((أضواء البيان)(١/ ٨٣).

وقال ابنُ القيم في قولِه تعالى: ﴿ ثُمَاتُؤَكُمُ ﴾: (المرادُ به نوعَا الدُّعاء، وهو في ُدعاءِ العبادَةِ أظهرُ، أي: ما يَمَناً بكم لولا أنَّكم تعدون، وعيادَتُه تَستلزُمُ مسألُتُه؛ فالنُّوعانِ داخِلانِ فيه). ((بدائم الفوائد)) (٣/٣). ويُنظر: ((مجموع القناوى)) لابن ثمِينةِ (٥/ ١٧).

وقال السعدي: ﴿﴿ لَوَلَا تُعَارُّكُمْ ﴾ إِنَّاه دعاءَ العبادةِ، ودعاءَ المسألةِ). ((تفسير السعدي)) (ص. ٨٨٠).

وقال الشنقيطي: (وعلى هذا القولِ فالخِطابُ عامٌّ للكافرينَ والمؤمنينَ، ثُمُّ أفَرَد الكافرينَ دونَ المؤمنينَ بقولِه: ﴿فَقَدَّ كُذَّبُتُهُ ...﴾ الآيةَ). ((أضواء البيان)) (٨٢ /٣).

وذكر الشنقيطي قولينِ آخَرينِ مِنتَيْنِ أيضًا على كونِ المصدرِ مُضافًا إلى فاعلِه:

الأول: أنَّ المعنَى: لولا دُعاؤكم أيُها الكَفَّارُ له وحُدَه عندَ الشَّدائدِ والكروبِ، أي: ولو كشُم تَرجعونَ إلى شِرْكِكم، إذا كَشْف الشُّرَّ عنكم.

ومنّن اختار هذا المعنى، وهو أنَّ الخطابُ للمشركينَ، وأنَّ المرادَ دعاؤُهم عندَ الشدائد: جلال الدين المحليُّ، وابرُّ عثيمين. يُنظر: ((نفسير الجلالين)) (ص: ٧٩٤)، ((نفسير ابن عثيمين-سورة الغرقان) (ص: ٣٤٥).

الثاني: أنَّ معنَى هُوَايَمَسَيُّوُا يِكُورَنِهُ هِهِ، أي: ما يصنَّعُ بعلنابِكم، لو لا دُعاؤكم معه آلهة أُخرى. وقال عن هذا القول الأخير: (ولا يخفَى بُعُدُ هذا القولِ، وأنَّ فيه تقديرَ ما لا دلِيلَ عليه، ولا حاجة إليه، ((أضواء البيان)) (1/ ۸۲/ ۸۲).

وقيل: إنَّ المصدرَ في قولِه: ﴿وُمُعَآوُكُمُ ﴾ مُضافٌ إلى مفعولِه، فالمخاطَبونَ بالآيةِ مَدعُوُونَ، فالمعنى: ما يصنمُ بكم ربَّى لولا دعاؤُه إِنَّاكم إلى الإيمانِ به وتوحيلِه وعبادتِه. وممَّن قال =





﴿ فَقَدْ كُذَّ بَتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾.

أي: فقد كذَّبتُم - أَيُّها المُشرِكونَ- بالحَقِّ، فسوف يكونُ العذابُ مُلازِمًا لكم في النُّنيا والآخرة؛ جزاءَ تكذيبكم (١٠).

= بذلك: الفرَّاءُ، وابنُ العربي، والشنقيطيُّ. يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (٢/ ٢٧٥)، ((أحكام القرآن)) لابن العربي (٣/ ٤٣٠)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٨١ - ٨٥).

وقال البقاعي: (أي: أثيها الكافرون... ﴿ وَلَوَلَا تَمَالَّوَكُمْ ﴾ أي: نداؤكم له في وقت شدائيركم الذي أنتم تباورون إليه فيه؛ خضوعًا له به ليُتجبّكم، فإذا نعلتُم ذلك أنقذكم مما أنتم فيه؛ معاملةً لكم معاملةً مَن بيالي بالإنسان، وبعتدُّ به ويُراعيه، ولولا دعاؤه أيّاكم لتَعْبُدوه؛ رحمةً لكم؛ لِتَرْكُوا أَنفُسُكم، وتَصْغُوا أَعمالُكم، ولا تكونوا حطبًا للنارٍ). (زنظم الدرر)) (٢٤٨/١٣). ويُنظر: ((تفسير ابن عشيين - سورة الغرقان)) (ص: ٢٤٤، ٢٤٥).

(١) يُنظر: ((نفسير ابن جربر)) ((۱۷/ ۳۵۰)، ((نفسير القرطبي)) (۱۳/ ۸۵، ۸۸)، ((مجموع الفتاوی)) لابن تيمية (۱۳/ ۲۳۸)، ((نفسير ابن کثير)) (۱۳٪ ۲۵)، ((نفسير السعدي)) (ص: ۸۸۵)، ((نفسير ابن عاشور)) (۱۸/ ۸۸)، ((أفسوا، البيان)) للشقيطي (۱/ ۸۶).

قال ابن جُزى: (﴿ فَسَوْقَ يَحَكُنُ لِزَامًا ﴾ أي: سوف يكونُ العذابُ لِزامًا ثابتًا، وأضمَرَ العَذابَ، وهو اسمُ كان؛ لأنَّه جزاءُ التَّكذيب المتقدِّم). ((نفسير ابن جزى)) (٨٧/٢).

وقال البيضاوي: (﴿ فَمَوْنَ يَعَكُنُ إِرْاَنَا ﴾ يكونُ جزاءُ التَّكذيبِ لازمًا يَحيقُ بكم لا محالةً، أو أثرُه لازمًا بكم حتى يُكُبُكم في النَّار). ((تفسير البيضاوي)) (١٣٢/٤).

وقال ابنُ جرير: (يكونُ تَكذيبُكم رَسولَ رَبِّكم، وخِلاقُكم أمرَ بارِيْكم: عَذابًا لكم مُلازِمًا). ((تفسير ابن جرير)) (٩٣٧/١٧).

وقال الفرطبي: (﴿ فَسَوْقَ يَصَّوُّنُ يُوَاتُكُا ﴾ أي: يكونُ تكذيكِم لملازِمًا لكم. والمعنى: فسوف يكونُ جزاءُ التُكذيبِ... وحُسُنَ إضمارُ التكذيبِ اتقتَّم ذِكرٍ فِعلِه؛ لأَثْك إذَا ذَكْرَتَ الفِعلَ دَلَّ بِلَمَظِهِ على مُصْدَّره). (تفسير الفرطبي)) (١٣/ ٨٥).

وقال ابنُّ جُزي: (واختُلِفَ: هل يُرادُ بالمَذابِ هنا الفَتلُ يَومَ بَدرٍ، أو عذابُ الأخرةِ؟). ((تفسير ابن جزى)) (// ۸۷).

وقال الفرطبي: (جمهورُ المفَّسُرِينَ على أنَّ المرادَ باللَّزَامِ هنا: ما نَزَل بهم يومَ بَدِه، وهو قُولُ عبدِ الله بن مُسمودِ، وأُتِي بنِ كَعبٍ، وأبي مالِكِ، ومجاهِدٍ، وتُقاتِلٍ، وغَيرِهم). ((تفسير الفرطمي)) = (١٣/ ٨٨).





عن عبد اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عنه، قال: (خمسٌ قد مَضَيْنَ: الدُّخَانُ، والقَمَرُ، والرُّومُ، والبَّطشةُ، واللَّزامُ^(۱) ﴿فَسَوَى يَكُونُ لِزَامًا ﴾)".

الغُوائِدُ التَّربويَّةُ:

ا – قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّذِي لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ ولم يَقُلْ: بالزُّورِ؛ لأنَّ ﴿ وَلَمْ يَقُلْ: بالزُّورِ؛ لأنَّ ﴿ وَشَهَدُونَ ﴾ بمعنى: "يَحضُرونَ ، فمدَحَهم على تَركِ حُضورِ مجالسِ الزُّورِ، فكيف بالتَكَلُّم به وفِعلِه (٣٠)!

٢- لا يجوزُ الاستِماعُ إلى الكلامِ الفاحشِ؛ لأنَّ اللهَ وصَفَ عِبادَ الرحمنِ،
 فقال: ﴿ وَاللَّيْنَ كَانِشْهَدُونَ الزَّوْرَ ﴾، فكلُّ شيء حرام لا تستيم إليه، ولا تقرأَهُ^(١).

٣- بعْدَما ذكَرَ تعالى مِن صِفاتِ عِبادِ الرَّحمنِ ما ذكَرَ، ذكَرَ استماعَهم للتَّذكيرِ،

= وقال ابن كثير: (﴿ مُسَرَقَى يَكُورُ إِرَامًا ﴾ أي: فسوف يكونُ تكذيكهم إرامًا لكم، يعني: مُفتَضِيًا لهلاكِكم وعَذابِكم وعَدابِكم في الشَّيَا والآخِرة، ويَدخُّلُ في ذلك يومُ بَدِن كما فَشَره بذلك عبدُ الله بنُ مَسمودِه وأَيُّي بنُ كَمَّي، ومحمَّدُ بنُ كَمْسٍ الفَّرَطَيُّ، ومجاهدٌ، والضَّخَاكُ، وتَنادهُ والشَّديُّ وغيرُهم ، وقال الحَسَنُ البَصريُّ، ﴿ مُسَوِّقَ يَكُورُ لِرَامًا ﴾ يعني: يومَ القيامةِ. ولا مُنافاة يَسَهما، ((نفسير إن كير)) (/ ١٣٤ / ١٩٣).

(١) الدُّخانُ: المشارُ إليه في قَولِه تعالى: ﴿ يَرْمَ كَأَنِي النَّسَائُةِ بِثُخَانِ ثُمِينٍ ﴾ [الدخان: ١٠]. والفَمَرُ: المشارُ إليه في قَولِه تعالى: ﴿ أَفَرْيَتِ النَّائَةُ وَانْشَقَ اَلْفَكُو ﴾ [القمر: ١].

والرُّومُ: المشارُ إليه في قَولِه تعالى: ﴿ الَّهَ * غُلِبَ الرُّومُ ﴾ [الروم: ١، ٢].

والتَطْشَةُ: المشارُ إليها في قَولِه جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَهُوَ بَلِشُ ٱلْكَشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [الدخان: ١٦]، وهو القَتْلُ بِعَ بَدر.

واللَّواجُ: المشارُ إليه في قوليه تعالى: ﴿ هَمَوْنَ يَسَطَوُ لِزَامًا ﴾). قبل: يَدخُلُ في ذلك يومُ بَعوٍ. وقبل: بعنى: يَومَ القيامةِ؛ لأَنَّه لتحقُّقِ وقوعِه عُدَّ ماضيًا. يُنظر: ((شرح القسطلامي)) (٧/ ٢٧٧). (٢) دواه البخاري (٤٧٧٧) واللفظ له، وسلم (٢٧٩٨).

(٣) يُنظر: ((إغاثة اللهفان)) لابن القيم (١/ ٢٤٢).

(٤) يُنظر: ((لقاء الباب المفتوح)) لابن عثيمين (اللقاء رقم: ١٦٨).





فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِيكَ إِنَّا نُحَصِّرُواْ يَعْائِكُ رَبِهِمْ لَرَ يَجِرُواْ عَلَيْهَا صُمَّا وَمُعْيَانًا ﴾؛ تنبيها على أنَّ التَّذكيرَ مُحتاجٌ إليه في كلِّ حالٍ، فإذا كان الموصوفونَ بتلك الصَّفاتِ يَحتاجون إليه فغيرُهم أولى؛ وذلك لأنَّ الغفلةَ مِن طَبِّع الإنسانِ، ودوامُ الغفلةِ صدَّاً القلوب، وصِقالُها هو التَّذكيرُ (١٠).

٤ - قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ إِذَا ذُصِحْ وَوَا يَنَايَبُ رَقِهِمْ لَمْ يَخِرُواْ عَلَيْهَا شَمَّا وَوَهُمْ اللّهِ تعالى: ﴿ وَاللَّهِ عَلَمُ اللّهِ عَلَمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُولِي الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

هَولُه تعالى: ﴿ لَرَ يَغِرُّوا مَلَيْهَا صُمَّا وَغُمْيَانًا ﴾ فيه تقبيعٌ لعدَم التفهَّم والتدبُّرِ
 للآيات، وتحذيرٌ منه، وتنبيةٌ على أنَّ الانتفاع بالقرآنِ الذي تتفتَّحُ به البصائرُ،
 وتتَسِعُ به المدارِكُ، وتنهذَّبُ به الأخلاقُ، وتتزَّكى به النفوسُ، وتتقوَّمُ به الأعمالُ، وتستقيمُ به الأحوالُ: إنَّما يكونُ بتفهَّمِه وتدَبُرِه، دونَ مجردِ الانكبابِ عليه بلا تَفَهَّم ولا تدبُرُ ("!

٣- في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ يَعُولُونَ رَبّنا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَجِنَا وَدُرْرَئَانا شُـرَةً أَعَيْبُ وهذا أَعَيْبُ وهذا أَعَيْبُ وهذا أَعَيْبُ وهذا أَعَيْبُ وهذا أَعَيْبُ وهذا يقتبه بقَدْ والمنطاعة لتحصيلِ ذلك فيهما؛ ليقومَ بالسّبينِ المشروعينِ مِن السعيِ والدعاء؛ فعليه أنْ يختارَ ويجتهدَ عندما يريدُ التزوُّج، وأنْ يَقصدَ إلى ذاتِ الدِّينِ، وفي اختيارِ واجتهادِه في جانبِ الزوجةِ سَعْيٌ في اختيارِ الولدِ؛ فإنْ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٣٣٤).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٥).





الزوجةَ الصالحةَ شَانُها أن تُربِّي أولانها على الخَيرِ والصَّلاحِ، ثمَّ عليه أنْ يقومَ بتعليمِ زوجِه وأولادِه، وتهذيبِهم وإرشادِهم، فيكونَ قد قام بما عليه في الابتداءِ والاستِمرارِ، مع دوام النصْرُّعِ إلى اللهِ تعالى والابتهالِ".

وقال الحسنُ في هذه الآيةِ: (واللهِ ما شيءٌ أحبَّ إلى المرءِ المسلمِ مِن أَنْ يرَى ولدًا أو والدًا أو حميمًا أو أخًا مُطيعًا للهِ عزَّ وجلَّ \".

٨- قال الله تعالى: ﴿ وَتَعْصَلْنَا اللّهُ تَعْلَى إِمَانًا ﴾ طَلَبُ الرُّتِ العُليا في الخَيرِ والحَمالِ، والسَّنْقُ إليها، والنقدُّم فيها: هو ممّا يَدْعونا إليه اللهُ، ويُرَغَّبُنا بهشلِ هذه الآية فيه، كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّيْقُ الشَّيْوَ الشَّيْوَ اللّهِ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله اللهُ عَلَبٌ الكمالِ كمالٌ، والنَّ من كانت غايه الرُّبَتِ العليا إنْ لم يَصلُ إلى أعلاها لم يَنحَظُ عن أدناها، وإنْ لم يُساوِ أهلَها لم يَبعُدُ عنها، ومَن لم يَظلُبِ الكمالَ بقِي في النقصِ، ومَن لم تكن له غايةٌ ساميةٌ قَصَرَ في السَّمِ، وتوانَى في العملِ؛ فالمؤمنُ يَطلُبُ أسمَى الغاياتِ، حتى إذا لم يَصِلْ لم يَبعُدُ، وحتى يكونَ في مَظلِّةُ الوصولِ بصحَّةِ القصدِ، وصِدْق النَّيَةُ (''.

٩ - هذا الدعاء ﴿ وَلَجْعَلْنَا لِلمُّنَّقِينِ إِمَامًا ﴾ يتضمَّنُ ثلاثة أمورِ: العِلم، والتَّقوى،

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٨).

⁽٢) أخرجه عبد بن حميد، كما في ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/ ٢٨٤).

⁽٣) أخرجه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٦/ ٤٠٣) (٨٦٦٨)، ويُنظر: ((الدر المنثور)) للسيوطي (٦/ ٢٨٤).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٨).





والتأثير؟ لأنَّ مَن لم يكُنْ عالِمًا لم يكُنْ قُدوة، ومن لم يكُنْ مُقَيَّا لم يكُنْ مُدوة، ومَن لم يكُنْ مؤثَّرًا لم يكُنْ قُدوة أيضًا، والتأثيرُ بالقولِ والفعلِ له دَورٌ كبيرٌ، تَجِدُ مَثَلًا رجُلينِ مُتقارِبينِ في العِلمِ، لكنْ أحدُهما يَصرِفُ اللهُ القلوبَ إليه فيَتَّجَذُونَه قُدوةً، والآخَرُ لا يحصُلُ له هذا الأمرُ؛ فلهذا نقولُ: نَزيدُ على العِلمِ والتَّقوى التأثيرَ، والتأثيرُ -كما هو معروفٌ - يكونُ سببُه قوَّة البيانِ والفصاحة، إذا كان التأثيرُ بالقولِ، ويكونُ سببُه أيضًا الاستِقامةَ رحُسْنَ السُّلوكِ إذا كان تأثيرًا بالفعلِ. وعلى كلَّ حالٍ فلا تِتمُّ الإمامةُ إلَّا بهذه الأمورِ الثَّلاثِةِ: العِلمِ، والتَّقوى، والتَّاثيرِ بالقولِ أو بالفعل^(١).

١٠ - في قولِه تعالى: ﴿ أُولَتَهِكَ يَعْرَوْكَ الْمُشْرَقَ مَهَ الشَّرِعَ الْهُ وَكَالَةٌ على السَّبِ الذي أفضَى بهم إلى هذا الجزاء العظيم، وهو أعمالُهم، وذلالةٌ على السببِ الذي تَمَكَّنوا به مِن القيام بهذه الأعمالي، وهو الصَّبرُ، فلا يَنهَضُ باميتالِ المأموراتِ وتزلهِ المنهيَّاتِ إلَّا مَن صَبَرَ، والصبرُ خُلْقٌ مِن الأخلاقِ التي تتربَّى وتنمو بالعِرانِ والدَّوامِ؛ فواجبٌ على المكلَّفِ أَنْ يَجعَلَ تربيةً نَفْسِه عليه وتعويدَها بم مِن أكبرِ هَمَّه؛ إذْ لا يقومُ بالتكالفِ الشرعية إلَّا به، بل ولا يستطبعُ الحياة في هذه الداوِ الذُّينا الموضوعةِ على المحدِّة والإبتاءِ إلَّا إذا إمسًاك بسبه ١٠٠٠.

١١ - قال تعالى: ﴿ أَوْلَتُهِكَ يُجْرَوْنَ الْمُرْوَعَةَ بِمَا سَكِمُوا وَلِلْقُونَ فِيهَا عَجَيَّهُ وَسَلَامًا وَلَمُلَوْنَ فِيهَا عَجَيَّهُ وَسَلَامًا ذَكَرَ سبحانَه في الآياتِ المتقدِّمةِ صفاتِهم وأعمالَهم؛ ذَكْر ما أَعَدَّ لهم مِن عظيمِ الجزاءِ على تلك الأعمالِ؛ تنبيهًا على ما وَضَعَه تعالى بمشيئتِه وحكمتِه ورحمتِه من الارتباطِ بين هذه الأعمالِ وهذا الجزاء، وإفضائها إليه

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٣٢٨).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٤٢).





إفضاء السبب لمستبيعه اليسعى الراجون لهذا الجزاء من طريق هذه الصفات وهذه الاعمال، كما يُسعى لسائر المستببات من طريق أسبابها، وتُوتى جميعُ الأمور مِن أسبابها، وفي هذا حتَّ لأهل هذه الأعمال على التمسَّك بما هم به عاملون، وتنبيهٌ لأهل المغرور على بُطلانِ ما هم به مُعتَرُّون، والكَيِّسُ مَن دانَ نَفْسَه وعَمِلَ لِمَا بعَدَ الموت، والعاجزُ مَن أثبتَمَ نَفْسَه هواها، وتمنَّى على الله الأمانيَّ (١٠).

17 - قد أفادت الآياتُ السَّابقةُ كَمالَ حالِ عِبادِ الرَّحمنِ في نفوسِهم وغُقولِهم، وأفادت الآياتُ السَّابقةُ كَمالَ حالِ عِبادِ الرَّحمنِ في نفوسِهم وغُقولِهم، وأخلاقِهم، وأفادت عظيم مَنزلتِهم عند ربَّهم، ورفيمَ ما أعَدَّ لهم مِن درجاتِهم؛ جزاءً على صالحاتِهم وحَسَناتِهم، وجاءتُ هذه الآيةُ ﴿ قُلْ مَا يَسْبَوُ لَيَكُونُ لِزَامًا ﴾ لِيُغيدَ أنَّ ذلك المقامَ العظيمَ -الذي كان عند ربَّهم - إنَّما هو بسبّبِ عبادتِهم، وتُعلِنَ للنَّاسِ أنَّ عبادتَهم هي الشَّيءُ الوحيدُ الذي يكونُ لهم به قدْرٌ وقيمةٌ عندَ ربِّهم، وبدونها لا يكونون شيئًا يُهالى به، وأنَّ مَن كَذَّبَ وَخلَعَ بتكذيهِ وبقةً العبادةِ، فقد حقَّتْ عليه كلمةُ العذاب، وهو واقعٌ به لا محالةً".

17 - قال الله تعالى: ﴿ فَلْ مَا يَصْبَوُا يَكُرْ رَبِ لَوْلَا دُعَاوَٰكُمْ ﴾، قد بُبُنَ لك الطريقُ الذي يُوصِلُك إلى مولاك، ويُرقيك في مراتب كمالِك وعُلاك، وما هو إلا عبادة ربّك، فكُن عبدًا له في اختيارِك واضطرارِك، وفي جميع أحوالِك، واحذَرْ أَنْ تعرجَه بشّيء مِن عبادتِك لخيرِه، ومن عبادتِك حبل هو أصلُ عبادتِك حقاؤك وسؤالُك واستِغائتُك؛ لغيرِه، ومِن عبادتِك احتاؤك وسؤالُك واستِغائتُك؛ فإيّاك أَنْ تتوجَّة منه بشّيء لغيرِه، فكنْ دائمًا عبدًا لله، وكُنْ دائمًا عبدًا لله، وكُنْ دائمًا عبدًا لله،

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ۲٤٠).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٤٣).





وحُدَه؛ فذلك حَقُّه عليك، وذلك هو السببُ الوحيدُ الذي يُنجيك ويُعليك'``.

الغُوائدُ العلميَّةُ واللَّطائفُ:

 ١ - قولُه تعالى: ﴿ وَالنِّيرِ> لَا يَشْهَدُونِ الزُّورَ ﴾ فيه ثناءٌ على المؤمنينَ بمقاطَعة المشركينَ وتَحبُّنهم (").

 ٢- في قوله تعالى: ﴿ وَلِقَامَهُ إِللَّهُ مِرْهُ الْحِيامُ ﴾ إشارةٌ إلى أنَّهم لا يَقصِدون حُضورَه ولا سماعَه، ولكنْ عند المصادقةِ - التي مِن غير قصدٍ - يُكرِ مون أنفُسهم

٣- قولُه: ﴿ وَالَّذِيتَ إِنَّا دُكِرُواْ بِعَائِدِ رَبِّهِ لَرَ يَغِرُّواْ عَلَيْهَا صَمْنًا وَعُمْدِياً كَا هِمَا أَحْسَنَ اقْتِرانَ هذا الوصف مع قولِه: ﴿ وَإِنَّا مُرَّا إِلَالَةٍ مَرَّواْ حَكِمًا ﴾! لا يَختلِطُ جِدُّهم بَهْزُلٍ، وحَقَّهم بباطِلٍ، فإذا اعتراهُمُ الهَزْلُ تَنزَّهوا عنه كلَّ تَنزُّه، وإذا اشتَخَلوا بالحقَّ لا يَحولُه الباطلُ حَوْلَه ('').

٤ - في قَولِهِ تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَتُولُوكَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزَفَجِمَنَا وَثُرِيَّائِنَا فُسُرَةَ أَعْبُوبٍ ﴾ الدُّعاءُ بصَلاح الزَّوجاتِ والأولادِ والذريَّة' ''.

٥- قد فُطِر الإنسانُ على محبَّبِه لنفْسِه؛ لِتَحْمِلَه هذه الفِطرةُ على المُحافظةِ
 عليها، والدُّفاعِ عنها، وتكميلِها بكلَّ وُجوهِ الكَمالِ، وكان مِن مُقتضى هذه
 المحبَّةِ رغْبتُه في الوجودِ والبقاءِ، وممَّا هو قوَّةٌ في وُجودِه ومُظهِرٌ لبقائِه: أنْ يَرى

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٤٦).

⁽۲) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (۱۹/ ۷۸).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٥٨٧).

⁽٤) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٠٠).

⁽٥) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١٩٨).





النَّاسَ على فِكْرِه وصِفاتِه وأحوالِه؛ فيَرى نفْسَه مُمثَلَّةً في غيرِه، وأفكارَه وصِفاتِه وأحوالَه باقيَّةً ببقاءِ النَّاسِ؛ فالخيرُ الكاملُ مِن طبْعِه، ومِن مُفْتضى فِطرتِه أَنَّه يُحِبُّ انتشارَ الخيرِ والكمالِ في النَّاسِ. والشَّرِّيرُ النَّاقصُ مِن طبْعِه، ومِن مُفْتضى فِطرتِه أَنَّه يُحِبُّ انتشارَ الشَّرَّ والنَّقصِ فيهم؛ فلذا كان لازمًا لتَتميم وصْفِ عِبادِ الرَّحمنِ ذِكْرُ محبَّيْهم الخيرَ والكمالَ لغيرِهم، قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّينَ يَعْوَلُونَ رَبَّنَاهَ لَنَا مِنْ أَذَوْجَنَا وَلْإِيكَانِنَا فَشَرَةً أَعْثُرَبٍ وَلَجْمَانَا لِلْمُنْقِينَ إِمَّالًا ﴾.

وقد تخفّى عليك دخيلة نَفْسِ الإنسان، فيُمكِنُك أن تَغْرِفَها بما يجري به لسانُه؛ فإذا جَرَتْ كلماتُه بمحبَّة انتشار الخَيرِ والكمالِ فهو مِن أهلِهما، وإذا جَرَتْ بالضَّدُّ فهو على الضَّدُ؛ فما يُحِبُّ الإنسانُ انتشارَه هو الدليلُ على صِفاتِ نَفْسِه، وهو ميزانٌ تَزَنَّه به في الشَّرُ والخَيرِ، والنَّقص والكمالِ".

٦- قولُه تعالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَلِجِنَا وَذُرْيَكَذِنَا شُـرَةً
 أَقَمُّب ﴾ فيه جوازُ الدُّعاءِ بالولدِ⁽¹⁾.

٧- في قَولِه تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنَا هَتَ النّابِيّ صَلَّى الْأَوْتِهَ الْأَرْتِيكِنَا شُرّقًا النّبِيّ صلَّى الله عليه وسلّم، أَقَدُّب ﴾ أنَّ التزوُّج وطلّب الشّغلِ هو الشّنَّةُ؛ سُنَّةُ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلّم، وسُنَّةُ أسحوبه عليه من شريعتِه الحديثة يقد المتنفيّة السّموجة الرَّهبائيَّةُ والتَّبَيِّلُ، وقد رأى قرمٌ مِن الزهادِ رُجحانُ الانقطاعِ إلى العبادةِ على النزوجِ والذريَّة، فردَّ عليهم أشتُهُ الدَّينِ والفتوى بأنَّ في التزوَّج اللّه على الما هو مِن أعظم العنور بأنَّ في التزوِّج التباعا للشُّنَةِ، وفي السَّعي على الأهل ما هو مِن أعظم العبادةِ، وفي التوقيِّة وفي التروَّج تكثيرَ سَوادِ الأمَّةِ والمدافعينَ عن الولَّة والقائمينَ بمصالحِ

⁽۱) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٦). .

⁽٢) يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (١٣/ ٨٢).





الدِّينِ والدنيا، وفي هذا ما فيه مِن الأُجرِ والمثوية، وفي التبَّلِ مخالفةَ السَّيْة، وانقِطاعَ النسلِ، وضَعفَ الأَمَّةِ، وتعطيلَ المصالحِ، وخرابَ العُمرانِ، وكفَى بهذا كلَّه شرًّا وفَسادًا(¹⁰!

٨- قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَنِهِنَا وَدُرْتِنَا فَـرَّةً
 أَعَرُبٍ ﴾ ما تقرَّ به الأعينُ يحصُلُ به الفرّحُ والسرورُ ؛ فالفرّحُ والسرورُ بما هو خيرٌ وطاعةٌ، من حيثُ إنَّه نعمةٌ مِن اللهِ وفَضلٌ : محمودٌ ومَشروعٌ ".

٩- في قَولِهِ تعالى: ﴿وَلَتِمَكَنَا لِلْمُنَقِيرِ إِمَامًا ﴾ حُجَّةٌ على أنَّ فِعلَ العبدِ مخلوقٌ للهِ تعالى؛ لأنَّ الإمامة في الدَّينِ لا تكونُ إلَّا بالعلمِ والعمَلِ، فدلَّ على أنَّ العِمامة في الدَّينِ لا تكونُ إلَّا بالعلمِ والعمَلِ، فدلَّ على أنَّ العِمام والعمَلَ إنَّما يكونان بجَعل اللهِ تعالى وخَلقه.

ا - في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَعَكَنْكَ اللَّهِ مَنْكَلِ اللَّهِ عَلَيْلٌ على أَنْ حُبَّ المنزلةِ الرَّفيعةِ والإشارة به إلى مُحبِّة في الدّينِ، ليس بمُنكرٍ إذا أحبَّه المُحِبُّ جلالةً للإسلام، وظُهورًا لنعمةِ الله عليه فيه، بل هو طاعةٌ ؛ إذْ قد أثنى الله على طالبيه فيما دَعُوه به، كما ترى(١٠).

١١ - في قَولِه تعالى: ﴿ وَالْجَمْكَةَ اللَّهُ اللَّهِ الْمِامَةِ لَهُ ذَلِلٌ على فضيلةِ الإمامةِ في الدّين، ومنها إمامةُ المساجِد؛ فإنَّ الإمامَ في المسجدِ إمامٌ للمتقينَ؛ لأنَّ الذين يأتون للصَّلاةِ متّعونَ إنْ شاء اللهُ، فهو إمامٌ لهم، فيلُنُ ذلك على فضيلةِ تولِّي الإمامةِ في المساجِدِ، وفضلُ الإمامةِ في المساجِدِ مَعلومٌ، ولو لم يكُنْ منها إلَّا أنَّ الإنسانَ يكونُ قُدوةً، وأنَّ الإمامةَ تُعينُه على أداءِ الصَّلاةِ، فالإمامُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٧).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٣٨).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٤/ ٤٨٧).

⁽٤) يُنظر: ((النكت الدالة على البيان)) للقصاب (٣/ ١٨٥).





لا تفوتُه الصَّلاةُ كُلَّ يَومٍ، وغيرُه نفوتُه أو يفوتُه بعضُها، كذلك الإمامُ إذا تكَلَّم يُسمَعُ له أكثرَ، وكم مِن إنسانٍ ما برَز وظهرَ إلَّا بسبَبِ إمامتِه، لا سيَّما إذا تولَّى الخَطابةَ (١).

١٢ - قال الله تعالى: ﴿ وَتَجْمَلُنَا لِلسُّقِينِ إِمَامًا ﴾ مِن الدِّينِ الاقتداءُ بأهلِ العلم والعمل والاستقامة في الهَدي والسَّمتِ (").

١٣ - قال الله تعالى: ﴿ وَكَجْعَكُنَا لِلنَّنَقِيرَ إِمَامًا ﴾ لا يكونُ الإمامُ إِلَّا تقبًّا فاق غيرَه في التقوى(").

٤ - في قَولِه تعالى: ﴿وَكَعْمَانَكَالِلْمُنْقِينِ إِمَانًا ﴾ أنَّ اقتداءَ المتَّقين بأنتَّتِهم إنَّما هو في التقوى؛ لأنَّهم ما كانوا أثمةً إلَّا بها، فالآيةُ أفادتُ أنَّ المتَّقين يَقتدون بائتَّتِهم، وأنَّ اثمَّتَهم مَتَّقون مِثْلُهم، وأكمَلُ منهم تقوى، وأنَّ اقتداءَهم بهم في التقوى لا في غيرِها، فمَن حاد عنها فلا إمامةً له(1).

١٥ - في قولِه تعالى: ﴿ قُلْ مَايَشَبُؤُا بِكُرْرَقِ ﴾ كمالُ قدرةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّه لا يَعبَأُ بأَحَدِ مِن خلقِه مهما كَثُرُوا عَددًا وعُدَّةً (١٠).

الله عَلَى قَولِه تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَمْ بُؤُا بِكُرْ رَقِ لَوْلاً دُعَا أَدُكُمْ ﴾ عِظْمُ فضيلةِ
 الدُّعاء ١٠٠.

١٧ - في قَولِه تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَمْجَؤُا بِكُرُ رَقِى لَوْلَا دُعَآ أَثُكُمْ ﴾ أنَّ الدُّعاءَ مانِعٌ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٣٢٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٨).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٢٣٩).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٣٣٩).

⁽٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٣٤٦). (1) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١٩٨).





مِن العُقوبةِ(١)، وذلك على قولٍ في التفسيرِ.

١٨ - الأمنُ مِن عذابِ اللهِ وحُصولُ السَّعادةِ إنَّها هو بطاعتِه تعالى؛ لِقُولِه:
 ﴿ مَّا يَنْفَكُ لَ اللهِ يَعْدَالِكُمْ إِن شَكَرَّتُمْ وَءَامَنَتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧]، وقال تعالى:
 ﴿ فَلُ مَا يَمْتَبُونُ إِيرِّوْ رَيْ الرَّكُ وَمَا وَحُصَمْ ﴾ أي: لو لم تَذعُوه كما أمَرَ فتُطيعوه فتعبُدوه وتُطيعوا رسُلَهُ؛ فإنَّه لا يَعبأُ بكم شَيئًا").

١٩ - قولُه تعالى: ﴿ لَوَلا دُمَّاقُكُمْ ﴾ فيه إثباتُ الأسبابِ، وفيه أيضًا إثباتُ الموانع لِمَا انعقَدَ مسبَّه، وإثباتُ الأسبابِ لِمَا لم يوجَدْ حتَّى يكونَ "".

٢ - قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا يِكُرْ رَقِ لَوَلا دُعَّا أَيْكُمْ ﴾ لَمَّا كانت مقاديرُ
 العِبادِ عند ربَّهم بحسَبِ عبادتِهم، فالأنبياءُ عليهم السلامُ أعلى النَّاسِ منزلةً عندَ
 الله؛ فهم أعظمُهم عبادةً لله، وهم أتقاهم له، وأشدُهم خشيةً منه (١).

٢١ - قال الله تعالى: ﴿ قُلُ مَا يَصَرُّوا يَكُو رَيْ لَوْلاَ دُعَآوُكُمْ مَّفَدْ كَذَبَّهُ فَمَوْنَ يَكُنُ يُزِنَكُ ﴾ في قولِه: ﴿ لِزَنِكُ ﴾ تنبية على ضَعفِهم وعَجزهم، وذُلَهم وقَهرهم؛ لأنَّ المازومَ لا يكونُ إلَّا كذلك، فأشرُهم يومَ بدرٍ مِن أفراد هذا التَّهديد؛ فقد انظيق آخِرُ الشَّورة على أوَلِها بالإندار بالفُرقانِ لِمَن أنكرَ حقيقةَ الرَّحمن (٥٠).

بلاغةُ الآيات:

١ - قولُه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِنَا مَرُّواْ بِاللَّفِو مَرُّواْ كِرَامًا ﴾

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٣٤٦).

⁽٢) يُنظر: ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (٢٧/ ٤٣٣).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٣٤٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٣٤٥).

⁽٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٤٣٩).







- قولُه: ﴿ وَلِنَا مَرُّهَا بِاللَّقِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ إذا فُشر قولُه: ﴿ لاَ يَشْهَلُوكَ الْزُودَ ﴾ بائَهم يَغِورون عن مَحاضرِ الكذَّابِينَ والخَطَّائِينَ، على أنَّ ﴿ يَشْهَلُونَ ﴾ بمعنى يَحضُرون؛ كانت كالتَّميمِ له، وإذا فُسَر بانَهم لا يَشْهَدُونَ شَهادة الزُّورِ كانت كالتَّكميلِ له، ويجوزُ أن يكونَ تَتميمًا على تفسيرِ ﴿ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾: لم تُسفَّهُهُم المعاصي؛ لأنَّ مَن وقفَ مواقفَ الشُفهاء شُفّة، ويكونُ قَدْحًا في عدالتِه (الله في القرآنِ: أنْ تأتِي مِثلُ هذه الآياتِ بوُجوهِ مِن الاحتمالاتِ كأنَّها مُتناسِباتِ غيرَ مُتناقضاتٍ؛ فنكونَ الآيةُ الواحدةُ بتلك الاحتمالاتِ كأنَّها آياتٌ، فهذه الآيةُ باحتمالِها معنيينِ -الَّذين لا يَحضُرون مجالِسَ الزُّورِ، أو الذين لا يَشهَدُون شَهادةَ الزَّورِ ولا يُخيرون إلَّا بالحقَّ الواقعِ - مُعيدةٌ تتزُّمَهم عن شُهودِ الباطلِ، وعن شَهادتِه (().

- قولُهُ: ﴿ وَلِقَامَهُ إِلِاللَّقِ مُمُّوا كِرَامًا ﴾ مَعنى المُرورِ باللَّغوِ: المرورُ بأصحابِه اللَّاغينَ في حالِ لَغْوِهم؛ فجُعِل المرورُ بَغَفْسِ اللَّغوِ؛ للإشارة إلى أنَّ أصحابَ اللَّغوِ مُتلبَّسونَ به وقتَ المُرورِ (٣)، وقدْ أخبَرَ هنا أنَّهم لا يَقِفون عند اللَّغوِ عندما يَمُرُّون عليه؛ تَرَقَّيًا في وصْفِهم بالبُعدِ عن الباطلِ والإثمِ والعبث، ومُجانبةِ أهْلِه (١). وتَخصيصُ المرورِ بالذَّكرِ؛ للإيذاذِ بأنَّ ذلك دابُهم وعادتُهم (١٠).

- وإعادةُ فِعلِ ﴿ مَرُّوا ﴾؛ لِبِناءِ الحالِ عليه، وذلك مِن مَحاسنِ الاستِعمالِ(١٠).

⁽١) يُنظر: ((حاشية الطبعي على الكشاف)) (١١/ ٢٩٩).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٢٩، ٢٣٠).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧٩).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٣٣٢).

⁽٥) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (٢٩٩/١١).

⁽٦) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٧٩).





٢- قولُه تعالى: ﴿ وَاللَّهِ يَ إِنَادُ صَحِيْرُ وَإِجَائِنَتِ رَبِّهِ مَرْ لَتَخِيرُ وَاعَلَيْهَا صَمْنُا وَعُمْيَانًا ﴾ - قولُه: ﴿ لَمْ يَخِرُوا عَلَيْهَا سامِعِينَ بِآذَانِ واعية، مُبصِرينَ ناظِرينَ لها بعُيونِ راعية؛ وإنما عَبَّر عن ذلك بنفي الضَّدَّ تَعريضًا بما يَعَمَّدُ اللَّهِ وَالمُنافِقُونُ (١٠).

- قولهُ: ﴿ إِذَا ذُكِرُوا ﴾ عَبَّر بـ (إذا)؛ لأنَّ التَّذكيرَ ممَّا هو واقعٌ مُحقَّقٌ كالَّذي يُسمَعُ مِن القرآنِ في الصَّلاةِ، ومِن الخُطَبِ في الجُمَع "".

- قولُه: ﴿إِذَا ذُكِيرًا﴾ يُنِيَ الفِعلُ للمُفعولِ، ولم يُبَيِّنِ المُذكِّرُ (الفاعِل)؛ إشارةً إلى أَنَّهم يَقْبَلون الحقَّ لأنَّه حقَّ، لا مِن أَجْلِ مَن قال به، فهُم لا يَقبَلون التَّذكيرَ لأَجْلِ شَخصِ المُذكِّرِ، أو يَرُدُّونه مِن أَجْلِ شخصِ المُذكِّرِ، وإنَّما يَقبَلونه لأَنَّه تَذكيرٌ؛ لأنَّ التذكيرَ بالآياتِ يَجِبُ قَبولُه مِن أيَّ مُذكِّرٍ كانَ، وهذه هي الفائدةُ في حَذْفِ الفاعلِ".

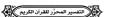
- قولهُ: ﴿ لَا يَغِرُوا عَلَيْهَا صُمَّا وَعُنْهَانَا ﴾ أُريدَ تمبيزُ المؤمنينَ بمُخالفةِ حالةٍ هي مِن حالاتِ المشركينَ، وتلك هي حالةً سماعِهم دَعوة الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وما تَشتولُ عليه مِن آياتِ القُرآنِ، وطلَّبِ النَّظرِ في دَلائلِ الوَّحدائيَّةِ؛ فلذلك جيءَ بالصَّلةِ مَنفيَّة لتحصيلِ النَّناءِ عليهم، مع التَّعريضِ بتَفظيع حالِ المُشركينَ؛ فإنَّ المُشركينَ إذا ذُكُروا بآياتِ اللهِ خَرُوا صُمَّا يَبعنل وجُهة على الأرضِ "،

⁽١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٣٠٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣١).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٣).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٣٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة الفرقان)) (ص: ٣٢١).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٨٠).





- قولُه: ﴿ سُمُّا وَعُمْهَانَا ﴾ حالانِ مِن ضَميرٍ ﴿ يَعِرُوا ﴾، مرادٌ بهما التَّشبيهُ بحذُف حرْف التَّشبيه، أي: يَخِرُّون كالشُّمِّ والعُميانِ في عدَم الانتِفاعِ بالمَسموعِ مِنَ الآياتِ، والمُبصَرِ منها، ممَّا يُذَكَّرونَ به؛ فالنَّعَيُّ -على هذا-مُنصَبُّ إلى الفِعلِ وإلى قَيْدِه، وهو استِعمالٌ كثيرٌ في الكلام. وقيل غيرُ ذلك''.

- وفيها تنديدٌ وتقريعٌ للكافِرينَ؛ لأنَّهم صُمِّ بُكُمٌ عُمْيٌ؛ لا يَتجاوَزُ آذانَهم ما يَسمَعون، ولا يَتنِفعونَ بما يَقروون، ولا يَعتَبِرون بما يُشاهِدون'''.

- وقَيَده بهاتينِ الحاسَّتينِ؛ لأنَّهما الوسيلةُ إلى وُصولِ الشَّيءِ إلى القلبِ؛ إذ الأشياءُ إمَّا مربَّيَّةُ فوسيلتُها النظَّرُ، وإمَّا مسموعةٌ فوسيلتُها السَّمعُ، فنفَى أن يكونوا صُمَّا، ونفَى أن يكونوا عُميانًا^(١).

٣- فولُه تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَاهَبْ اَنَامِنْ أَزَوْجِنَا وَذُّرِيَّلَنِنَا فُـرَّهَ أَعَيُّب وَأَجْمَعُمُنَا لِلْمُنَقِيرِ كَمِامًا ﴾

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٨١).

⁽٢) يُنظر : ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٥١).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الفرقان)) (ص: ٣٢٢).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٣٢٣).





- إعادة المتوصول في العواقع السّبعة: ﴿ وَالَّذِينَ يَسِيتُوك ... ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ يَسِيتُوك ... ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ الْمَرْفَ ... ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَنْفُونَ مَمَّ اللّهِ يَعْوَلُ مَنْ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهُلِي اللهُ ا

- قولُه: ﴿ رَبِّنَاهَبُ لَنَا مِنْ أَرْوَحِنَا وَذُرِيَّنِينَا قُـرَةً أَعُيْبٍ ﴾، أي: هَبْ لنا أزواجًا و ذُرَيَّاتٍ مُطيعِينَ لك، ولَمَّا كانت طاعتُهم سببًا لشرورِهم؛ وُضِع المُسبَّبُ مَوضَعَ السَّببِ للمُبالَغةِ، وأنَّ المطلوبَ الأوَّليَّ بالأولادِ طاعةُ الله، وجُعِل هذا الدُّعاءُ مِن جُعلةِ صِفاتِ الكَمَلةِ مِنَ المؤمنينَ؛ للدَّلالةِ على عِظَمِ منزلةٍ مَن يَطلُبُ النَّكَاحَ لذلك، وهذا بالنَّسبةِ إلى الدَّاعي، فكيف بمَن يَتَصِفُ

- و(مِنْ) في قَولِه: ﴿ مِنْ أَزَوْجِتَا ﴾ يحتمِلُ أن تكونَ بَيانَيَّه ، كأنَّه قيل: هَبْ لنا قُوَّةَ أَعُمُنِ، ثَمَّ بَيَّنَتِ القُرَّةُ وفُشَرَتْ بقَولِه: ﴿ مِنْ أَزَوْجِتَا وَقُرِيَّئِنَا ﴾. ومعناه: أَنْ يَجْمَلُهُمُ اللهُ لهم قُوَّةَ أَعُمِنِ، وهو مِن قولِهم: رأيتُ منك أَسَدًا، أي: أنتَ

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣١).

⁽٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (١٣/ ٢٢٤).

⁽٣) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٠١).





أَسَدٌ. وأن تكونَ ابتِدائيَّة، على معنَى: هَبْ لنا مِن جِهَيْهِم ما تَقَرُّ به عُيونُنا مِن طاعةِ وصلاح^(۱).

- وقدَّمَ الأزواجَ على الذُّرِّيَّةِ؛ لأنَّهم ألْصَقُ، ولأنَّهم الأصلُ (٣٠).

وقولُه: ﴿ قُشَرَةً أَعَرُّبِ ﴾ تَركيبٌ كِناتيٌ ، فإذا كانتِ القُرَّةُ مِن (القُرُّ) فهي كِنايٌ عن الشُّرورِ باردةٌ، وإذا سالَتْ منها دُموعٌ كِنايةٌ عن الشُّرورِ باردةٌ، وإذا سالَتْ منها دُموعٌ في حالةِ الفرحِ كانت باردةٌ، فقرَّةُ أعينهم على هذا كِنايةٌ عن سُرورِهم بأزواجِهم وذُريَّتِهم، بما هم عليه من الخَيرِ والكمالِ، وإعانتِهم لهم عليهما. وإذا كانت القُرِّةُ مِن القُرورِ، فهي كِنايةٌ عن سُكونِ النَّفْسِ بحُصولِها على ما يُرْضِها مِن الأُزواجِ والذُرَيَّةِ (").

- في قولِه تعالى: ﴿ فَرْشَرَةَ أَقَرُبِ ﴾ تُكتانِه الأُولى: التَّنكيرُ، وإنَّما جُنِح إليه الآخِلِ النَّمَانِ المُضافِ إليه اليَكونَ الأَجْلِ تَنكيرُ اللَّمْ اللَّمْنِ المُضافِ إليه اليَكونَ الشَّرورُ غَيرَ مُتناهِ ولا محدودٍ. وإنَّما قَلَّل الأغْنِيَ -أي: جُمِع جَمْعَ القِلَّةِ -الأَنَّ أَغْنِيُ المُتُقَينَ المُتَقَينَ قِلَّةً بالإضافةِ إلى غَيرِهم، يدُلُّ على ذلك قولُه: ﴿ وَقِلْلُ اللَّمْنَ المُتَقَينَ المُتَقَينَ عَلَمٌ مَا تَقلَّمُ، وهِ اللَّهُ المَتَعَينَ المَتَقينَ المَتَقينَ المَثقينَ المَتقينَ المَثقينَ وإنْ كانوا بالإضافةِ

⁽۱)يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۲۹٦/۱)، ((نفسير البيضاوي)) (۱۳۱/٤)، ((نفسير أبي حيان)) (۱۳۳/۸)، ((نفسير أبي السعود)) (۲۲/۲۳).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٣٥).

⁽٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (ص: ٣٣٧).

 ⁽٤) يُنظر: ((تفسير الرمخشري)) (۲۹ ۹۹۲)، ((تفسير البيضاوي)) ((۱۲ ۱۶۱)، ((تفسير أيي حيان))
 (۸/ ۱۳۳)، ((تفسير أيي السعود)) (۲/ ۲۱۱)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (۷/ ۱۵).





إلى غَيِرِهم قليلًا فإنَّهم في أنفُيهم على كثرةٍ مِنَ العددِ، والمُعتبَرُ في إطلاقِ جَمع القِلَّةِ أن يكونَ المجموعُ قليلًا في نفْيه، لا بالنَّسبةِ والإضافةِ (١٠)

- قولُه: ﴿ وَأَنْحَكَنَا لِلْمُنْقِيرِكَ إِمَامًا ﴾ كالتّكميلِ للدُّعاءِ، أي: اجمَلُنا كامِلينَ في أنفُسِنا، ومُكمَّلينَ لغَيرِنا، وفي جَعلِ المُقتدينَ مُتَّقِينَ إشارةٌ إلى عُلُرٌ درجةِ الإمام''.

- قوله: ﴿وَتَعَكَنْنَا لِلْمُتَقِيرَ إِمَامًا ﴾ الإمامُ هو المُتَبِّعُ المُقتَدَى به، وأَفِرة (إمامًا)؛ إمّّا اكتِفاء بالواحدِ عن الجمع، ويدُلُّ على الجنسِ ولا لَبْسَ، وإمَّا لأَنَّ مَصدرٌ في أصلِه، وإمَّا لأنَّ المعنى: واجعَلْ كلَّ واحدِ منَّا إمامًا، وإمَّا لأنَّ المعنى: واجعَلْ كلَّ واحدِ منَّا إمامًا، وإمَّا لاتُحادِهم واتَّفَاقِ كَلِمَتِهم قالوا: واجعَلْنا إمامًا واحدًا، وقيل غيرُ ذلك. وحَسَّنَ الإفرادَ مِن جِهةِ اللَّفظِ: وُقوعُه فاصلةً على وَزِنِ ما قَبْلَها وما يَعْدَهم! للسَّيرِ وعن جِهةِ المعنى: أنَّ أَنْمَةَ الهُدَى كَنَفْسٍ واحدةٍ؛ لاتُحادٍ طَريقِهم بالسَّيرِ على السَّراطِ المستقيم، واتَحادِ وجهتِهم بالقَصدِ إلى اللهِ تعالى وخده، ٣٠٠ - ومَدارُ الكُلُّ صُدورُ هذا الشَّعاءِ إمّا عن الكُلُّ بطريقِ المَعيَّةِ وأنَّه محالٌ؛ لاستِحالةِ اجتِماعِهم في مجلسِ واحدٍ، فما ظَنُك باجِماعِهم في مجلسِ واحدٍ، فما ظَنُك باجِماعِهم في مجلسِ واحدٍ، فما طَنُك باجِماعِهم في مجلسِ واحدٍ، في استِدعاء الإمامة، وأنَّه ليس بثابتِ جَزْمًا، بلِ الظَّاهرُ صُدورُه عنهم بطريقِ تشريك غَيره في استِدعاء الإمامة، وأنَّه ليس بثابتِ جَزْمًا، بلِ الظَّاهرُ صُدورُه عنهم بطريقِ رَامامًا)، في استِدعاء الإمامة، وأنَّه ليس بثابتِ جَزْمًا، بلِ الظَّاهرُ صُدورُه عنهم بطريقِ رَامامًا)، وأنَّ عبادَ الدُعْقِيلِ المَّقينَ إمامًا)،

⁽١) يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لدرويش (٧/ ٥١).

⁽٢) يُنظر: ((حاشية الطبيي على الكشاف)) (١١/ ٢٠١).

⁽٣) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (٢٩٦/٣)، ((نفسير البيفاوي)) (١٣٢/٤)، ((نفسير أي حيان)) (١٣/ ١٣٢، ١٣٤)، ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٦)، ((نفسير أبي السعود)) (١/ ٣٢١)، ((نفسير ابن عاشور)) (١/ ٢/٩م)، ((نفسير ابن باديس)) (ص: ٣٣٦).





خَلَا أَنْه تُحَكِّتْ عِباراتُ الكلِّ بصيغةِ المُتكلِّمِ مع الغَيرِ؛ للقَصدِ إلى الإيجازِ، على طريقةِ قولِه تعالى: ﴿ يَكَأَيُّا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاَصْلُواْ صَلِيمًا ﴾ "ا [المؤمنون: ٥١].

٤ - قولُه تعالى: ﴿ أُولَكِيكَ يُجْرَوْنَ اَلْشُوكَةَ بِمَاصَبَرُواْ وَبِلْقَوْنَ فِيهَا غَيَنَةً
 وَمَلَدُمًا ﴾

- قولُه: ﴿ أُولَتِهِكَ ﴾ إشارة إلى المتّصفينَ بما قُصَّل في حين صِلَةِ المَوصولاتِ النَّمانيةِ من حيثُ اتَصافَهم به. وفيه دَلالةٌ على أنَّهم مُتميِّرونَ بذلك أكمَلَ تَميُّرِه مُتظِمونَ بسببِه في سِلكِ الأمورِ المُشاهَدةِ، وما فيه مِن معنى البُعدِ؛ للإيذان ببُعدِ مَنزلتِهم في الفضلِ. والجملةُ مُستَأَنفَةٌ مُبيَّةٌ لِما لَهُم في الآخرةِ مِن السَّعادةِ الأَبْدَيَّةِ المَّرْبَيانِ ما لَهُم في الدَّغرةِ مِن السَّعادةِ الأَبْدَيَّةِ المَّرْبَيانِ ما لهُم في الدُّنيا مِن الأعمالِ السَّيَّةِ (").

- قولُه: ﴿ أَوْلَتَهِكَ ﴾ التّصديرُ باسمِ الإشارةِ للتَّنبيهِ على أنَّ ما يَرِدُ بعْدَه كانوا أخرياءَ به؛ لأجْل ما ذُكِر قبلَ اسم الإشارةِ من صِفاتِ ".

- جُملةُ ﴿ أَوْلَتِهِكَ ... ﴾ مُستأنّفةٌ؛ فإنَّ تلك الصَّفاتِ والأعمالَ تُشوِّقُ السَّامَعَ إلى معرفةِ مآلِهم، وثمرةِ أعمالِهم، فيَسأَلُ عنهما؛ فكانت الجُملةُ جوابًا لذلك الشُّوالِ المُقدَّدُ".

- قولُه تعالى: ﴿ أَوْلَتَهِلَكَ بَجُرَوْتَ ٱلشَّرْفَكَةَ بِمَا سَبَرُواْ ﴾ بِدُلُّ على أَلَهم يُجْزَون غُوفة واحدةً، وقد جاءتْ آياتٌ أُخَرُ تَدُلُّ على خِلافِ ذلك؛ كقولِه

⁽١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣١).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩٩ / ٨٤). (٤) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٤١).

۱۲) يىظىر. (رىقسىير ابن باديس





تعالى: ﴿ لَهُمْ عُرُّتُ مِن فَرْقِهَا عُرُثُ مَنْبِقَةً ﴾ [الزمر: ٢٠]، وكفّولِه: ﴿ وَهُمْ فِي الْفَرِكَتِ عَالِمُونَ ﴾ [المزا: ٣٧].

والجوابُ: أنَّ الغُرفة هنا بمعنَى الغُرَفِ؛ اسمُ جِنسِ أُريدَ به الجَمْعُ. وقيل: إنَّ المرادَ بالغُرفةِ الدَّرجةُ المُلْيا في الجنَّةِ؛ وعليه فلا إشكالَ. وقيل: الغُرفةُ الجنَّةُ؛ سُمَّيَتْ غُرفةٌ لارتِفاعِها(١٠).

- قولُه: ﴿ يُمَّ زَوْتَ ٱلْفُرْفَةَ بِمَا سَبَرُواْ ﴾ لمن إن بمُعَلِق ﴿ سَبَرُواْ ﴾؛ لئلًا يُعْتَصَرَ عليه، فيتناوَلُ كلَّ مَصبورِ عليه إلى أن يُحاطَ به ٢٠٠، ولِيَعُمَّ جميعَ أنواعِ المشاقَ ٣٠.

- فإنْ قيل: قد تَقرَّرَ أنَّ اسمَ الإشارةِ إذا عُقَب به مَن أَجرى عليه الأوصاف دَلَّ على أنَّ المَذكورَ تَبْلَه جَديرٌ بما بغدَه لأجلِ تلك الأوصاف الجرية عليه، فإذن السَّبُ في أَنَّهم يُجزَونَ الغُرفةَ تلك الأوصافُ الَّتي أُجريَتْ على عِبادِ الرَّحمنِ، فكان مِن حقَّ الظَّاهرِ أنْ يُجاءَ بدَلَ ﴿ يِمَا صَبَرُوا ﴾: بما فَعَلوا؛ كِنايةً عن تلك المَذكوراتِ بأشرِها، فما فائدةُ المُدولِ؟

فالجوابُ: الإيذانُ بانَّ مِلاكَ العِباداتِ الصَّبرُ، وأنَّ حَبْسَ النَّفْسِ على طاعةِ اللهِ هي الطَّلِبُهُ، وقَطْمُها عن مُشتَهاتِها هي المَرامُ⁰.

⁽۱) يُنظر: (نفسير الزمخشري)) (۲۹ / ۲۹۹)، (نفسير اليضاوي)) (٤/ ۱۳۲)، (نفسير أبي حيان)) (٨/ ١٣٤)، (نفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٢)، ((نفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٨٤)، ((دفع إيهام الإضطراب)) للشنقيطي (ص: ١٧٣).

⁽۲) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۳ / ۲۹۷)، ((حاشية الطبي على الكشاف)) (۱۱ / ۴۰۶)، ((نفسير أبي حيان)) (۸/ ۱۳٤).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (١٤/ ٥٧٨).

⁽٤) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/ ٢٠٤).





- قولُه: ﴿ يَعْمَرُونَ كَالْمُتُوكَةَ بِمَا سَمَرُواْ ﴾ فيه مُناسبة حَسَنة وحيث جاء قولُه: ﴿ الْفُرْوَتَ فَي سُورة (سبأ) بالجَمع: ﴿ وَهُمْ فِي الْفُرُفَتِ مَا الْمُسَرِّنَ ﴾ [سبا: ٢٧]؛ وفائدة العُدولِ في هذا المقام إلى اللهُ فرَدِ ﴿ يُجْرَرُونَ ﴾ [سبا: ٢٧]؛ وفائدة العُدولِ في هذا المقام إلى اللهُ فرَدِ ﴿ يُجْرَرُونَ لَلْمُ اللهُ فَي اللهُ مُلِنَّةً ﴾ فلاتّحادِ ترتُّبِ الحُكمِ على الأوصافِ المُسْترَكة ، بخلافِه في (سبأ)؛ فإنَّه مُرتَّبٌ على الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ مُطْلقاً. ولا ارتبابَ في التَّقاوُتِ في الأعمالِ، فناسبَ الجَمعُ؛ ليتفاوَت الجزاءُ بحسبِ العاملينَ. وأمَّا على قواءة الإفرادِ في سورة (سبأ) " فيتقالُ: إنَّ المرادَ مِنَ الإفرادِ الخياعَ؛ النَّوينةُ هي إثباتُ الغُرفةِ الواحدةِ للجَماعة ").

- قولُه تعالى: ﴿ وَلِلْقُوْتِ فِيهَا عَيْمَةٌ وَ لَكُمّا ﴾، مجمع بين التَّحيَّةِ والسَّلام، مع أنَّهما بمعنى؛ لقوله تعالى: ﴿ يَجَنَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَمٌ ﴾ [الأحزاب: ٤٤]؛ لأنَّ المُوادَهنا بالتَّحيَّةِ: سَلامُ بعضِهم على بعضٍ، أو سلامُ الملائكةِ، وبالسَّلام، سلامُ اللهِ عليهم؛ لقولِه تعالى: ﴿ سَلَمٌ قَوْلاَ مِن رَبِّ رَحِيدٍ ﴾ [بس: ٥٥]، أو المرادُ بالتَّحيَّةِ: إكرامُ اللهِ لهم بالهَدايا والتَّحفِ، وبالسَّلامِ: سَلامُه عليهم بالقَدلِ. ولو سُلمَ أنَهما بمعنى، فساغَ الجَمْعُ بِينَهما؛ لاختِلافِهما لفظًا ٣٠.

٥ - قولُه تعالى: ﴿ خَيَادِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَدًّا وَمُقَامًا ﴾

- جُملةُ ﴿ حُسُنَتْ مُسْتَقَرُّا وَمُقَامًا ﴾ مُستأنفةٌ بَيانيَّةٌ ؛ لأنَّ مَن عرَفَ حالتَهم مِن الحياةِ والسَّلامةِ والبقاءِ يَتَشَوَّفُ لمعرفةِ حالِ مكانِ هذه الحياةِ السَّالمةِ

⁽١) قر أبالإفراد حمزةً، والباقون بالجمع. يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (٢/ ٣٥١). (٢) يُنظر: ((حاشية الطبيع على الكشّاف)) (١/ ٢٠٤).

⁽٣) يُنظر: ((فتح الرحمن)) للأنصاري (ص: ٤٠٦).





الباقية، فيَسأَلُ عنه؛ فوقعَتْ جُملةً ﴿ مُثنَتْ ﴾ موقعَ الجوابِ عن هذا السُّؤالِ المُقدَّدِ. وهي إنشائيَّةُ أفادتْ إنشاءَ مدْحِ العُرفِ بالحُسنِ، وتَعظيمِ ذلك الحُسن (١٠).

- وقدَّمَ المُستقرَّ؛ لأنَّ أوَّلَ الحُلولِ استِقرارٌ، والمُقامَ بَبَقاءِ الاستِقرارِ واستِمرارِ المُكث''.

٦ - قولُه تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْـبَوُّا بِكُوْ رَبِي الْوَلَا دُعَاؤُكُمٌّ فَقَدَ كَذَّبَتُ فَسَوْقَ يَكُنُّ ن اِرَامًا ﴾

- قولُه: ﴿ قُلُ مَا يَمْ مَؤُا يَكُرُّ رَيَ لَوْلَا دُعَاقُكُمْ ﴾ (ما) يَجوزُ أن تكونَ استفهاميَّة فيها معنى النّفي، كانَّه قيل: وأيُّ عبء يَعباً بكم لو لا دُعاؤُكم؟! ويجوزُ أن تكونَ نافيةً ٣٠ وتركيبُ: ما يَعباً به، يدُلُّ على التَّحقيرِ، وضِدُّه (عَبَا بَه) يُمْيدُ الحَفاوةَ. فأصلُ ﴿ مَا يَعَبُرُوا ﴾ ما يَحولُ عِبنُا؛ تمثيلًا بحالةِ المُتعَبِ مِنَ النَّهيء، فصار المقصودُ: ما يَهتَمُّ وما يَكتَوثُ، وهو كِنايةٌ عن قَلَّةِ العاليةِ (١٠).

- وجَوابُ ﴿ لَوْلَا ﴾ مَحذوفٌ؛ لدَلالةِ ما تقدَّم، وتقديرُ الكلامِ: لولا دُعاؤُكم ما عبَّا بكم. وجُملةُ ﴿ فَقَدَ كَذَبَتْم ﴾ واقعةً موقعَ التّعليلِ لكلام مُقدَّرٍ تقديرُه -واللهُ أعلَمُ-: لا يَعبَأُ بكم فقد كذَّبْتم، أي: لأنَّكم قد كذَّبْتم، فالفاءُ تَعليليَّة. وأمَّا جُملةُ ﴿ فَسَرَقَ يَكَدُّنُ ﴾ فهُسَبَبِةٌ عَمَّا قبْلها؛ فالفاءُ فيها سَبِيتٌ. وضَميرُ

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٤١).

⁽٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

⁽٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٩٧)، ((تفسير البيضاوي)) (٤/ ١٣٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٨/ ١٣٤).

⁽٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٨٥).





﴿ يَكُونُ ﴾ عائدٌ على العذابِ المفهوم مِن المقام(١).

- وفائلةُ قولِه: ﴿فَقَدَكَنَّبُتُمْ ﴾ الإيذانُ بأنَّ مَناطَ فَوزِ أحدِهما، وخُسرانِ الآخَرِ -مع الاتِّحادِ الجِنسيِّ المُصحِّعِ للاشتِراكِ في الفَوزِ- ليس إلَّا اختلافَهما في الأعمالِ^{٣٠}. وأيضًا فيه تهديدٌ للمُشركينَ^{٣٠}.

- وحُذِفَ مُتعلَّقُ الدُّعاءِ؛ لظُهورِه مِن قَولِه: ﴿ فَقَدَكَذَّتُمْ ﴾، أي: الدَّاعيَ، وهو محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ (١٠) وذلك على أنَّ الدُّعاءَ المرادُبه: الدعوةُ إلى الإسلام.

- قولُه: ﴿ فَنَوْقَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ تُرِكُ اسمُ كان غَيرَ منطوقِ به بعُدَما عُلِم أنَّه ممَّا تُوعَدِّبه؛ للإيذانِ بغاية ظُهورِه، وتَهويلِ أمْرِه، وللتَّبيهِ على أنَّه ممَّا لا يَكتِنِهُ البيانُ، كما تَقولُ للجاني: قد فعلتَ كذا فسوف تَتحمَّلُ ما فعلتَ (٥٠).

- واللَّرَامُ: مَصدَدُ لازَمَ، وقد صِيعَ على زِنَةِ المُفاعَلةِ لافادةِ اللَّرُومِ، أي: عدَمِ المُفارَقةِ، وللتَّنبيهِ على المُفارَقةِ، وللتَّنبيهِ على المُفارَقةِ، وللتَّنبيهِ على المُفارَقةِ، وللتَّنبيهِ على الفَّرفينِ: فهُم بتكفيهم قد الزُّموا الفَّرسُةِ، المُمكنِّبينَ والعذابِ مُلازَمةً مِن الطَّرفينِ: فهُم بتكفيهم قد الزُّموا الفُسْهم العذاب، وقد اجتَمَع فيه مُبالغتانِ: مُبالغةٌ في صيغته تُعيدُ قَوْمَ لُرُومِه، ومُبالغةٌ في الإخبارِ به تُعيدُ تعقيقَ ثُبرتِ الرَّصفِ، ١٠٠

⁽١) يُنظر: ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٤٤).

⁽٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٦/ ٢٣٢)

⁽٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٨٦).

⁽٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١٩/ ٨٦).

⁽٥) يُنظر: ((نفسير الزمخشري)) (۲۹۸/۳)، ((نفسير البيضاوي)) (۱۳۲/٤)، ((نفسير أبي حيان)) (٨/ ١٦٥)، ((نفسير أبي السعود)) (٢/ ٢٣٢)، ((نفسير ابن عاشور)) (٨١/١٩).

⁽٦) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٨٦، ٨٨)، ((تفسير ابن باديس)) (ص: ٢٤٤).





- وهذه الخاتمةُ ناظرةُ إلى الفاتحةِ، أي: ﴿ تَبْلَالُ اللَّهِ كَنْلَ الْمُؤَانَ ظُلُ عَلَيهِ.
لِيَكُونَ لِلْمُلْكِونَ لَيْكِلُ فَلِهِ الفرقان: ١]، المعنى: قد أَنذَرَ وبالغَ فيه، وبيَّن بالآياتِ
الظَّاهرةِ، والبَراهين الباهرةِ، تَصريحًا وتَعريضًا: أنَّ المحكمة في الإيجادِ مَعرفةُ
الخَالِقِ وعبادتُه؛ أمَّا تَصريحًا ففي قَولِه تعالى: ﴿ وَهُو اللَّهِي جَمَلَ التَّن وَالنَّهَارَ
عَدْ فضائِلِ المؤمنينَ، وإذا أَعلَمَكُم رَسولِي أنَّ حُكْمِي ذلك، وأمَّا تعريضًا ففي
بعبادي إلَّا بعبادتهم، فقد خالفُتُم أثمُّ بتَكنيبِكم كِتابي ورَسولي حِكمتي في
الإيجادِ، فسوف يَلزَهُكُم أثرُّ تَكذيبِكم، وهو الاستِنصالُ يَومَ بَدْر، والعذابُ

تمَّ بحمدِ الله المجلدُ العِشرونَ ويليه المجلدُ الحادي والعِشرونَ وأوَّلُه تفسيرُ سُورةِ الشُّعَراءِ

⁽١) يُنظر: ((حاشية الطيبي على الكشاف)) (١١/٣٠٨).

الفهرس





الغمرس

٠	سوره القرقانِ
/	
٠	فَضائِلُ السُّورةِ وخَصائِصُها:
٠	بَيانُ المُكِّيِّ والمَدَنِّ:
٠	مَقاصِدُ السُّورةِ:
٩	مَوضوعاتُ السُّورةِ:
١١	الأيات (١-٣)
11	غَريبُ الكَلِماتِ:
	المعنى الإجماليُّ:
١٢	
١٨	الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:
۲۰	الفوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:
۲۸	بلاغةُ الآياتِ:
۳۹	الآيات (٤-٦)
۳۹	غَريبُ الكَلِماتِ:
٤٠	المعنى الإجماليُّ:
٤١	
٤٥	الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:
	الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:
ξΥ	بلاغةُ الآياتِ:
٥٣	الآمات (۷-۱۰)





٥٣	غَريبُ الكَلِماتِ:
٥٣	المعنى الإجماليُّ:
ο ξ	تَفسيرُ الآياتِ:
٦٠	الفوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:
٠٣	
٦٧	الآيات (١٦-١٦)
٠٧	غَريبُ الكَلِماتِ:
٦٨	المعنى الإجماليُّ:
٦٨	تَفسيرُ الآياتِ:
٧٣	الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:
٧٦	
Λξ	الآيات (۱۷ - ۱۹)
Αξ	غَريبُ الكَلِماتِ:
Λξ	المعنى الإجماليُّ:
۸٥	تَفسيرُ الآياتِ:
٩١	الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:
٩١	الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:
٩٣	بلاغةُ الآياتِ:
1.1	الآيات (۲۰–۲۲)
1+1	غَريبُ الكَلِماتِ:
1.7	مُشكِلُ الإعرابِ:مُشكِلُ الإعرابِ
١٠٣	المعنى الإجماليُّ:
1.7	تَفسيرُ الآياتِ:





رِائِدُ التَّرِيويَّةُ:	الفَو
اِنْدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:	الفَو
غَةُ الآياتِ:	
179(79-70)	
بِبُ الكَلِياتِ:	غَري
ني الإجاليُّ:	
يرُ الآياتِ:يرُ الآياتِ:	
اِئِدُ التَّرِبويَّةُ:اللهِ التَّرِبويَّةُ:اللهِ التَّرِبويَّةُ:اللهِ التَّرِبويَّةُ: التَّر	
الله العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:	
غةُ الآياتِ:غةُ الآياتِ:	
189(٣٤-٣٠)	
بُ الكَلِياتِ:	
ني الإجاليُّ:	
 يرُ الآياتِ:يرُ الآياتِ:يرُ	
اِئِدُ التَّربويَّةُ:	
الله العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:ا	
غةُ الآياتِ:	
١٧٧(٤٠-٣٥).	
بُ الكَلِياتِ:	
ني الإجماليُّ:	
ع .	
إِنْدُ الْعِلْمِيَّةُ وَاللَّطَائِفُ:اللهِ اللَّعَالِيْفُ:اللهِ المَّالَّةِ اللَّعَالِيْفُ	
غَهُ الآبات:	





197	 الآيات (٤١-٤٤)
197	 غَريبُ الكَلِماتِ:
197	 المعنى الإجماليُّ:
۱۹۸	 تَفسيرُ الآياتِ:
۲٠٥	 الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:
۲٠٦	 الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائفُ:
۲۱.	 بلاغةُ الآياتِ:
۲۱۸	 الآيات (٥٥-٥٥)
۲۱۸	 غَريبُ الكَلِماتِ:
771	 المعنى الإجماليُّ:
777	 تَفسيرُ الآياتِ:
7 £ £	 الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:
7 2 0	 الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائفُ:
707	 بلاغةُ الآياتِ:
777	 الآيات (٥٥–٦٢)
777	 غَريبُ الكَلِماتِ:
4 V £	 المعنى الإجماليُّ:
200	 تَفسيرُ الآياتِ:
498	 الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:
499	 بلاغةُ الآياتِ:
۲۱۲	 الآيات (٦٣-٦٧)
۳۱۲	 غَريبُ الكَلِماتِ:
۳۱۳	 المعنى الإجماليُّ:





۳۱۳	تَفسيرُ الآياتِ:
٣٢٤	الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:
٣٢٩	الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:
٣٣١	بلاغةُ الآياتِ:
٣٣٩	الآيات (۲۸-۷۱)
٣٣٩	غَريبُ الكَلِماتِ:
٣٣٩	مُشكِلُ الإعرابِ:مُشكِلُ الإعرابِ
۳٤٠	المعنى الإجماليُّ:
۳٤٠	تَفسيرُ الآياتِ:
۳٥٢	الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:
۳٥٣	الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:
TOA	بلاغةُ الآياتِ:
٣٦٤	الآيات (٧٢-٧٧)
٣٦٤	
٣٦٥	المعنى الإجماليُّ:
٣٦٦	تَفسيرُ الآياتِ:
TAY	الفَوائِدُ التَّربويَّةُ:
TAV	الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:
٣٩١	بلاغةُ الآياتِ:
٤٠٦	الفه س

تم الصف والإخراج في مؤسسة الدرر السنية nashr@dorar.net ماتف ١١٣٨٦٨٠١٧٠ فأكس ١١٣٨٦٨٢٨٤٨٠٠ وول. ٥٥٦٩٨٠٠٨٠٠